العلويون

بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع

تأليف

الشيخ علي عزيز الإبراهيم

قدم له

سماحة الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة .
ملك الأعلمي ـ ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ ـ ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّحيم

الإهـــداء

- إليك يا سيدي يا أمير المؤمنين .

- إليك يا أبا الأئمّة وسيّد الأوصياء .

- إليك يا من قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله :
يا علي : يهلك فيك إثنان محبّ غال ومبغض قال .

- إليك يا من قال فيه الإمام الشافعي :

قيل لي قل في علي مدحاً ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرىء ضلّ ذو اللبّ إلى أن عبده

- إليك يا من قال فيه العلّامة ابن أبي الحديد المعتزلي :

لولا حدوثك قلت إنك جاعل الأ رواح في الأشباح والمستنزع

- إليك يا من قال فيه الشاعر عبد الباقي العمري :

أنت ثاني الآباء في منتهى الـ ـدور وآباؤه يُعدّ بنوحُ
خلق اللّه آدم من تراب فهو ابن له وأنت أبوه

- إلى إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السّلام .
أقدم هذه البضاعة المزجاة .



كتاب كريم للمؤلف
تفضل به المرجع الأعلىٰ الأسبق
الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

جناب الفاضل المهذب الذكي الشيخ علي عزيز إبراهيم دام توفيقه وتأييده ، بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بكل سداد وصل كتابكم من الدريكيش تذكرون مساعيكم المشكورة وأعمالكم المقبولة في سبيل توجيه أهلها إلى العمل في سبيل الله تعالىٰ والاهتمام بالمظاهر الدينية ومناصرة أهل البيت عليهم أفضل السّلام فشكرنا لكم ذلك وشكر الله كان أعظم ، وفقكم الله كافة لمناصرة الحق ومدافعة الباطل ونشر الثقافة الدينية حسبما يقتضيه مذهب أهل البيت الذين عصمهم الله تعالىٰ من الزلل وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً والسّلام عليكم وعلى مشايخ البلدة وعموم أهاليها ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

جناب الفاضل المهذب الزكي الشيخ علي عزيز ابراهيم دام توفيقه وتأييده

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بكل خير وسداد وصل

كتابكم من الديار تذكرون مساعيكم المشكورة واتعابكم الجميلة في

سبيل ترغيب اهلها الى الدخول في سبيل الله تعالى ودعوتهم بالالطاف الى التشيع

ومتابعة اهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام فشكرنا لكم ذلك ونشكر

مساعيكم اعظم شكر فانها لنصرة الحق ومدافعة الباطل ونشر الشعائر

الدينية حسبما تقتضيه مذهب اهل البيت الذين عصمهم الله تعالى من الزلل

واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والسلام عليكم وعلى مشايخ البلدة و

اهاليها ورحمة الله وبركاته

٨٩

١٣٢٩

رئـاسـة
المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لـبنـان

الرقـم : ١٠

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فضيلة الأخ الجليـل المفضـال الشيـخ علي عـزيـز آل إبـراهيم المحترم .

تحيات طيبات وأدعية مخلصة لتـوفيقك وللمـزيد من التكـامل في العلم والعمـل وآمالاً واسعـة للمستقبل الـزاهر الـطيب الذي تشـارك في صنعـه بإيمـانك وبجهـدك وسعيـك الـدائم . ورجـاءاً واسعـاً لأن أكـون مشمـولاً لأدعيتك الـطيبـة في جـوار المقـام العلوي سـلام الله وصلواتـه عليه .

وبعد ، فقد حلّ فصل الصيف وجاء الفرصة المناسبـة للإنـطلاق للدعـوة إلى الله في الميدان ، في المجتمع مباشـرة ولخـدمـة الخلق وإرشادهم إلى السبيل القويم .

وأنت خيـر من تعرف ، مـا عانتـه المنطقـة العزيـزة الكـريمـة من الحرمان طـوال التاريـخ حتى أني مع كثـرة تنقلي في لبنان مـا توفقت أن أقوم بأي واجب في البلاد هناك على الـرغم من رغبة إخـواننا الأعـزاء ، لهذا ومن باب التذكير أرجو أن تخصص هذا المـوسم في البلاد العلويـة الكريمة وتنتقل بينهم وتقوم بـدور الوعظ والتـوجيه والإمـامة وتـطّلع على حـاجاتهم الـدينية ومشـاكلهم الأخلاقيـة وحاجـاتهم المعنويـة ، لعل الله يوفقك ويـوفقنا لبعض مـا يجب في سبيل خـدمتهم وأداء حقوقهم وعلى كل حال فإنّي بانتظار خبر وصولكم إلى المنطقة والله وليّ التوفيق .

أخـوك
موسى الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة
المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان

رقم ١٠

فضيلة العلامة الحجة سماحة الشيخ علي حميد آل ابراهيم المحترم

تحيات طيبات وادعية خالصة لفضيلتكم وللمزيد من التكامل في علمكم وعملكم وامالك وامانيك للمستقبل الزاهر الطيب الذي تشارك في صنعه بايمانك وبجهدك وسعيك الدائم . ورجائي واملي من ان اكون مشتركا في مساعيك الطيبة في جهادك العظيم الذي سعدتم به وهنيئا لكم عليه .

وبعد فقد حصلت [illegible] الفرصة المناسبة للتعرف والتلاقي لدى [illegible] في الميدان في المجتمع [illegible] وخدمة الخلق وارشادهم الى السبيل القويم وانت خير من تعرف ما عانته المنطقة العزيزة الكريمة من اكرم طوال التاريخ حتى اني مع كثرة تنقلي في لبنان ما توفقت من اداء ما يجب علي هناك على الرغم من رغبته اخواننا الاعزاء . ولهذا ومن باب التذكير ارجو ان تخصص هذا الموسم في البلاد [illegible] الكريمة وتشتغل بينهم وتتقدم بيد العطف والتوجيه والاخوة وتطلع على حاجاتهم الروحية ومشاكلهم الحقوقية وحاجاتهم المعنوية ولعل [illegible] يوفقك ويوفقنا لبعض ما يجب في سبيل خدمتهم واداء حقوقهم وعلى كل حال فاني بانتظار خبر وصولكم الى المنطقة والله ولي التوفيق

اخوك

موسى الصدر

تصديـــر :

بقلـم :
سماحة الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ونبينا محمَّد وعلى آله وصحبه الأخيار المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم قيام يوم الدين وبعد ، فهذه كلمات موجزة كُتبت لتكون مقدمة لهذا الكتاب .

إن أعظم المشكلات التي تركت آثارها المشؤومة على المجتمع الإسلامي ، ومن ثم على مناعة الأمة المسلمة تجاه أعدائها وعلى قدرتها وكفائتها في تحقيق التقدم ، هي مشكلة الاختلاف المذهبي الذي لم يقتصر على حدود الطبيعة ، بل تعداها ليعود تعصباً ، ثم ليتحول إلى عداء وقطيعة ثم ليتحول إلى تكفير ونبذ وإخراج عن دائرة الإسلام واستحلال لما حرمه الله على المسلم من أخيه المسلم ، بل لما حرمه الله على المسلم بالنسبة إلى المسالمين من غير المسلمين .

إن الإختلاف في فهم النصوص ، والاختلاف من ثم في الاجتهاد أمر طبيعي تقتضيه طبيعة تفاوت العلماء في الأفهام والأذواق واختلاف الوسائل وأدوات البحث ، واختلاف أوضاع الناس وما إلى ذلك من أسباب الخلاف والإختلاف .

وقد تضمنت السُّنَّة الشريفة نصوصاً كثيرة تتضمن اعتراف الشريعة الإسلامية «بحق الإختلاف» ومن ذلك الحديث المشهور من أن المجتهد

إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر ، فإن التسليم بحق الخطأ يعني التسليم بحق الاختلاف بين المجتهدين ، وعذر الله المخطىء المخالف الذي لم يصب الواقع إذا توفر في بحثه وفحصه على الإخلاص لله تعالىٰ والأمانة والدقة من البحث العلمي وهذا أمر تدركه الأفهام المستقيمة والطبائع السوية ـ فلا يخرج المخالف بخلافه عن الإسلام ، ولا يجوز لأحد أن يدعي لإجتهاده أنه الحق بعينه وأن الرأي المخالف هو الباطل بعينه ، بل إن كان اجتهاد عند صاحبه صواب بحسب فهمه ومبلغ علمه لكنه في الواقع يحتمل الخطأ ، والرأي المخالف له خطأ بحسب فهمه وعلمه ولكنه في الواقع يحتمل الصواب ، فلا يجوز الإتهام بالإبتداع والفسق فضلاً عن القذف بالكفر لمجرد الاختلاف في المذهب .

وقد وردت في السُّنّة الشريفة أحاديث كثيرة بيّنت هذه الحقيقة في الشريعة ، ففي حديث نبوي شريف : «من قال لأخيه يا كافر ، فقد باء بأحدهما» .

وقد مرّت حقب على المسلمين كانت الإختلافات في الإجتهادات تقتصر على مجالها فلا تتعداه لتتحول إلى تعصب وعداء حتى حين تكون ثمة خلافات سياسية فتجد جماعات مختلفة في المجال السياسي متفقة في الإجتهاد الفقهي وتجد جماعات مختلفة في الإجتهاد الفقهي متفقة في المجال السياسي .

ولكن علماء السوء في حالات وأدعياء العلم في حالات والحكام في حالات حوّلوا الإختلافات الإجتهادية المذهبية إلى صيغ سياسية ، اقتصادية ، وتلابست هذه الإختلافات مع المصالح السياسية والاقتصادية للحكام ومن يحف بهم من علماء السوء والمتعالين من الجهال فتولد التعصب لهذا المذهب أو ذاك من مذاهب الحكام ، وتعرضت المذاهب الأخرى للحصار والقمع ، وكان رد الفعل تعصباً مقابلاً ، وتولد العداء

وكانت المخاصمات والمواجهات بين الحُكام والرؤساء الذين كانوا يجرون أتباع المذاهب إلى الخصومة والإحتراب والفتنة فيما بينهم .

ـ فإن إحدى المشكلات التي عصفت بالمسلمين هي مشكلة التكفير من قبل بعضهم للبعض الآخر ، ومنها مشكلة العلويين التي وُلدت في هذا المناخ الذي كان من أهم أسبابه عزلتهم والجهل بهم ، وقد أدى بعدهم من جهة والجهل بهم من جهة أخرى إلى إتهامهم بالانحراف العقيدي .

وشيوع البدع والخرافات من العوام المعزولين عن الفقهاء المستنيرين أمر لا يختص ببعض عوام العلويين الذين مرّت عليهم أحقاب من الزمن وهم محصورون مطاردون مهددون في كرامتهم وحياتهم وأموالهم وأعراضهم .

بل يجد الباحث أمثال هذه الخرافات والبدع شائعة بين المسلمين من سائر المذاهب وطالما رأينا وسمعنا عند بدو الصحارى وفلاحي القُرى في شتىٰ أنحاء العالم الإسلامي خرافات وبدعاً كثيرة يمارسونها عن حسن نيّة واعتقاد بأنها من الإسلام ، وحين يتلقون الموعظة الحسنة والتعليم بالحكمة والرفق فإنهم يصححون اعتقادهم وعملهم .

قضية إسلام العلويين :

العلويون (الشيعة الإمامية الإثني عشرية) : نموذج ساطع ومؤلم لمشكلة الاختلاف والتعصب ، فقد أدت بهم مشكلة اختلافهم مع القوى الغالبة والحاكمة في المجتمع إلى عزلهم من قبل تلك القوى ومن ثم إلى حصارهم والإرجاف بهم وأدىٰ بهم ذلك إلى الانقطاع عن التواصل والتفاعل مع المجتمع الإسلامي حتى مع جمهور مذهبهم الشيعي الإمامي الإثني عشري ، ومن ثم تولدت الشكوك فيهم وتعاظمت الإتهامات وترسخت حتى تحوّلت إلى التشكيك في إسلامهم بل بلغت

في بعض الحالات درجة إدانتهم بالمروق عن الإسلام والحكم عليهم بالكفر .

ما هو الإسلام :

ما هو الإسلام الذي يجمع المعتنقين له على ما بينهم من تنوعات ؟ ويثبت لهم جميعاً منزلة المسلمين ، ويثبت لبعضهم على بعض آحاداً وجماعات حقوق المسلم على المسلم وحقوق المسلم على الأمة .

إن الإسلام الجامع يتحقق في كل من صدق وأذعن عن قناعة بأصول الإسلام وفروعه وهي مسائل العقيدة والشريعة .

أما مسائل العقيدة وهي الأصول فهي ثلاث : التوحيد والنبوة والمعاد ويكفي الإعتقاد في التوحيد بوحدة الله تعالىٰ وكونه خالقاً لكل شيء عالماً محيطاً بكل شيء قادراً على كل شيء حكيماً في كل شيء ، ولا يطلب ولا يجب البحث عن الصفات الثبوتية والسلبية وأنها عين ذاته أو مغايرة لها وما إلى ذلك من أبحاث علم الكلام .

وأما بالنسبة إلى النبوة فيجب الاعتقاد بالنبوة العامة وهي أن الله سبحانه وتعالىٰ بعث في الأمم السابقة أنبياء ورسلاً أوحىٰ إليهم بالعقائد والشرائع ، والاعتقاد بالنبوة الخاصة وهي أن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل محمداً (ص) خاتماً للنبيين وأنزل عليه الوحي القرآني وأوحى إليه بالعقيدة والشريعة وأن النبي (ص) قد بلّغ ما أرسله الله به من العقيدة والشريعة وبلّغ القرآن . وأن محمداً هو خاتم النبيين وأن الدين الإسلامي هو الدين الحق . .

وأما المعاد فيكفي فيه الاعتقاد بأن كل من بلغ سن التكليف أن الله يبعثه بعد الموت حياً ويحاسبه على ما عمله في حياته وأن لكل عمل من أعمال الخير ثواباً ولكل عمل من أعمال الشر عقاباً بمقتضى عدالة

الله وحكمته ووعده ووعيده .

في الشريعة :

أما الشريعة فهي الفروع التي هي من ضرورات الدين وهي الأحكام والتكاليف في العبادات والمعاملات التي اتفق عليها المسلمون كافة على اختلاف مذاهبهم واجتهادات فقهائهم كوجوب الصُلاة وعدد الصلوات اليومية المفروضة ووجوب الصوم في شهر رمضان والحجّ إلى بيت الله الحرام والزكاة وحرمة نكاح المحارم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك من أحكام اتفقت عليها كلمة المسلمين من غير فرق بين مذهب ومذهب .

وأما الإختلافات في تفاصيل ذلك وشروطه وكيفية أداء بعض أجزائه فهي أمور ناشئة من اختلاف المجتهدين في آرائهم ولا يؤثر الخلاف فيها على صحة إسلام أحد على الإطلاق . وبالإضافة إلى وجوب الإعتقاد بالأصول والفروع بالمعنى الذي بيّناه يتقوم الإسلام أيضاً بالاعتقاد بالقرآن الكريم ، وهو هذا القرآن الذي يتداوله المسلمون بأنه وحي من الله تعالىٰ إلى خاتم النبيين محمد (ص) وهو الأساس الأوّل للإسلام عقيدة وشريعة .

هذا هو الإسلام الجامع وهذا ما عليه العلويون تجهر به وتنص عليه كُتب علمائهم وبيانات فضلائهم ومن ذلك هذا الكتاب (العلويون بين الغلوّ والتشيع) الذي بذل في تأليفه فضيلة العلّامة الشيخ علي عزيز الإبراهيم وفقه المولى جهداً كبيراً . حيث يشكل هذا الكتاب أنضج ما توصلت إليه الأبحاث في حقل بيان عقيدة العلويين بما له من الشمولية والسعة والتدقيق واعتماد المصادر الخاصّة بهذا الفريق من المسلمين . فكان جهداً كبيراً يشكر عليه فضيلته لما قدمه من خدمة إلى الإسلام والمسلمين في إظهار الحق وتصحيح الأخطاء التي كانت سبباً لاتهام

المسلمين الشيعة العلويين الإماميين لِمَا هم منه براء فجزاه الله خير الجزاء .

سائلين الله عزَّ وجلَّ أن يكون هذا الكتاب مصدراً من مصادر معرفة حقيقة المسلمين الشيعة العلويين حتى لا يبقْ هذا الإلتباس وهذا التصور الخاطىء لقوم آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ، ووفق الله القارئين للإستنارة به وبغيره من الكُتب التي تتعامل مع الحقيقة تعامل صدق بعيداً عن كل تعصب وعن كل إنحياز نتيجة توجه الحُكام وولاة الأمر الذين يغيرون الحقيقة وينبذونها ويجعلونها وراء ظهرهم خدمة لمصالحهم وحفاظاً على امتيازاتهم ، ووفق الله الجميع لما فيه الخير .

محمد مهدي شمس الدين



المقدّمة :

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

الحمدُ للّه الذي لا تدركُهُ الشواهدُ ، ولا تَحويه الْمشاهِدُ ، ولا تَراهُ النَّواظرُ ، وَلاَ تَحْجبهُ السَّواترُ ، الدَّالُ على قِدمِهِ بحدوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحدُوثِ خَلْقِهِ على وُجودِهِ ، وباشتباهِهِمْ عَلى انْ لا شبهَ لَهُ ، الَّذِي صدقَ في ميعادِهِ ، وارتفعَ عَنْ ظُلْمِ عبادِهِ ، وقامَ بالقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَليهِمْ فِي حُكْمِهِ ، مُسْتَشْهِدٌ بِحدوثِ الأشياءِ عَلى أزليَّتِهِ . وَبِما وسمها بِهِ مِنَ العجز على قُدرتِهِ ، وَبِما اضْطرَّهَا إليْهِ مِنَ الفناء على دَوَامِهِ . واحدٌ لا بِعَددٍ ، ودَائمٌ لا بِأمدٍ ، وقَائِمٌ لاَ بِعَمدٍ ، تتلقَّاه الأذهانُ لا بِمُشَاعَرة ، وتَشْهَدُ لَهُ المرائي لاَ بمحاضرة ، لَمْ تحِطْ بِهِ الأوْهامُ ، بلْ تجلَّى لها بها ، وبها امْتنعَ مِنْها ، وإليها حَاكمها لَيْسَ بِذِي كِبر امتدتْ به النهاياتُ فكَبّرته تجْسيماً ، ولا بذِي عِظمٍ تناهَتْ بِهِ الغاياتُ فعظمتْهُ تَجسيداً ، بلْ كَبُر شأناً ، وعظم سُلْطاناً .

وَأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الصَّفيُّ ، وامينهُ الرَّضيُّ ، صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلهِ ، أرْسَلَهُ بوجُوبِ الْحُججِ ، وظهورِ الفلجِ وإيضاحِ المنهجِ ، فبلّغَ الرِّسالة صادعاً بها ، وحَملَ على المحجّةِ دالاً عليها ، وأقام أعلامَ الإهتداءِ ومنارَ الضياءِ . وجَعلَ أمْراسَ الإسلامِ متينةً ،

وعرى الإيمان وثيقةً[1] .

وبعـد :

فإن من أدق الأمـور وأصعبها على ضمير الباحث الأمين المحايد المتجرِّد عن كل هـوى ، أو مصلحة ، أو مـآرب مادي أو زمني أن يكتب في مـوضوع الطائفة العلويـة الجعفريـة ، فقـد تشعبت الأقـوال حـولها واختلفت وجهات النظر بين الكُتَّاب الذين تداولوها اختـلافاً شديداً يصل إلى حد التضاد والتباين بين قائـل بإسـلامها معتـرف بتشيعها الجعفـري الإمامي الإثني عشري، وبين مخرج لها عن ربقة الدين والملّة والشريعة قائلاً فيهـا بالغلوّ والكفر ، نافياً إسلامها وعروبتهـا ، ولأن العلويين حتى المـاضي القريب لم يكـونوا قـادرين على الكتابـة لتفشي الجهـل الـذي فرضه الحكام عليهم في الماضي ، وهذا الشدّ والجـذب جاء لأن فـريقاً من القوم لا يريدون أن يفصحوا عن أنفسهم بـوضوح لبـاطنية مـذهبية أو سريّة افترض البعض أنها أساس مقدّس لا يجـوز المساس بـه أو بسبب الغلوّ الذي مال إليـه فريق منهم ، وانقسم القوم إلى : مثقفين منهـم في جـانب من التفكير السوي ، والعامة في جانب آخـر من التفكيـر الـذي يحمـل ركام المـاضي ، وأوضار السنين ، وعشـائريـة عمياء تمثـل روح القبليـة القديمـة بسبب التعصب الأعمى للباطـل وبالخنـوع المذلّ لزعيم العشيرة ومشائخها ، والإسلام حارب العشائرية فجـاء معاويـة ويزيـد ابنه فبعثها من مرقدها حيّة تسعى ، تنفيذاً لسياسته الأموية ، وخـدمة لحكمـه الفـردي المتسلط على رقاب البـلاد والعبـاد ، وابتليت الأمـة بفـريق من جهلة المشائخ الذين وجهوا الدين وفق مصالحهم فنشأت عقائـد لا تمت للدين بصـلة منهـا أنهم كـانـوا حتى الأمس القـريب ينـذرون المـرأة للزيارة ، أو للمشـائخ الـذين صارت الـزكاة وقفـاً عليهم خلافـاً للشرع المقدس الذي فرضها للفقراء والمساكين وغيـرهم من موارد الآيـة (٦١) من سورة التوبة ، مع أن الإمام الصادق عليه السلام يقول : «تحرم الزكاة على

(١) نهج البلاغة .

من عنده قوت سنة» ، ويقول : «لو علم الناس ما في السؤال من الوزر والوبال لما سأل أحد أحداً . إنَّ شيعتنا من لا يسأل الناس ولو مات جوعاً». وهؤلاء المشائخ لا يأتون المساجد لأداء صلاة الجمعة ولا الجماعة ولا في الأعياد ومسلكهم هذا جعل بعض الناس يقلدونهم ، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في نهج البلاغة : «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله . والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام ، وكلمة الإخلاص فإنها الملّة ، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فإنه جُنَّة من العقاب ، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب» وكان كثير من المشائخ في الماضي يدعون إلى تعطيل فرض الصيام في شهر رمضان زاعمين أنّ الصيام كبقية المفترضات معرفة أشخاص وكفي ، وأن الصوم هو صوام الحواس وليس الصيام عن الأكل والشرب ، وقد رأينا في الماضي كيف أنَّ معظم المشائخ كانوا يقاطعون الحج زاعمين أنه معرفة أشخاص فرض الله معرفتهم ومحبتهم . وقد كان فريق كبير من المشايخ في الماضي يزعمون أن الله لم يحرّم الخمر وإنما أمر باجتنابها ، وفي الحديث أن علي بن يقطين روى أن الخليفة العباسي المهدي سأل أبا الحسن الإمام الكاظم عن الخمر فقال : هل هي محرّمة في كتاب الله تعالىٰ ، فإن الناس إنما يعرفون النهي ، ولا يعرفون التحريم ؟ فقال له أبو الحسن : بل هي محرّمة في كتاب الله ، فقال : في أي موضع هي محرّمة في كتاب الله يا أبا الحسن ؟ فقال قول الله : ﴿إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم بغير الحق﴾[1] ثم ، قال وأمّا الإثم فإنها الخمر بعينها . ويقول امرؤ القيس :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

ويقول الشاعر الإسلامي :

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا ... وأن نشرب الإثم الذي يعقب الوزرا

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٧ .

وهذا كان أبّان فترة الظلم والظلام بعد الكابوس الدموي الرهيب ، بعد أن ذبح السلطان الشعوبي سليم التركي سبعين ألفاً من شيعة علي عليه السلام في حلب فطارت أفئدة الشيعة رعباً وهجروا حلب وطرابلس، واللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس فذهبوا هاربين إلى السلسلة الجبلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط يقيمون في غاباتها وجبالها ، وهي المعروفة «بجبال النصيرة» وجابهتهم قسوة الحياة في الأدغال بجحيمها فلم يضعفوا ، بل نازلوا المصاعب المحطمة ، والمخاطر المميتة ، وانتصروا عليها فبنوا القُرى ، واتخذوا الزراعة سبباً لحياتهم ، وقد انقطع العلويون أكثر من ثلاثمائة عام في الجبال عن العلم والحضارة . . والجيل ينشأ بعده الجيل . . وقد سادهم فيها الثالوث المدمر : الجهل والفقر والمرض مما يتحتم بسببه الأرعن التقهقر ، ثقافياً واجتماعياً ، واقتصادياً ، فانتشرت الأمية المزرية بالإنسان وبنت لها دولة خيّم فيها الجهل ونبتت فيها الخرافات والأساطير والأوهام والشعوذة وأضاليل الجنّ والطلاسم ، نعم لم يبق عندهم معافىً محتفظاً بجلاله إلّا : القرآن الكريم ، وأما السيرة النبوية والحديث الشريف فقد شوّهه التحريف على مرور الأيام ، وقد حاولت الخلافة العثمانية أن تجعل من العرب أتراكاً بلغتهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وهو المخطط السّري للسلطان سليم فثار شباب العرب المثقفون ، وطفقوا يؤسسون الجمعيات السرية للتخلص من الاستعمار التركي ، الشعوبي ، البغيض . . ونصب جمال باشاالسفاح الوالي التركي المشانق في بيروت فأعدم من أحرار العرب في سوريا ولبنان نخبة ممتازة . ثمّ شبت نار الحرب العالمية الثانية ، فانضم العرب إلى معسكر الحلفاء المناهضين للأتراك ومحورهم ، وكان الشريف حسين العلوي الهاشمي أمير مكة أول من أطلق رصاص الثورة الفعلية ضد الأتراك ، وانتهت الحرب العالمية الثانية جارفة معها الاستعمار التركي عن الأمّة العربية . ثمّ نكبت بلاد الشام بالانتداب الفرنسي . . وبعد نضال استمر ربع قرن من الزمن شاركت فيه الشيعة العلوية مشاركة فعّالة بقيادة المغفور له المجاهد الشيخ صالح العلي

(قدس سره) أدّت إلى تحرير سورية من الانتداب الفرنسي .. ونعمت البلاد في ظل حكم وطني يتمتع بالاستقلال الكامل . وهنا بدأ انطلاق أبناء الشيعة العلوية إلى معارج العلم والحرفة بعد طرد الاستعمار العثماني الشعوبي، وفي فترة لا تزيد عن نصف قرن تطوروا تطوراً سحرياً في حياتهم الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعمرانية والثقافية ، والسياسية ، وعادوا إلى سكنى المدن على شاطىء البحر الأبيض المتوسط من إنطاكية حتى طرابلس ... وشاركوا في بناء مجتمع حضاري متطور ، بعدما انصرفوا إلى العلم انصرافاً جعلهم يتفوقون ، في جميع فروعه العلمية منها والأدبية ، وشاركوا في بناء جيش يتميز بشجاعته ، وروحه الوطنية ، كما شاركوا في إدارة حكم البلاد ، وسياستها على جميع المستويات الرسمية . إنه حلم كبير حققه شباب الطائفة بذكائهم الفطري الراقي ، ونشاطهم ، وكفاءاتهم الممتازة ، ولكن يلاحظ أن القيم الروحية بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً مع هذا المدّ التقدمي الغامر انحساراً يكاد يتناسب عكساً مع التقدم المادي . بسبب جمود المشائخ الفكري والعلمي وأميتهم الثقافية وتقليد العوام لهم تقليداً أعمى ، فانصرف شرذمة من الشباب عن الدين وتوهموا أن الدين هو بعينه تلك الخرافات التي سميت عادات وتقاليد ، على أن انصرافهم عن الدين جعلهم يشعرون بفراغ روحي راحوا يملأونه من مبادىء وعقائد وضعية دون أن يفكروا في غاياتها .. وأمّا مبادىء وعقائد الإسلام السامية فقد ظنوها ـ بلا تحقيق ولا تمحيص ، ونتيجة رد فعل لتحجّر المشائخ ، عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة .. والتقدم .. فراحوا يهيمون في صحارى المبادىء الوضعية . والحقّ أن العلوية مذهب إسلامي صريح ، وهي مدرسة متفرعة من المذهب الإمامي الجعفري الإثنا عشري الكبير، والجماعة الإسلامية المستنيرة في العلويين اليوم مطالبة بتصحيح وإعادة النظر في بعض المفاهيم في نطاق من التسامح والبرّ والصبر والحبّ وسعة الأفق ، والإقناع ، ومراعاة ظروف

جماعة عزيزة على إخوتهم المسلمين لحق بها على مسرى التاريخ الكثير من الظلم والعنت والألم حيناً والإهمال حيناً آخر ، وانتهى الأمر أخيراً إلى ما وصل إليه كردة فعل لطبيعة الأشياء ، وكنتيجة منطقية لمقدمة شاذّة غير سويّة . ولقد كابد المؤمنون ـ العلويون ـ ولا يزالون الكثير الكثير من المتاعب الوجدانية والنفسية نتيجة لتصرفات فئات الغلاة الذين نالوا بغلوّهم ـ قولاً وفعلاً ـ من جلال المذهب الجعفري الإمامي الإثني عشري ، ولا يعوَّل على ما يرى في بعض مصنفات علماء العلويين القديمة مما يتنافى وحقيقة اعتقادهم بتوحيد الله ، مما لا يصح أن يعتبر دليلاً على إدانتهم بما دسّته يد الإرجاف والإجحاف في حقول مؤلفاتهم من تهم جاءت من مخلفات العصور الحالكة التي مرَّت بهم ، ومن مولدات غلاة الشيعة الذين أتاحت لهم ظلمات تلك الأجيال أن يجوسوا خلال ديارهم ويملؤها بدعاً وأضاليل ، وهي إذن تركة ثقيلة ورثها القوم ممثلة في أحمال التاريخ وأوزاره من ظلم حلّ بهم واضطهاد وقع عليهم وغلاة يسيئون بغلوهم ، وجهلاء يعطون أسوأ صورة عن العلوية كمذهب ، وحتى العلوي كصاحب عقيدة منغلقة خالية من الشعور بالمسؤولية ، غالية خارجة عن الجادة ، متمردة على النهج القويم ، وليست حقيقته كذلك ، بل هو أقرب إلى سبيل الإيمان . والحق أن القوم ما ان أحسوا بآثار الظلم تنزاح عن كواهلهم حتى حطموا قيود العزلة ، وانفلتوا من عقال الانكماش ، وجروا في ميادين الانطلاق سراعاً لتشييد بيوت الله وإعلان شعائرهم الإسلامية وفق فقه مذهبهم مرتفعة أصوات مؤذنيهم كل يوم وليلة خمس مرّات تشق عنان الفضاء بالتكبير لمن له الملك الكبير ، وتنطلق حناجر خطبائهم في أيام الجمع والأعياد بالثناء والحمد له سبحانه . . هاهم العلويون يعلنون من على رؤوس الأشهاد إقراراً بألسنتهم ، واعتقاداً بأفئدتهم ، وعملاً بجوارحهم بأنهم يبرأون إلى الله من أية هوية لا تنتمي إلى الإسلام والعروبة والتشيع . فعقيدة العلوي هي التوحيد المحض ، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق ، والإقرار بنبوّة سيّد الرُسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ،

والاعتقاد بالمعاد ، والعمل بدعائم الإسلام الخمس ، والاعتقاد بإمامة إثني عشر إمام معصوم أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر محمد بن الحسن الحجة عجل الله فرجه الذي سيظهر في آخر الزمان ويملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

طرابلس لبنان في : ٢٨/ذي الحجّة/١٤١٤هـ

علي عزيز الإبراهيم



عشائر العلويين

جاء في كتاب الأستاذ منير الشريف «العلويون من هم وأين هم» الطبعة الثانية/١٩٩١ ص - ٦٥ - :

العشائر العلوية في محافظة اللاّذقية أربع : عشيرة الخياطين ، عشيرة الحدادين ، وعشيرة المتاورة ، وعشيرة الكلبية . ثم خرج من بين هذه العشائر ، حزب مذهبي ، سمي بالحيدريين يسكن أفراده قضاء اللاذقية ، غير أنهم لم ينسوا عشائرهم الأولى ، ولا يزالون يمتون إليها بصلة العشيرة - قلت إنني قد تعرفت على هذا الفريق من الشيعة في السبعينات ولا سيما في مدينة اللاّذقية وأقضية محافظتها في : حرف مشقيتا ودمسرخو ، وعين البيضا ، وبكسا ، والشبطلية وتلاّ ، ، وغيرها من الأقضية والقُرى ، فوجدتهم بحمد الله بعد المعاشرة ، والمصاحبة وكثرة المداخلات مسلمين مؤمنين ملتزمين أسخياء يقيمون الفرائض والشعائر في المساجد والحسينيات يحللون ما أحلّ الله ويحرمون ما حرَّمه القرآن والنبي الأكرم ﷺ وهم يتشددون في إعمار المساجد وإقامة الصلوات الخمس والجمعات والأعياد ويصومون هم وعوائلهم من الذكور والإناث شهر رمضان المبارك ومنهم الكثير من حج إلى بيت الله الحرام وهم يستنكرون بعض التخرصات من الجهلة الذين يحللون

الخمرة ويشدّدون النكير على هؤلاء المتاجرين بالدين والشرع في كافة مجالات التشريع والفقه مما لا يمت إلى الدين بصلة العلم والمعرفة والحقيقة ـ قال : وبعد الحرب الماضية ، ظهر حزب مذهبي جديد ، وسمّى نفسه بالغساسنة ، وأكثريته من العمامرة أي من عشيرة الخياطيين، وقد انضم إليه رجال من عشائر مختلفة ، ولا يزال حتى اليوم قائماً ، رغم تراجع البعض عنه ، وقد أصبح كعشيرة . إن لكل عشيرة من هذه العشائر فروعاً ، ولكل فرع مقدّماً ، والمقدمون محترمون أيضاً في فروعهم ، ولهم مكانتهم عند رؤسائهم ، كما أن بعض فروع عشيرة من هذه العشائر ، مستقل عن فروع العشيرة الأخرى ولكن هناك تفاهم ومحبّة ووحدة عند تفاقم الأمر .

عشيرة الخياطيين :

والخياطيون: هم من القبائل العراقية ، وأول من عرف منهم في ذلك الجبل السيّد عيسى الملقب بالأديب البانياسي وولده وذلك حوالي سنة ٤٠٠ هـ ، أما تكنّيهم بالخياطين فذلك لأنّ جدّهم هو الشيخ علي الخياط كما يقولون . ثم لحقت بهذه العشيرة أسرة حلبية ، ودخلت في عدادها ، وتسمت باسمها ، ويحتمل أن يكون الأصل واحداً وهو الذي قرب بينهما إذ كان بإمكان الحلبيين الاندماج بعشيرة أخرى ، وللخياطيين عدة فروع وهي : بيت الخياط ، الفقاورة ـ نسبة إلى فقرو في قضاء مصياف ـ والعبدية ـ نسبة إلى جدها عبد الله ـ والصرامطة ، والحلبية ، والعمامرة ، ورئيس هذه الفروع السيّد جابر العباس وهو من الفرع الحلبي ، ثم ترك أمر الرئاسة ، قبل عشر سنوات تقريباً لابنه البكر السيد منير العباس «الذي كان وزيراً سورياً سنة ١٩٤٢م» على أن للوالد الاحترام ، والرأي الأعلىٰ ، ومقام السيّد منير في الطليعي مع أبيه ، إن فرع بيت الخياط ، وهو الأكثر عدداً في العشيرة يسكن أفراده ، في قضاءي صافيتا وبانياس بكثرة ، وفي بقية محافظة اللاذقية ـ قلت : في زمن المؤلف كانت محافظة اللاذقية تشمل أيضاً محافظة طرطوس وأقضيتها

والكثير من محافظة حمص وحماه وبالجملة فهو يريد في الغالب بلاد العلويين التي تبدأ من محافظة حمص وتنتهي بلواء الإسكندرون السوري الأصل والمحتل من قبل تركيا فعلاً . والفقاورة والعبدية والحلبية يقطنون جبلة وبانياس وصافيتا . والصرامطة يقطنون قضاء جبلة ، ومنطقتهم هناك تسمى : جبال الصرامطة والعمامرة يقطنون قضاءي الحفة ومصياف ، ورئيسهم السيد سلمان مرشد ـ يقطن جوبة برغال في قضاء الحفة ـ ويسمى هذا الفرع اليوم : الغساسنة ، ولهذه العشيرة وجوه محترمون وهم : السادة أخوة الرئيس السيد منير وإبراهيم وأحمد المصطفى أبناء عمه ، ومحمد وكامل محي الدين وأبناؤهما . وعلي مرهج وابنه المحامي الأستاذ محي الدين مرهج ، والأستاذ محمد اليوسف «النائب العام للمحكمة الاستئنافية باللاذقية» والمحامي الأستاذ يوسف تقلا ـ وأسرته محترمة في العشيرة ـ وآل زيدان ووجيه الأسرة اليوم السيد عثمان ، وآل الحكيم ، وآل الخير ، وآل حرفوش ، وآل الدالي ، والشيخ محمد حامد ، والأستاذ جميل عبد الله .

عشيرة الحدادين :

والحدادون يُقال إنهم من ولد محمد العاني الملقب بالمنتجب ، وكان في جبال اللاّذقية في القرن الخامس للهجرة ، ويُقال إنهم من العشائر السنجارية ـ بحسب كتب العلويين ـ وإن جدهم الشيخ محمد المعلم الحدادي بن ميكائيل بن يوسف بن محمود بن مكزون السنجاري ، وإنهم أتوا مع الأمير حسن المكزوني ، ولهذه العشيرة عدة فروع : بني علي ، بيت ياشوط مهالبة، بشاولة ، ركاونة ، عتارية ، بيت الحداد ، شماسنة ، ففرع بني علي ـ نسبة إلى علي بن أبي شلحة ـ يقطن قضاء جبلة ، وله مكانته في العشيرة ، ورئيساه السيد إبراهيم الكنج ، والسيد بهجت نصور «النائب وهو من آل أبي شلحة وقد ورث الرئاسة عن آبائه» ولإخوان السيد إبراهيم ، السادة علي ، وعزيز ، وجميل ، المكانة الطيبة في العشيرة . كما أن لشقيق السيد بهجت :

السيد أحمد ، ولولدي عمه السيدين نديم محمد حسن نصور الشاعر . الأديب ، وعلي سليم ضرغام وجاهة واحترام ، وفرع بيت ياشوط نسبة إلى مقاطعة بيت ياشوط ، يقطن قضاء جبلة ولآل زهيري وجاهة هناك ، ولكن الرئاسة بين السيّد إبراهيم الكنج ، والسيّد بهجت نصور . وفرع المهالبة ، أزديون ـ كما يقال ـ كانوا توطنوا جبال العلويين قبل رحلة السنجاريين إلى تلك الجبال ، ثم انضموا إلى الحدادين ولآل خير بك الوجاهة فيهم . وفرع البشاولة «نسبة إلى قرية بشيلا» يقطن قضاء جبلة وبانياس ، ولآل جديد المحمود الرئاسة والإحترام للسيدين الكنج ونصور . وفرع الركاونة نسبة إلى جدهم الشيخ محمد الركن ومسكنهم قضاء الحفة ، ورئيسهم السيد علي نجيب ، وللسيد إبراهيم الكنج الإحترام هناك . وفرع العتارية ـ نسبة إلى جدهم إبراهيم عتار ـ يقطن قضاء مصياف ، ورئيسه الشيخ حامد سلامة ، والرئاسة العليا للسيد إبراهيم الكنج . وفرع بيت الحداد ويقطن أقضية طرطوس وصافيتا وبانياس ، فالذي يقطن طرطوس يرأسه السيدان حامد المحمود وأنيس محمّد إسماعيل ولكن السيد حامد «النائب» أقوى من أنيس لأنه من آل الحامد ، ولهم رئاسة قديمة في العشيرة ، وحرمة دينية . والذي يقطن صافيتا كان يرأسه المرحوم السيد يوسف الحامد، وكان ورثها عن أبيه ، وهذه الرئاسة اليوم بين السيد حامد المحمد والسيد عز الدين يوسف المحمد ، والسيد حامد المحمود ـ الرئيس في طرطوس ـ ابن عمهم ، والشيخ إسماعيل اليونس ، والسادة يونس محمد ياسين ، وعبد اللطيف اليونس ، وآل اليونس . والذي يقطن بانياس يرأسه السيدان إبراهيم الكنج وبهجت نصور . وفرع الشماسنة ، يقطن قضاء صافيتا ، ورئيساه السيدان : محمد الأنيس النعسان ، ورشاد العمر ، ولقد كان لهذا الفرع القليل العدد اليوم ، مكانة هامة في القسم الجنوبي من الجبل العلوي في الماضي إذ لعب دوراً هاماً هناك .

عشيــرة المتاورة :

إن عشيـرة المتاورة : هي من العشـائر السنجـارية ، وقـد أتت مع الأميـر حسن بن مكزون سنـة «٦٢٠هـ» ويُقال إنّ كثيـراً من هذه العشـائر العلوية ، هي من نسل هذا الأمير وأخيه يوسف ، ولهذه العشيرة فروع : المتـاورة ، الجواهـرة ، الصوارمـة ، النميلاتيـة الـدراوسـة البشـارغـة ، العراجنة ، المحـارزة ، ولما هبطوا قرية متور «قضـاء جبلة» نسبوا إليهـا متاورة ، وانتسب فرع من هذه العشيرة : النميلاتية إلى جـدته نميلة بنت سلطان «من قـرية بشيـلا : قضاء جبلة» . وقـد تسمى بعض المتـاورة ، بيت ممو ثمّ بالصوارمة، نسبـة إلى جدهم صـارم في جوبـة الماء بجـوار قرية عين الكروم «قضاء مصياف» . وتسمى بعضهم بالجواهرة نسبـة إلى جدهم جوهر . أما فروع المتاورة ، والجـواهرة ، والصـوارمة ، فـرئيسها المبـاشـر السيــد عـزيــز الهـواش «الــذي كـان محــافـظاً للواء دمشق سنة ١٩٣٩م» وهو يقيم اليوم في برج صافيتا ، ولأولاده وأخوته الإحتـرام اللائق في العشيرة . وهذه الفروع هي أكثـرية عشيـرة المتاورة ، التي تسكن أقضية مصياف وبانياس وطرطوس وصـافيتا وتلكلخ . أمـا فـرع النميـلاتية فيسكن أفـراده أقضية الـلاذقية ، الحفـة ، جبلة ، بـانيـاس ، مصياف ، وطرطـوس ، ومقدمـوه المحترمـون هم : في مصياف الشيـخ معـلا خضر أحمـد ، والشيخ منصـور العيس ، والسيد سليمـان العلي ، وفي صافيتا : آل الشيخ ديب أحمد ، وفي جبلة الأستـاذ محمد سليمـان الأحمـد «بدوي الجبـل النـائب وهـو محتـرم بين الحيـدريين في قضـاء الـلاّذقية» وأخـوته الـدكتور علي سليمـان الأحمد ، وآل معـروف ، وفي الحفـة السيد أحمـد علي كامـل ، ولهذا مكـانة طيبـة في القضاء وبيـن الحيـدريين في قضاء الـلاّذقية ، والـرئيس الأعلى السيد عـزيـز الهـواش والـدوارسة يسكنـون قضـاء الحفـة وقضـاء جبلة ورئيسهم السيـد عـلي بـدور، أمّـا الرئيس الأعـلى فهـو السيـد عـزيـز الهـواش . أمـا البشـارغـة والعـراجنة والمحـارزة . فرئيسهم المحـترم . الشيخ صـالح العـلي رئيس ثورة العلويـين ضد

الفرنسيين في سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢١ م ـ «يقطن قرية الرستن في قضاء طرطوس» . وهذه الفروع تقطن أقضية الحفة ، جبلة ، مصياف طرطوس ، صافيتا ، وللشيخين عبد الحميد عيد ، وإبراهيم يوسف عيد «قضاء جبلة» وجاهة في البشارغة والعراجنة . ورجال هذه الفروع يقولون إنهم على اتحاد مع المتاورة ، ولكنهم من عشيرة مستقلة ، وإن بني محرز هم من بقايا الفاطميين ، على أنهم يعيشون بين عشيرة المتاورة ، والوفاق مخيم عليهم جميعاً .

عشيرة الكلبية :

إن عشيرة الكلبية تنتسب إلى العشائر السنجارية التي أتت مع الأمير حسن المكزوني ، وأول ما نزلوا على «عين كلاب» «في أراضي جب رملة : قضاء مصياف» فتكنوا بالكلبيين ثم توسعوا شمالاً وغرباً وسمي الجبل بإسمهم : جبل الكلبية . وقد سكن بعضهم غرب رأس الشمرا ، في قرية قرن حلية فسموا قراحلة ، وسكن فريق منهم ، في وادي النصارى فسموا نواصرة ، ومنهم من سمي الرشاونة نسبة إلى قرية : رشة ـ قضاء مصياف ـ ، ومنهم من سمي الرسالنة : نسبة إلى جدهم رسلان بن علام الزيادية . وللكلبية عدة فروع : الكلبية ، الرشاونة ، القراحلة ، الرسالنة ، بيت محمد ـ الشلف ـ جرود جلقية ونواصرة . ولكل فرع رئيس غير مرتبط برئيس الفرع الآخر ، إلاّ برباط أدبي . ولكن عندما يقرب الخطر منهم يتحدون تجاه العشائر الأخرى ، وفرع الكلبية ، يقطن أقضية جبلة ، والحفة واللاذقية ، وهناك أفخاذ ، أما رؤساء الأفخاذ فهم السادة علي الأسعد «النائب» وعثمان حسن أسبر ، ونديم إسماعيل ، وخيري صقر خير بك وأحمد صقر رسلان ، وعلي سليمان الأسد ، وهذا الفرع هو الأكثر عدداً بين فروع هذه العشيرة . وفروع الرشاونة والجلقية والجرود ، تسكن أقضية مصياف ، وجبلة ، وبانياس ، وتلكلخ ، ورئيسهم كلهم السيد محمد جنيد ـ النائب ـ . وفرع القراحلة يسكن أقضية جبلة ، بانياس ، مصياف ، والحفة ورؤساء

هـذا الفـرع السـادة حـاتم خضـور ، وعلي جـهجـاه ، والشيـخ علي عبـد الحميد ـ وإن كـان هذا الأخيـر من البشارغـة والعـراجنـة ـ ، وفرع الرسالنة يسكن في قضاءي صافيتا وطرطوس ، ورؤساء الرسالنة السادة : علي الملحم ، وعبـد الحميد الملحم ، ومحمـد أمين الملحم ، وفـرع بيت محمـد ـ بيت الشلف ـ يقـطن قضـاء الحفَّة ، وهـو قليـل العـدد ، وهنـاك ثلاثـة أفخاذ : بيت علي ورئيسـه سلمـان حميـرة ، وبيت أحمـد ورئيسه رشيد شمسين ، وبيت محمـد ، ورئيسه أبـو علي كنجو ـ وأصـل هـذا الأخير نميـلاتي ، وفرع الجـرود ، يقـطن قضـاء الحفَّـة ، ورئيسـه محمد جنيد رئيس الرشاونة ، وفرع الجلقيـة ، يقطن مصيـاف ، ورئيسه أيضاً السيد محمد جنيد . وفرع النواصرة ، يقطن قضـاء صافيتـا ورئيسه هنـاك السيد محمـد طاهـر الموعي ، وقضـاء طرطـوس ، ورئيسه هنـاك السيد عزيز طاهر الموعي ، ويقـطن في أقضية جبلة ، ومصيـاف والحفَّة والـلاذقية والـرئاسـة في جبلة ، للسيد غـازي إسماعيـل ، والسيد تـامـر سودان ، وآل مهنا من وجوه الفرع في جبلة .

الحيـدريـون

والحيدريون يقطنون قضـاء اللاّذقيـة ، ولهم وحدة مـذهبية ، وقـد سموا بهذا الإسم ، مع أنهم من عشائر متنوعـة لا يزالـون متصلين بها ، ورؤسـاء هذه الفـرقة ، الشيـخ علي حلوم ، والشيخ عبـد الله عابـدين ، والشيخ علي شهاب ، والشيخ علي أديب ، والسيد علي بـدور ، والسيد أحمـد شحرور . وللسيـدين محمـد سليمـان الأحمـد ـ بـدوي الجبـل ـ وأحمد علي كامل مكانة طيبة في هذه الفرقة .

الغساسنـة :

والغساسنة فرقة جديدة قـام على تأسيسهـا السيد سلمـان مرشـد ـ النائب ـ وهو من العمامرة ـ فرع الخياطين ـ وقد انضم إلى هذه العشيـرة الجديدة أناس من عشائر أخرى ، غير أن أكثرية هذه العشيرة لا تزال من

الخياطين . هذه هي عشائر العلويين وأصلها في محافظة اللاذقية . وإني أعود فأقول : إن سكان هذا الجبل العلوي القدماء ، قد اندمجوا بالعلويين الذين رحلوا إليه كما أن أناساً من بعض هذه العشائر ، قد اندمجت بعشيرة أخرى لكثرتها وقوتها أو قوة رئيسها ، وعلى كل فإنهم بأجمعهم عرب ، ويجتمعون على المبدأ العربي ، وإعادة مجد العرب حراً مستقلاً ، على أنه يوجد علويون أيضاً في سورية ، خارج محافظة اللاذقية ، كما أن عددهم كان كبيراً في لواء اسكندرون . وفي لبنان قضاء عكار ، يوجد ألوف العلويين ولكنهم قيدوا أنفسهم في إحصاء النفوس : سنيين ، وذلك بناء على نصيحة بعض رؤساء العلويين «في محافظة اللاذقية» لهم ، كما كان ذكر لي ذلك هذا الرئيس بوقته[1] .

ويعطي محمد أمين غالب الطويل صورة أكثر تفصيلاً في كتابه «تاريخ العلويين» عن العشائر العلوية فيقول :

١ ـ العشائر الخياطية :

إلى أيام الشيخ علي الخياط أي لسنة ٦١٧ لم يكن اسم العشيرة ما بين العلويين ، بل كانوا كتلة واحدة مركبة ممن جاءوا في سنة ١٤ هجرية ، ومن الذين كانوا مسيحيين ثمّ اهتدوا للإسلام بعد تلك الأيام وهم غساسنة وتنوخية وقسم من اليهود ، وهم تربية أبي ذر الغفاري . وكما ذكرنا في تفصيل البرامكة عندما قتلهم هارون الرشيد بحجة أنهم اتفقوا مع الإمام (علي الرضا) لإرجاع الخلافة لأهل البيت ، هرب بعض البرامكة للمغرب الأقصى وتونس ثم جزيرة قبرص ، ومنهم من رجع لجبل النصيرة والبعض جاءوا توّاً للجبال ، ومنهم من جاء قبل سنة الأربعمائة من بانياس الشام فتكون عشيرة الخياطيين مركبة من الغسانيين والتنوخيين والبرامكة والبانياسيين وقليل من الفاتحين أي

(١) العلويون من هم وأين هم ـ منير الشريف ـ طبعة ثانية ـ طرابلس ـ لبنان ١٩٩١ ص ٧٦ .

الهاشميين واليثربيين الذين فتحوا البلاد ، وبعد مصائب الصليبيين التي سحقت العلويين أي سحقة ثم نجوا بهمة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فقد باشرت الأكراد المجيء بكثرة وضايقوا العلويين فذهب (الشيخ علي الخياط) و (الشيخ محمد البانياسي) إلى الأمير حسن المكزون أمير سنجار والتمسوا منه أن يزيل مظالم الأكراد والإسماعيلية عنهم سنة ٦١٦ ـ جاء الأمير حسن المكزون ومعه قوة لم تكف لسحق أعدائه . فأغارت عليه الإسماعيلية والأكراد ليلاً وأجبروه للرجعة خائباً . ثم جاء ثانياً واستولى على المنطقة وأزال عنها الأكراد تماماً سنة ٦٢٠ ـ . وعند ذلك كبر اسم الشيخ علي الخياط وازدادت شهرته . واعترف العلويون بعلو منزلته وفضله عليهم ، وهم الذين كانوا قبلاً في المنطقة وتسموا (الخياطيين) نسبة إليه . كان الخياطيون في الأكثر في جهات طرابلس وجبالها وجنوبي نهر الكبير ولكن لما لم يكن لديهم تشكيلات قوية كما هو موجود بين المسيحيين ، ضايقهم المسيحيون الموارنة مضايقة أدبية لم يشعروا بها حتى ألجأوهم أخيراً للرحيل إلى شمالي نهر الكبير . وجاء العلويون الذين ينسبون للناسخ البغدادي بعدما رحلت عشائر بني هلال عن الشام تخلصاً من السنيين ، وكان المنسوبون للناسخ البغدادي يسكنون قبلاً بانياس الشام سنة ٤٠٠ هجرية ، وجاء الشيخ ميهوب بن الشيخ علي ، وهو من سلالة ـ الناسخ البغدادي ، من بانياس الشام إلى قلعة المرقب وسكن من كان معه وكثرت المهاجرة ، حتى استولى أتباع الناسخ على جهة الصرامطة وعلى قلعة الدالية والمنيقة . ومن جملة رجال الدعوة الذين ذهبوا إلى السلطان إسماعيل أبي الفدا (الشيخ غريب حريصون والشيخ أحمد مخلص) وهم من الخياطيين في المرقب . وفي أيام (شبل عبدي) وهو رئيساً من الخياطين ، هجم الإسماعيليون على المنيقة ففشلوا ، ثم هجموا ثانياً وضبطوا القلعة . وبعد مجيء الأمير حسن المكزون ومظاهرته للخياطيين ، توسعوا في الجبل ، وبعضهم رحل إلى الشمال والشرق . أما الذين سكنوا في الملزق الشرقي فقد تسموا ، فقاورة ، والذين سكنوا

في جهات صهيون تسموا عمامرة . قبل الشيخ علي الخياط ، كان أعظم الخياطيين يسمون (العبدية) و(البغدادية)، وبعد اكتساب الشيخ علي الخياط شهرته غلب عليهم اسم الخياطين . وعشيرة العبدية بين الخياطين ، ليست قحطانية بل عدنانية . والبغدادية قحطانية . ولم يكن بينهم قرابة نسبية ولم يكن يجمعهم سوى الإسم . والعبدية ينسبون لجدهم عبد القيس من قبيلة بني ربيعة . والتنوخيون والضلاعنة الأقدمون هم اليوم بين عشيرة الخياطين .

٢ ـ العشائر السنجارية الغسانية القحطانية :

نرى أنه يجب علينا أن نخصص دوراً مخصوصاً لمجيء العشائر السنجارية ، الذين جاءوا تحت قيادة الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري ، لإنقاذ علويي المنطقة من مظالم الأكراد والإسماعيلية . وذلك في سنة ٦٦٠ هجرية . إن مجيء الأمير خلص العشائر الخياطية والبغدادية . وكما ذكرنا خلص المنطقة من اختلاف عقيدة الإسحاقية التي تبني عقيدتها على الفلسفة أكثر من أقوال الأئمة . وفلسفتها يونانية أكثر من أن تكون هندية وشرقية . إتخذ الأمير حسن المكزون أولاً قلعة أبي قبيس مركزاً له حتى أتم إجلاء الأكراد ، وسكن مدة في بلدة جبلة أو قرية سيانو في جانب جبلة ، (لأن جبلة كانت خربة محضة) وبعد سنة ٦٢٦ رجع لسنجار ، ثم عاد وسلك طريق التصوف وترك تشكيلات العلويين على حالها ، وسلك على مسالمة السنيين الذين لم يرَ سبباً دينياً أو معقولاً لعداوتهم ، بل عادى الأخلاق السيئة ، واستهدف في قصده المعالي والواجب الديني كذلك . ومن أيام الأمير حسن المكزون لأيام مجيء الأتراك العثمانيين لم تحصل عداوة بين العلويين والسنيين ، ومن بعده حصلت دعوة أبي الفدا للمشايخ العلوية . وكانت أعظم مصيبة العلويين هي تجاوزات (قرصان) أهل الصليب من قبرص ومن رودس على السواحل . ولم يقع أقل حادث بين العلويين لأن العشائر لم تكن تفرقت بعد . أما مجيء الأتراك العثمانيين ، فقد أنتج أعظم تضييق في

العلويين حتى تفرقوا لعشائر وبطون ومن جملتها تفرّق الذين جاءوا من سنجار وبما أن السنجاريين كانوا هم المستخلصين للبلاد أصبحت رياسة العلويين حقاً من حقوقهم . عند مجيء الأمير حسن المكزون من سنجار خابر علويي مصر خفية فأنجدوه بإرسال قوة عظيمة خرجت لجبلة . ولكنها اختلطت مع السنجاريين . حتى إننا لا نرى في يومنا هذا ما ينسب للمصريين المذكورين بصورة أكيدة واضحة . كانت العشائر السنجارية تحب السكن في السهول ولذلك سكن معظمهم في بر جبلة ومن هناك تفرقوا لمحلاتهم الأخيرة . فلذلك كل علوي سنجاري يدعي أنه من قرية سيانو المجاورة لجبلة .

عشيرة بني علي :

إن الشيخ حسن معلا ، أي عم الأمير حسن مكزون هو جد عشيرة بني علي . وعند مجيء السلطان سليم التركي وأخذه مواطن عشيرة الحدادية ، ذهب بنو علي لجهات بيت ياشوط لقرية (البصمورة) ومن ثم لجبل البودي ، وسكنوا به ، وبسبب تضييق الأتراك عليهم افترقوا لثلاثة أقسام وهاجروا من جهة لجهة أخرى . والقسم المنسوب منهم إلى (أبو شلحة) جدهم ضغمان . والقسم الثاني المنسوبون لبيت فاضل جدهم حازم . والقسم الثالث ، بيت جابر ، جدهم جابر ، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة صار رئيساً لقسم . وجد هؤلاء الثلاثة (الشيخ محمد الركن) . الذي قبره في قرية درمين في تربة الشيخ ميكائيل ، وقد هاجر ضغمان مع فرقته لقرية حرف الصليب . وقد تولد من ضغمان ١٦ ولداً ذكراً . أحد عشر منهم جاءوا مع من تبعهم لقرية ست يللو وهم يحاربون الأتراك المدعوين بالقراطلة . وبعد حروب عديدة استردوا أراضيهم وأوطانهم . والخمسة من أولاد ضغمان مع من تبعهم بقوا في قرية حرف الصليب . وهذه الحروب هي قبل حروب الكلبية مع القراطلة . بل إن أولاد ضغمان أول من فاز على الأتراك القراطلة نسبة لجبل (قارتال ـ قرطل) أي جبل أبو قبيس . ثم حصل النفاق والتفرقة بين من جاؤوا

لقرية ست يللو . أما الذين اتبعوا أبا شلحة ، أي الذين صافوا الحكومة العثمانية فقد سكنوا في قرية ديروتان (دير الأوثان) ولتلك الأيام كانت عشيرتهم تسمى بيت الركن . وفي تلك الأيام اكتسبت اسم بني علي ، وهذه أسباب تسميتها ! ولم تكن إذ ذاك مفترقة عن المهالبة . بل كانت متحدة . كان يجيء الشيخ بدر الحويلا ، وهو رجل مسن للغاية ، ويزور قرية ديروتان وكلما سئل عن محل سفره يقول : «لعند إبني علي !» فلذلك سمي بيت الركن الذين سكنوا في ديروتان بني علي . وبهذه الصورة افترقوا عن المهالبة والدراوسة . وفي أيام صقر بن علي ، دامت الحروب مع الأتراك السنيين والتحق بهم الأتراك العلويون المدعوون القراطلة . وجرت بينهم حروب حتى قضي على الأتراك السنيين وتمثل الأتراك العلويون ، أي استعربوا ونقل مركز بني علي لقرية عين الشقاق التي كانت مركزاً للقراطلة أي الأتراك . وفيها سراي كالقلعة ذات سبع طبقات فوق بعضها . أما اسم شلحة فسببه أن علياً كان يحصل الشلحة ، أي الرسم السنوي للحكومة وتسمى في التركية «صالغين - سالیانة» . ومعناها الشلحة أو السنوية . ولم يكن العلويون يتحاربون مع الأتراك فقط ، بل كانوا يتحاربون بعضهم أيضاً . لأن المنطقة ضيقة والنفوس كثيرة . وتجاوز الأتراك فتح باباً للمبارزة في مشاكل الحياة ، حتى أصبح الأخ يقتل أخاه ليأكل ما عنده . وبعد مجيء الكلبية للقرداحة وظفرها على الأتراك نشب الحرب بينهما وبين عشيرة بني علي لأنهم نسوا أوطانهم الأصلية . وفي خلال سنة ١١٤٠ دامت الحرب بين الكلبية وبين بني علي مدة سبع سنين ؛ وذلك بعد زوال خطر الأتراك . وأخيراً اتحدت العشائر الكلبية والنواصرة والقراحلة والياشوطية والجهينية وبيت محمد ، وهجمت على عشيرة بني علي بالإتفاق وحرقوا قراها ، وعند تجمع بني علي في قلعة عين الشقاق حاصروها بعد أن هدموا جميع قراها ولم يبق ملجأ لبني علي سوى الحصن الذي كان مبنياً على سبعة طوابق . وداوم بنو علي الدفاع في ذلك الحصن . وكان في تلك الأيام (ابن المن) مستلماً اللاذقية . وهذا أنجد عشيرة الكلبية . فلذلك

١

هاجر بنو علي لعند عثمان خير بـك رئيس عشيرة المتاورة وهو جـد بيت هواش . أي زعيم العشائر السنجاريـة . وبعد مهاجرة بني علي هـدمت الحكـومة العثمـانية الحصن الـذي كان في قـرية عين الشقـاق المحتوي على سبعة طوابق . حتى أساساته . وبعد مدة ندم ابن المن على أفعـاله وزال سوء التفاهم ورجع بنو علي إلى أوطانهم وقراهم الخربة والخالية . وفي سنة ١٢٨٠ شبت حرب شديدة بين بني علي والكلبيـة ، لأن الكلبية نوت الهجوم على العمـامرة التي هي مـركبة من الخيـاطين والسنجاريين ونوت أيضاً أن تنهب المهالبة السنجاريين فعند ذلك هدّد بنو علي الكلبية من ورائها. وأحست الكلبية بالتهلكة المقبلة فصرفت النظر عن التطاول على العمـامـرة والمهـالبـة . وأضمـرت البغض لبني علي . مـا إن جـاء حزيران في سنة ١٢٨٠ حتّى فوجيء بنو علي بهجوم الكلبيـة والنواصـرة معـاً . وقد زحفـوا حتى وصلوا لـقـريـة ست يللو . ثم حـرقـوا بتغـرامـو وديروتان ومغسلة وخرّبوهـا وجاءوا لقـريـة المعصـرة التي هي تجاه قـرية عين الشقاق ولم يحدُّهم غير الوادي . وإذ حصل هجوم الكلبيـة فجائيـاً وظلماً تحركت نخوة العشائر ونهضت عشيرة الحدادين مع كـل أفخاذهـا وجـاءت تمد يـد المعاونـة لعين الشقاق وكـان يرأس القـوات الإمـداديـة عبـاس مكنـا من بيت الحـداد ، وعنـد الحـرب غُلبت الكلبيـة ورجعت لأوطانها . عند مجيء الكلبية كان الرجـال يحاربـون والنساء تشتغـل في التخريب والإحراق . فلذلك عند رجعتها مغلوبة قوبلت بالمثل . وهجم بنو علي على السفرقية وديرونة وروية البساتنة وحرقوهـا . وقبل أن يـدفن الفريقان أمواتهم جاء من متـوار الشيخ الجليـل (الشيخ حبيب بن الشيـخ معـروف) وصالـح الطرفين . ولم يفتـر عزم بنِي علي عن الحـرب ، بل داومـوا على مهاجمـة الأتراك العلويين القـراطلة مع أنهم حلفـاؤهم حتى اضـطروا القـراطلة على الهجـرة من سيـانـو وحـواليهـا . وأصبـح البـرّ والأراضي في يـد بني علي حتى جبلة ولم يبقَ خـارج من أيـديهم من أملاك أجدادهم سوى البلدة التي كانت مسكناً لأجدادهم وهي جبلة ولم يستطيعوا تملكها لأنها كانت مركزاً للحكومة العثمانية .

عشيرة المهالبة :

قلنا : إنه عند مجيء الأمير حسن المكزون لاستخلاص علويي المنطقة لم تكن بينهم التشكيلات العشائرية الموجودة الآن . وكذلك لم تكن معية الأمير حسن المكزون منقسمة لعشائر ، لأن كل أسماء عشائر السنجارية حديثة سوى عشيرة المهالبة . ونقول الآن إن بقية العشائر تشكلت تبعاً لحسّ وجوب التحفظ والإضطرار لدفع التعرض . أما عشيرة المهالبة ، مع أنها جزء من عشيرة الحدادين أي السنجاريين فهي تحافظ على اسم أقدم من مجيء الأمير حسن المكزون فتكون هي أساس عشائر السنجارية وعشيرة حسن المكزون الأصلية . وهي لب العشائر التي لم يطرأ تغير على اسمها ، وكما قلنا يوجد في يومنا هذا عشيرة في خراسان من هذا الأصل وهي تشارك عشيرة المهالبة الموجودة في دولة العلويين في النسب والعقيدة بلا فرق ما ! لعلّ سوء حظ عشيرة المهالبة جعلها مجاورة للأتراك . ولم يكن الأتراك المجاورين لعشيرة المهالبة كالأتراك الذين كانوا مجاورين لبني علي والكلبية لأن الأتراك في سيانو والقرادحة كانوا من أتراك خراسان وأغلبهم علويون ، أما الأتراك المجاورون للمهالبة فكانوا سنيين أي ممن يصلحون لإنفاذ آمال السلطان سليم أي لمحو العلويين . وكان الأتراك السنيون سكنوا في قلعة المهالبة وسموها (مورصال قلعة سي) ثم تعربت هذه الكلمة إلى (قلعة المرسالية) التي اسمها القديم (قلعة بلاطونس) . لم تتوفق عشيرة المهالبة لاسترداد مواطنها التي أجلاها عنها الأتراك ، لأن الأتراك كانوا يتحصنون في قلعة بلاطونس وهذه تحميهم من تغلب عشيرة المهالبة . ولكن المهالبة أدركت النقطة المشكلة أخيراً واستمدت من رئيس الرؤساء في أيامه وهو علي شلهوم ابن أخ أحمد مخلوف السابق للذكر وهذا اتخذ تدابير مهمة واستخلص القلعة ، وذلك أنه أخفى معظم قوته في محلات مستورة في قرب القلعة المرسالية وعند خروج الطرش والمواشي حسب العادة صباحاً للمراعي ، أرسل عدداً قليلاً من العلويين فساقوا المواشي إلى جهة

بعيدة متظاهرين نهبها . وعندما شاهد الأتراك قلة العلويين وضعفهم خرجوا لخارج القلعة وحصل نزاع بين من اغتصب المواشي من العلويين وبين الأتراك أصحاب المواشي حتى لم يبق في القلعة إلاّ قليلاً من الرجال فهجمت قوات العلويين الكامنة بقرب القلعة ودخلوها فجأة ودامت الحرب الدموية ثلاثة أيام حتى تركت بقية السيوف من الأتراك القلعة للمهالبة ورحلت لقرب الباير ،والبوجاق وأحدثت القريتين المسماتين (برج الإسلام) و(الصليب) وهما على الساحل . وسميت القلعة المرسالية («قلعة المهالبة») . وبعد الظفر رجع علي شلهوم لقرية عين الكروم الكائنة في الملزق الشرقي بقرب نهر العاصي وهو يومئذٍ رئيس العشائر السنجارية . وأخيراً هاجر أكثر المهالبة لأنطاكية واطنة وطرسوس حتى أصبحت في يومنا هذا من أصغر العشائر في أراضي دولة العلويين .

عشيرة الحدادين :

إن عشيرة الحدادين : هي أصل لعشائر بني علي والمهالبة والمتاورة والدراوسة ، وهي تمتاز بالشجاعة والجد والثبات على كل العشائر . وهؤلاء هم الأزد أي الأسد . ذكرنا سابقاً أن سبب تسمية العشيرة ، انتسابها للمعلم محمد الحداد ابن الأمير ممدود السنجاري ابن أخ الأمير حسن المكزون . إن عشيرة الحدادين لم تحاسب الأتراك في بادىء الأمر . بل اعتادت الغارة على الإسماعيليين ودامت الحرب بين الإسماعيلية والحدادين أكثر من مائة سنة تقريباً . في ١١٠٠م أي في أيام رئيس عشيرة الحدادين (أسعد بن علي) تغير طور الحرب مع الإسماعيلية . واتفق أسعد المذكور مع المحارزة والعلويين التنوخيين وهجم على الإسماعيليين وأخذ منهم قلعة القدموس وجهات وادي العيون التي كانت حصناً طبيعياً نظراً لمناعة موقعها وجبالها وأسكن فيها العلويين . وبعد أسعد بن علي انتقلت رياسة عشيرة الحدادين لعباس بن مكنا . ولكن عباس المذكور بدلاً من أن يداوم الحرب مع

الإسماعيلية أو يعادي الأتراك ، باشر الحرب مع العلويين حتى أنهكت هذه الحروب قوى الحدادين وتفرقوا لأقسام كثيرة . وفي سنة ١٢٠٠م حصلت الحرب بين عشيرتي القراحلة والحدادين ودامت ٢٨ سنة . وفي هذه المدة كانت الحرب سجالاً . وكلما غلبت الحدادون تنقسم العشيرة لأفخاذ وتتبع لرؤساء عديدة ولذلك كان أكثر الرؤساء هم في عشيرة الحدادين . ومعظم العلويين في برّ حماه وحمص وحلب ينسبون لعشيرة الحدادين ولكن نسبتهم اعتبارية محضة .

عشيـــرة الدراوسة :

الدراوسة ، هم العشائر الغسانية السنجارية . ويوجد بينها من المهالبة والقراطلة والكلبية ومن العلويين الحلبيين أي السوارك وعدا عن كون الدراوسة خليطة من كل العشائر ، فهي تحتوي على أعظم عدد من عنصر الأتراك أي القراطلة وأصل دريوس كونها حدادية . أسباب تشكل العشيرة ، هو سليمان فرطوس أي جدّ بيت بدور . عندما استولى الأتراك على المنطقة اتحدت الإسماعيلية في صهيون مع الأتراك وأبعدوا معظم العلويين من هناك . ولمّا كان سليمان فرطوس شجاعاً ، أرسل من قبل رئيس المهالبة المقدم محمد . ومحمد هذا كان في تلك الأيام رئيس رؤساء جميع العلويين . كانت مهنة سليمان فرطوس ، المحافظة على حقوق العلويين في جبل دريوس باسم المقدم محمد . وتوفق في أمنيته إلى ما فوق المطلوب وأجلى الأتراك والإسماعيلية عن جبل دريوس . واستقل بالأمر وأصبح مقدماً على الجبل . والتحق به الأفراد من كل العشائر وأغلبهم من القراطلة من قرية سيانو وكلما حارب بنو علي الكلبية وتضرّر بعض أفرادهم كانوا يذهبون لجبل دريوس . والدراوسة كانوا حلفاء العمامرة . ولولا الدراوسة لما كان يوجد مانع لأهل صهيون من التجاوز على علويي السواحل والمهالبة .

٣ ـ العشائر المصرية الهاشمية العدنانية :

عشيــرة المحارزة :

أصـل المحارزة هـاشميون . وفي أثنـاء الفتح في صـدر الإسـلام ذهبوا من يثرب إلى المدينة إلى مصر ومنها إلى بـلاد العلويين . قلنا في أيام الأمويين لم يسبق لعلويي مصـر ومنهم المحارزة ذكـر ، أما في أيـام الفـاطميين وحكـومات الممـاليك فقـد كان المحـارزة في مصر العـامـل الـوحيد في إدارة المملكـة ، وفي المدافعـة ضـد الصليبيين ، واستيـلاء الملك الظاهر على مصر لم يكن إلاّ بتأثير المحارزة ، وفي أيامه حصـل افتراق بين المحارزة وبين بعض العلويين ، فجاء بعض المحارزة لمنطقة العلويين وسكنـوا في قريـة بعرين وبـاشروا في الخـلاف والحـرب بينهم وبين المسيحيين البـاقين من الغساسنـة وبـالنتيجـة تسلط المحـارزة على المسيحيين وأخـذوا منهم قريـة الصليب وما يليهـا من القرى وبـالتدريـج أخـذوا تحت نفوذهم قلعـة المضيق وتـرأس العلويـون على البـلاد لحـد حلب تقريباً ، وكان هذا قبل مجـيء الملك الظاهـر . وكانت في بـادىء الأمر مصافاة تامة بين المحارزة والإسمـاعيلية لأنهمـا علويون إمـاميون . ولكن بعد وقوع الحـرب بين السلطان محمد المحـرزي المعروف بـاسم (قانصو غوري) وبين السلطان سليم التركي وانكسـار الجيوش المصـرية في مـرج دابق ، هـرب السلطان غـوري لعنـد المحـارزة وظن السلطان سليم أنه توفي فجأة بدون جرح أو مرض على ضفة نهر الفرات . مع أنه اختبأ في المنطقـة . للمحارزة والإسمـاعيلية اختـلافات طـويلة وحروب عديدة ، وقـد أخذ المحـارزة قلاع القـدموس والعليقـة والمنيقة مـراراً ، وكان الإسماعيليون يستردونها بعد مدة . وفي سنة ١٠٠٠ هجـرية تقـريباً هيأ الإسماعيليون هجومـاً على القدمـوس وذلك في أيـام أمير المحـارزة الشيـخ محمد الجيشمي ، ولمّـا كان لابن الشيـخ محمد المسمى زغيب أصبـع زائـدة لم يـدخلوه في صـف المشـايـخ . فعنـدهـا اغتـاظ زغيب وحالف الإسماعيليين الذين وعدوه بإعطائه بنتاً من بنات أمرائهم ، وفتـح

لهم أبـواب قلعة القـدموس . عنـدما كـان جميع العلويين مشغـولين في العبـادة في يوم الغـدير ، فـأغار الإسمـاعيليـون على العلويين وقتلوا من المشايخ الذين رموا أجسادهم في «جب العنان» ثمانين شيخاً عدا العوام وتملكوا القدموس . ولم ينجُ في تلك الوقعة من الموجودين في العبـادة سوى الذي رمى نفسه من شباك القلعة وتحطمت عظام أرجله وهو الشيخ محمد الأعرج فعنـدها اختبـأ الشيخ محمـد في الجوار وبعـد أن شفيت رجلاه طلب نجدة من العلويين وفتك بالإسماعيلية فتكة عظيمة ولكن لما كـانت الحكومـة العثمـانيـة مـظاهـرة للإسمـاعيليين لم يتـوفق العلويون لإجـلائهم عن القلعة . ويُقـال إنّ الإسماعيليـة أخـذوا في تلك الـوقعـة السيف المختص في المحارزة وهو سيف الإمام الحسين الشهيد وكان يرثـه زعيم المحـارزة حتى اكتسبه الشيـخ محمد الجيشمي المـذكور . وأخـذ الإسمـاعيلية كتب العلويين مـع كتاب النسب . وبعـد مرور الأيـام نسي المحـارزة بنـاتهم وأمـوالهم المغصوبـة ولكن لم ينسـوا السيف وكتـاب النسب . وهذا كان من جملة أسبـاب القتال الـذي سيـذكـر في الـدور السادس . وعندمـا ظفر الشيخ صالـح العلي المحرزي بـالإستيلاء على القـدموس ، وإعـطائه الأمـان للإسمـاعيلية شـارطهم على إرجاع كتـاب النسب والسيف المختص بـأجداده المحـارزة ، ولكن لم يجـد أثـراً من الكتاب بل أعطوه شفرة سيف قديمة لا يعرف ما هي . أما الإسماعيليون فيقولون إنّ تلك الشفرة المأخوذة من المحارزة في القدموس ، هي شفرة سيف الإمام الحسين الشهيد التي وقعت منـه عند إغـارته على المـاء في نهر الفرات ، وهـذه ستكون في يـد المهدي أمـا الشفرة المعطاة للشيخ صالح العلي فليست بتلك الشفرة بل غيرها . سبق أن قلنـا إنّ المحارزة ينسبـون للهاشميين . ولكن المـدة الـطويلة التي مـرت عليهم في مصـر ومحاربتهم المتواصلة غيرت كثيراً في سجاياهم واختلطوا مـع بقية الأمم التي دخلت في العقيـدة العلويـة ، وأكثرهم جـركس وأتـراك ، ولهـذا نستـطيع أن نقـول إنّ أغلب دم الجـراكسـة بين العلويين هـو في عشيـرة المحـارزة كما تثبت تلك القضيـة عيونهم الـزرقاء . والـرجـل المشهـور

المدفون بحلب (المقدم معروف) وسليمان الجاموس المدفون في طرطوس وفاتح طرسوس الشيخ محمد البيادري هم من جملة المحارزة الأقدمين ومن عائلة بيت فلاح التي كانت قبل بيت البلقيني رئيسة علويي مصر .

القراطلة :

إن من العلويين طائفة تسمى القراطلة وهذه الطائفة ليست لها العصبية العربية التي هي لبقية العشائر العلوية ولذلك هي سيئة الطالع مستضعفة بين العشائر . لقد كان عدد هذه الطائفة يزيد عن عدد أية عشيرة غيرها ولكن لما لم تكن لها عصبية العشائر اضمحلت والتحق الباقي من رجالها بالعشائر الأخرى . والقراطلة هم من الأتراك الذين أتى بهم السلطان سليم إلى جهات جبلة وأسكنهم في سهولها إلى قرايا القرداحة وبشراغي وقلعة أبي قبيس وإذ كان مركزهم في هذه القلعة التي كان يطلق عليها اسم «قارتال قلعة سي» وهي اسم «النسر» في التركية ، وقد اشتهروا بين العلويين باسم القراطلة نسبة لقرتال . مرت الأيام وكانت الحكومة العثمانية فيها لا تعتني إلا بشؤون العاصمة وكانت تترك بقية المملكة وشأنها . وفي تلك الأيام جعل العلويون يهجمون على الأتراك النازلين بينهم ويحاربونهم حتى كادوا يفنونهم ولم يسلم منهم إلا من كان علوياً وقد التحق هؤلاء بالعشائر العلوية واندغموا بها . أسكن السلطان سليم الأتراك في الجبال الكائنة غربي حماه بقصد تأمين الطريق بين مصر والأناضول ، وكان مركزهم قلعة «أبي قبيس» التي هي اليوم دارسة ، وأسكن منهم أناساً في جهات قرية «عاشق عمر» وجبل الحلو ومدينة جبلة للغاية نفسها . وأبقى قصبات مصياف والقدموس والمنيقة والعليقة وصهيون في يد الإسماعيليين لأنهم كانوا من أصدقاء الترك . وقتل من كان علوياً من أهل اللاذقية ، ولكنه غفل عن تأثير العصبية العربية إذ سبب لهدر دماء غزيرة من الأتراك ومن العلويين . ويوجد بين العلويين في كليكيا وعشائر بني علي والمهالبة ودريوس

وأنطاكية كثير من العلويين الذين ينسبون إلى القراطلة ولا فرق بينهم وبين العلويين العرب . ويوجد أيضاً بين الأتراك في الأناضول كثير من العلويين الترك وهم يشكلون في ولاية سيواس الأكثرية وهم متصفون في كل بلاد الأناضول وكذلك يوجد من أولئك الأتراك العلويين في جهات أطنه ما يزيد على الثلاثين ألفاً وهم موصوفون بالأخلاق الحسنة والتوكل والتقوى ولا يوجد أي فرق ما بينهم وبين العلويين في العقيدة . والأتراك يسمونهم (قزيل باش) و(تخته جيلر) . وأسباب الحرب بين القراطلة وبين العلويين في المنطقة هي لأنهم توطنوا في مواطن العلويين ، وهذا من زلات السلطان سليم . وما أحسن ما قاله العارف العلوي الكبير ، إذ قال : (السيف يفتح البلاد ولكن العدالة تحافظ عليها) . والسلطان سليم فتح البلاد بالسيف ولكنه عوضاً عن أن يعدل ، ظلم العلويين والأتراك معاً ، وتسبب في قتل نصف مليون من الأتراك ونحو هذا المقدار من العلويين العرب في جبل النصيرة . قلنا إن الحكومة التركية نقلت إلى جبل النصيرة مقدار نصف مليون من الأتراك ونسيت الغاية حتى إنها نسيت النصف مليون من عنصرها . ولم يمض أكثر من خمسين سنة حتى انقرض الأتراك في المنطقة الضيقة التي لم تكن حاصلاتها كافية لإعاشة أبنائها الأصليين ، ولم يبق منهم إلاّ خمسة عشر ألفاً وهم اليوم في الباير والبوجاق وقليل منهم في الساحل وهم محافظون على جنسيتهم ولسانهم التركي . أما الذين في جهات حماه وحمص ، فتغلبت عليهم العربية ولم يبق لهم من التركية إلاّ اسمها .

هجرة العلويين إلى جبالهم

جـاء في كتاب «العلويون من هم وأين هم» لم تكن هجـرة العـرب الذين سمّوا بـالعلويين مؤخراً ، إلى جبـالهم ، على مرة واحـدة إبل على عدّة مرّات جماعات وأفراداً وهجرتهم جماعات ، كانت على ست مرّات على ما أعتقد .

الهجـرة الأولى : قبل المسيـح ومحمـد ﷺ وبين عهـديهمـا ؛ **والثانية** : بعـد محمد ، في عهـد الفتح العـربي الإسلامي «أي في سنـة ١٣هـ أو ٦٣٦م وما بعدها» ؛ **والثالثة** : في القرن الخـامس للهجرة بعـد ظهور مذهب النصيـرية ، والبـلاء الذي صبّ على الـذين اعتنقوه وذلـك من قبل الحكّام المسلمين غير العـرب ، **والـرابعـة** : في أوائـل القـرن السـابع للهجـرة ، في زمن الأمير حسن بن مكـزون ؛ **والخـامسـة** : في النصف الثـاني من القـرن السـابـع للهجـرة بعـد الحملة الكسـروانيـة سنـة «١٣٠٥م» ، **والهجرة السادسة** : كـانت عند اجتيـاح يـاوز سلطان سليم التـركي للبـلاد سنـة «٩٢٣هـ» «١٥١٦م» ، وبين هـذه الهجـرات العامة ، كانوا يهـاجرون أفـراداً ، إلى الجبل طلبـاً للرزق ، أو هربـاً من الضغط والعذاب ، وللإحتماء بأبناء طائفتهم هناك .

الهجرة الأولى :

إن العرب قد اجتاحوا الأراضي السورية ، قبل ألوف السنين ، فكانت منازل اللخميين والقضاعيين ، وفروعهم الجذاميين وكلب وعامله وغيرهم ، بين مصر والعراق ، وكانت أراضي الشام ، هي ضمن هذه الأراضي ، حتى إنّ حمص كانت في يد حكومة عربية ، قبل دخول القائد الروماني بومبي إلى سورية سنة «٦٤ ق.م»، وكان العرب يحتلون لبنان ، عندما جاء الإسكندر المقدوني إلى سورية وذلك سنة «٣٣٣ ـ ٣٣٢ق.م» .

والسليحيون ـ وهم من قضاعة ـ نزلوا على بني أذينة بن السميذع العمليقي ، ملوك العرب في أطراف الشام ، قبل المسيح ثم استولوا على الملك وكان ملكهم الحرث في دمشق عندما دخلها بولس الرّسول ، وبعد ذلك غلبتهم غسان ـ وغسان من الأزد ، ولد كهلان ، شقيق حمير ـ وحلت محلّهم ، وساد آل جفنة الغسانيون دولتهم في البلاد السورية وظلّت حتى سنة ٦٣٦م ، وكانت حمص وشيزر وسلمية وسواحل بحر الروم وحتى اللاذقية ، معتبرة من ديار غسان .

أضف إلى ذلك أن الآراميين والكنعانيين ، وكل من كان في زمنهم كالأموريين واليبوسيين و . . . كل هؤلاء من الفصيلة العربية السامية حتى إن الفينيقيين ، كما ظهر من آثارهم الحديثة ، هم فصيلة عربية ، وكانت لغتها ، العربية القديمة وهؤلاء كانوا يسكنون سواحل لبنان ومحافظة اللاّذقية . ومما قاله المؤرخ اليعقوبي إنّ أهل حماه من اليمن وأهل حمص جميعهم من اليمن من طي وكندة وحمير وكلب وهمدان وأطراف حمص كذلك وأهل سلمية من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي ومعرّة النعمان وأهلها تنوخ وأهل أفامية (وقد خربت في القرن الثالث عشر للمسيح على أثر الزلزال) من عذرة وبهراء وأهل مدينة شيزر من كندة وأهل اللاّذقية من اليمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب

وغيرهم وأهل مدينة جبلة من همدان وبها قوم من قيس ومن أياد («إن قرابة الدّم جعلت إبراهيم بن أدهم الزاهد العربي يأوي إليها ويموت فيها سنة «١٦١هـ» وهو من بني بكر بن وائل وليس بعجمي كما يظن البعض») (تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٩) وأهل مدينة طرطوس هم قوم من كندة . إن هؤلاء العرب الذين احتاطوا بجبال اللاّذقية من كل أطرافها توغلوا فيها ولا شكّ لاستثمارها والحياة فيها .

الهجرة الثانية :

أما الهجرة الثانية فكانت بعد اكتساح العرب المسلمين لسورية إذ إن الغرباء الذين كانوا يسكنونها وجلوا عنها فاعتاض الخلفاء والأمراء العرب عنهم بعرب كانوا يأتون بهم من البادية وأطراف الشام كما أن كثيراً من القبائل العربية قد لحقت بالعرب الفاتحين والحكام العرب في بلاد الشام رغبة في الحياة الهنيئة وهؤلاء طاب لهم المقام في جبال اللاّذقية ، النصيرة وعلى شواطىء البحر اللاّزوردي بالقرب من مياه الأنهار الفياضة وعيون المياه المتفجرة التي كأنها مشعشعة بالثلج فتناسلوا هناك ونسوا مواطنهم الأصلية ولا يزال فيهم اليوم من يحمل أسماء عشائره القديمة كالمهالبة الأزديين والجهينيين الطائيين حتى إن بعض العلويين لا يزالون ينتسبون للأوس والخزرج الأنصاريين الذي هبطوا البلاد أثناء الفتح العربي الإسلامي . ومما جاء في ذلك في كتاب الإمام أبي الحسن البلاذري «فتوح البلدان» طبعة مصر سنة ١٩٣٢ غ :

«إفتتح أبو عبيدة اللاّذقية وجبلة وأنطرطوس على يدي عبادة بن الصامت وكان يوكل بها حفظة إلى انغلاق البحر فلما كانت شحنة معاوية السواحل وتحصينه إياها ، شحنها وحصنها (صفحة ١٣٩ ـ ١٤٠) . إن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب (رض) يصف له حال السواحل الشامية فأجابه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة (أي العرب) فيها وإقامة الحرس على مناظرها (صفحة ١٣٤) . «ثم إن الناس بعد (ذلك) انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية (صفحة ١٣٥) . لمّا استخلف عثمان بن

عفان (رض) كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها وإقطاع من ينزله إياها (من العرب) القطائع ففعل (صفحة ١٣٤) .

وأنشأ معاوية مدينة جبلة وكانت حصناً للروم وجلوا عنه وبنى لها حصناً خارجاً من الحصن الرومي وبنى أيضاً انطرطوس ومصّرَهاوأقطع بها القطائع وكذلك فعل بمرقية وبانياس (ص ١٣٩) «وقال هاشم بن اللّيث : «حدثني أشياخنا قالوا : «نزلنا صور والسواحل ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى (من العرب) فنزلوها معنا وكذلك جميع سواحل الشام (صفحة ١٢٤) . «وأمر معاوية بجميع الصناع والنجارين فجمعوا ورتّبوا في السواحل «(صفحة١٢٤)» .

الهجرة الثالثة :

إن الهجرة الثالثة على مراحل عدة وفي تواريخ مختلفة حيث هاجر العراقيون في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجري إلى جبال العلويين هذه واستوطنوها إذ جاء في كتب العلويين أن العشيرة البغدادية المعروفة اليوم بالخياطية قد ظهر جدّها السيد عيسى الملقب بالبانياسي نسبة إلى بانياس الشام التي سكنها في الأربعمائة للهجرة ومن هناك رحلت ذريته إلى صافيتا فالمرقب فجبلة . وأن أسرة السيد محمد العاني الملقب بالمنتجب (العراقي) الذي وُلد في سنة ٤٣٩ هـ رحلت إلى جبال العلويين ولم يعرف التاريخ الحقيقي لهذه الهجرة ، أما سببها فإن العلويين أنفسهم لا يعلمونه إلاّ ما ندر . ولمعرفة سببها الحقيقي ، لا بدّ من معرفة الحالة في العراق وبلاد الشام في القرن الرابع والخامس الهجري . إن الحالة في العراق وبلاد الشام كانت جدّ سيئة ، وكانت الفوضى ، ضاربة أطنابها فيهما ، مع أن هذين القطرين ، كانا مفخرة عربية ، عندما كان خلفاء العرب سادة البلاد ، وإني أنشر فيما يلي بعض حوادث العراق ، وبلاد الشام آنئذ ، نقلاً عن تاريخ أبي الفداء :

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٣٢٩ هـ .	يتنازع القواد والرؤساء الإمار ، في بغداد ولا حول للخليفة إلا إعطاء لقب الإمارة للغالب .	٢	٨٨
٣٣٠ هـ .	هرب الخليفة من بغداد ، والتجأ إلى ابن حمدان صاحب الموصل ، فحماه هذا وأعاده إلى بغداد .	٢	٨٩
٣٣١ هـ .	نهب الديلم دار ناصر الدولة بن حمدان ، وثار ولد التركي واستولى على بغداد فجعله الخليفة أمير الأمراء .	٢	٨٩
٣٣٢هـ .	هرب الخليفة من بغداد خشية ابن تورون.	٢	٩٠
٣٣٣ هـ .	أمن ابن تورون الخليفة المنفي، فأعاده إلى بغداد ، ثم سمل عينيه .	٢	٩١
٣٣٤ هـ .	حلف الخليفة اليمين ، بحضور القضاة ، باحترام إمارة ابن شيرزاد ، وبعدئذ اختفى هذا الخليفة ، ثم ظهر ، وحلف اليمين إلى معز الدولة بن بويه الديلمي ، ولكن هذا سجنه ونهب داره ، وسمل عينيه ، ومات في سجنه ، وقد أكل الناس بعضهم بعضاً في بغداد ، لقلة الغذاء والفوضى .	٢	٩٣ـ٩٦
٣٥٨ هـ .	استولى عسكر المعتز العلوي (من أولاد الإمام علي «رض») على قسم من سورية منها دمشق .	٢	١٠٩
٣٥٨ هـ .	هاجم ملك الروم طرابلس وحمص وغيرهما ، وأخذ أسرى وغنائم كثيرة ، وخرج أبو المعالي من حلب مغلوباً .	٢	١١٠

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٣٥٩ هـ .	تغلب الروم على حلب وحمص وحماه ، وغيرها من المدن الشامية (ثم طردوا) .	٢	١١١
٣٦٠ هـ .	تملك القرامطة دمشق ، ثم رحلوا إلى مصر لفتحها ، ولكنهم لم ينجحوا .	٢	١١٢
٣٦١ هـ .	وصل الروم إلى الجزيرة والرّها (أورفة) ونصيبين ، وقتلوا العرب المسلمين فيها ، وهرب الباقي إلى بغداد ، فدفع الخليفة المطيع ٤٠٠ ألف درهم إلى بختيار بن بويه الديلمي ، لينفقها على غزو الروم ، ولكنه لم يفعل شيئاً .	٢	١١٢
٣٦٣ هـ .	خلع الخليفة نفسه بدعوة من سبكتكين ، وسلّم الخلافة إلى ولده الطائع .	٢	١١٣
٣٦٤ هـ .	اشتدّ القتال بين الترك وبين بني بويه (العجم) في بغداد .	٢	١١٤
٣٦٤ هـ .	استولى الترك على دمشق .	٢	١١٥
٣٧٥ هـ .	هجم القرامطة على الكوفة فنهبوها ، واستولوا عليها .	٢	١٢٤
٣٧٩ هـ .	وقعت الفتنة بين الأتراك والديلم (العجم) في بغداد .	٢	١٢٥
٣٨٠ هـ .	قبض بهاء الدولة (الأعجمي) على الخليفة وعزله	٢	١٢٧
٤٠٨ هـ .	ضعف أمر الديلم في بغداد .	٢	١٥٠
٤١٧ هـ .	تسلّط الأتراك على بغداد ، وأوقعوا فيها أضراراً جمّة .	٢	١٥٦

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٤٢٦ هـ .	إنحلّ أمر الخلافة في بغداد ، وصار الأقوياء (الأعاجم) يأخذون أموال الناس ويقطعون الطرقات .	٢	١٥٩
٤٣٤ هـ .	اعتدى جلال الدولة (أعجمي) على حق الخليفة ، فأراد هذا مغادرة بغداد فلم يتمكن .	٢	١٦٦
٤٣٦ هـ .	اشتداد الغلاء في العراق ، وأكل الناس الميتة .	٢	١٦٨
٤٤١ هـ .	وقعت فتنة بين الشيعة والسنة ببغداد ، وأحرقت دور الفقهاء .	٢	١٧٠-١٧١
٤٤٧ هـ .	ضعفت مكانة الخليفة ، وانتهت دولة بني بويه .	٢	١٧٣
٤٥٠ هـ .	وقع السلب والنهب في بغداد ، من قبل البساسيري (المملوك التركي) واستزم الخليفة بزمام قريش العقيلي العربي ليحميه ، ثم نهب الأعاجم دار الخليفة .	٢	١٧٧-١٧٨
٤٥٥ هـ .	تعدى الجنود الترك على أهل بغداد ، وأخرجوهم من دورهم ، وفسقوا ببعض النسوة .	٢	١٨٣
٤٦٢ هـ .	وقع غلاء شديد ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ، وأخرج الخليفة ما في خزانته وباعها ليساعد الناس .	٢	١٨٦
٤٦٣ هـ .	قدم محمود بن مرداس (العربي) ملك حلب ، الطاعة لألب أرسلان .	٢	١٨٧
٤٧٥ هـ .	وقعت فتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة .	٢	١٩٤

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٤٧٥ هـ .	شكا الخليفة ، إلى ملكشاه من سوء معاملة الناس له .	٢	١٩٤
٤٨٥ هـ .	بطش تنش (التركي) بأمراء العرب ، ثم تقاتل تنش وابن أخيه .	٢	٢٠٤
٤٧٨ هـ .	يقاتل الأتراك بعضهم بعضاً .	٢	٢٠٨
٤٩٠ هـ .	سار الإفرنج إلى الشام ، وكسروا جيوش السلجوقي صاحب قونية ، واتفق أصحاب الموصل ودمشق وحمص (وهم أتراك) فنازلوا الإفرنج ، بقرب أنطاكية ، وبعد أن تغلبوا عليهم ، خبثت نيات الأتراك فولوا ، وتركوا أنطاكية للفرنج ، فنهبها هؤلاء ، وفتكوا بأهلها .	٢	٢١٠
٤٩١ هـ .	ظهر الفرنج في المدن ، وقتلوا حوالي مائة ألف من أهلها .	٢	٢١١
٤٩٢ هـ .	حاصر الفرنج القدس وملكوها ، وقتلوا من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد عن ٧٠ ألف نسمة ، وهرب أناس إلى بغداد .	٢	٢١١
٤٩٣ هـ .	وقع قتال بين ملوك الترك في بغداد وحولها .	٢	٢١٢
٤٩٤ هـ .	يتقاتل ملوك الترك ، والخليفة المستنصر يشكو إلى بعضهم سوء سيرة بركيارق .	٢	٢١٣
٤٩٥ هـ .	يقاتل ملوك الأتراك بعضهم بعضاً ، والفرنج يتملكون بلاد الشام .	٢	٢١٥

يظهر هذا الملخص أنّ الداعي لهذه الهجرة هو :

١ ـ ضعف سلطان العرب في العراق ، وقيام القواد الشعوبيون بالإخلال بالنظام ، وقتلهم الخلفاء ، والأمراء العرب ، واعتدائهم على أموال الناس وأعراضهم .

٢ ـ ضعف شأن بني بويه (وهم فرس ، شيعة) فخاف الشيعيون على أنفسهم وخاصة بعد القتال الذي وقع بين الفئتين فهجر بعضهم العراق .

٣ ـ ظهور قوة أبناء الإمام علي (رض) في سورية ، والشيعيون يعتزون بهؤلاء .

٤ ـ المجاعات التي ظهرت في العراق .

قد تكون هذه الأسباب ، هي التي أوجبت هذه الهجرة ، لذلك بحثتها بتفصيل ، لأنها مهمة ويعوّل عليها .

الهجرة الرابعة :

وهذه الهجرة كانت في زمن الأمير حسن بن مكزون ، وبحسب كتب العلويين إنها كانت في سنة «٦٢٠هـ» ، وذلك لأجل نصرة أبناء مذهبهم في جبال العلويين ، ولم يتوسع العلويون في بحث ذلك ، على أني رأيت أن هناك عدة عوامل لهذه الهجرة ، وإني أبيّن فيما يلي ما كانت عليه بلاد العراق والشام في القرنين السادس والسابع الهجري ، ومنها تظهر هذه العوامل الكثيرة (عن تاريخ أبي الفداء) .

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٥٣٥ هـ .	استولى الإسماعيلية على حصن مصياف . من والي بني منقذ ، بعد أن احتالوا عليه وقتلوه .	٢	١٥
٥٤٣ هـ .	حاصر الألمان دمشق ثم رحلوا عنها بدون أن يظفروا بها .	٣	٢٠
٥٥١ هـ .	حاصر الملك محمّد بن السلطان محمود السلجوقي صاحب همدان بغداد ، فلم يتمكن منها .	٣	٣٠
٥٥٤ هـ .	حاصر أمير ميران شقيق نور الدين زنكي ، مدينة حلب ليأخذها من نور الدين فلم يقوَ على ذلك .	٣	٣٥
٥٥٨ هـ .	باغت الفرنج نور الدين محمود بن زنكي ، وهاجموه في البقيعة تحت حصن الأكراد فهزموه .	٣	٤١
٥٥٩ هـ .	أرسل نور الدين زنكي جنداً إلى مصر لقتال شاور التركي ، الذي عصى عليه وعلى الخليفة الفاطمي فلم ينجح كل النجاح .	٣	٤١
٥٦٢هـ .	جهز نور الدين زنكي حملة إلى مصر تحت رئاسة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب (الذي صار سلطاناً فيما بعد على مصر ثم على سورية) فتمكن شيركوه من جند شاور بمصر .	٣	٤٣
٥٦٢ هـ .	فتح نور الدين صافيتا	٣	٤٤
٥٦٤ هـ .	وليّ الخليفة الفاطمي صلاح الدين	٣	٤٧

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
	الوزارة ، ولقب بالملك الناصر.		
٥٦٧ هـ .	أقيمت الخطبة للعباسيين في سورية ومصر بدلاً من الفاطميين .	٣	٥٠
٥٦٧ هـ .	اشتدّ القتال بين الأتراك في العراق .	٣	٥٢
٥٦٩ هـ .	خاف صلاح الدين من نور الدين زنكي ، فأرسل أخاه توران شاه لفتح اليمن ، ليجعلها ملكاً له إذا لم ينجح على نور الدين ، فتمكن توران شاه من ملك اليمن الحميري ، واستولى عليها .	٣	٥٤
٥٦٩ هـ .	مات نور الدين ، وكان تجهز لدخول مصر ، فتولى ابنه الصالح مكانه .	٣	٥٥
٥٧٠ هـ .	هاجم صلاح الدين بلاد الشام ، وكسر الملك الصالح ، ثم تصالحا على أن يكون للصالح حلب وأطرافها فقط .	٣	٥٦
٥٧٠ هـ .	أرسل سعد الدين كمشتكين (الزنكي) إلى سنان راشد الدين الإسماعيلي ، ليقتل صلاح الدين فأرسل هذا من يقتله فقتل .	٣	٥٧
٥٧١ هـ .	إشتدت الحرب بين صلاح الدين والزنكيين في بلاد الشام .	٣	٥٨
٥٧١ هـ .	هاجم إسماعيلي صلاح الدين وجرحه برأسه بسكين ، ولكن صلاح الدين تخلص منه وقتله .	٣	٥٨
٥٧٢ هـ .	هاجم صلاح الدين بلد الإسماعيلية فنهبها وخرّبها وحاصر قلعة مصياف ، فأرسل سنان راشد الدين ، صاحب حماه ، ساعياً	٣	٥٩

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
	بينهما للصلح ، فصالحه صلاح الدين ورحل عنه .		
٥٧٣ هـ .	حاصر الفرنج حماه فلم يقووا عليها .	٣	٦٠
٥٧٥ هـ .	وقع حرب بين جند صلاح الدين وجند قليج أرسلان صاحب بلاد الروم	٣	٦١
٥٧٨ هـ .	حارب صلاح الدين بعض الملوك في سورية والعراق والفرنج على الساحل السوري .	٣	٦٤
٥٨١ هـ .	حاصر صلاح الدين الموصل للمرة الثانية ، وكانت في يد الزنكيين فاسترضاه صاحب الموصل وأعطاه بعض بلاد كانت له .	٣	٦٩
٥٨١ هـ .	مرض صلاح الدين مرضاً مخطراً ، فسار ابن عمه محمد بن شيركوه صاحب حماه ، إلى حمص ، واتفق مع أهل دمشق ليسلموها إليه ، إذا مات صلاح الدين ، ولكن بعد قليل مات محمد فجأة ؛ فقيل إن صلاح الدين دس إليه من سقاه السّم .	٣	٦٩
٥٨٤ هـ .	فتح صلاح الدين طرطوس ومرقية وجبلة واللاذقية وصهيون .	٣	٧٤
٥٨٤ هـ .	فتح صلاح الدين شمال سورية ومنها أنطاكية .	٣	٧٥
٥٨٧ هـ .	اشتدّ القتال بين العجم والترك في العراق .	٣	٨١
٥٨٨ هـ .	توفي راشد الدين سنان ، صاحب الدعوة الإسماعيلية بقلاع الشام وأصله من البصرة .	٣	٨٥

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٥٨٩ هـ .	مات السلطان صلاح الدين وتولى إبنه الأفضل مكانه .	٣	٨٦
٥٨٩ هـ .	كان القتال متواصلاً بين الأتراك في العراق والأناضول .	٣	٨٨ـ٨٩
٥٩٠ هـ .	بدأ القتال بين العزيز والأفضل ولدي صلاح الدين .	٣	٩٠
٥٩١ هـ .	هاجم العزيز أخاه الأفضل .	٣	٩٢
٥٩٢ هـ .	تآمر العزيز (ملك مصر) وعمّه العادل ، على أن يحاربا الأفضل ويستوليا على دمشق ، لتكون للعادل ، والخطبة والسكة للعزيز ، فاستوليا عليها وتركا للأفضل صرخد .	٣	٩٢
٥٩٤ هـ .	اشتد القتال بين الأتراك .	٣	٩٣
٥٩٤ هـ .	هاجم الفرنج بيروت واستولوا عليها .	٣	٩٣
٥٩٥ هـ .	مات العزيز ، واستولى الأفضل على ملكه فحرم ابن العزيز من ذلك ، ثم اتفق الأفضل وأخوه الظاهر ، صاحب حلب ، وهاجما عمّهما العادل صاحب دمشق ، وكادا ينجحان في الحرب ، لولا اختلاف وقع بين الأخين ، بدسيسة من العادل .	٣	٩٥
٥٩٦ هـ .	حارب العادل الأفضل وخلص مصر منه .	٣	٩٨
٥٩٦ هـ .	اشتدّ القتال بين آل أيوب في سورية .	٣	٩٩ـ١٠٠
٥٩٧ هـ .	اشتدّ القتال بين آل أيوب في سورية وكذلك بين الترك من خراسان ، إلى العراق ، إلى الأناضول .	٣	١٠١

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٥٩٩ هـ .	حمي القتال بين بني أيوب ، والصليبيين في البلاد .	٣	١٠٣
٦٠٠ـ٦٠٢ هـ	حمي القتال بين الأتراك .	٣	١٠٥
٦٠٣ هـ .	هاجم الملك العادل الإفرنج في جهات عكّا وحصن الأكراد وعناز وطرابلس .	٣	١٠٨
٦٠٦ هـ .	إشتدّ القتال بين الملك العادل صاحب دمشق ، وبين قطب الدين زنكي صاحب سنجار .	٣	١١٢
٦١٠ هـ .	وقع القتال في بلاد الروم بين ملوكها السلجوقيين .	٣	١١٤
٦١٥ هـ .	إتفق الملك الأفضل مع ملك بلاد الروم السلجوقي على أخذ ملك ابن أخيه في حلب ، فلم ينجحا في تلك الحرب ، لأن أمير العرب ساعد صاحب حلب .	٣	١١٩
٦١٥ هـ .	توفي الملك العادل ، ووجد في خزانته ٧٠٠ ألف دينار .	٣	١٢٠
٦١٦ هـ .	مات قطب الدين زنكي صاحب سنجار ، فملك بعده ابنه عماد الدين ، وبقيَ في الملك بضعة شهور ، ثم وثب عليه أخوه محمد فذبحه وملك بعده .	٣	١٢٢
٦١٦ هـ .	ظهر التتر ورئيسهم جنكيز خان ، وبدأ ضررهم في بلاد الإسلام .	٣	١٢٢
٦١٧ هـ .	يقيم الفرنج في دمياط وسواحل سورية ، والملوك المسلمون غير العرب يتقاتلون .	٣	١٢٥
٦١٧ هـ .	خرّب جنكيز مدن خوارزم وغرقها بالماء	٣	١٢٧

السنة الهجرية :		المجلد	صفحة
	وقتل رجالها وعلماءها وخرّب جوامعها .		
٦١٨ هـ .	ذهب إخوان الملك الكامل من سورية (وكانوا ملوكها) إلى بلاد مصر لمحاربة الفرنج ، وقد عرضوا على الفرنج تسليمهم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه صلاح الدين . على أن يسلموا دمياط إلى المسلمين . فأبى الفرنج ذلك ، ففتحوا على جنود الفرنج ، ثغرة من النيل فأغرقوا الأراضي التي كانت معسكراً لهم ، فطلبوا الأمان .	٣	١٢٩
٦١٨ هـ .	توفي جلال الدين صاحب الألموت ومقدم الإسماعيلية .	٣	١٣١
٦١٩ هـ .	وقع قتال بين الملك عيسى صاحب دمشق وبين الملك الناصر صاحب حماه .	٣	١٣١
٦٢٠ هـ .	أرسل الملك الأشرف (من بني أيوب) عسكراً فهدموا قلعة اللاّذقية .	٣	١٣٣
٦٢٢ هـ .	نهب جلال الدين الخوارزمي أطراف بغداد ، وقاتل الملوك هناك .	٣	١٣٤
٦٢٣ هـ .	نازل جلال الدين ، خلاط مملكة الأشرف بن العادل .	٣	١٣٦
٦٢٤ هـ .	خاف الملك الكامل (ملك مصر) من أخيه الملك عيسى (صاحب دمشق) ، فكاتب امبراطور الفرنج ضد أخيه .	٣	١٣٨
٦٢٥ـ٦٢٧هـ	الأيوبيون يقاتلون بعضهم بعضاً .	٣	١٤١ـ١٤٦
٦٢٧ هـ .	يحارب الكرد والترك ، جلال الدين خوارزم .	٣	١٤٦

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
٦٢٨ هـ .	قتل التتر جلال الدين خوارزم ، واستولوا على جهات ديار بكر والجزيرة ، فقتلوا أهلها وخربوها .	٣	١٤٧
٦٣٠ هـ .	إشتدّ القتال بين بني أيوب .	٣	١٥٣
٦٣١ هـ .	وقع القتال بين الأيوبيين والملك كيقباز السلجوقي صاحب بلاد الروم بجانب خربوط ، وتقاعد العرب عن مساعدة الملك الكامل صاحب مصر ، لاعتقادهم أنه سيأخذ ملكهم ويعوضهم عنه ببلاد الروم .	٣	١٥٥
٦٣٢ هـ .	هاجم السلجوقيون حران والرّها واستولوا عليها .	٣	١٥٧
٦٣٣ هـ .	استرجع الملك الكامل حرّان والرّها .	٣	١٥٨
٦٣٥ هـ .	هاجم الكامل دمشق (وكانت بيد ملك أيوبي) فاستولى عليها بعد حرب ضروس ، وكان القتال متواصلاً في بلاد الشام بين ملوكها .	٣	١٦٠
٦٣٦ـ٦٣٧هـ	القتال والمؤامرات بين بني أيوب في بلاد الشام .	٣	١٦٣ـ١٦٤
٦٣٨هـ .	وقع قتال بين آل أيوب والخوارزمية في جهات حلب ، ونجح الخوارزمية فدخلوا حلب ، وأساءوا فيها كثيراً ، وفعلوا كذلك في منبج .	٣	١٦٧
٦٣٨ هـ .	نجح بنو أيوب وطردوا الخوارزمية ، وكان العرب يحاربون معهم .	٣	١٦٨
٦٣٨ هـ .	خاف الملك الصالح إسماعيل صاحب	٣	١٦٩

السنة الهجرية:		المجلد	صفحة
	دمشق من الملك الصالح أيوب صاحب مصر ، فسلم صفد ومدناً غيرها إلى الإفرنج ليساعدوه على صاحب مصر .		
٦٤٠ هـ .	كان الحرب متواصلاً بين الخوارزمية والأيوبية في سورية .	٣	١٧٢
٦٤٣ هـ .	حمي القتال بين الأيوبيين في سورية ، وبين هؤلاء والخوارزمية .	٣	١٧٤
٦٤٤ـ٦٤٥هـ	القتال مستمر بين الأيوبيين في سورية .	٣	١٧٥ـ١٧٧
٦٤٧ هـ .	وقع القتال بين صاحب الموصل وحلب .	٣	١٨١
٦٤٨ـ٦٥٠هـ	إشتدّ القتال بين بني أيوب في سورية ومصر .	٣	١٨٢ـ١٨٩

فيظهر من هذا الملخص للتاريخ أنّ هناك عدّة عوامل كانت مسببة لهجرة العلويين الرابعة ، وأهمّها :

١ ـ الضيق الذي مُنيت به أهالي العراق (وجبل سنجار وهو حدود العراق) من قبل الملوك غير العرب .

٢ ـ القتال المتواصل بين الملوك غير العرب في سورية ، وبين هؤلاء الفرنج .

٣ ـ هجوم الترك على العراق وسورية .

٤ ـ القتال بين الأتراك في العراق والأناضول .

٥ ـ وجود منطقة جبل سنجار ضمن المناطق الحربية .

٦ ـ حاجة ملوك سورية غير العرب إلى من يعاون بعضهم على بعض ، ومن يعاونهم على الفرنج ، فكانوا ينقلون الناس من قطر إلى آخر .

٧ ـ ضعف حالة الإسماعيلية ، بموت أمرائهم (في جبال العلويين) .

هذه هي أهم الأسباب التي دعت إلى هذه الهجرة ، وقد وجدت من الضروري بحثها ، لأن عشائر المتاورة والكلبية والحدادين في الجبل العلوي ، يهتمون بها لاعتقاد أكثرهم أنهم أبناء هذه الهجرة ، كما أن هذه الأسباب هي التي جعلت أسراً كثيرة ، كانت تقطن في أطراف الشام ، والعراق ترحل إلى الجبل العلوي بصورة متفرقة ، للإحتماء في مواقعه المنيعة ، وبأبناء طائفتهم الكثيرين هناك . كما أني رأيت من الضروري ذكر هذا التاريخ ليرى العرب أن هؤلاء الحكام الشعوبيين هم الذين أضعفوا البلاد ، فطمع بها الفرنج ، فنكبت بهم وبالفرنج معاً ، وليرى العلويون ، أنّ السيئات التي أصابتهم ، هي من غير أبناء عمهم العرب الذين كانت النكبة عليهم ، آنئذ أشدّ ، لأنهم كانوا أكثرية ، وكانوا أصحاب السلطان ، والعدو يقول بقطع الرأس أولاً .

الهجـرة الخامسة :

أما الهجرة الخامسة ، فكانت في سنة ١٣٠٥ م عندما أمر السلطان محمد بن قلاوون سلطان مصر «من سلاطين المماليك البحرية» رجاله في سورية ، بتسيير حملة عسكرية عظيمة ، إلى جبال كسروان في لبنان ، للمرة الثالثة ، لإبادة الطوائف الشيعية هناك ، إذ كانوا أصحاب البلاد آنئذ . فسيّر نائب دمشق جمال الدين آقش ٥٠ ألفاً من الجنود ، ثم لحق بهم ، وسار إلى هناك أيضاً ، سيف الدين استدمر نائب طرابلس ، وشمس الدين سنقرجاه المنصوري نائب صفد ، فقطعوا الكروم وخربوا البيوت وقتلوا الألوف ؛ وكان من الدروز عشرة آلاف محارب بقيادة عشرة من أمرائهم ، فكسروا في تلك المعركة ، واحتموا في غار غربي كسروان ، فأمر نائب دمشق آقش ببناء سدّ من الحجر والكلس على مدخل الغار فبناه جنوده ، وهالوا عليه التراب ، وجعل

الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة ٤٠ يوماً ، حتى هلكوا داخل الغار (عن كتاب الجامع المفصل للعلامة المطران دبس ص٢٢٢ ـ ٢٢٥ نقلاً عن ابن الحريري وابن سباط) .

ومن جملة من فتك بهم ، العرب النصيرية الذين كانوا في شمال لبنان ، ولا سيما في المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون ، وعكار والضنية ، ثم امتدوا إلى كسروان قبل سنة ١٣٠٥ م . وكانوا أشداء يساعدون إخوانهم في وادي التيم ومرج عيون .

إن الذين تخلصوا من الموت من هؤلاء ، رحلوا إلى الشمال ، أي إلى جهات اللاّذقية وأنطاكية ، واعتصموا في جبالهم ، وبقي قليل منهم في لبنان . (عن دواني القطوف ، للمؤرخ عيسى اسكندر المعلوف ص ١٥٨) أما المتاولة فقد تشتتوا في أطراف لبنان .

الهجرة السادسة :

وكانت الهجرة السادسة ، على أثر انتصار ياوز سلطان سليم التركي العثماني ، على الجيوش العربية ، التي كانت بقيادة السلطان الغوري سلطان مصر في مرج دابق سنة ٩٢٣ هـ ١٥١٦م ـ إذ إنّ كثيراً من الشيعيين ، الذين كانوا في حلب وأطرافها ، هربوا إلى جبال اللاّذقية ، لأن هذا السلطان قد فتك بمن تمكن منهم ، كما أن بعض الجنود الذين كانوا تجمعوا من العرب في مرج دابق ، وخاصة الذين رافقوا الغوري من مصر ، لجأوا إلى تلك الجبال ، وتكنوا بالمحارزة نسبة إلى بني محرز .

هذا ما يمكن أن يركن إليه ، في رحلات العلويين إلى جبال اللاّذقية ، وقد أصبحوا اليوم في جبالهم ينتسبون إلى عشائرهم ، التي سيأتي ذكرها ، ولكن ، رغم عروبتهم ، لا أظن أن كل عشيرة من بطن واحد ، كما يدّعي بعضهم ، وإني أعتقد أن بعض الخياطيين امتزج بالحدادين أو بغيرهم ، وبعض الحدّادين امتزج بالخياطيين أو بعشيرة

أخرى ، وهكذا كل العشائر ، وقد تناسى كل منهم عشيرته السابقة مع الزمن .

إن هؤلاء العرب الذين تجمعوا في جبال اللاّذقية ، قد شيدوا هناك كياناً عربي القومية ، نصيري المذهب ، فتمكنوا من ردّ غارات الحكام غير العرب عنهم عدّة أجيال ، ورغم ما لحقهم من الضغط والأذى ، ورغم عزلتهم التي أبقتهم جهلاء ، فإنهم حافظوا على طابعهم العربي ، ولغتهم العربية ، وإنك لتسمع في قرى تلك الجبال اليوم من يتكلم بالكلمات العربية الفصيحة .

وقد قال العلاّمة الجليل الأستاذ محمد كرد علي : «ما زالت إلى اليوم سحنات بعض سكان الأصقاع الشامية كحوران والبلقاء ، تنمّ عن أصول عربية صرفة ، على ما ترى ذلك ماثلاً في الطوائف التي احتفظت بأنسابها العربية ، ولم يدخلها دم جديد كسكان الشوف ، ووادي التيم ، وجبل حوران ، وجبال الكلبية ـ أي جبال اللاّذقية ـ وما طول القامات واتساع الصدور ، ومتانة العضلات ، والجملة العصبية ، والأدمغة في الجامعات ، كما في الأفراد ، إلاّ أدلة ناصعة على ما ورثه أبناء البلاد من الدّم العربي[1] . «خطط الشام ج ١ ص ٧١» .

---

(١) العلويون من هم وأين هم ـ منير الشريف ـ طبعة ثانية ـ طرابلس لبنان ١٩٩١ م ص ٥١ .

من هم العلويون
أصلهم ونشأتهم

العلويون هم فرقة من الشيعة الإمامية الجعفرية الإثنا عشرية ثمَّ نشأتهم هي نفسها نشأة الإمامية وليس صحيحاً ما زعمه صاحب «تاريخ العلويين» أنها اتخذت سبيلاً آخر بعد الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الحجة عجل الله تعالى فرجه بزعمه أنَّ لكل إمام باب وأنَّ أوّل باب هو سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالىٰ عنه لأنه باب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وأن آخر الأبواب هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري الذي يتولى[1] ـ حسب تاريخ العلويين ـ زعامة فريق من العلويين، ومن هنا ذهب بعض الدارسين إلى أن اسم «النصيرية» الذي عرف به العلويون في سورية وتركيا لفترة طويلة من الزمن إنما هو نسبة إليه ، وهو رئيسهم الأوّل من بعد انقضاء دور الأئمة الإثني عشر ﷺ ، والحق أن التسمية «النصيرية» جاءت نسبة إلى المكان الذي عاش فيه المضطهدون العلويون هرباً من ظلم العثمانيين الأتراك ، واتخذوا منه دريئة وملجأ ضد الأذى ، ومستقراً ومقاماً بعيداً عن الاضطهاد ، وهو جبل النصيرة فنسبوا إلى المكان .

---

(1) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ بيروت ـ دار الأندلس ص ٢٥٥ ط ١٩٧٩ م .

فلما زالت أسباب الاضطهاد بزوال الاستعمار وعاودهم الاستقرار والأمان في ظل الاستقلال استعادوا اسمهم الأصلي الذي به يعتزون ، وهو «العلويون» نسبة إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، أمّا لماذا سميت هذه الجبال بهذا الإسم ، فإنّ أصحاب هذا الرأي يقولون نسبة إلى جماعة جاءت لنجدة أبي عبيدة الجراح في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وقد كانت شيعية الولاء ، علوية الرأي حيث جاءت من المدينة وكان اسمها «نصرة» ثمّ سميت الجبال التي فتحوها ، وسكنوها باسمهم ، وقيل بأن تسمية النصيرية قد أتت من وادي النّصارى الذي يسكن معظمه حالياً من العلويين وهذا ضعيف لأن تركيب كلمة «نصارى» تختلف تماماً عن كلمة «نصرة» والبعض يزعم بأنها مشتقة من كلمة «أنصار» حيث إن الذين سكنوا هذه المناطق بعد فرارهم من الجور والظلم العثماني التركي هم أحفاد أولئك الذين نصروا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلنوا تشيعهم وولاءهم لأمير المؤمنين وسيّد الوصيين وابن عم خاتم النبيين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومنهم تشكلت هذه الطائفة حيث كان نواتها الأصحاب العظام سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمّار بن ياسر ، والأشتر النخعي ، ولمّا فتحت جهات بعلبك وحمص استمد أبو عبيدة بن الجراح نجدة فأتاه من العراق خالد بن الوليد ، ومن مصر عمرو بن العاص ، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين ، وهم ممن حضر بيعة غدير خُم ، وهم من الأنصار ، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين مجاهداً ، ولما وصلت هذه النجدة ، والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً فسميت هذه القوة الصغيرة «نصيرة» وإذا كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه فقد سميت الأراضي التي امتلكها جماعة النصيرة «جبل النصيرة» وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية «مصياف» المعروف الآن ثمّ

أصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكل جبال العلويين من جبل لبنان إلى أنطاكية والأنصار هم قحطانيون وأولهم أبو أيوب الأنصاري الذي ناخت ناقة النبي أمام بيته[1] ، ويمكننا القول إنّ العلويين الذين سكنوا هذه المنطقة كانوا هم أجداد العلويين في هذه الديار وكان ذلك في سنة «٢١٤» للهجرة حيث بنى جبلة بن الأيهم مدينة جبلة ثم غادرها ، والذين بقوا فيها وفي جبالها من حزبه اعتنقوا الإسلام واتحدوا مع الأنصار الذين سكنوا في جبال الحلو وهم قحطانيون أي من نسب أهل البلاد الأصليين ، وأصبح الكل علويين لأنهم كانوا ينفرون من المعارضين لعلي ﷺ بسبب حادثة جبلة بن الأيهم المعروفة ، وهكذا بدأ منشأ العلويين في هذه المنطقة ، والراجح أن عشيرة «الخياطيين» الموجودة اليوم هي التي ضمّت إليها العلويين القدماء ، وهم من الفاتحين الأنصار ومن بني غسان الذين اعتنقوا الإسلام في تلك الأيام ، وبقدر ما كان العلويون ضائقي الصدور بتسميتهم «بالنصيرية» كانوا سعداء كل السعادة باستعادة اسم «العلويين» فهم يرون أن إطلاق اسم «النصيرية» عليهم لم يكن إلّا بداعي العداوة المذهبية ، كإطلاق اسم «الروافض» على الإمامية واسم «النواصب» على السنّة[2] ، ويرى صاحب كتاب «تأريخ العلويين» أن رئاسة العلويين آلت إلى عبد الله بن محمّد الجنّان الجنبلاني ، نسبة إلى بلدة جنبلا في العراق العجمي ـ ونحن نوافقه في أنّ حزباً من العلويين ترأسه هذا الرجل وليس الجميع ـ نسبة إلى بلدة جنبلا في العراق العجمي ، وكان ذا علم وفلسفة وزهد وتصوف فأسس الطريقة الجنبلانية التي سعى من جانبه إلى إدخال كثير من الناس فيها بحيث أصبحت صفة «الجنبلانية» تعادل صفة «العلوية» ـ يلاحظ تخبط

---

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ طبعة ثالثة بيروت ـ دار الأندلس ١٩٧٩ م ص «٤٢» .

(٢) أنظر مقدمة الشيخ عبد الرحمن الخير للمصدر السابق .

الكـاتب في هذا المجـال فليس العلويـون جميعـاً جنبـلانيين في حقيقـة الحال والوجـدان ـ ومن هنا غلبت الصـوفية على المـذهب العلوي الذي أصبح منذ ذلك الحين يجمع بين ثلاث عقائد هامة هي التشيع والاعتزال والتصـوف الذي ازدادت جـذوره وتعمقت أفكاره عنـد الشاعـر المتجب العاني والأمير حسن «المعـروف بالمكـزون السنجاري» ومن جاء بعدهم من علمـاء ومشـايخ ، وفي مصـر التقى الحسين بن حمــدان الخصيبي بشيخه الجنبـلاني وتعلق بـه ، ودخـل في طـريقتـه ، ولمـا عـاد الجنبلاني إلى موطنه جنبلا تبعه تلميذه ، ورحـل في أثره ، واستقـر عند شيخـه عبد الله ولمـع شأنـه وذاع صيته ، ولما توفي الشيـخ الجنبـلاني سنة ـ ٢٨٧ هـ ـ نهض الشيخ الخصيبي بالعبء من بعده وخلفه في رئاسة الطريقة ثم تـرك جنبلا ورحـل إلى بغداد ، وبعـد فترة من الـزمن تركهـا متجهاً إلى حلب حيث الأمير المجاهد سيف الدولة الحمـداني رحمه الله وكان شيعياً إمامياً إثنا عشرياً فاستمدّ منه الشيخ القوّة والسنـد وقد لعب دوراً حاسماً وقوياً في تثبيت الدعوة الجعفـرية العلويـة ، وقد رفض فيمـا يروى الاتحاد مع الإسماعيلية ، وهاجر إلى بلاد خـراسان والـديلم وديار ربيعـة وتغلب ، وهو من علمـاء الإماميـة ومن أصحاب الأثـر في العقيدة الجعفـرية ، وقـد خلّف من الكتب : الهـدايـة الكبـرى ـ أسمـاء النبي ـ أسماء الأئمة ـ الإخوان ـ المائـدة ـ وكتاب «الهـداية الكبـرىٰ» من الكتب النفيســة ذات الأثر العميق في الفكـر العلوي الشيعي ، وقد أهـداه مؤلفه للأمير سيـف الدولة الحمداني الذي كانٍ معروفاً بعلويته وتشيعـه ، ونحن نـرجح أن الأيـدي قد لعبت في كتبـه الأُخرى وأضـافت إليها أو حـذفت منها ، فشوهت معالمها الأمر الذي جعل جانب الغلوّ يغلب عليها .

ومن الجـدير بـالذكـر أنه ألف أيضـاً لعضد الـدولة البـويهي كتابـاً بالفارسيـة أسماه «راست بـاش» أي «كن مستقيماً» ولـذلك فـإن العلويين كـانوا يـطلقـون على عضـد الـدولـة إسم «راست بـاش» . والحسين بن حمدان الخصيبي أحد أعلام القرن الثـالث هجري ، وكـان مؤدباً لسيف

الدولة الحمداني ، ومن أبرز العلماء الذين كان يعتمد عليهم في قضايا الدين والفلسفة ، وهو من مشائخ العلويين الكبار ، وكان دأب «الخصيبي» ووكلائه في الدين إرشاد بعض أفراد بقية الأديان إلى دين الإسلام ، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة جعفرية ، والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في «الطريقة الجنبلانية» وقد استحال بعض أفرادها اليوم إلى الشعب العلوي[1] . ومن هنا نعلم أنَّ دعوة الرجل الخالصة كانت إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام كما هو ظاهر في تأريخه ، وأقوال المؤرخين المعاصرين له كثيرة بين متحامل عليه وحاقد ، وبين محب ومخلص ، وبين ملتزم في الصمت ، منهم : النجاشي ، وابن الغضائري ، و«صاحب الخلاصة» من المتحاملين عليه ، وفي «الفهرست» لابن النديم : الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلاني[2] يكنى أبا عبد الله روى عنه «التلعكبري» وسمع منه في داره بالكوفة سنة ـ ٣٣٤ هـ ـ وله فيه إجازة ، وفي لسان الميزان : الحسين بن حمدان بن خصيب الخصيبي أحد المصنفين في فقه الإمامية ، روى عنه أبو العباس بن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه ، «كان سيف الدولة بن حمدان في حلب» وفي أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر السيد محسن الأمين العاملي ـ طيّب الله ثراه ـ ترجمة للخصيبي فيها مدح وثناء عليه ، وأنه من علماء الإمامية وكل ما نسب إليه من معاصريه وغيرهم لا أصل له ولا صحة ، وإنما كان طاهر السريرة ، والجيب وصحيح العقيدة . وأورد المرحوم السيد الأمين ـ قدس سره ـ أقوال العلماء فيه وردّ على المتحاملين ثمَّ قال : «لو صحّ ما زعموا وما ذهبوا إليه ونسبوه له لما كان الأمير سيف الدولة المعروف والمشهور بصحة عقيدته الإسلامية وولائه

---

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ ط ثالثة ١٩٧٩م بيروت دار الأندلس صفحة (٢٦٢) .

(٢) أنظر «العلويون والتشيع» للمؤلف الطبعة الأولى الدار الإسلامية بيروت ١٩٩٢ م ص (٥٩) .

للعترة الطاهرة وآل البيت عليهم السلام صلّى عليه وائتم به ، ومؤلفاته كثيرة ذكر منها المرحوم السيد الأمين عدداً وأورد أسماء من أتوا على ذكرها ، ومحّص الآراء والأقوال المتعددة في دقة وأمانة فصحّ له منها عشرة كتب منها : الهداية الكبرى ـ الإخوان ـ المسائل ـ الروضة ـ أقوال أصحاب الرسول وأخبارهم[1] ، ثم إنّ الطريقة الجنبلانية هي من كمال اليقين والإيمان ، وبالتالي ليست سوى معتقد صوفي كبقية المعتقدات الصوفية لدى أكثر المسلمين وهي من حيث الجوهر نظرة فلسفية صوفية إشراقية غايتها الأسمى هي البحث وبعمق عن العلل الحقيقية لما وراء الكون ، وعن الحقيقة الذاتية لواقع الأديان وبيان درجاتها ، وعن السرّ الحقيقي الذي يكمن في بعثة سيّد الخلق محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وكذلك البحث في حقيقة النبوّة وشروطها وأركانها ودلالاتها ، والإمامة وما قيل فيها ، وما هو الأصحّ في شروطها وهي تشبه إلى حد بعيد «علم الكلام» الذي نشأ وترعرع في العصر الذهبي للدولة العباسية ، والذي أبدع فيه الشيعة الإمامية ، والمعتزلة ، ومنهما أيضاً الكلام في مقامات ، ومعارف الأئمة عليهم السلام ، ولا يضر في إسلام العلوي ، وكذلك في جعفريته أن لا يفقه شيئاً عن هذه الطريقة بل هي عندهم كما أسلفنا من كمال الإيمان ، والمعرفة من أصحاب الإيمان الراسخ والحسّ المرهف ، وفي الأثر عن الإمام الباقر عليه السلام: «حديث آل محمد صعب مستصعب لا يفقهه إلاّ نبي مرسل أو ملك مقرّب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ومن الشعر المنسوب للإمام زين العابدين عليه السلام :

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدمني فيه أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

يا ربّ مكنون علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولا ستحلّ رجال صالحون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

---

(1) أعيان الشيعة ـ محسن الأمين العاملي ـ ج ٤ ص ٣٤٥ ـ رقم ٤١١٧ طبعة قديمة .

ولقد تناوب رئاسة العلويين بعد السيّد الخصيبي عدد من الرؤساء الذين لم يبلغوا شأوه أو ينالوا شهرته على رفعة شأنهم ، ومنهم : الشيخ محمد بن علي الجلي ، والشيخ أبو سعيد الميمون الطبراني رئيس الطريقة الجنبلانية في زمنه وكان مقرّه في اللاّذقية ومولده في مدينة طبرية - ٣٥٨ هـ - في فلسطين ، وله العديد من الكتب ، وقد توفي سنة - ٤٢٦ هـ - ويُعرف قبره باسم الشيخ محمّد الطبراني ويقع داخل المسجد المعروف بمسجد الشعراني باللاّذقية ، ومنهم : أبو حسن الطرسوسي الكبير وهو من أعاظم علويي كيلكيا التي كانت من العواصم في ذلك الدور، ومنهم أبو حسن الطوسي الصغير الذي كان منكباً على العبادة والرياضة وكان عابداً صائماً زاهداً ، ثمّ انتقلت الرئاسة إلى أسرة البلقيني منجبة العلماء وشيوخ الإسلام في مصر في القرون الوسيطة .

وقد استبد بالعلويين ظلم الأكراد وعسف الإسماعيلية حتى أجلوهم عن أرضهم ، وكان ذلك في نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجري ، وعند ذلك لم يجدوا بداً من أن يطلبوا العون والمدد من الأمير المهلبي النسب الفارس الشاعر ، وهو حسن بن يوسف بن خضر المعروف بالمكزون السنجاري ، وقد ورث الفروسية والأريحية من جده الأعلىٰ المهلّب بن أبي صفرة ، فهبّ لنجدتهم سنة - ٦١٧ هـ - لكن الخمسة والعشرين ألف فارس الذين قادهم من سنجار - وهو مقرّ إقامته الأولى - لم يستطيعوا التغلب على حشود خصومهم ، فعادوا أدراجهم وعلى رأسهم أميرهم إلى سنجار لكي يزدادوا عدّة وعتاداً واستعداداً، ولم يحل عام - ٦٢٠ هـ - إلاّ وكان المكزون يقود جيشاً مكوناً من خمسين ألف مقاتل متجهاً بهم إلى حيث تخلى عنه النصر قبل سنوات ثلاث ، وفي هذه المرّة كتب له الظفر بأعداء أبناء طائفته ، وأعاد الأرض إلى أصحابها ، ونظم شؤونهم وأمّن أحوالهم ، وبعد أن تم له ذلك ترك الإشتغال بالدنيا ، وجنح إلى التصوف والإجتهاد ، واشتغل بالشعر الصوفي ، ولما توفي سنة - ٦٣٨ هـ - ودفن بقرية كفرسوسة على مقربة

من دمشق ، ومن الحق أن نقرر هنا أن ستائر النسيان والإهمال ، وموجات التعذيب ، والإضطهاد ، وما يستتبع ذلك من آفات الجهل ، والتأخر والخوف قد فعلت فعلها في القوم ، فكان لكل ذلك أسبابه في عاداتهم ، وتقاليدهم ، بحيث انسحبت على بعض عقائدهم ، فكان الغلو والشطحات الصوفية في معتقداتهم ، ولم يكونوا على الأغلب السبب المباشر لها شارك في ذلك حياة مضطربة غير آمنة ، ومشايخ مرتزقون جاهلون لا يعلمون من صلب العقيدة والمذهب إلاَّ الطحلب والقشور ، وصوفية مشوشة غير منقاة لم يواكبها متابعة علمية ولا تطور ثقافي ، وكان من جراء ذلك الإنحرافات من غلوّ وحلول وتناسخ وعقائد نسبت إليهم بعضها صحيح والبعض مبالغ فيه ، فلقد تعرضوا للغزو من قبل الصليبيين وللمذابح من قبل السلطان سليم التركي ومن ثمَّ الإعتداء من قبل الإسماعيلية ، والمضايقة من قبل إخوانهم السنة ، وبالرغم من ذلك كله فقد كانوا أصحاب نخوة وفروسيّة في الحرب في صفوف جيوش سيف الدولة الحمداني فقد كان من أهم الدول العلوية في التاريخ الدولة الحمدانية في الموصل ٢٩٣ ـ ٣٦٨ هـ ـ وفي حلب ٢٣٢ ـ ٣٩٣ هـ ـ وكان أعظم أركانها سيف الدولة الحمداني أمير حلب حيث دافع عن الثغور الإسلامية ضد الروم دفاعاً عظيماً وجريئاً ناجحاً ، كما كان له في ميادين خدمة العلم والأدب والشعر والفن مآثر كثيرة ، وحسبنا ما نجده عن هذه الدولة في شعر المتنبي فمليكها المجاهد في سبيل الله لا يفعل ما يقول لولا خير الإسلام ورفع راية التوحيد ومن ذلك قول المتنبي لسيف الدولة عندما هزم ملك الروم في موقعة حدث الحمراء الشهيرة :

ولست مليكاً هازماً لنظيره	ولكنَّك التوحيد للشرك هازم
هنيئاً لضرب السيف والهام والعلى	وراجيك والإسلام إنك سالم
ولم لا يقي الرَّحمن حدَّيك ما وقى	وتفليقه هام العدا بك دائم

وقد خاض العلويون المعارك الباسلة ضد الصليبيين في صفوف

إخوانهم من أبناء عامة المذاهب الإسلامية ، وقاوموا بعض طغاة الأتراك من الحكام الغاشمين ، وكانوا صورة طيبة للجهاد على مسرى حركات الإستقلال العربية الحديثة التي كان آخرها أحداث ١٩٢٠ م - في سورية وثورة الجبال العلوية والساحل بقيادة المرحوم الثائر المجاهد الشيخ صالح العلي - طيب الله ثراه - . وقد انشق عن العلويين منذ وقت مبكر وعن الجنبلانية الخصيبية فريق يدعى «الإسحاقية» ومن حيث النشأة يحملون إسم أبي يعقوب إسحاق بن محمّد النخعي صاحب الإمام الحسن العسكري عليه السلام - فيما يزعم - ويُعرف «بإسحاق الأحمر» لأنه كان أبرص ويخفي لون برصه بصبغة حمراء ، وادّعى أنّه الباب للإمام العسكري عليه السلام فاتبعه بعض الناس وآمنوا به باباً وسمّوا «الإسحاقية» وقد ذكر أنه وجماعته كانوا يؤلهون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويزعمون أنه ظهر في الحسن ثم في الحسين عليه السلام وأنّه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد حاول أن يثبت مذهبه في قلوب أتباعه فألف كتاباً سمّاه «الصراط» وجعل موضوعه التوحيد أكثر فيه من الإنحراف والخلط والزيغ والضلال[1] وقد توفي سنة - ٢٨٩ هـ - ومن أشهر خلفائه إسماعيل بن خلّاد البعلبكي ، ولكن لم يقدّر لنشاط هذه الجماعة أن يمتدّ طويلاً ، وما لبث أن كشف أمرهم الأمير المجاهد المكزون الحسن السنجاري فقضى عليهم وأحرق كتبهم بعد أن جمع علماء الإسحاقية والذهبية - وهم من الغلاة - فناظرهم وغلبهم ثم أمر بقتلهم وجمع كتبهم وأحرقها .

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٨٠ - تاريخ العلويين ٣٥٩ - البداية والنهاية ١١/٨٢ - لسان الميزان ١/٣٧٠ .

ما هي عقيدة العلويين

العلويون من حيث جمهرتهم والمستنيرين منهم هم شيعة جعفرية إمامية إثنا عشرية وهم يؤدون الفرائض صلاة وصوماً وزكاة وحجاً في ظلال الإيمان والإسلام كما ينبغي وكما أمر الله في القرآن الكريم والسنة المطهّرة الثابتة من حديث رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين الإثني عشر عليهم السلام الذين أولهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وآخرهم هو محمد بن الحسن الحجة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه من غير تحريف أو تغيير أو تبديل وإن كنّا لا ننكر على الإطلاق وجود بعض الشطحات من الغلوّ الناجم من العزلة مئات السنين في الكهوف والجبال بعيداً عن المدارس والعلم والعلماء والفقه والحديث النبوي وذلك جرّاء الظلم والتشريد والملاحقة لاسيما في زمن المماليك والأتراك العثمانيين ، أضف إلى كل ذلك السريّة التي فرضها فريق من مشائخهم على العقيدة فأضحوا فريسة للإنطواء والإنعزال وقصور المعرفة بالرغم من لقب «المشيخة» التي يتمتع بها بعضهم بين جمهور البسطاء ، ولقد قسّم بعض الباحثين المعاصرين العلويين إلى فريقين : فريق الغلاة ، وفريق المعتدلين وإذا كنا نؤمن بانّ الغلاة هم جزء من الحقيقة الواقعة إلّا أنهم قلة لا تسمح الظروف الموضوعية أن نعتبرهم فريقاً كبيراً من الجمهرة العلوية ونحن نعتقد بأن الأمور سريعة التبدل وأن المخلصين

من أبناء المذهب يبذلون من الجهود منذ أكثر من نصف قرن في سبيل التصحيح والإصلاح وفي سبيل إعادة المنحرفين إلى الهدي السوي والأصل الطيب ممّا يبشر بالخير الكثير ، على أنني أسجل هنا أنّ الجهل كان ولمّا يزل سبباً لانتشار الغلوّ الذي بدوره يؤدي إلى الإنحراف ، والشذوذ ، وكان المنافقون قديماً وأعداء الإسلام ، ثمّ حديثاً المستعمرون الذين يباركون التفرقة والإنحراف والتشتيت ، ولقد كان من حصاد ذلك في نطاق بعض العشائر أن ادّعى الألوهية بينهم شخص اسمه سلمان المرشد وآمنوا به ، وكان سلمان هذا ذكياً ممخرقاً مثّل الدور تمثيلاً جيداً فقد روي أنه كان يلبس ثياباً تحتوي أزراراً كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار ، فإذا أوصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخرُّ له أنصاره ساجدين ، ومن الطريف المضحك المبكي أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين ويخاطب سلمان بقوله «يا إلٰهي» وقد اتخذ سلمان المرشد رسولاً اسمه سلمان الميدة كان يشتغل جمّالاً عند أحد المزارعين في حمص ، ومن الصدف والطرافة أن سلمان المرشد مدّعي الألوهية كان راعي أبقار وقد اختلفت العشائر بصدد سلمان المرشد هذا لكن أكثرهم سخروا منه ، وأمّا المواخسة فقد إنقسمت قسمين ، قسماً اتبعه وآخر ظل على حاله من السير على العقيدة العلوية الشيعية .

ومن هوان الدنيا على الله أن بعض البناوية وأنصارهم من المواخسة ظلوا مخلصين لسلمان المرشد ، فبعد أن قتل ألٰهوا ابنه «مجيب» وبالرغم من أن «مجيب» قُتل هو الآخر فإنهم لا يزالون فيما يروى يؤلهونه ولا يزال أولاد سلمان المرشد يتمتعون ببعض النفوذ عند بعض العوام أو أصحاب النفوس الضعيفة الذين لا يزالون يرتاعون فرقاً كلما ذكروا ما أوقعه سلمان بالذين عصوا أوامره ولم ينصاعوا لدعوته من قتل ونهب وتعذيب في ظل الحكم الفرنسي ، ولقد كابد العلويون الكثير

من المتاعب الوجدانية والنفسية نتيجة لتصرفات فئات الغلاة الذين نالوا بغلوهم فعلاً وقولاً من جلال وجمال المذهب الذي هو في أصله إمامي جعفري شيعي ويرى المرحوم الشيخ عبد الرّحمٰن الخير في مقدّمته على كتاب «تأريخ العلويين» أن العلويين لم يفترقوا عن الشيعة الإمامية ، وليسوا غيرهم ، وكل علوي يحفظ ويعتقد ويشهد مؤمناً بالآية الكريمة : ﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩] وقول الحق سبحانه : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ٨٥] ولا يعوّل على ما يرى في بعض مصنفات علماء العلويين القديمة ممّا يتنافى ومحض اعتقادهم بتوحيد الله وذلك بسبب ما دسته يد الإرجاف والإجحاف في حقول مؤلفاتهم من تهم يعرف الجميع أنها من مخلفات العصور الحالكة التي مرّت بهم ، وكذلك بسبب مولدات غلاة الشيعة الذين أتاحت لهم ظلمات تلك الأجيال أن يجوسوا خلال ديارهم ويملؤوها بدعاً وأضاليل[1] . وقد يسمح لنا ببعض العذر للفئات العامية الجاهلة إذا ما غلب على تفكيرها الغلوّ طالما أنه وجد من وجهاء المسلمين من أمثال ابن أبي الحديد المعتزلي الذي يقول في الإمام علي عليه السلام :

صفاتك أسماء وذاتك جوهر	بريء المعالي من صفات الجواهر
يجلّ عن الأعراض والأين والمتى	ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

ويزداد شططاً وغلوّاً فيقول :

تقيلت أفعال الربوبية التي	عذرت بها من شكّ أنّك مربوب

وقول عبد الباقي العمري :

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يخمد ناراً مؤصده

---

(١) أنظر النبأ اليقين عن العلويين ـ للشيخ محمود الصالح مؤسسة البلاغ بيروت ط ثانية ١٩٨٧ م ص ٥٨ .

قلت لا أقدم في مدح امرىء ... ضلّ ذو اللّب إلى أن عبده

والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده

وضع اللّه بظهري يده ... فأحسّ القلب أن قد برده

وعليّ واضع أقدامه ... في محل وضع اللّه يده

وقول العمري أيضاً :

يا أبا الأوصياء أنت لطه ... صهره وابن عمّه وأخوه

إن للّه في معانيك سرّاً ... أكثر العالمين ما عرفوه

أنت ثاني الآباء في منتهى ... الدور وآباؤه تعدّ بنوه

خلق اللّه آدم من تراب ... فهو ابن له وأنت أبوه

وقول العمري كذلك :

أنت العليّ الذي فوق العُلا رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وُضعا

وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا

وأنت أنت الذي حطت له قدم ... في موضع يده الرّحمن قد وضعا

وأنت أنت الذي آثاره مسحت ... هام الأثير فابدى رأسه الصلعا

وباب خيبر لو كانت مسامره ... كلّ الثوابت حتى القطب لانقلعا

وجسّم من خطورة المسألة وتعقيداتها وجود فئة من المشايخ استسلمت للجهل وتعصبت له ، وحاربت العلم ، وأصرّت على أن العلم يتنافى مع الدين الأمر الذي جعل العلامة المصلح المرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر يؤلف قبل حوالي ربع قرن من الزمن كتاباً في الإيمان بالله وبالعلم أسماه «ما بعد القمر» حمل فيه العلّامة الشيخ على جهلة المشائخ ، واستنكر آراءهم التي تزعم بأن العلم يتنافى مع الدين ويقول رحمه الله : «وقد أتحير حتى الدهش في محاربة هذه الإكتشافات الجديدة وما في تكذيبها الذي يعطي صاحبه لقب الكاذب المغفّل[1]

(١) ما بعد القمر ـ الشيخ أحمد محمد حيدر ـ دار الشمال ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ص ٣٢ .

أنستطيع بذلك أن نوقف ركب الحضارة ، أو نقضي على سنة التطور ؟ ألا نكون آنذاك موضع المثل «مغفل وينافس» . فمحاربة هذه الإكتشافات ليست جهلاً علمياً فحسب ، بل هي جهل الإنسان بنفسه ، فالإنسان برأي الجميع ، صورة مصغرة عن جميع المكونات ، محسوسها ومعقولها وكثيفها ولطيفها ولكنها صورة غامضة التركيب دقيقة الصنع ، والمكونات بأجمعها صورة مكبرة لهذا الإنسان ، في تركيبه البدني ، وهذه الصورة دقيقة الصنع غامضة التركيب أيضاً . وبهذا كان الإنسان مخلوقاً على صورة الله وبه كان خليفة الله ـ ويستطرد ويمضي مُستشهداً بآيات كثيرة من الكتاب العزيز إلى القول : «لا تصبح العبادة فضيلة سامية إلاّ بالعلم ، وإن ركعة من عالم خير من ألف ركعة من زاهد ، فمن زعم أنّ العلم يتنافى مع الدين فقد رضي من العلم مبلغ الرعاع وحصة الأعمى من الشعاع» انتهى . ولم تكتفِ هذه الفئة من المشائخ بإنكار العلم ، وإنّما تفننت في التحايل إلى محاربة التعليم بين الناس وتشجيع الجهل يقول العلاّمة المصلح الشيخ أحمد حيدر : «وقد كُنا نحرّم عليهم «العوام» تعلم اللغة العربية وحتى القراءة في أي كتاب إن لم يكن مخطوطاً» ـ ويستطرد قائلاً : وأعرف قرية من قرانا حسب لها منجم بأن كل ولد يتعلم بها القراءة يموت ، فلم يتجاسر بها أب أن يعلم ابنه فن القراءة حتى جاءها بعض الشيوخ فتزكى من عدة رجال بها تعليم أولادهم فزكوه بأن يعلموا أولادهم فن القراءة مضحين بأولادهم ، خوفاً من أن يردوا طلب الشيخ فيقعوا تحت عقاب أمرّ من التضحية ـ ثمّ يتأسف رحمه الله على الشباب المثقف المحروم من التعرف على دينه وبذلك كانت الطامة بأن نشأ شباب منكر للدين جاحد لقيمه ومقاصده فيقول : «والمؤسف القاتل أن الشباب المثقف قلما أعطى من وقته شيئاً لفهم شيء من كتاب أو سنة» ، وقد ابتلوا منّا «أي من بعض المشايخ» بمن لا يعلم إلاّ أن العلم نسف الدين نسفاً حتى لم يبق منه ولم يذر ، فحينئذٍ صار كالمتيقن أن الدين خرافة ، وزاده تيقناً بظنه هذا إفتاء بعضنا

بأن العلم يتنافى مع الدين»[1] .

إنه في يقظة الجهل وغيبة الدين بفعل الظروف الصعبة والإرث الثقيل من أوزار التاريخ وأحماله من ظلم واضطهاد وغلوّ وجهل . أقول في ظل ذلك الجوّ الموبوء لم يكن الجاهل العلوي يجد كبير غضاضة في أن يذكر أنه ينتمي إلى دين آخر وإليك الدليل فقد وقعت حادثة من هذا القبيل على صعيد القضاء فكانت بمثابة المنبّه الذي هزّ وجدان العلماء هزّة عنيفة ، فكانت هذه الواقعة بمثابة البركان الذي جعل الأرض تهتزّ تحت أقدام المخلصين وعلى الأثر تدبروا الأمر وأخذوا يعملون على إعادة العامة إلى نهج الإيمان وتتلخص القصّة التي رواها المرحوم الأمير الشريف عبد الله الفضل الحسيني العلوي في كتابه : «تحت راية لا إله إلّا الله» في أنّ رجلاً سنياً فقيراً رفع دعوة نفقة على أخويه العلويين الموسرين ، فقد كان أبوه ـ وهو علوي ـ تزوج بامرأتين إحداهما سنية والثانية علوية ، فنشأ ابنه من الزوجة السنيّة سنياً . ونشأ ابناه من الزوجة العلوية علويين . وفي أول الأمر حكمت المحكمة بحق الأخ السني في الحصول على نفقة من أخويه العلويين ، وهنا اعترض الأخوان على الحكم بحجة اختلاف الدين وأنهما ليسا بمسلمين ، ودلل المحامي الذي كان يتولى الدفاع عنهما ـ وهو علوي ـ على هذا الدفع بأسلوب شيطاني الأمر الذي جعل المحكمة تعود فتحكم برفض النفقة لاختلاف الدين . هنا ثارت ثائرة العلماء العلويين ، واعترضوا على كل الإدعاءات التي تصورهم بعيدين عن الإسلام ، وأعلنوا براءتهم من كل ما يخالف العقيدة الإسلامية في بيان أصدروه في ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

---

(١) ما بعد القمر ـ الشيخ أحمد محمد حيدر ـ صفحة ـ ٣٣١ ـ .

العلويون شيعة أهل البيت

صدر في اللاذقية عام ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م حيث دعت الجمعية الخيرية الجعفرية الإسلامية وهي ثقل العلويين الديني في سوريا أخواتها الجمعيات الأخر في سوريا مع نخبة طيبة من علماء الطائفة ، وأفاضلها إلى الاجتماع وكان السبب للاجتماع في ذلك الوقت فيما أحسب :

١ ـ الإرجاف الذي قام به بعض المحاربين من المدّعين للإسلام والتدين في سوريا حيث كُفّر العلويون وكيلت لهم بعض التهم من كونهم مرتدين وغير مسلمين عدواً بغير حق بسبب مطامع سياسية هزيلة وتنفيذاً لمخطط استعماري صهيوني جهنمي لتمزيق كلمة المسلمين وإشغالهم عن قضيتهم الكبرى فلسطين .

٢ ـ بعض المطبوعات والمنشورات التي ظهرت في تلك الأيام في بيروت ـ لبنان بشكل خاص من قبل بعض المشبوهين والإقليميين والمتزمتين الذي أبت عليهم ضمائرهم إلاّ السير في تمزيق كلمة المسلمين وإشعال الفتن في صفوفهم لإضعافهم وإنهاك قواهم وتثبيط عزيمتهم . والبيان المذكور يركز على ثلاث حقائق أساسية :

الأولى : إن هذا البيان هو اقتفاء للسلف الصالح والسير على نهجه القويم والإعلان بما يدين العلويون به ربّهم في سرّهم وعلانيتهم ، على

أن هذا العمل لا يشكل جديداً بالنسبة إليهم ولكنه يجدد إقامة الحجة وإيضاح المحجة وتبيان ما هم عليه مثاله مثال تأكيدهم في صلواتهم اليومية حيث يجددون العهد مع الله ورسوله وأهل بيته ﷺ خمس مرّات على الأقل في اليوم .

الثانية : إن العلويين ليسوا إلاّ شيعة جعفرية إمامية ، منهم من ينتسب إلى سيّد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام بالولاء وآخرون يرتفعون بانتمائهم إلى الولاية والنسب فهم كبقية الشيعة في الالتزام الحقّ بالإسلام الحنيف والولاء الخالص لأهل بيت الوصي عليهم الصلاة والسلام .

الثالثة : إن كلمتي (العلويون) و (الشيعة) هما اسمان مترادفان متماثلان لمسمّى ومعنى واحد ذي حقيقة واحدة لا تتجزأ ومن هنا أمكن القول بأن كل شيعي هو في الواقع علوي المعتقد وكل علوي هو جعفري المذهب . ولأهمية هذا البيان التاريخي ولأنه عمل في نظرنا من الأهمية المذهبية بمكان كبير ونظراً لما تضمنه من بيان سديد ورأي صريح رأينا أن ندرجه في كتابنا هذا بتمامه وعلى الله قصد السبيل .

العلويون شيعة أهل البيت

نصّ البيان : ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ [سورة إبراهيم ؛ الآية : ٥٢] قرآن كريم .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه ، نستعين به ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه ، والصّلاة والسلام على محمد بن عبد الله سيّد النبيين وخاتم المرسلين ، وأزكى سلامه على سادتنا الأئمة الهداة المهديين الذين أذهب الله عنه الرّجس وطهّرهم تطهيراً . أما بعد : فإن أكثر ما يفرق بين الناس جهلهم بحقيقة بعضهم البعض واتباعهم لما تزين لهم أهوائهم واعتمادهم في التحدث عن سواهم على الأقاويل دون تمحيص

أو تثبيت . وهذا الجهل المفرق بين الناس أعطى تأثيره السيء في الماضي والحاضر :

١ ـ في الماضي : جعل الناس يتراشقون بالتهم إبان التخاصم السياسي ، فكان كل فريق يسجل على الآخر ما يتهمه به في دينه ودنياه .

٢ ـ في الحاضر : لا يزال المتزمتون والمغرضون يتناقلون التهم المسجلة في الماضي على أنها حقائق تاريخية ، ويروجها أعداء العرب والمسلمين من يهود وغيرهم ، حتى لتكاد تقطع كل صلة رحم دينية ، إن لم تكن قطعتها . والعرب والمسلمون اليوم ـ في محنتهم السياسية ، وفي يقظتهم الحاضرة ـ مدعوون أكثر من أي وقت مضى إلى تمحيص تلك التهم ونبذها ،وهم مدعوون إلى التسامح الإسلامي في الخلافات حول الفروع ، وإلى الأخذ بما يقرّه العقل والدين ، لا بما يتقوله أو يسجله الجهلاء والمغرضون . ومصلحة جماعات العرب والمسلمين في هذا الظرف تقتضي من عقلاء كل جماعة اليقظة والحذر من التشنيع على الغير بما عند جماعتها مثله أو شبيه به . ولا يخلو أي مجتمع من انحرافات دخيلة ، صار بسببها عرضة للتشهير والتحامل . والمصلحة كل المصلحة في المبادرة إلى إصلاحها والتخلص منها ، بدلاً من الاستمرار في التشهير بأخطاء الآخرين والتنديد بها . ولقد كان مجتمعنا ، نحن المسلمين العلويين ، مستهدفاً لأقسىٰ أنواع التشنيع في الماضي . ولا تزال النفوس المريضة تنبش في الماضي ، وتردّد ما يختلقه أعداء الإسلام والعروبة ، لا يردعها دين ولا يثنيها كتاب ولا خلق . وإنا لنحذر ـ والعدو حولنا يتربص بنا ويكيد ، والأمم بلغت الأجواء ـ من التحامل والتنديد . والله سبحانه أوعد المشنعين بأشد العذاب : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [سورة النور ، الآية : ١٩] ، وإلى السادرين في الإختلاق والتشهير نتوجه بقوله سبحانه : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما

قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾ [سورة الأحزاب ؛ الآية : ٦٩] . وما من خطة للإصلاح أجدى من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة : **﴿إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** [سورة النحل ؛ الآية: ١٢٥]. وما من سبيل للقاء أجدى من النشر والاطلاع والتمحيص ، فتزول حجج المفترين وذرائع المغرضين وانطلاقاً من هذه المفاهيم القوية ، وحفاظاً على الأخوة الإسلامية ، وحرصاً على الحقيقة أن تشوهها النفوس السقيمة ، كان لعلمائنا مواقف نبيلة في مناسبات اختلقها الأجنبي للتفريق بين أبناء الأمة الواحدة . ونحن نقتصر هنا على غيض من فيضها ، على سبيل الإشارة والتذكير لا على سبيل الإحصاء والحصر :

(أ) في بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد السورية ، وإحداثه «دولة العلويين المستقلة» قام الأجنبي بمحاولة لئيمة ، كما فعل بالمغرب العربي ، حيث أثار هناك قضية الظهير المغربي المشهورة ، محاولاً فصل البربر عن العرب ، بأن يحكم البربر حسب أعرافهم وعاداتهم ، لا بموجب الشريعة الإسلامية ، وكذلك أراد أن يكون للمحاكم المذهبية العلوية هنا تشريع خاص ، مباين للتشريع الإسلامي . وقد رفض ذلك قضاتنا العلويون وأعلنوا بإصرار وقوَّة أنهم مسلمون ، وتشريعهم إسلامي جعفري : فتراجع الأجنبي ، وحكم قضاتنا في الزواج والطلاق وغيرهما بمقتضى مذهبنا الإسلامي الجعفري . لا زيادة بذلك ولا نقصان . وبهذا أفسدوا على الأجنبي خطته ، التي كان يرمي بها إلى إبعاد هذه المنطقة عامة ، والمسلمين (العلويين) خاصّة ، عن حظيرة العروبة والإسلام ، ليوطد فيها حكمه وينفذ غاياته .

(ب) وفي سنة ١٩٣٦ نشر علماؤنا في كراس قراراً من بندين :

البند الأوّل :

«كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين ، ويقيم أركان

الإسلام الخمسة» .

البند الثاني :

«كل علوي لا يعترف بإسلاميته ، أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبيه ، لا يعد في نظر الشرع علوياً ، ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين» وقد أردفوا هذا بمذكرة إضافية عن عروبتهم ودينهم جاء فيها بالحرف : «إن العلويين شيعة مسلمون ، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم من قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم» ، وجاء فيها : «إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي ، وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصهره ووصيه ، وأول من آمن بالإسلام ، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلامي مكانه ، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين» ، وجاء فيها : «وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علياً عليه السلام ، فوق صعيد الفرات» .

(جـ) وفي مناسبة أخرى أثارها الأجنبي أيضاً سنة ١٩٣٨ ، وقع علماؤنا (في ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ) جواباً عن سؤال قدم إليهم ، ونكتفي من الجواب بهذه العبارات ننقلها بالحرف : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩] ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ٨٥] ، «وإن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) هذه هي عقيدتنا نحن العلويين وفي هذا كفاية لقوم يعقلون» .

(د) وفي المناسبة ذاتها أصدر علامة الشعب الشيخ سليمان أحمد الفتوى التالية ، وقد وقعها العلّامتان صالح ناصر الحكيم والشيخ

عيد ديب الخير . ﴿قولوا آمنا بالله ـ آمنا بالله﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ١٣٦] رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد بن عبد الله رسولاً ونبياً ، وبأمير المؤمنين علي إماماً . برئت من كل دين يخالف دين الإسلام . أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله . هذا ما يقوله كل علوي لفظاً واعتقاداً، ويؤمن به تقليداً أو اجتهاداً» . وقد جمع أكثر ما كتب في هذه المناسبة في كتيب عنوانه. : «تحت راية لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» أصدره صاحب السيادة والفضيلة ذو الشرف المشرق العلاّمة الشريف عبد الله آل الفضل أعزّه الله . وطبع في مطبعة الإرشاد باللاّذقية عام ١٣٥٧ هـ .

(هـ)وأخيراً نسجل الفتوى التالية التي كان قد أصدرها العلاّمة الشيخ سليمان أحمد ، منذ ما يزيد على خمسين عاماً ، بمناسبة اختلاف إخوانه المشايخ الأجلاء حول جواز الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها . وهذه الفتوى هي خاصة بالعلويين ولا تقية بينهم ، وهي لا تدع مجالاً للريب في تمسكهم بالمذهب الجعفري وفيها تنبيه من أخذ منهم بالتقية إلى العودة إلى الأصل . وهذا نص الفتوى : «ليس لدى العلويين مذهب مستقل للعبادات والأحكام المبنية على معرفة الحلال والحرام ، والمعاملات كالمواريث وغيرها . وذلك اعتماداً منهم على المذهب الإمامي الجعفري ، الذي هو الأصل ، وهم فرع منه . فرجوعهم إليه في أصول الفقه وفروعه هو الواجب الحق الذي لا مندوحة عنه ، وهو لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وذكرها» . «وهذه الصلة ، وإن تكن انقطعت (بواسطة السياحة) من مئات السنين حتى انتبه إليها في عصرنا هذا ، فقد بقيت من هذه الفروع مسائل يتوارثها الخلف عن السلف تقليداً لاجتهاد سابق . وقد أدركت في عصري من المشايخ الأجلاّء من جمع البنت وعمتها والبنت وخالتها أيضاً» «أما الإخوان الذين ينكرون ذلك فلا يرجعون فيه إلى أصل يعتمدون عليه ، إلاّ ما حكمت عليهم به التقية ، إذ أخذوا الإرث وآداب الشريعة (أخيراً) عن أهل السنة ، بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة من أئمتهم حسبما يسمح به التأويل» ، «وبما

أننا نعتقد أن أئمتنا هم هداتنا وقادتنا وسبلنا إلى الله ، وهم لا يفارقون الكتاب ولا يفترقون عنه ، فيجب علينا الأخذ بحجزهم وترك أقوال من خالفهم من الفقهاء ، كائناً من كان . هذا ما أراه وأقول به وأعتقده . والسلام على من عرف الحق وأهله ، وكان لله قوله وفعله ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم» وخلال عام ١٩٥٢ م استصدر علماؤنا مرسوماً تشريعياً رقم ٣ في ٥٣/٦/١٥ وقراراً من مفتي الجمهورية السورية رقم ٨ في ١٩٥٢/٢٧/٩ م بعد مناظرات ومناقشات طويلة مع سماحة المفتي العام ، ومراجعات استمرت ٢٠ يوماً في دمشق . وقد تألفت بموجب هذا المرسوم لجنة من أفاضل علمائنا قامت بفحص من تقدم إليها من شيوخ جعفريين في سوريا ، وأجازت بعضهم وسمحت لهم بارتداء الكسوة الدينية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي رقم ٣٣ . ونحن اليوم حرصاً منا على تمتين الصلات بإخواننا في الدين والوطن ، ووقايةً لهم من الانخداع بما يدسه أعداء العروبة والإسلام ، ويرجف به المفترون والحاقدون من شائعات تفرق وتهدم بما توقظ من فتن ، وموقظ الفتن معروف نصيبه من الله ورسوله . وتنفيذاً لما يمليه علينا روح الدين الإسلامي من واجب «البلاغ المبين» .

والتزاماً بما كان عليه أئمتنا الأطهار من غيرة على تبليغ رسالة النبي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبما عليه فقهاؤها الذين يتتبعون خطى الأئمة المعصومين في الغيرة على دين الإسلام وتوحيد كلمة بنيه . عملاً بهذه الأهداف الإنسانية الإلهية . وانسجاماً مع ما سبق لسلفنا الصالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمة بإعلان الحقيقة وإزالة كل إبهام وإيهام . واستجابة لتوصية أصحاب الفضيلة علمائنا الذى اجتماعهم التاريخي في ١٣٩٢/٨/٢٤ هـ بتتبع خطى أعلامنا وثقاتنا . وبناءً على رغبتهم بمد بحرهم السائغ شرابه بما هو مغترف منه :

كالبحر يمطره السحاب ... وماله فضل عليه لأنه من مائه .

وإيذاناً بإشراق فجر اليقين ماحياً بنوره سدفات الأباطيل . وإظهاراً

للحق والحقيقة ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسنا ، وإعلاءً لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، وقربةً إليه تعالى ، ونفعاً للمؤمنين من خلقه .

فقد عمدنا إلى اقتفاء أثرنا الصالح ، وترجيع ما ارتفعت به أصواتهم ؛ وتحديد ما سجلته أقلامهم موجزاً مما ندين الله به في سرنا، وعلانيتنا ، ونحن بعلمنا هذا لا نضيف جديداً إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنه تجديد لإقامة الحجة وإيضاح المحجة ، وتأكيد لما كنّا ونكون عليه ، كما نؤكد في صلواتنا يومياً تجديد العهد مع الله ورسوله ، فنشهد مراتٍ (تسعاً على الأقل) أن لا إلـه إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ﷺ . وحكمة الله بالغة في إلزام المؤمنين بتجديد العهد مع الله كل يوم عدداً من المرات . والله وحده نسأل أن يكون علمنا هذا قبساً يضيء إلى نوره كل جاهل أو مشكِّك، وهدياً تطمئن إليه كل نفس .

عقيدتنا



الدين :

نعتقد أنه ما شرعه الله سبحانه لعباده على لسان رسول من رسله . وآخر الأديان الإلٰهية وأكملها هو الإسلام : **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** [سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩] **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** [سورة آل عمران ؛ الآية : ٨٥] .

الإسلام :

هو الإقرار بالشهادتين : «أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله» والإلتزام بما جاء به النبي ﷺ من عند الله .

الإيمان :

هو الاعتقاد الصادق بوجود الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله مع الإقرار بالشهادتين .

أصول الدين :

نعتقد أن أُصول الدين خمسة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد ويجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد .

التوحيد :

نعتقد بوجوب وجود إله واحد لا شريك له ، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيءٌ ، خالق للكائنات كليها وجزئيها ، **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** [سورة الشورىٰ ؛ الآية : ٦٢] . وهو كما أخبر عن نفسه بقوله تعالىٰ : **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾** [سورة التوحيد] .

العدل :

نعتقد بأن الله تعالىٰ عدل منزه عن الظلم **﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾** [سورة الكهف ؛ الآية : ٤٩] ولا يحب الظالمين ، وأنه تعالىٰ ، إثباتاً لعدله **﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾** [سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٦] ولا يأمر الناس إلاَّ بما فيه صلاحهم ، ولا ينهاهم إلاَّ عما فيه فسادهم **﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾** [سورة فصلت ؛ الآية : ٤٦] .

النبوة :

نعتقد بأن الله سبحانه ، لطفاً منه بعباده ، اصطفى منهم رسلاً وأمدَّهم بالمعاجز الخارقة وميزهم بالأخلاق العالية ، وأرسلهم إلى الناس **﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾** [سورة النساء ؛ الآية : ١٦٥] لتبليغ رسالاته ، حتى يرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم ، ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة **﴿وما نرسل المرسلين إلاَّ مبشرين ومنذرين﴾** [سورة الأنعام ؛ الآية : ٤٨] والأنبياء كثيرون وقد ذكر

منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيّاً ورسولاً ، أولهم أبونا آدم وخاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وهو نبي ورسول أرسله الله للعالمين كافة بشيراً ونذيراً ، وشريعته السمحة آخر الشرائع الإلٰهية وأكملها ؛ وهي صالحة لكل زمان ومكان . ونعتقد أن الله عصم الأنبياء من السهو والنسيان وارتكاب الذنوب عمداً وخطأً قبل النبوة وبعدها ، وجعلهم أفضل أهل عصورهم وأجمعهم للصفات الحميدة .

الإمامة :

نعتقد أنها منصب إلٰهي اقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة . ونعتقد أن اللّطف الإلٰهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع والصريح ﴿**وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾ [سورة القصص ؛ الآية : ١٨] وأن يكون الإمام معصوماً مثل النبيّ عن السّهو والذنب والخطأ لكي يطمئن المؤمنون بالدين إلى الاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله ، والأئمة عندنا إثنا عشر ، نص عليهم النبي وأكد السابق منهم النص على إمامة اللّاحق ، ونعتقد أن الإمام الذي نص عليه تعالىٰ وبلّغ عنه الرسول الأمين في أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عبد الله وأخو رسوله وسيد الخلق بعده . وجاء النص بعده لابنيه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وبعدهما للتسعة من ولد الحسين : الإمام زين العابدين ، علي بن الحسين ، فابنه الإمام الباقر محمد بن علي ، فابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد ، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر ، فابنه الإمام الرضا علي بن موسى ، فابنه الإمام الجواد محمد بن علي ، فابنه الإمام الهادي علي بن محمد ، فابنه الإمام الحسن بن علي الملقب بالعسكري ، فابنه الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الحجة المهدي ، عجل الله به فرج المؤمنين ، وسيظهره الله في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

المعـــاد :

نعتقــد أن الله سبحـانــه يبعث النــاس أحيــاء بعــد المــوت للحســاب﴿وأن الساعـة آتية لا ريب فيهـا وأن الله يبعث من في القبور﴾ [سورة الحج ؛ الآية : ٧] ، فيجزى المحسن بإحسانـه والمسيء بإساءته . ﴿ليجـزي الذين أسـاؤوا بما عملوا ويجـزي الذين أحسنـوا بـالحسنى﴾ [سورة النجم ؛ الآية : ٣١] ، ﴿يـومئذٍ يصـدر الناس أشتـاتاً ليـروا أعمالهم فمن يعمـل مثقال ذرة خيـراً يره ومن يعمـل مثقال ذرة شـراً يره﴾ [سـورة الزلزلة ؛ الأيتان : ٦ ـ ٧] . وكما نؤمن بالمعاد فإننا نؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم والحـديث الصحيح من أخبـار البعث والنشور والحشـر ، والجنـة والنار ، والعـذاب والنعيم ، والصراط والميـزان ، وما إلى ذلـك ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنـا الرسـول فاكتبنـا مع الشـاهدين﴾ [سـورة آل عمران ؛ الآية : ٥٣] .

أدلة التشريع عندنا أربعة

١ ـ القرآن الكريم

نعتقـد أن المصحف الشريف المتـداول بين أيـدي المسلمين هـو كلام الله تعالىٰ لا تحريف ولا تبديل ﴿وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يـديـه ولا من خلفـه تنـزيـل من حكيم حميـد﴾ [سـورة فصّلت ؛ الأيتان : ٤١ ـ ٤٢] .

٢ ـ السنة النبوية :

وهي عنـدنـا مـا ثبت عن النبي من قـول وفعـل وتقـريـر . وهي المصدر الثاني للتشريع . ونعتقد أن من أنكر حكماً من أحكامهـا الثابتـة فهو كافر مثل من أنكـر حكماً من أحكـام القرآن ، لأن السنـة النبويـة لا تتعـارض مع الكتـاب الكريم إطـلاقـاً . ويلحق بهم مـا ثبت عن الأئمـة الطاهرين قولاً وفعلاً وتقريراً .

٣ ـ الإجماع :

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين ، وفيهم الإمام المعصوم ، فهو دليل قطعي ، ولو خفي مستنده من الكتاب والسنة ، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما .

٤ ـ العقل :

الدليل العقلي حجة إذا وقع في سلسلة العلل أو كان من المستقلات العقلية . ويقتصر استعمال الدليل العقلي في الفقه عندنا على المجتهد ، وهو من حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية . والمرجع المقلد عندنا هو : «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه» كما ورد عن صاحب الزمان عجل الله فرجه .

فروع الدين :

نعتقد أنها كثيرة ، وكنا نؤثر أن نكتفي بذكر بعضها رغبة في الإيجاز ، محيلين المتطلع إلى المعرفة ، والمرجف ، والجاهل ، والمتعنت ، إلى كتب علمائنا المبثوثة في المكاتب فهي تفصل عقائدنا بوضوح ، ولكننا ، انسياقاً مع خطتنا التي رسمناها في هذا البيان ، رأينا أن نتعرض لذكر بعضها بكثير من الإيجاز ، وخصوصاً العبادات منها :

الصَّلاة :

نعتقد أنها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [سورة النساء ؛ الآية : ١٠٣] . وأنها عمود الدين ، وأهم العبادات التي فرضها الله تعالىٰ على عباده ، وأحب الأعمال إليه (إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردّت ردّ ما سواها) . ونعتقد أن الصلوات المفروضة يومياً خمس : الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ومجموع ركعاتها سبع عشرة

ركعة ، تقصر الرباعية منها إلى النصف في حالات السفر والخوف . ونعتقد أن الصلوات الواجبة : صلاة الجمعة والعيدين مع استكمال شروطها ، وصلاة الطواف الواجب ، وصلاة الميت ووو . . . . . الخ . كما نعتقد أن من الصلوات المستحبة النوافل أو السنن ، ومجموع ركعاتها أربع وثلاثون ركعة في الأوقات الخمسة ، وتعرف عندنا بالرواتب اليومية ، ويجوز الاقتصار على بعضها كما يجوز تركها جميعاً . ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبات ، وبعدم العقوبة على ترك فعلها .

الأذان والإقامة :

نعتقد باستحبابهما قبل الدخول في الصّلاة ، وفصول الأذان عندنا ثمانية عشر فصلاً ، وفصول الإقامة سبعة عشر . أما الشهادة لعلي عليه السلام بالولاية فنعتقد استحباب ذكرها فيهما بعد الشهادة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة ، كما نعتقد أن عدم ذكرها لا يؤثر في صحة إقامتها .

الصوم :

نعتقد أنه من أركان الدين الإسلامي ، ويجب على كل مكلف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٣] وهو شرعاً الإمساك عن المفطرات من أول الفجر الصادق إلى المغرب الشرعي مع نية القربة . ويجب في شهر رمضان وفي موارد أخرى مذكورة في كتب الفقه .

الزكاة :

نعتقد أنها من الأركان التي بني عليها الإسلام ، ولها شرائط عديدة مذكورة في كُتب الفقه ، وتجب في النقدين : الذهب والفضة ، والأنعام الثلاثة : الإبل والبقر والغنم ، والغلات الأربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وتستحب في موارد أخرى .

الخمس :

نعتقد بأنّه حق واجب فرضه الله بقوله تعالىٰ : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه﴾ [سورة الأنفال ؛ الآية : ٤١] .

الحج :

نعتقد بأنه واجب لقوله تعالىٰ : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ٩٧] ويجب على كل مسلم بالغ عاقل ، ذكراً كان أم أنثى ، مرة واحدة في العمر ، بشرط الإستطاعة وتخلية السرب : «أي الأمن على النفس والمال والعرض» .

الجهاد :

نعتقد بأنه من أركان ديننا ، ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام ، ووجوبه كفائي . ويجب أيضاً من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال ووجوبه عيني على كل من يستطيع أن يقدم نفعاً .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

نعتقد أنهما من فروع الدين . ونعتقد أن الله أمر بكل خير وسمّاه معروفاً ، أمر إيجاب أو ندب . ونهى عن كل شر وسمّاه منكراً ، نهي تحريم أو كراهة ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٤] .

الولاء والبراء :

ومعناهما المحبّة لله ولأنبيائه وللأئمّة الطاهرين ، والبراءة من أعداء الله . أما بقية فروع الدين ، ومنها الزواج والطلاق ، والخلع والظهار والإيلاء ، ومنها أحكام كالديات والقصاص والكفارات ، ومنها معاملات كالبيع والشراء والضمان والمزارعة والمساقاة وسواها . فإننا نعمل بها

وفق نصوص مذهبنا الجعفري ، دون خلاف ، مستندين إلى مراجعه الكثيرة وأهمها : للفقهاء المجتهدين : الكتب الأربعة : الكافي للكليني ، والتهذيب والاستبصار للطوسي ، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ، وللمقلدين (بكسر اللّام) الرسائل العملية وهي فتاوي الفقهاء المراجع .

الخاتمة :

هذه هي معتقداتنا نحن المسلمين (العلويين) ومذهبنا هو المذهب الجعفري الذي هو مذهب من عرفوا بالعلويين والشيعة معاً ، وإن التسمية : (الشيعي والعلوي) تشير إلى مدلول واحد وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإثنا عشرية . وإننا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين ، وأن يجد فيه القريب والبعيد والمنصف والمتحامل ، منهلاً عذباً ومرجعاً مقنعاً . وإننا لنعتبر كل من ينسب إلينا أو يتقول علينا بما يغاير ما ورد في هذا البيان مفترياً أو مدفوعاً بقوى غير منظورة يهمّها أن تتفرق كلمة المسلمين فتضعف شوكتهم ، أو جاهلاً ظالماً لنفسه وللحقيقة . ولا قيمة لقول أحدهما عند العقلاء المتقين . هذا بياننا ينطق علينا بالحق ، وللمطلع عليه أن يحكم بما شاء ، وعليه التبعة أمام الله والدين والوطن . ومن الله وحده نستمد العون ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمة نبينا محمد ﷺ وصلاحها في دينها ودنياها بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البرّ والتقوى وعلى جهاد أعدائها المتربصين الشرّ بنا جميعاً دون استثناء . والحمد لله أولاً وآخراً ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم .

ونذكر هنا بعض أسماء وعناوين أصحاب الفضيلة رجال الدين موقعي هذا البيان من المسلمين العلويين في الجمهوريتين العربية السورية واللبنانية :

١ ـ الشيخ حسين سعود ـ حلبكو ـ جبلة .

٢ ـ الشيخ إبراهيم الكامل ـ طرابلس ـ لبنان .

٣ ـ الشيخ حبيب صالح معروف ـ حمص .

٤ ـ الشيخ سلمان الوقاف ـ الدريكيش .

٥ ـ الشيخ سليمان عيسى مصطفى ـ حريصون .

٦ ـ الشيخ عبد الرّحمن الخير ـ دمشق .

٧ ـ الشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهج ـ صافيتا .

٨ ـ الشيخ علي عبد الله الصفصافه ـ صافيتا .

٩ ـ الشيخ أحمد محمد رمضان ـ كرم غيزل ـ صافيتا .

١٠ ـ الشيخ عبد الكريم علي حسن ـ حمين ـ طرطوس .

١١ ـ الشيخ عبد الله عابدين ـ الحفّة ـ اللاّذقية .

١٢ ـ الشيخ كامل حاتم ـ مشقيتا ـ اللاّذقية .

١٣ ـ الشيخ محمود صالح عمران ـ حمص .

١٤ ـ الشيخ علي محمود منصور ـ طرابلس ـ لبنان .

١٥ ـ الشيخ محمود مرهج ـ بحنين ـ طرطوس .

١٦ ـ الشيخ محمد علي أحمد ـ القرداحة .

١٧ ـ الشيخ محمود الصالح ـ بانياس .

١٨ ـ الشيخ يوسف إبراهيم اليونس ـ صافيتا .

١٩ ـ الشيخ حيدر محمد حيدر ـ الحصنان ـ جبلة .

٢٠ ـ الشيخ أحمد علي حلّوم ـ الشبطلية ـ اللاّذقية .

٢١ ـ الشيخ حمدان الخيّر ـ القرداحة .

٢٢ ـ الشيخ رجب سعيد خليل ـ اللاّذقية .

٢٣ ـ الشيخ صالح علي صالح ـ عين التينة ـ الحفّة .

٢٤ ـ الشيخ أحمد عيد الخيّر ـ اللاّذقية .

٢٥ ـ الشيخ عبد الهادي حيدر ـ مصياف .

٢٦ ـ الشيخ عباس ميهوب حرفوش ـ بانياس .

٢٧ ـ الشيخ حامد عامودي الطرابلسي ـ حمص .

٢٨ ـ الشيخ عبد اللطيف شعبان ـ كفرفو ـ صافيتا .

٢٩ ـ الشيخ فضل غزال ـ الحفّة ـ اللاّذقية .

٣٠ ـ الشيخ كامل صالح معروف ـ الشيخ ديب ـ صافيتا .

٣١ ـ الشيخ الدكتور علي سليمان الأحمد ـ اللاّذقية .

٣٢ ـ الشيخ يوسف غانم الخطيب ـ طرابلس ـ لبنان .

٣٣ ـ الشيخ محمود سليمان الخطيب جيبول ـ جبلة .

٣٤ ـ الشيخ محمد حامد ـ طرطوس .

٣٥ ـ الشيخ نصر الدين زيفا ـ الإسكندرون .

٣٦ ـ الشيخ مصطفى السيّد بعمرة ـ صافيتا .

العلويون والطريقة الجنبلانية «الخصيبية»

أحدثها في الشيعة العلويين رجل يدعى «أبو محمد عبد الله الجنبلاني المعروف بالجنان» ويعتقد بعض العلويين أنه من رجال التصوف والمعرفة وعلم الباطن الذي لا يفقهه إلّا القليل من الرجال وهو من رؤسائهم الكبار ، ومن أعلم أهل عصره في التصوف وكان يقيم في العراق العجمي في بلدة «جنبلا» ومن هنا فقد اشتهر بالفارسي ، وقيل إنّه سافر إلى مصر ، وهناك اجتمع بأحد أقطاب الشيعة وعلمائهم الكبار وهو «الحسين بن حمدان الخصيبي فأدخله في طريقته الصوفية ، وقد ذهبا معاً إلى «جنبلا» حيث درس عليه علوم التصوف والفلسفة وعلم النجوم والهيئة وبقية العلوم العصرية يقول الأستاذ محمد أمين غالب الطويل في كتابه «تاريخ العلويين» :

ظهر في تلك الأيام الرجل العظيم العلويّ المصري السيّد الحسين بن حمدان الخصيبي ، ونفخ في العلويين تلك الروح العالية ، فرفعتهم من حضيض الأسر والهوان إلى الإستقلال والحاكمية . وقبل الحسين بن حمدان الخصيبي المصري ظهر الرجل العلوي المعروف «أبو القاسم جنيد بن محمّد بن جنيد الخزار القواريري» واشتهر بالزهد والعبادة والتقوى ، ومنشأه من بلاد الفرس من نهاوند ، تلقى الجنيد

العلوم عن أبي الثور المصاحب للإمام الشافعي وولد في بغداد فصار يسمى البغدادي ، وتوفي سنة ٢٩٧ هـ في بغداد ودفن بجانب خاله «السر السقطي» وكان معاصراً للسيّد محمد الجنبلاني المذكور قبلاً . والجنبلانيون والهالتيون فرعان من أصل واحد ـ ثمّ يستطرد الطويل فيقول[1] : «كان الجنبلاني فريد العصر الثالث للهجرة في الفلسفة والفقه والعلوم العصرية ، وأشهر معاصريه في عبادته وزهده وتقواه تولد في سنة ٢٣٥ هـ وتوفي في سنة ٢٨٧ هـ . بعد وفاة الجنبلاني اجتهد بعض العلويين في توحيد الإسماعيلية والعلوية ، وعقدوا لذلك اجتماعاً دينياً عظيماً حضره أعاظم العلماء وجاء إليه من كل مدينة من مدن بغداد وعانة وحلب واللاذقية ، وجبل النصيرة ، رجلان بصفة ممثلين واجتمعوا في عانة ، ولم تكن نتيجة هذا الإجتماع إلاّ ازدياد التفرق والخلاف ـ بعد وفاة الجنبلاني ترك الخصيبي مدينة جنبلا الفارسيّة ، وقصد العراق ، وكانت أعظم أعماله الدينية في بغداد ، وهو الذي رفض الإسماعيلية ، وقد ساح في كل بلاد العلويين ، ومنها بلاد خراسان والديلم ورجع لبني ربيعة وتغلب ، ثم توطن في حلب عند سيف الدولة ، وهو يدير الشؤون الدينية بين العلويين . سكن الخصيبي حلباً وهو يدير شؤون حزبه ، واستقلت حكومات العلويين في أيامه ، وكانت كلها تحت أمره الديني . كانت ولادته سنة وفاة حسن العسكري أي ٢٦٠ هـ ـ وتوفي وعمره ٨٦ في سنة ٣٤٦ هجرية في حلب . وقبره في شمالي حلب وهو معروف باسم «الشيخ يابراق» وهو يُزار إلى الآن . كان للخصيبي وكلاء في العراق والشام ، وكان له تلاميذ من الملوك والأمراء ، وهم بنو بويه وبنو حمدان والفاطميون ، وكلهم اكتسبوا العلوم الدينية والعقائد من شيخهم الأعظم المشار إليه ، وكانوا يسمونه «شيخ الدين» . وبعد الخصيبي نشأ للدين مركزان بين

---

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ دار الأندلس ـ طبعة ثالثة ١٩٧٩ م ص ٢٥٨ .

العلويين : الأول والأعظم كان في حلب ويرأسه «السيّد محمد بن علي الجليّ» وكان خليفة للسيد الحسين بن حمدان المصري ، والثاني في بغداد يرأسه «السيد علي الجسري» ناظر جسورة بغداد، وقد انقرض مركز بغداد في وقعة هولاكو المشهورة ، وبعد السيد الجليّ انتقل مركز حلب إلى اللاذقية ، وكان يرأسه «السيد أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني» كان للخصيبي وكلاء من أرباب السياسة ، عدا عن وكلاء الأمور الدينية ، وأرباب السياسة هم ، ناصح الدولة ـ صفي الدولة ، معز الدولة ، ناصر الدولة ، مجد الدولة ، هلال الدولة ، عضد الدولة ، كريم الدولة ، راشد الدولة ، سيف الدولة ، ناهض الدولة ، عصمة الدولة ، أمين الدولة ، سعد الدولة ، صلاح الدولة ، ذخر الدولة ، كنز الدولة صاحب تكريتا . وعندما كان عند بني بويه ، ألف كتاباً وأهداه لتلميذه عضد الدوة وسمّاه «راست باش» أي بمعنى «كن مستقيماً» فلذلك كان العلويون يسمون عضد الدولة بهذا الإسم : أي «راست باش الديلمي» أي الذي دعاه الخصيبي للاستقامة . وعندما كان في حلب ، ألف كتاب «الهداية الكبرى» وأهداه لسيف الدولة ابن حمدان حاكم حلب ، وله مؤلفات لو لم تلعب بها أيدي الجهل والسفه لكانت من أعظم أمهات الكُتب الدينية ، والأخلاقية ، وكتابه «الهداية الكبرى» يثبت ذلك بل إنه يعتبر من أمهات الكُتب الشيعية في القرن الثالث الهجري ، وكان السيد علي الجسري في بغداد وكيل السيد الخصيبي في الرياسة الدينية ، وقد حج هذا السيّد عشرين مرّة ، وهو ناظر الجسور في بغداد وممثل مركز العلويين في الكرخ ، كما كان «السيّد محمد بن علي الجليّ وكيلاً في حلب» وقد حجّ السيّد محمد مرتين قبل بلوغه ، وبعد بلوغه كان يحج كل عام حتى وفاته . واشترك في الجهاد مع حزبه ، ووقع أسيراً ، ثمَّ بيع لأحد المسيحيين في عكّا وفيها اهتدى المسيحي المذكور على يديه إلى دين الإسلام . وممّن انشق عن العلويين «الإسحاقية» وهم غلاة ورئيسهم «إسحاق الأحمر» الذي زاد بعض العقائد الفاسدة في المذهب ، ثمَّ خلفه «همام الأعسر» ثم «اللقيني» ثمَّ «الحقيني» ثمَّ أبو

ذهيبة «إسماعيل بن خلّاد البعلبكي» الذي بقيت عقيدته حتى مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري إلى جهات اللّاذقية ، إذ جمع كتب «الإسحاقية» وحرقها ، وقضى على عقيدتهم قضاء تاماً في منطقة العلويين[1] ، ثمَّ جاء السيّد أبو سعيد الميمون سرور بن القاسم الطبراني شيخ الديانة العلوية ورئيس الطريقة الجنبلانية واتخذ اللّاذقية مركزاً له ، واتخذ أبو ذهيبة «إسماعيل بن خلّاد البعلبكي» جبلة مركزاً له ، وكان الطبراني «أبو سعيد سرور بن قاسم» معروفاً بالفقر والتقوى ، وكان إسماعيل بن خلّاد معروفاً بالثروة ، ولمّا كان السيد الخصيبي متخذاً حلباً مسكناً له ، وكان السيّد الجلي خلفاً له ، والسيد أبو سعيد خلفاً للسيّد الجليّ ، وقد أصبح أبو سعيد أعظم مرجع «للخصيبيين الجنبلانيين» في زمنه . ولد السيد أبو سعيد ، واسمه سرور ولقبه الميمون في بلدة طبرية سنة ٣٥٨ هـ ـ وهو معروف باسم الطبراني ، ثمَّ سافر لحلب وسكن فيها عند السيد الخصيبي ، وصنف كتباً عديدة أشهرها «مجموعة الأعياد» . وقد أجبرت الحروب المتوالية حول حلب أبا سعيد على مغادرة البلد ، والهجرة إلى اللّاذقية للسكن بها وذلك في سنة ٤٢٣ هـ ، وفي سنة ٤٢٦ توفي السيد أبو سعيد سرور بن قاسم الطبراني في اللّاذقية ، وقبره كائن بين المرفأ وتربة العلوي المشهور «بأبي علي الشيخ محمد اليطرني» ، وكان السيد أبو سعيد قد حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، ولم تكن في أيامه حكومة قوية منتظمة في «جبال النصيرة» بل كان في الجبل إمارات عديدة ، وكان لكل واحدة قلعة تحميها من جيرانها ، ولم تكن آنذاك بين هذه الإمارات عشائر واختلاف مذهبي بل كان «الطبراني» رئيساً دينياً ومرجعاً مذهبياً للجميع ، وبعده لم يرأس أحد . استقل كل شيخ في جهة ، لأن العلويين كانوا تحت حماية بني حمدان في حلب ، وبعد بني حمدان التغلبيين احتل الروم بلاد العلويين في حمص ، ولم يبق للعلويين سلطة إلّا في مصر ، وكان رؤساؤهم الدينيون من أسرة

---

(١) أنظر تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ صفحة ـ ٢٦٢ ـ .

«البلقيني» المشهورة ، ورئيس أسرة البلقيني في مصر كان الرئيس الديني الوحيد للعلويين ، وقد بعث جهاد هؤلاء الأعاظم وإرشادهم روحاً قوية في العلويين دفعتهم إلى إعلان استقلالهم وإظهار مجدهم المعروف . على أنَّ الحسين بن حمدان الخصيبي وهو أحد أعلام القرن الثالث الهجري عند الشيعة كان مؤدِّباً لسيف دولة بني حمدان ، ومن أبرز العلماء الذين كان يعتمد عليهم في قضايا الدين والفلسفة ، وهو من مشايخ العلويين الكبار ، وكان قد خلف الجنبلاني في رئاسة مشيخة الطريقة وكان دأب الخصيبي ووكلائه في الدين إرشاد بعض أفراد بقية الأديان إلى دين الإسلام ، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة جعفرية إثني عشرية ، والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في الطريقة «الجنبلانية» التي استحال أفرادها في يومنا هذا للشعب العلوي»[1] .

من هنا نعلم أنَّ دعوة الرجل الخالصة كانت إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام كما هو ظاهر في تاريخه ، وأن الطريقة الجنبلانية هي من كمال اليقين والإيمان ، وبالتالي فهي ليست سوى معتقد صوفي كبقية المعتقدات الصوفية لدى أكثر فرق المسلمين ، ولكن الملاحظ أيضاً خطأ صاحب «تاريخ العلويين» في قوله : «استحال أفراد الطريقة في يومنا هذا للشعب العلوي» والسؤال الذي يطرح نفسه هنا في المقام هو : هل أنَّ كل الشعب العلوي اليوم من النخبة ، ومن سوية أهل الكفاءة العارفين ، وأهل الزهد المتصوفين ؟ الواقع يقول : كلا فإنهم مسلمون عاديون وجعفريو المذهب ، وقلة منهم قليلة لا تكاد تُعرف هي المتمسكة بالطريقة إن وجدت . . ثمَّ إن هذه الطريقة هي من حيث الجوهر وكما أسلفنا هي نظرة فلسفية صوفية إشراقية غايتها الأسمى هي البحث ويعمق عن العلل الحقيقية لما وراء الكون ، وعن الحقيقة الذاتية لواقع الأديان وبيان درجاتها ، وعن السِّر الحقيقي الذي يكمن في بعثة

---

(١) تاريخ العلويين ـ صفحة ـ ٢٦١ ـ .

سيّد الخلق محمّد رسول الله ﷺ ، وكذلك البحث في حقيقة النبوة وشروطها وأركانها ودلالاتها ، والإمامة وما قيل فيها وما هو الأصحّ في حقيقتها كل ذلك تبحث فيه هذه الطريقة بشكل علمي متين ، وطريقة فلسفية رائعة لا يشعر بلذتها سوى من جاس تلك الديار ، وفي ذلك ما يشابه إلى حد ما علم الكلام الذي نشأ وترعرع في العصر الذهبي للدولة العباسية ، والذي برز فيه وأبدع الشيعة الإمامية ، والمعتزلة ويتبع فيما ذكرنا عينا الكلام في مقامات ومعارف وإشراقات أهل بيت العصمة والوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا يضرّ في إسلام العلوي وكذلك في جعفريته أن لا يفقه شيئاً عن هذه الطريقة بل هي عندهم من عمق الإيمان والمعرفة التي قد لا يتقبلها إلاّ القليل ممن وهبوا حسّاً دقيقاً وإيماناً راسخاً ومعرفة عميقة ، وقد قال الإمام الباقر عليه السلام : «حديثنا آل محمد صعب مستصعب لا يفقهه إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان» .

العلويون والعقيدة
في الإمـام المعصوم

والعلويون يعتقدون أن كلمـة الإمام مختصـة ومقتصرة على الأئمـة الإثني عشر من أهل بيت النبوّة الذين أولهم وأفضلهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة محمد بن الحسن القائم عجل الله فرج المسلمين بظهوره المبارك يـوم يظهـر فيملأ الـدنيا قسـطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجـوراً ، وهم عندهم يمتازون على بقية البشر، من حيث مزاياهم ، وصفاتهم ، ومراتبهم الروحية والدليل من السنـة الشريفـة قول النبي محمـد صلى الله عليه وآله وسلم «الأئمّة إثنا عشر من قـريش من ذرية ابنتي فـاطمـة أولهم علي بن أبي طـالب وآخرهم المهـدي» وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم : «أهل بيتي فيكم كسفينـة نـوح من ركبهـا نجا ومن تخلّف عنهـا غـرق وهـوى» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا مدينة العلم وعليّ بابهـا» وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : «أنت مني بمنـزلـة هـارون من مـوسى إلاّ أنـه لا نبـيّ من بـعـدي» وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «علي مـع الحق والحق مـع علي يـدور معـه كيفمـا دار» وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «علمـاء أمتي كـأنبيـاء بني إسـرائيـل» وقـولـه صلى الله عليه وآله وسلم يـوم الغـدير : «من كنت مـولاه فهذا عليٌ مـولاه اللّهُمَّ وال من والاه وعادِ من عـاداه وانصر من نصـره واخـذل من خـذلـه وأدر الحق معـه كيفمـا دار» والأئمّـة عندهم يمتـازون على بقية البشـر من حيث مـزايـاهم وصفـاتهم

ومراتبهم الروحية ، والدليل من كتاب الله قول الحق سبحانه : ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [سورة فاطر ؛ الآية : ٢٨] وقوله جلّ جلاله : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [سورة المجادلة ؛ الآية : ١١] ويرون أن كلمة العلم الكاملة المعنى مختصة بأهل البيت عليهم السلام ، والآيتان في هذا المجرى لا ينطق مفهومهما على شيء في الكون ـ عند العلويين ـ مصداقاً سوى على أهل البيت من الأئمة الأطهار عليهم السلام ، ولقد كان من أشهر ألقاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام «العالم» ثمّ هم عندهم معصومون منزهون بل إنّ العصمة محصورة فيهم لأن الخطايا رجس وقد قال تعالىٰ عنهم : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣] فإنّ كلمة إنّما عند العرب تفيد الحصر ، وعليه فهم مصدر الإرادة الإلٰهية في أقوالهم وأفعالهم وقد ورد في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية : «أمّا بعد يا معاوية فنحن صنائع الله في خلقه والخلق من بعد صنائع لنا» وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة يس ؛ الآية : ١٢] . وعلى هذا يكون الإمام عارفاً بعلوم الأولين والآخرين ، ويقول في هذا المقام صاحب كتاب «الحيرات» الشيخ العلامة أحمد حيدر : «وبجمع الجمع ـ الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله ـ ولكنه أعلى مقامات محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمّى بالحقيقة المحمدية ، ولذلك كان خلقه القرآن ، ولما كان القرآن بإطلاقه وكلام الله في أول ظهوره لا تقوم لسماعه السماء ولا السماوات ، ولا الأرض ولا الأرضيات أنزله الله عن إطلاق مقامه مع بقائه به ، وحجبه بحجب التعينات العقلية البسيطة ، فصارت العقول بفعلياتها ووجوداتها مصاديق لها ، ثمّ أنزله وحجبه بحجب التعينات الطبيعية فصارت التعينات الطبيعية مصاديق له ثمّ أنزله إلى أنزل مراتب الوجود وألبسه لباس الأصوات والحروف والكتابة حتى تطيقه الآذان والأبصار البشرية ، فصارت الحروف مصاديق له ، ولكون جميع

مراتب الوجود مصاديق للقرآن صار تبياناً لكل شيء **﴿لا رطب ولا يابس﴾** [سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٩] إلاّ كان فيه **﴿لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾** [سورة الكهف ؛ الآية : ٤٩] ثمَّ يستطرد المؤلف رحمه الله قائلاً : «وعرفت أنَّ لهذا الجوهر الذي هو العقل الأول[1] أسماء مختلفة متعددة بتعدد أفعاله فيسمى بالروح الأعظم لأنه أعظم المكونات وروحها . وبالعقل ، لأنَّ الله به عقل وعرف وبالقلم ، لأن الله كتب به المكونات في اللوح المحفوظ «النفس الكلية» ويسمى بالحقيقة المحمدية لأنه هو روح محمّد وغير ذلك من الأسماء قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أول ما خلق الله نوري» وأما علومهم عليهم السلام فقد فاقت طاقة البشر العاديين وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عند تلاوته قوله سبحانه : **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾** [سورة النمل ؛ الآية : ٤٠]قال[2] : ففرّج الصادق بين أصابعه ووضعها على صدره وقال : «وعندنا والله علم الكتاب كله» وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «عندي علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب ، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي فما غاب عني ما كان قبلي ، ولا ما كان بعدي»[3] وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «سلوني قبل أن تفقدوني فأنا نمط الحجاز وأنا عيبة علم رسول الله» ، وقال : «سلوني فوالذي نفس محمد بيده لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم» ، ثمَّ قال : «ولو شئت لأخبرت كلاً منكم بمدخله ومخرجه - إلى قوله - «ولكن أخاف أن تكفروا بي وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وإني مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه»[4] . وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «نحن الأعراف نعرف أنصارنا

---

(١) الحيرات - الشيخ أحمد محمد حيدر - دار الشمال طرابلس ١٩٩١ - ص ٦٣ طبعة ثانية .

(٢) ينابيع المودّة - القندوزي الحنفي - العرفان - ط ٢ - جزء أول ص ١٠٢ .

(٣) مشارق أنوار اليقين - رجب البرسي - الأعلمي للمطبوعات - بيروت ص ٧٧ - .

(٤) المصدر السابق ص ٦٥ .

بسيماهم ونحن الأعراف نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلاّ من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه» وذلك أن الله عزّ وجل لو شاء عرّف نفسه حتى يعرفوه ويوحدوه ، ويأتوه من بابه ولكنه جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي منه يؤتى»[1] ومن ذلك تخلف عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس ، وجرير بن عبد الله البجلي مع خمسة نفر في مسيره من الكوفة إلى المدائن ، وقالوا : إذا كان يوم الجمعة لحقناه وهو يخطب ، فخرج عليهم ضبّ فبايعوه بالإمامة ، وساروا فدخلوا عليه وهو يخطب فقال : «ليبعثنّ يوم القيامة نفر إمامهم ضبّ ولو شئت أن أسميهم لفعلت فتغيّرت ألوانهم وكادوا أن يصعقوا»[2] . ويعتقد العلويون أن الله سبحانه اخترع أول ما اخترع جوهراً غير معروف ، وبالصفات غير موصوف ، وبه يشار إلى الله ، ولا يُعرف سبحانه إلاّ به وأنّ الموالي الكرام الأربعة عشر معصوماً ﷺ هم أول التكوين ، وهم الجوهر الأول ، وقد مرّ معنا آنفاً قوله ﷺ : «أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر» . وهم الأسماء التي علمها الله لآدم فتم بتعليمه إيّاها علم ما في الأرض والسماء ثمّ عرض الله سبحانه هذه الأسماء على الملائكة فقال جل وعلا : **﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض﴾** [سورة البقرة ؛ الآيات : ٣١ - ٣٣] ، وبمعرفة هذه الأسماء سأله بها أن يتوب عليه وهو قوله سبحانه : **﴿وتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه﴾** [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٧] ، وإليه الإشارة بقول أبي العلاء المعري :

يابن مستعرض الصفوف ببدر	ومبيد الجموع من غطفان
أحد الخمسة الذين هم الألفا	ظ في كل منطق والمعاني

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

وأوردوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالاتفاق والإجماع : أن آدم لمّا رأى أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين مكتوبة على اللوح - أو على ساق العرش - قال يا ربّ خلقت من هو أكرم عليك مني؟ قال الله : «يا آدم لولا هذه الأسماء ما خلقت سماءً مبنيّة ولا أرضاً مدحوة ، ولا ملكاً مقرّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا خلقتك أنت»[1] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يا علي ما عرف الله إلاَّ أنا وأنت ، وما عرفني إلاَّ الله وأنت ، وما عرفك إلاَّ الله وأنا»[2] . فدين العلوي التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق ، والإقرار بنبوَّة سيّد الرّسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، والاعتقاد بالمعاد ، والعمل بدعائم الإسلام الخمس ، ويتفق وجميع الشيعة الإمامية على زيادة ركن خامس على هذه الأركان الأربعة التي هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين ، ألا وهو الاعتقاد بالإمامة ، يعني أن العلوي يعتقد أن الإمامة منصب إلهي يختار الله لها من يشاء اختياره للنبوَّة والرسالة : ﴿وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ [سورة القصص ، الآية : ٦٨] ، وكما أن تأييد النبي بالمعجزة نصّ عليه من الله فالباريء سبحانه يأمر نبيّه بالنصّ على من ينصبه إماماً للناس من بعده ، للقيام بالوظائف التي كان يقوم بها النبيّ سوى أن الإمام لا يوحى إليه «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي من بعدي» والأئمة عند العلويين[3] اثنا عشر كل سابق ينصّ على اللاّحق ، والإعتقاد بعصمتهم شرط في صحة إمامتهم وإلاَّ لزالت الثقة بهم ، وأولهم آخر الأوصياء لآخر الأنبياء ، الإمام علي المرتضى ، فالحسن المجتبى ، فالحسين شهيد كربلاء ، فعلي زين العابدين ،

---

(١) انظر الهداية الكبرى - الخصيبي - ص ١٠١ - ط ثانية مؤسسة البلاغ .

(٢) انظر صحيفة الأبرار - ميرزا محمد مغني - ص ٢٩٥ - بيروت - دار الصراط ١٩٨٦ م .

(٣) النبأ اليقين عن العلويين - محمود الصالح - مؤسسة البلاغ - بيروت ط ٢ ١٩٨٧ م .

فمحمَّد الباقر ، فجعفر الصادق ، وإليه ينسب فقه أهل البيت، فموسى الكاظم ، فعلي الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلي الهادي ، فالحسن العسكري ، فمحمد بن الحسن المعروف بالمهدي القائم المنتظر حجة العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والفرق بين النبوَّة والإمامة واضح جليّ ، وهو أن النبيّ يبلغ ما أنزل إليه وحياً من ربه والإمام يبلغ ما يتلقاه من النبيّ مع تسديد إلٰهي فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبيّ .



العلويون والتناسخ

والإعتقاد بالتناسخ قديم جداً وقد قالت به أكثر الأديان القديمة ، والهنود القدامى قالوا : إن روح الإنسان تهجره لتحل في حيوان أو حشراتٍ أو نبات أو قديس وبذلك تبقى تزاول حالة من الخلود على الأرض وهذ يعني أن للروح عندهم كياناً مستقلاً يقوم بذاته ، وفكرة الخلود فيما أرى وحب البقاء هي السبب الأعظم في المنطق الأساسي لفكرة التناسخ . وسنستعرض هنا بإيجاز أهم أقوال الفلسفات القديمة في التناسخ :

أ ـ الكارما الهندية : وهي قانون الجزاء على ما يفعله الإنسان وبمقتضى العدل الإلهي العام ، وهذا المنهج لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الخلق إلا أحصاها وعندنا نحن المسلمين يشبه إلى حد ما (كتاب الأعمال) قال تعالى : **﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** [سورة الكهف ؛ الآية : ٤٩] . والإختلاف يقع في الجزاء فهو في عقيدة المسلمين يتم في الآخرة وعند (الكارما) يكون في الدنيا وحينما رأى الهندوس أن الجزاء لا يقع دائماً لجأوا إلى فكرة تناسخ الأرواح وهو في الهندوسية رجوع الرّوح بعد خروجها من جسم إلى آخر في العالم الأرضي وعللوا ذلك :

أ ـ إن الروح خرجت من الجسم ولا تزال مرتبطة بأهـواء وشهوات في العالم المادي لم تتحقق بعد .

ب ـ إنها غادرت الجسم وعليها ديون كثيـرة للآخـرين ولا بدَّ من أدائها ولا مناص حينئذ من أن تستوفي شهـواتها في حياة أخرى حيث تذوق ثمرات أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة والميل عادة يستلزم الإرادة وهي بدورها تستلزم الفعل في هذا الجسد أو في جسد آخر ، فقد خلقت الميول لتستوفى وحينما تكتمل الميول ولا يبقى للإنسان شهوة ما وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثماً ولم يقم بحسنة تستوجب المثوبة نجت روحه من تكرار المولد وامتزجت (بالبرهما) سواء أكان الإكتمال في جسد واحد أو أجساد متعددة وعلى هذا فالإنطلاق هو الهدف الأسمى من دورات الوجود المتالية ليتمّ الإندماج بالكيان الأسمى (البرهما) كما تمتزج قطرة الماء بالمحيط العظيم ، وكلُّ ما يصيب المرء في مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت في مرحلة من مراحل وجوده السابق وفقاً لقانون الجزاء (الكارما) . يقول البيروني ـ من أعلام المسلمين ٣٦٢ هـ ـ ٩٧٣ م ولادته : (كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص هي علامة إيمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والاسبات علامة اليهودية فكذلك التناسخ علم النحلة» .

الهندوسية : إن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت فيه وهو الله والإنسان أحد هذه الكائنات وروحه قطرة من الله انفصلت عنه إلى أجل محدود ثم تنتقل من كائن إلى آخر عن طريق التناسخ ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء أجلها . فالديانة البرهمية كانت في الأصل ـ على ما يبدو من أسفارها ديانة توحيد مشوبة بعقائد (وحدة الوجود) وتناسخ الأرواح ، ورجوع الكائنات إلى الخالق ، وما إلى ذلك من المعتقدات التي انتقل كثير منها إلى التصوف الإسلامي ولكنها ـ أي البرهمية ـ إنتهت إلى التثليث ، أي القول بثلاثة آلهة وإن

اعتبرت واحداً وهم : ١ ـ برهما : الخالق ـ ٢ ـ سيفا : المدر ـ ٣ ـ ميشنو : الحافظ المجدد(١) .

ب ـ الجينية : وهي تعاليم «مهاويرا» الذي ظهر في الهند في القرن الثالث قبل الميلاد وهي تعتقد (بالكارما) الهندوسية وللوصول إلى تخليص الروح من (الكارما) يظل الإنسان يولد ويموت حتى تخلص روحه وتطهر نفسه وتنتهي رغباته وعندها تقف دائرة عمله ومعها حياته المادية فيبقى روحاً خالداً في نعيم مقيم ويسمى عند الجينيين (النجاة) وهي ما يعادل (الإنطلاق) في الهندوسية و (النرفانا) في البوذية و (الخلاص) في المسيحية و (الجنة في الإسلام) وفي الجينية كفارات عن السيئات ، ومنها الفقر وتناسخ الأرواح في أشخاص تعساء ، أو في قوالب الحيوانات والجمادات .

البوذية : وترى أن الإنسان مركب جسدي يملك قوى يتحرك بها وآلات يشعر بها فهو يحس ويلمس ويسمع ويبصر ويشمّ ويذوق ويدرك وهو بهذه الحواس والمشاعر يتصل بالعالم الخارجي ، أما طبعه فيشتمل على النزاعات والكفاءات المنتجة من الماضي فهي إرث له من الحياة التي عاشها في الماضي ، وهي التي تكيف شخصيته التي تبدأ بها حياة جديدة فإذا انفصلت هذه الأواصر المادية بالموت (تقمصت) قوى المادية الأولية جسداً جديداً ولا تزال تلك القوى متواصلة إن لم يكن مادياً فنفسياً فيسعد الشخص أو يشقى حسبما تهيأ له من السلوك السابق والعناصر التي تشكل شخصاً جديداً لا تزال في تبدل مستمر ؛ ولكنها لا تتلاشى كلية حتى تفنى القوّة التي تتمسّك بها وتدفعها إلى (الميلاد المجيد) وليست تلك القوة إلاّ الرغبة في الوجود المنفرد . والإعتقاد بالتناسخ هو انتقال الروح من هيكل إلى آخر أو عودتها بعد الموت قد

---

(١) المكزون بين الإمارة والشعر والتصوف ـ حامد حسن ـ الجزء الأول ـ دمشق ـ ص ٢٨٧ .

عرفه الهنود والبوذيون ، والجينيون والمصريون والرومان ، وقد عرفته بالطبع شعوب آسيا الوسطى إما مهاجراً إليهم شرقاً من مصر ، أو مرتحلاً إليهم غرباً من الهند حيث تسربت إلى المسلمين . يقول ابن حزم : «إفترق القائلون بالتناسخ إلى فرقتين ؛ الأولى تقول : «إن الأرواح بعد مفارقتها الأجساد تنتقل إلى أجسام أخرى وإن لم تكن من نوع الأجسام التي فارقتها وهذا قول أحمد بن حافظ ؛ وأحمد بن ناموس ، وأبي مسلم الخراساني ، ومحمد بن زكريا الرازي الذي صرح في كتابه المعروف بـ (العلم الإلهي) فقال : (لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح من الأجساد المتصورة بالصور الصحيحة إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح ، لما جاز قتل شيء من الحيوان أو ذبحه البتة)[1] على أن الكتب السماوية كلها تقول بعود الروح ولكن عودتها تسمى البعث أو المعاد ، أو النشور ، أو القيامة ، وهناك أقوال واختلاف بين أن ترجع الروح إلى هيكلها ثانية أو تبعث مجردة منه ـ والقرآن الكريم يشير إلى أنها تعود يوم القيامة إلى جسدها وتحشر للحساب .

١ ـ ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور﴾ .

[سورة العاديات ؛ الآية : ١٠]

٢ ـ ﴿خشعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم جراد منتشر﴾ .

[سورة القمر ؛ الآية : ٧]

٣ ـ ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ .

[سورة ياسين ؛ الآية : ٥١]

٤ ـ ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ .

[سورة النبأ ؛ الآية : ١٨]

---

(١) الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ـ جزء أول ص ٩٠ .

٥ ـ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ .

[سورة ق ؛ الآية : ٢١]

٦ ـ ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ .

[سورة طه ؛ الآية : ٥٥]

فالآيات الكريمة الآنفة الذكر تشير إلى أن الروح تعود إلى جسدها مرة ثانية للحساب باستثناء الآية الخامسة فهي تشير إلى النفس . ويمكن حمل ذلك على الشمول أو المجاز المرسل . وهذه الآيات وأمثالها وإن لم تدل على التناسخ فقد وجد القائلون بالتناسخ فيها دعماً لنظريتهم وخاصة في (العودة) . والقائلون بالتناسخ يعتقدون بعودة الروح ثانية وثالثة وفي أجسام عليا ودنيا إلى أن تطهر وتصفو ويدعون هذا تناسخاً ، ومفسرو الأديان السماوية يعتقدون بعودة الروح ثانية فقط وإلى جسدها الذي فارقته ولأجل الحساب والتقاص فيما قدمت من خير أو اقترفت من شرور وآثام ويسمون ذلك بعثاً ، ومعاداً ، وقيامة ، ونشوراً . وعليه فإن القاسم المشترك بين هؤلاء وأولئك هو (العودة) والمأثور عن الحكماء أن هناك خمس درجات وهي : النسخ ، والمسخ ، والفسخ ، والوسخ والرسخ .

أما النسخ : فهو انتقال النفس الناطقة أو نقلها من بدن إنساني إلى بدن إنساني آخر .

والمسخ : هو انتقالها من بدن إنساني إلى بدن حيواني يناسبها في الأوصاف كالأسد للشجاع ، والثعلب للخبيث والأرنب للجبان .

والفسخ : هو انتقالها أو نقلها من بدن إنساني إلى جماد .

والرسخ : هو انتقالها إلى نبات أو جماد .

والوسخ : انتقالها إلى هوام ودبيب .

وبعد : فهل أن العلويين يقولون بالتناسخ الذي قدّمناه آنفاً . الواقع يشير إلى أن جمهرتهم العظمى ترى فيه رأي الإمامية الإثني عشرية وهو بطلانه شرعاً وعقلاً وأنه قد تسرب إلى المسلمين من الفلسفات الهندية القديمة ، نعم ، فإن الباطنيين من المسلمين ومنهم ، الدروز والإسماعيليون وبعض متصوفة العلويين يقولون به وقد ألحق بعض كتاب وعلماء عصرنا العلويين جميعاً في زمرة القائلين بالتناسخ وهذا غير صحيح فهم في هذا المعتقد على ما عليه أكفاؤهم الإمامية من تحريم القول به وإذا ورد شيء من ذلك في شعر بعض متصوفيهم فليس قياساً البتة على اعتناق الجماعة بأسرها لهذه الفكرة ولعل ذلك رأي علمي محض لا ديني كما نقل عن ابن سيناو نصير الدين الطوسي ومحسن الفيض الكاشاني من فلاسفة المسلمين . وعلى هذا فإن المكزون السنجاري الأمير والشاعر يورد في شعره أفكاراً يمكن القول معها أنها تشير إلى نظرية التناسخ :

١ ـ ومن تعدى حده، واغتدى حلا به، سميته المسخ .

٢ ـ لمشرق شمس الحب بعد غروبها بعيني، في عيني صحّ التناسخ .

٣ ـ وبالنسخ من بالوسخ عن وجده سلا لـه راح في وجد الكآبة فاسخ .

٤ ـ فكم جسد أنضجت في نار هجرها و (تبدلني) منه (جديداً) لشقوتي .

٥ ـ وعرفت بدويّ والمعاد وموتتي الأ ولى، ومن أفناه موت ثانٍ .

ويختلف المكزون عن القائلين بالتناسخ : بأن أعمال الناس تقسم إلى زمرتين خير وشر ، لذا فهم إما أخيار ، وإما أشرار ، فالأخيار إذا أثموا أو ارتكبوا اللمم فينسخون نسخاً ولا يمسخون مسخاً ، أي ينتقلون في أجساد بشرية لتصفو أرواحهم وتتخلص من المادية والكثافة ، والشوائب والأكدار ، كالذهب الذي تصهره النار لينقى ، ويزداد صقلاً ، وبريقاً وصفاءً . وتلحق بعدئذٍ بعالم (الصفاء) ولا تسلك في الدرجات الأخرى ، وأما الأشرار فيسلكون في الدرجات الأربع : النسخ ،

والمسخ ، والرسخ ، والوسخ ، ويتدرجون هبوطاً في هذه الدرجات تعذيباً لهم ، وعقاباً ، وجزاءً على ما أسلفوه ويخلدون في العذاب الأبدي لأنهم ظلموا أنفسهم وأدبروا عن دعوة الحق واستكبروا عن الطاعة ظلماً ، وعناداً فآلوا إلى (صغارة) الجنس والنوع . وفي حين أن النظرية الهندوسية والجينية والبوذية تعتبر الغاية من تكرار المولد وتنوع القالب ، هي الانطلاق للامتزاج (بالبرهما) فغاية هؤلاء من التناسخ تنتهي بالأرواح ـ كل الأرواح ـ صعوداً إلى الإله . وأما النظرية السقراطية فتقول بصعود الأرواح الأخيار إلى الملإ الأعلى وتنتهي بأرواح الأشرار إلى أحط الدرجات . أما المكزون فيرى رأي سقراط فالتناسخ يمضي بالأخيار (صعوداً) وبالأشرار انحطاطاً وهبوطاً ، ويرى زيادة على رأي سقراط ـ أن في كلا المصيرين الصاعد والهابط ـ يتجلى عدل الله وحكمته في الثواب والعقاب على الأعمال . ولقد وجد القائلون بالتناسخ بين المسلمين دلالة على صحة أقوالهم في بعض الآيات التالية :

١ ـ ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً﴾ .

[سورة النساء ؛ الآية : ٤٧]

حيث جاء في بعض التفاسير في معنى هذه الآية ؛ من قبل أن نطمس وجوهاً ـ أي نمحو منها الأنف والعين والحاجب ، فتصبح كاللوح ، أو نردها على أدبارها ، ونمسخهم قردة .

٢ ـ ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ، ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ .

[سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨]

فإذا كانت الموتة الأولى : والإحياء الأولى للبعث والحساب فما معنى يميتكم ثم يحييكم ثم يحشركم ثانية ، والأولى بصفة الماضي ، والثانية بصفة المستقبل .

٣ ـ ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك﴾ .

[سورة الإنفطار ؛ الآية : ٨]

هذا ما يتذرعون به من النقل ، ومن العقل يقولون : ما مراد الله من الإنسان الذي يولد مقعداً أو أصماً ، أو أبكماً ، أو غير ذلك من تشويه الخلقة ونقص التكوين ، ويقضي حياته معذباً ؟ وهل هذا يطابق العقل أم ينافيه ؟ والجواب على هذا التساؤل ومناقشة الموضوع سينتهيان حتماً إلى أحد أمرين :

١ ـ إلحاق صفة الظلم بالخالق ـ حاشاه ـ وهذا مردود لأن الخالق كمال مطلق ، والظلم ينافي كماله .

٢ ـ القول بالتناسخ ، وأن الباري هو عدل كله ـ عاقبه عما سلف منه في جسد سابق فاقتص منه باللاحق وهذا كما في الهندوسية تماماً .

وهناك سؤال يطرحونه في هذه المناسبة وفي مثل هذا الجدل فيقولون ما مصير من يولد في الصباح ، ويموت في المساء ، أو بعد أسبوع ، أو شهر ، أو عام ؟ أمصيره الجنة التي وعد بها المتقون ؟ أم النار التي هي مثوى الكافرين ؟ مع العلم أن هذين الدارين ـ الجنة والنار ـ لا يتم الوصول إليهما إلا بالثواب أو العقاب وهذا لم يعمل خيراً ولا شراً . وقد أجاب بعض العلماء على ذلك :

١ ـ بخصوص القسم النقلي بأن القرآن حمّال فيه الباطن ، والظاهر ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد وغير ذلك من الآيات التي تحتمل من التأويل عكس ما ذهب إليه القائلون بفكرة التناسخ .

٢ ـ بخصوص القسم العقلي فمن يلد وهو مشوه صاحب عاهة بأن ذلك من جراء عامل وراثي ، وفق قانون إلهي عام بفعل علة ولو في أجداده الأعلين. وهكذا اقتضت النواميس الطبيعية في سنة الله في

خلقه. أما بخصوص من لا يعيش إلا زمناً يسيراً ، فكذلك يجري أمره وفق القانون الذي ذكرناه ، ولله في خلقه شؤون . على أن هناك روايات تشير إلى أن هؤلاء الأطفال سيعيشون عالماً من البرزخ يوم القيامة ، يمتحنون فيه كما في هذه الدّنيا تماماً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ .

وأجابَ آخرون بأن اختلاف الناس في الخلقة لا منافاة فيه لعدل الله تبارك وتعالى ، وذلك لأن الله سبحانه تقتضي حكمته وعنايته ومشيئته الربانيه إيجاد الموجودات على ناموس الطبيعة والأسباب العادية المؤدية إلى مسبباتها الخاصة . ألا ترى أنّ المطر النازل من السماء مع غاية لطافة طبعه ، ولا تنبت في الأرض السبخة إلا الأشواك ، وفي الحدائق والترب الطيبة إلّا الورد والرياحين .

فالمطر في طبعه وفيضانه لكلتا التربتين سواسية من غير بخل في الإفاضة ، إنما الإختلاف في القابل والمفاض عليه ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ [سورة الرعد ؛ الآية : ١٧] فأودية قوافل الموجودات يسيل إليها ماء الوجود كل منها بمقدار قابليتها واستعدادها للفيض .

فالنطفة التي يتكون منها الجنين إذا زادت على مقدار الخلقة التامة ، وبقي منها فضلاً لا تهمل سدى ، بل يفاض عليها صورة من سنخ صورة أجزاء البدن ، فتكون ـ مثلاً ـ إصبع زائدة ، فزيادة الإصبع إنما هي بسبب النطفة المؤدية إليه ، وقد تكون الزيادة والنقيصة بسبب عوارض يصاب بها الجنين ، وأمّه حامل به ، ويؤيد هذا العلم الحديث . وقس عليه كل ما تجد في الخليقة من الاختلاف في جواهرها وأعراضها ، فهو لأسبابها الخاصة المؤدية إلى اختلاف المسببات بمقتضى ناموس طبيعة الأسباب ، التي جعل الله تعالى لها دخلاً في المسببات .

وأمّا قضية الغنى والفقر ، والرفعة ، والضعة فيمكن أن تفهم من كلامنا هذا[1] .

---

(١) النفس البشرية ونظرية التناسخ ـ احمد زكي تفاحة ـ ص ٧٥ ـ دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٩٨٧ م .

العلويون والجبر والاختيار والتفويض

أفعال الإنسان ـ عادة تقسم إلى زمرتين : خير ، وشر فمن أين جاء الخير ؟ ومن أين أتى الشر ؟ والذين أجابوا على هذا السؤال انقسموا إلى فئات متعددة ولكن هذا الانقسام ـ على تشعبه وكثرته يكاد ينطوي في ثلاث فئات أساسية ، هي :

(أ) الجبرية ، وتأتي في قوتها القدرية .

(ب) المفوضة .

(جـ) الأمر بين الأمرين .

فالمفوضة يقولون : إنّ الله خلق الإنسان وأودعه العقل المميز ، وخلق الخير والشر ، وأوضح له طريقهما وترك له الاختيار بعد أن رفع تأييده له أي فوض إليه أمر نفسه ودليلهم فيما ذهبوا إليه الآيات الكريمة التالية :

١ ـ ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين﴾ [سورة البلد ؛ الآية : ١٠] .

٢ ـ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ورسوله والمؤمنون﴾ [سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٥] .

٣ ـ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ١٣٣] .

٤ ـ ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [سورة الرعد ؛ الآية : ١١] .

وقالت المجبرة : إن الله خلق الإنسان ، وخلق الخير والشر ، وإن أمور الحياة لا تقوم بالخير لوحده ، وإن الشر لا بد منه ، والإنسان مجبر على أعماله المختلفة من خير وشر ، وليس له من الإختيار نصيب ـ والقدرية لا يختلفون أصلاً عن المجبرة فهم يقولون : إن كل ما يأتيه الإنسان من عمل ـ خيراً كان أم شراً ـ مقدر عليه من الله سابق له أو كائن معه . ﴿آمنت بالقدر خيره وشره من الله﴾ وقد ورد في حقهم قول الرسول ﷺ : ﴿القدرية مجوس هذه الأمة﴾ وتذرعوا بالآيات التالية :

١ ـ ﴿من يهد الله فهو المهتدي ـ ومن يضلل فلن يجد له ولياً مرشداً﴾ [سورة الكهف ؛ الآية : ١٧] .

٢ ـ ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ [سورة الحديد ؛ الآية : ٢٢] .

٣ ـ ﴿ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها﴾ [سورة السجدة ؛ الآية : ١٣] .

٤ ـ ﴿قل ما ينفعكم نصحي إن نصحت لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ .

[سورة هود ؛ الآية : ٣٤]

وقال أصحاب الأمر بين الأمرين ، إن أفعال العباد صادرة عنهم

باختيارهم ، وليسوا بمجبورين عليها أو أنها ليس فعلاً لله ولا مخلوقه له خلق تكوين ، بل خلق تمكين ، بمعنى أن الخالق خلق في الإنسان القدرة على الفعل وتركه !

وخلق فيه الجوارح التي يقدر بها على الفعل ، والأدوات التي يتوصل بها إليه ـ ولو شاء منعه لمنعه ، وبيّن له طريق الخير ، وأمره باتباعه ، وطريق الشر ونهاه عن سلوكه ، وإذا أطاعه فبتوفيقه واقتداره واحتجوا بالآيات التالية :

١ ـ ﴿إنّا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً﴾ .

[سورة الإنسان ؛ الآية : ٣]

٢ ـ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ .

[سورة هود ؛ الآية : ١٧]

٣ ـ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ .

[سورة الزلزلة ؛ الآية : ٨]

٤ ـ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ .

[سورة ق ؛ الآية : ١٦]

وبالرأيين الأوّلين، قال المفوضة والمجبرة من السنة وبالثالث قالت الإمامية الإثني عشرية من الشيعة وتبعهم فيما قرب من ذلك المعتزلة وإن بفلسفة خاصة .

والعلويون قالوا بالإختيار مع المدد من الباري عزّ وجلّ. فعمل الإنسان سواء كان خيراً أم شراً من جهة هو عمله وباختياره من جهة أخرى ، فإن هذا الإنسان لولا المدد المتصل من الباري عز وجل لما استطاع أن يفعل شيئاً بعد أن يبيّن المولى الخير ويأمره باتباعه وكذا الشر

ويأمره باجتنابه وهذه هي حقيقة الأمر بين الأمرين قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) وقد سميت هذه المشكلة بالجبر والاختيار وحرية الإرادة والقضاء والقدر واعتبرت مشكلة المشاكل ، وحار فيها الفلاسفة وقال بها اليونانيون ، قبل أن يفلسفها المعتزلة فالابيقوريون يرون أن الإرادة حرّة في الإختيار ، والرواقيون يرون أنها مجبرة على السير في نهج لا تقدر أن تتخطاه .

على أن حقيقة الجبر تؤدي حتماً إلى القول بظلم الباري عز وجل لأن القول بها يعني أن الإنسان غير مختار فهو إذن مجبر على فعل الخير ومع ذلك يثاب عليه وكذلك مجبر على فعل الشر ويعاقب عليه ، ـ وهذا ضرب من العبث ـ تعالى ربنا عما يقول الظالمون . فجهم بن صفوان وأتباعه القائلون بالجبر المطلق يرون أن كل أفعال الناس واقعة بقدر من الله ، وليس الإنسان إلا محلاً لما يجريه الله فيه وأن الإنسان والجماد سواء لا يختلفان إلا في المظهر ، فمظهر الإنسان أنه مختار وفي الحقيقة لا اختيار له ، أما الجماد فمجبر مظهراً وحقيقة والأفعال تنسب إلى الإنسان مجازاً كقولنا كتب فلان وأحسن وأساء ، وهي مجازات كقولنا أثمرت الشجرة وطلعت الشمس فالأفعال جبر والتكلف جبر والثواب والعقاب جبر ـ وجهم بن صفوان المتقدم ذكره كان يقول بفناء الجنة والنار لاستحالة تصور حالة لا تتناهى آخراً كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً حتى يكون الله آخراً لاشيء معه[1] وهذا خلاف للقرآن الكريم بشأن ما ورد[2] في أمر الجنة والنار نصاً وروحاً وقيل إنّ الجبر له جذور في اليهودية والمسيحية ولكن الدكتور عبد الحليم محمود يقول ما ملخصه ومعناه : «إنّ الذي مكن للقول بالجبر في الإسلام وعمل على إشاعته

---

(١) مقالات الإسلاميين ـ ٥٧ ـ للأشعري .

(٢) ﴿وما كان ربك ليهلك القرى وأهلها مصلحون﴾ [سورة هود: الآية: ١١٧] .

بين عامة المسلمين ، هم بنو أمية وعلى رأسهم معاوية ابن أبي سفيان[1] فإن استيلاءه على الخلافة كان في نظر أكثر المسلمين مخالفاً لأصول الخلافة وخروجاً على قاعدتها الديموقراطية (الشورى) وإن الملابسات التي رافقت (التحكيم) والدور الذي لعبه عمرو بن العاص كل ذلك كان معروفاً عند المسلمين لذلك أراد الحاكمون أن يشيعوا بين العامة والدهماء أن كل حركة من حركات الإنسان وكل ما في الكون إنما يتمّ بقضاء الله وقدره ، وأن الإنسان مجبر لا مخير فيما يأتيه من الأعمال وأن الخلافة بناء على ذلك ـ جاءت بقضاء من الله وقدره . وهذا القول يبرّر انتقال الخلافة إلى يزيد وأمثال يزيد ، وجعلها ملكاً عضوداً متوارثاً بعيدة عن رأي المسلمين واختيارهم وشوراهم[2] ـ وأمرهم شورى بينهم ـ كما أنه يبرر كل ما يقوم به الطغاة والمستبدون الظالمون من المظالم . وقالت المعتزلة : إن إرادة الإنسان حرة ، وقدرته تخلق ما يعمل ، وفي استطاعته أن يفعل وألا يفعل ، وهو مختار فإن حراً كان مسؤولاً وإن فقد حريته زالت عنه التبعة . وقد يشنع الأمير الشاعر المكزون السنجاري ـ وهو علوي ـ على القائلين بالجبر ويصفهم بأن عبيد اللات ـ الصنم ـ خير منهم[2] :

عبيد اللاّت فيما جاء عنهم يسبون الإله بغير علم .
وأما (المجبّرون) فعن يقين يسبون الإله بكل ظلم .

ولقائل أن يقول : كيف يوفق الجبري ـ القدري ـ بين ما يعتقد ، من أن أعماله مقدرة عليه ، وأنه مجبر على إتيانها وبين القرآن الكريم القائل : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [سورة البقرة ؛ الآية :

---

(١) الفكر الفلسفي في الإسلام ـ وضحى الإسلام ـ أحمد أمين ـ الجزء الثالث ص ٨١ .

(٢) لا علاقة لنص الشورى بموضوع القيادة والخلافة وما ورد فيه تحديد شرعي من تشريعات الله سبحانه راجع كتاب «التشيع» للعلاّمة السيّد عبد الله الغريفي .

١٨٦] فما فائدة الدعاء ؟ وكيف يجاب إذا كان كل شيء مقدراً ـ وكان المرء عليه مجبراً ـ يقول المكزون والشاهد في البيت الثالث :

تالله ما آمن بالله من   لم يسلم الأخيار من شرّه .
ولا وفى لله بالعهد من   وافق غداراً على غدره .
وليس للخالق سبحانه   أن يجعل «العدوان» من أمره .

ويقول :

إذا كان (فعلي) له مراد   فلم بما قد (أراد) يعصى .
ولم (دعاني) إلى أمور   مني لها (الخلف) ليس يحصى .

فهو يقول : إن كان الله خلق أفعال العباد، فهو إذاً لا يرضى بما فعل ويغضب مما خلق أو يكره ما دبر ـ ومن احتجاجه على القائلين بالجبر :

قل لمن قال ان باري البرايا   ليس في خلقه مريد سواه .
من ترى إن أراد بالعبد سوءاً   راح في العبد كارهاً ما قضاه .
إتقوا الله ذاك أمر محال   إن يرى ساخطاً رضاه ، رضاه .
وإذا لم يكن . . . فقد ثبت القو   ل للعبد ، ومان في مدعاه .

والإنسان المزود بالعقل عند المكزون ولديه الإستطاعة والقابلية مسؤول عن أعماله قال :

العقل في جوهره واحد   وعنه يبدو النفع والضرّ .
مثل ضياء الشمس في بدرها   برد ومنه في الثرى الحرّ .

فالعقل بالنسبة للعباد وأفعالهم المختلفة يشبه نور الشمس الذي يعطي القمر برودة كطبيعته ويظهر حرارة في الأرض وهو بطبيعته وجوهره واحد وإنما أعطى للبدر والتراب طبيعتهما .

العلويون وعلم الباطن

عرف علم الباطن عند الاسماعيلية والعلويين والدروز ، وقد تكوّن هـذا العلم عند بعض الفرق الشيعية الغالية في القرن الثالث الهجري لاعتقاد بعض هؤلاء أن الأحكام الإسلاميّة لم تكن كلّها ظاهرة وأن علوم أهل البيت ﷺ كانت غير معلومة عند عوام المسلمين وأنَّ بعض الأحكام لم يعلمها إلاّ الخواص ، وهذه في نظر هؤلاء هي التقية وأرباب الأصول من المسلمين يعلمون أن القرآن الكريم له معان ظاهرة ، ومعان خفية قال الله تعالى ﴿فيه آيات محكمات هنّ أُم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٧] والذي يبدو أن لبعض الآيات في القرآن معان ظاهرة وأُخرى خفية ، ويقولون إنّ المعاني الظاهرة تنقسم إلى أربعة أقسام :

١ ـ معان ظاهرة .

٢ ـ معان منصوصة .

٣ ـ معان مفسّرة .

٤ ـ معان محكمة .

ومن جهة الخفاء هي أيضاً تنقسم إلى أربعة وهي :

١ ـ معان خفيّة .

٢ ـ معان مشكلّة .

٣ ـ معان مجملة .

٤ ـ معان متشابهة .

ثـم إن الألفاظ المتشابهة إمّا أن تكون متشابهة اللفظ أو متشابهة المعنى ، ومتشابه اللفظ أمثال قول الحق سبحانـه : ﴿كهيعص﴾ [سورة مريم ؛ الآيـة : ١] ﴿الـر﴾ [سـورة يـونس ؛ الآيـة : ١] ﴿حمعسـق﴾ [سـورة الشورى؛ الآية: ١-٢] والإختلاف بين المسلمين هو في الألفاظ المتشابهات المعنى ، ويـراد بها الأيـات الواردة تحت قـول الحق سبحـانـه ﴿وأخـر متشابهات﴾ [سورة آل عمران: الآية: ٧] والقاعدة في معـرفة المتشابـه عند أهـل هذا الفن تقـول : إنّ كل آيـة كريمـة لم يمكن إعطاءهـا المعاني الحقيقية أو المجازية ، واستشكل معرفتها فهي متشابهة المعنى مثل قوله سبحانه : ﴿يـد الله فـوق أيـديهم﴾ [سورة الفتـح ؛ الآية : ١٠] إذ لا يمكن ولا يعقل الموحـد من المسلمين المنزه لله سبحـانه من غير المجسِّمة من المسلمين أن يتصور بأن تكـون لله يد كـالبشر ، وهـو التشبيه الـذي نعوذ بالله يفضي إلى الشرك ولذلك يكـون هذا اللفظ الكـريم متشابـه المعنى ولذلك فسّر بعضهم الآية الكريمة ﴿يد الله فوق أيـديهم﴾ [سورة الفتـح ؛ الآية : ١٠] بمعنى أمر الله فوق أمورهـم ومثله قوله سبحانه ﴿الرحمن على العـرش استوى﴾ [سـورة طه ؛ الآيـة : ٥] إذ لا يمكـن أن يكـون لله جلسـة ومقعد كالذي يكون للبشر لأن ذلك يفضي إلى الحـد والتشبيه نعـوذ بالله والمعنى هنـا خفيٌّ متشـابـه ويـرى بعض المفسـرين أن المعنى هنـا هـو الهيمنـة والتسلّط يعني أن الله هيمن وتسلطَ على العرش ، ويـرى بعض العلويين[1] أن قوله سبحانه ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها

---

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ ص ٢٥١ ـ دار الأندلس بيروت ط ٣ .

رجوماً للشياطين﴾ [سورة الملك ؛ الآية : ٥] هي من متشابه المعنى ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ [سورة تبارك ؛ الآية : ٣] هي من الآيات المتشابهة المعنى ويفسرون قوله سبحانه في سورة يس : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة ياسين ؛ الآية : ١٢] بأن المراد من الإمام هو أحد الأئمة الإثني عشر المعصومين وإنهم عليهم السلام يعلمون علوم الأولين والآخرين ، وأن الإمام أحصى كل شيء وأن حق تفسير القرآن منحصر بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين من ذريته من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ويوجد عند بعض العلويين علوم خفيّة أخرى ، ومنها الجفر المنسوب للإمام أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق عليه السلام وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب «الحيرات» العلاّمة الشيخ أحمد محمد حيدر رحمه الله : والإيمان بالله هو قبول الدعوة الباطنة أو هو تجلّي الظاهر بحلية الشريعة ، وتكييف الباطن بكيفية الإمام المعصوم التي هي صورة نازلة من ملكوتية السماء ، تدخل قلب المؤمن وبها تكون آخر فعلياته أي الغاية المقصودة من كلّ أعماله ، وبها تحصل الأبوّة والبنوّة بين المعصوم والمؤمن ، وبها تحصل الأخوة بين المؤمنين ، وبها تحصل معرفة الإمام بالنورانية ، وبها تشرق الأرض بنور ربّها وقد أيّد الموالي الكرام هذه النظرة ومنهم أخذت وعنهم صدرت ، وعن الإمام الصادق : «إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً إذ لا إيمان بظاهر إلاّ بباطن ، ولا بباطن إلا بظاهر» والمعرفة على وجهين[1] : معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ، فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها ، الموجب حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله الذي مَنّ عليهم بها منّاً من الله مع المعرفة الظاهرة ، فأهل المعرفة بالظاهر الذين عرفوا أمرنا بالحق على غير علم

---

(١) الحيرات ـ الشيخ أحمد محمد حيدر ـ دار الشمال طرابلس ـ ص ٨٦ ـ طبعة أولى وصحيفة الأبرار ـ ميرزا محمد تقي ص ١٤ ـ جزء أول ص ٢٩٢ ـ دار الصراط .

به ، لا يلحقون بأهل المعرفة بالباطن على بصيرتهم» وعنهم ﷺ :
«من عرف أطاع ، ومن أطاع حرَّم الحرام جميعه ، ولا يكون تحريم الباطن ، واستحلال الظاهر ، إنَّما حرَّم الله الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر جميعاً معاً ، وكذلك لا يستقيم أن يعرف صلاة الباطن ، ولا يعرف صلاة الظاهر ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحجّ ولا العمرة ولا المسجد الحرام ولا جيمع حرمات الله ولا شعائر الله لأن أحدهما لا يستقيم إلا بصاحبه»[1] ولقد ورد عن الملائكة ما معناه أن شرابهم التسبيح وطعامهم التقديس بما يفاض عليهم من الإشراقات المعنوية والفيوضات القدسية، وأما باطن ما سوى التكليف من العلوم فلاختلاف الإستعداد والقبول لا يجوز أن يعطى طالب الإبتدائية ما يعطى طالب المتوسطة ، وطالب المتوسطة لا يعطى ما يعطى طالب الثانوية وما ورد عنهم ﷺ من شرح الآية الواحدة لطلاب مختلفي الأفهام بمعان مختلفه إنما يصبّ في هذا التوجه لأنهم أطباء النفوس الذين يعطون الدواء على قدر الداء .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه[2] :

سأكتم علمي عَن ذَوي الجهل طاقتي	ولا أنشر الدّر النفيس على البَهَمْ
فمن منح الجهَّال علماً أضاعه	ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : نهج البلاغة :

«لو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين ، ولو أنّ الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين . ولكن يؤخذ من هذا ضغث ، ومن هذا ضغث فيمتزجان ، فهناك يستولي الشيطان على قلوب أوليائه ، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى» .

---

(١) صحيفة الأبرار .

(٢) ديوان الإمام الشافعي وحكمه ـ جمع محمود بيجو ط ١ ١٩٨٩ ـ ص ٦٣ .

ومن الشعر المنسوب إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام [1] :

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتوه.. حسنا

ويقول العارف المكزون السنجاري [2] :

الإسم للوصف غدا باطناً وهو لمعنى كونه ظاهر
كالشمس يبدي عينها نورها وهو لنا عن كنهها ساتر

ويقول [3] :

ولو أنّ قومي شاهدوا فيك مشهدي على غير داري في المحبة ما داروا
ومن مضمر في مُظهَر لي بدا لهم خفا نالهم عنهم وللسّر أسرار

ويقول [4] :

أوّل وجدي ماله آخر وباطني بين الورى ظاهر
وشرعتي في الحبّ مبذولة يؤمها الوارد والصادر
وسنتي فيه لأهل التقى يرفضها من جهله الفاجر
ودعوتي جامعة للورى يدعو بها المؤمن والكافر
وسرحة الآرام في رامتي آنسة ليس بها نافر

---

(١) ينابيع المودّة ـ مصدر سابق ـ ج ١ ص ٢١ .
(٢) معرفة الله والمكزون السنجاري ـ أسعد علي ـ دار الرائد العربي بيروت ص ١٠٠ ط أولى .
(٣) مصدر سابق .
(٤) مصدر سابق .

ويقول قدس سره :

معرفتي[1] إنكارها ... عند جحود ما أقرّ
ورغبتي في ستر ما ... عنه له الله ستر
وغاية الطاعة في ... إسرار ما الله أسرْ
وليس في الباطن من ... في الظاهريين ظهَرْ
وما أرى بري سوى ... قول الفجور قد فجر

ويقول[2] :

قالوا تحدّث بالصحيح من الحديث بغير رمز
فأجبتهم هل عاقل ... يرمي الكنوز بغير حرز ؟

ويقول[3] :

يشهد بالصدق لقولي فتى ... حلّ بحلّ العقد من رمزي
وكلّ مَنْ غيّب عن مشهد ... الحقّ بأهل الصدق يستهزي

وللمنتجب العاني[4] :

سرٌ خفي جليلٌ لا يحاط به ... ولا يُقاسُ بتمثيل وتحديد
وباطن ظاهر إن غاب عن بصري ... فإنّ معناه باق غير مفقود
عرفته عن يقين بات يجذبني ... إلى حقائقه من غير تقليد

وللمنتجب[5] أيضاً :

وسرٌ يقلقل صمّ الجبا ... ل ويفجر من صخرها أعينا

(١) معرفة الله والمكزون السنجاري ـ مصدر سابق ـ ص ١١٠ ـ .

(٢) مصدر سابق ص ـ ١٣٨ ـ .

(٣) مصدر سابق ص ـ ١٤٠ ـ .

(٤) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ أسعد أحمد علي ـ دار النعمان ـ بيروت ١٩٦٨ م ص ـ ٢٢٨ ـ .

(٥) المصدر السابق .

عجائبه كثيرة لا تعدّ فطوبى لطرف إليها رنا
وفيه جواهر لمبصرين بألباب أهل الوفا تجتنى
وفي طي أسرار أهل الحفا ظ تنصان ومن عندهم تقتنى
وفي قعره دررٌ لا وصو ل إليهن إلاّ بطول العنا
ومن خلف ذلك معنى إليه أشار النهى وله أذعنا
ونمسك من بعد هذا المقال حذاراً ونقطعه من هنا
لكي لا تلوح معاني الكلام فيظهر ضدٌ على سرّنا

ويقول أيضاً :

وربّ خلّ أتى يسائلني عن سرّ ديني وأصل معتقدي؟
فقلت: غير التوحيد، باطنه بباطني اليوم غير متّحد

ويقدم «المنتجب العاني» ـ وهو من أكبر رجالات العلويين في القرن الثالث الهجري ـ تصوراً متكاملاً لنظرية علم الباطن الذي يغني باطن الإنسان وعلم أفعال القلب ، وعلم الورع ، وعلم التصوف وغير ذلك ، وكان اهتمامهم منصباً على الباطن الإنساني . والمنتجب اهتم بالباطن الإنساني وصفّاه لكي يحمل شوقاً لوصال الباطن الإلهي والإتحاد به ، وهذا ما سمّاه سرُّ دينه وأصل معتقده ، عندما قال في قصيدته «التوحيد» :

وربّ خلّ أتى يسائلني عن سرّ ديني وأصل معتقدي؟
فقلت: غير التوحيد باطنه بباطن اليوم غير متّحد .

والتوحيد هو الإقبال الكلّي على الله ، بشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده . والإقبال الكلي على تكاليف الله للإحسان ، مع مساواة الباطن والظاهر ، والإحسان غاية المتصوفين يعكفون على تنقية بواطنهم بالمراقبة والمجاهدة حتى يبلغوا هذه المرتبة القصوى من العبادة[1] وهي

---

(١) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ مصدر سابق ـ صفحة ـ ٤٠٧ ـ .

مـرتبة الشهـادة لله بالألـوهية وهي مـخ التـوحيـد ، ومـا يتبعها من أركـان التوحيد ، وهي تكاليف لأهل الباطن والظاهر معاً ، وهو شهادة أن لا إلـه إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وإقامة الصّلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام والإيمان بالله وملائكتـه ، وكتبه ورسله ، واليـوم الآخر ، وهـذا كله دون مستوى الإحسـان الذي يجـاهد من أجله العارفون ، وباطن التوحيد يضعنا أمام مسألة خطيره كثر فيها القيل والقال ألا وهي الشريعة ظاهراً وباطناً . والـوجه بين الشـريعة والبـاطن أن تؤدى على أتم وجوهها وأكمل أحوالهـا من اتفاق البـاطن والظاهـر ، ومراعـاة البـاطن حتى لا يتخلله فتور أو غفلة وليس صحيحـاً ما زعمـه بعضهم أن الشارع أظهر حكمـاً وأبطن آخـر ، ومقام الإيمـان يقتضي إتفاق الـظاهر والباطن في أداء العبادة وإن مقام الإحسان يقتضي اتفاق الباطن والـظاهر مع المراقبة في جميع العمل حتى لا تتخلل غيبة بوجه ، وهذا هو الأكمـل في حق طـالب النجاة[1] وهـو المقصـود من قـول بعض الأكـابـر : «إن للشريعة ظاهراً ، وباطناً» بمعنى أن لهـا حكماً على المكلفين من حيث ظاهر أعمالهم ، وحكماً عليهم من حيث باطن أعمالهم ، وكما أن اتفاق الباطن والظاهر الإنسانيين يرفعان إلى مقـام الإحسان ، فـإن هذا المقـام يشهد اتفاق الباطن والظاهر الإلهيين ، وقريب من هذا الفهم للباطن إلهياً وإنسانياً ما يذهب إليه أصحاب الطريقة الشـاذلية قـالت صاحبـة كتاب : «رحلة إلى الحق» السيدة فاطمة الحسنية :

ويـدور علم البـاطن على أصلين : علم بـالله وبمعـرفـة تجليـاتـه بأسمائه ، وصفاته وأفعالـه . . وعلم بالنفـوس ومراتبهـا وتمامهـا ونقصها ومحاسنها ومعايبها ، لأن مفتاح معرفـة الله عند القـوم ، معرفـة النفس ، وكيف يعرف ربّه من لا يعرف نفسه ؟ «فمن عرف نفسه فقـد عرف ربـه» وقال الله تعالىٰ : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم

---

(1) إحياء علوم الدين ـ الشيخ الغزالي ـ ٥/٦٢ ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

أنه الحق﴾ [سورة فصلت ؛ الآية : ٥٣] وقال : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .

[سورة الذاريات ؛ الآية : ٢١]

«ثمّ هناك معرفة حقيقة الدنيا ، ومعرفة أحوال الآخرة ، ومراقبة النفس ، وإيثار حب الله على كل شيء ، ويتفرع من هذه المعارف الإلهية أبحاث عامة واسعة النطاق ترجع كلها إلى صدق التوجه إلى الله»[1] فالذي يقارنه التوفيق من الناس يتحقق باطن الدين ، ويرى طريق الحقّ ويحقّق تعاليم القرآن وسنة النبيّ ، فيكون بذلك من أهل الباطن ، الذين يتحد باطنهم في جميع ما افترض عليهم من تكاليف .

وأهل الباطن هؤلاء كما صافوا الله وأحبوه ، واتحدوا بباطن توحيده ، وانفصلوا عن سواه كذلك صافوا إخوتهم العارفين بالله ، وطردوا المنافقين من حسابهم ، أولئك الذين ترضي ظواهرهم وتكيد بواطنهم .

---

(١) رحلة إلى الحق ـ فاطمة الحسنية ـ ٢٧ ـ ط أولى بيروت ١٩٦٦ م .

العلويون والغلو

والغلو هو تجاوز الحدّ وأمّا الغلو بأمير المؤمنين عليه السلام فهو الاعتقاد به أنّه هو الله تعالى ، وقد تأخذك الحيرة والتعجب بمن يعتقد من الناس بألوهية بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فهو من أعظم الافتراء بل من الشرك وهو من أكبر الكبائر وهل يتصور بعاقل مهما بلغ به التهور أن يرتطم بهذه المهلكة ، وينحدر إلى هذه الموبقة والحق أن كثيراً من الناس غالى بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبأولاده المعصومين عليهم السلام ، ونحن نرى أن الغلو شمل الفريق الآخر أيضاً ، فالغلو في معاداة علي عليه السلام ، ومعارضته ، وإنكار حقّه هو هدم في الإسلام ، وخطر عليه ، والقول بالغلو في بقية الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وخصوم الإمام عليه السلام أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة ، وزياد ، ومروان هو أيضاً زيغ وشرك ونفاق ، ويرى بعض العلويين أنّ الذي دعا للغلو به عليه السلام ما كانوا يسمعونه ويرونه من خوارق العادات ، والإخبار بالمغيبات ، كإحياء الموتى ، وإنطاق الجماد ، ومخاطبة الحيوان ، وقلب الماهيات ، والتصرف التام بالزمان والمكان ، وعلمه كلّ العلوم وجميع اللغات ، حتى خاطب أهل كل لغة بلغتهم، بل خاطب العجم بلغاتها، وعروجه إلى السّماء على الغمام ، وعلمه

بالمغيبات الخمس التي حصرها الله تعالى بنفسه[1] لقوله : ﴿إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت﴾ [سورة لقمان ؛ الآية : ٣٤] وغير ذلك مما كان به حيرة العلماء ، ودهشة العقلاء حتى قال قائلهم : «والله ما ندري ماذا نصنع بعلي بن أبي طالب ، إن أحببناه حق حبه غلونا ، وإن قصرنا كفرنا» واحتجوا بقول الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ، وقد أورده علامة المعتزلة ابن أبي الحديد .

حار الورى كلهم في أمر حيدرة ... والعالمون بمعنى أمره تاهوا
فإن أقل بشر فالعقل يمنعني ... وأتقي الله في قولي هو الله[2]

وأورد له أيضاً :

لو أنّ المرتضى أبدى محلّه ... لبات الخلق طرّاً سجّداً له

ويقول كذلك :

يموت الشافعي وليس يدري ... عليٌ ربهُ أم ربهُ الله[3]

ويلتمس الشيخ محمود الصالح صاحب كتاب «النبأ اليقين عن العلويين» العذر للفئات العاميّة الجاهلة إذا ما غلب على تفكيرها الغلو طالما أنه وجد من وجهاء المسلمين من أمثال ابن أبي الحديد من يقول في الإمام علي عليه السلام :

صفاتك أسماء وذاتك جوهر ... بريء المعالي من صفات الجواهر
يجلّ عن الأعراض والأين والمتى ... ويكبُر عن تشبيهه بالعناصر

---

(١) الحيرات ـ الشيخ أحمد محمد حيدر ـ مرجع سابق ـ ص ـ ١٧٣ ـ .

(٢) سلوني قبل أن تفقدوني ـ محمد رضا الحكيمي ـ دار الأعلمي ـ بيروت ط ١٩٧٩ م جزء ٢ ص ٣٧ .

(٣) لماذا اخترت مذهب الشيعة ـ محمد مرعي الأنطاكي ـ ص ٢٣٨ ـ ط أولى ١٣٨٠ هـ بيروت .

أو يزداد شططاً وغلواً فيقول[1] من قصيدة في ذكرى فتح خيبر :

تقيلت أفعال الربوبية التي ... عذرت بها من شك أنّك مربوب

وقد قيل في عيسى نظيرك مثله ... فخسر لمن عادى علاك وتتبيب

ويا علّة الدنيا ومنْ بدو خلقها ... له وسيتلو البدوّ في الحشر تعقيب

لذاتك تقديس لرمسك طهرة ... لوجهك تعظيمُ لمجدكَ ترحيبُ

حنانيك فاز العربُ منك بسؤدد ... تقاصر عنْه الفرسُ والرُّوم والنوب

فما ماس موسى في رداء من العُلى ... ولا آب ذكراً بعد ذكرك أيوب

تجلّى لك الجبّار في ملكوته ... وللحتف تصعيدُ إليك وتصويب

وللشمس عين عن علاك كليلة ... وللدُّهر قلب خافق منك مرعوب

وما أنسى لا أنسى اللّذين تقدما ... وفرُّهما والفرُّ قد علما حُوب

وللراية العظمى وقد ذهبا بها ... ملابس ذلّ فوقها وجلابيب

يشلّهما من آل موسى شمردلٌ ... طويل نجاد السيّف أجيد يعبوب

عذرتكما إنَّ الحمام لمبْغض ... وإنَّ بقاء النّفس للنفس محبوب

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في ذكر فتح مكة :

رَميت بأسمى غارب أحدقت به ... ملائك يتلون الكتاب المسطّرا

بغارب خير المرسلين وأشرف الأ ... نام وأزكى فاعل وطأ الثّرى

فسبّح جبريل وقدّس هيبة ... وهلّل إسرافيل رُعْباً وكبّرا

فيا رتبة لو شئت أن تلمس السّها ... بها لم يكن ما رمته متعذّرا

ويا قدميه أيُّ قدس وطأتما ... وأيُّ مقام قمتما فيه أنورا

بحيثُ أفاءتْ سِدرة العرش ظلّها ... بضوْجيه فاعتدّت بذلك مفْخرا

وردت حُنينا والمنايا شواخص ... فذلّلت من أركانها ما توعّرا

---

(١) النبأ اليقين عن العلويين ـ مصدر سابق ـ وشرح القصائد العلويات السبع ـ الأعلمي بيروت ١٩٧٢ م ص ٩٩ .

فكم منْ دَم أضحى بسيفك قاطراً بها من كميٍّ قد تركت مقطّرا
وكم من رؤوس في الرماح عقدتها هناك لأجسام محلّلة العُرا
وكم فاجر فجّرت ينبوع قلبه وكم كافر في الترب أضحى مكفّرا
وأعجب إنساناً من القوم كثرة فلم يُغن شيئاً ثمّ هرول مدبرا
وضاقت عليه الأرض من بعد رحبها وللنّص حكم لا يدافع بالمرا
وليس بنكر في حنين فراره ففي أحد قد فرّ خوفاً وخيبرا
فتى لم تعرق فيه تيم بن مُرّه ولا عبد اللات الخبيثة أعصرا
ولا كان معزولاً غداة براءة ولا عن صلاة أمّ فيها مؤخّرا
ولا كان في بعث ابن زيد مؤمرا عليه فأضحى لابن زيد مؤمّرا
ولا كان يوم الغار يهفو جنانه حذاراً ولا يوم العريش تستّرا
إمام هوى بالقرْص آثر فاقتضى له القرص ردّ القرص أبيض أزهرا[1]
يزاحمه جبريل تحت عباءة لها قيل كلّ الصيد في جانب الفرا[2]

ويطيب للبعض ومنهم الدكتور مصطفى الشكعة صاحب كتاب «إسلام بلا مذاهب» أن يقسم العلويين إلى فريقين : الغلاة ، فريق العلوية الصحيحة ، وهذا أمر غريب من رجل غيور مثله على وحدة الصف المسلم وجمع الكلمة وهكذا عرفناه في بيروت في السبعينات يوم كان مدرساً في «جامعة بيروت العربية» ويعمل على إخراج الكتاب المذكور ، وتشرفت بزيارته وقدمت له بعض المصنفات عن العلويين وتاريخهم وعاداتهم ، وتقاليدهم ومن ذلك مخطوطة لنا بعنوان «العلويون فدائيو الشيعة المجهولون» وللتاريخ أقول إنني وجدت فيه شهامة وغيرة وإخلاص المسلم لدينه وعروبته ووعدني آنذاك بأن يكتب بتجرّد ونزاهة ، وحياد ، وإنصاف ، وأن ينزل في كتابه بيان علماء ومشائخ

(١) القرص الأول قرص الشعير الذي تصدّق به والأخير قرص الشمس وفي الأول نزلت سورة هل أتى .

(٢) شرح القصائد العلويات السبع ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٩ ـ .

الطائفة الجعفرية العلوية «العلويون شيعة أهل البيت» الصادر عن مؤتمر اللاذقية عام ١٩٧٢ م ـ وفي نسخة بيروت من كتابه «إسلام بلا مذاهب» ذكر البيان كاملاً مع بعض التواقيع عليه لكن في النسخة المصرية التي بين أيدينا والصادرة عن «الدار المصرية اللبنانية» في القاهرة ، وجدت أن البيان قد حذف بكامله وهو وثيقة مهمة تاريخية لها شأنها وأهميتها في التوثيق وإحقاق الحق والذي يبدو لي أن هناك ضغوطاً هامّة إما سياسية أو دينية مارسها بعضهم على المؤلف فحذف وقدّم وأخّر ، وأضاف قائلاً تحت عنوان فريق الغلاة «سامحه الله» :

فأما الغلاة من العلويين ـ ويسميهم الشهرستاني النصيرية ، ربما لإبعادهم عن الإمامية الجعفرية ـ فينسب إليهم تأليه الأئمة من آل البيت ، وجعلهم للإمام علي كرّم الله وجهه قداسة إلهية ، وهم يرون أن النبي مختص بالظاهر ، وأنّ علياً مختص بالباطن ، ويقولون إن النبي كان مختصاً بحرب المشركين ، وأما علي فمختص بحرب المنافقين ، وأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي»[1] قلت إن الشهرستاني يخلط بين الغلاة المعطلة من أصحاب هذه المقالة وبين النصيريين العلويين وهم شيعة جعفرية إمامية إثنا عشريه يحللون الحلال ويحرمون الحرام غير أنهم يوالون الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ويقولون بأحقيتهم بالخلافة وعصمتهم وأن المتقدم عليهم مخطىء والكاره لهم جائر حائد آثم ، وأما قوله : «إنّ علياً عليه السلام كان مخصوصاً بتأييد إلهي» فقد روى نفر كثير من المسلمين أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام حينما هزم اليهود في خيبر وفتح الباب العتيد قال : والله ما اقتلعته بقوّة جسدية ولكن بقوّة إلهية وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد المعتزلي :

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن   خوض الحمام مدجج ومدرَّع

(١) الملل والنحل ـ الشهرستاني طبعة الأنجلو مصر جزء أول ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ .

يـا قـالـع البـاب الــذي عن هــزهـا ... عـجـزتْ أكـفٌ أربـعـون وأربـع[1]

ويستطرد الشكعة ليقول[2] : «هذا ما كان من أمر العلويين النصيرية في الماضي ، فلما سار ركب الزمان ومرت عليهم القرون عاد منهم إلى العقيدة في سلامتها من عاد ، وأخذت بالباقين أسباب من التغير أو التطور بعضها باعد بهم عن الإسلام ، وبعضها الآخر قربهم إليه ـ هذا الرأي فيه جزء من الحقيقة على علاّته ـ فأما الذين ساروا في طريق التباعد ، فقد وقعوا تحت تأثيرات التعلات الجاهلة التي خرّوا ضحية لها ، لأنَّ بعضها جاء من المجوسية ، والبعض الآخر جاء من التثليث المسيحي أو من فتنة عبد الله بن سبأ[3] ، فهم يؤلفون ثالوثاً من علي ومحمّد وسلمان الفارسي ، ويتخذون من ذلك شعاراً يتكون من الحروف الثلاثة «ع م س» أو ما يسمى «سر عقد ع م س» وهذا الثالوث يفسر عندهم : «المعنى والإسم والباب» والمعنى هو الغيب المطلق ، أي الله الذي يرمز إليه بحرف «ع» والإسم هو صورة المعنى الظاهر ويرمز إليه بحرف «م» والباب هو طريق الوصول للمعنى ويرمز إليه بحرف «س» ـ يبدو أنَّ المؤلف أخذ المعلومات المذكورة من «الباكورة السليمانية» ـ فللعقيدة عند هذه الفئة من الغلاة هيكلان : هيكل شبه نصراني يتمثل في التثليث الذي يتضح في عقد «ع م س» وآخر إسلامي . ولعلّ من القرائن التي تفسر لنا ذلك احتفالهم الكامل بالأعياد المسيحية احتفالهم بالأعياد الإسلامية ، ونزيد على ذلك أيضاً الأعياد الفارسية التي دخلت إلى مجتمعهم عن طريق بعض الفرس الذين أسهموا في خلق العقيدة ، فهم يحتفلون بعيد الميلاد ، ويقدمون فيه النبيذ ، ويحتفلون برأس السنة ، وبعيد البربارة ، والغطاس ،

---

(١) شرح العلويات السبع ـ مصدر سابق ـ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ـ الشكعة ص ٣١٢ ط ٩ ١٩٨٩ م القاهرة .

(٣) يرى جمع من المحققين منهم طه حسين أنه شخصية خرافية أنظر مرتضى العسكري في «عبد الله بن سبأ» .

والشعانين ، والعنصرة ، ومريم المجدلانية ، ومن الأعياد الفارسية يحتفلون بالمهرجان والنيروز ، وأما الأعياد الإسلامية التي يحتفلون بها فهي عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، وعيد الغدير ويقع في الثامن عشر من ذي الحجة ، وعيد الغدير الثاني ويقع في التاسع من ربيع الأول ، وليلة نصف شعبان ، وعيد الفراش أي ليلة مبيت عليّ على الفراش مكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ليس من شك في أن هذه الناحية من السلوك في ضوء هذه القرائن متأثرة بالمسيحية وبعض العادات الفارسية .

قال : ومن عقيدة هذه الفئة الحلول ، أي أن الله تجلّى للمرة الأخيرة لعلي كما تجلى من قبل ذلك ـ حسب اعتقادهم ـ لهابيل وشيث وسام واسماعيل وهرون وشمعون ، واتخذ في كل دور رسولاً ناطقاً تمثل على الترتيب في آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، وعيسى ، فعليّ إمام في الظاهر إله في الباطن لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يقتل ، ولا يأكل أو يشرب . وبحسب الاعتقاد السابق فقد اتخذ علي محمداً ، ومحمّد متصل بعلي منفصل عنه نهاراً»[1] .

ثمّ عاد واستطرد صاحب كتاب «إسلام بلا مذاهب» ليناقش المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة فقال وأجاد فيما قال :

«قد تستبد الحيرة بالمسلم وهو يقرأ هذه الصفحات التي سطرت عن العقيدة المنسوبة للعلويين ولقد هممت أن أنكر هذه المعلومات جملة وتفصيلاً ، وأوشكت أن أفعل ذلك حتى ولو كان الأمر متعلقاً بعدد قليل من العلويين ، ولقد أسهم في تزكية إنكاري هذا أن مصدر أكثر هذه المعلومات التي ذكرت مأخوذة من كتاب «الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة العلوية» لمؤلفه سليمان الأدني «نسبة إلى أدنة» نشأ

---

(١) الباكورة السليمانية في أسرار الديانة النصيرية ـ سليمان الاذني ـ طبعة بيروت .

علوياً ثم تحول عن العلوية إلى اليهودية ، ثم ما لبث أن تحول إلى البروتستانتية ، ثم حلا له أخيراً أن يتحول إلى راهب كاثوليكي»[1] .

الواقع أن هذا التحول في حد ذاته يحمل معنى التقلب والتحدي الذي يجعل المرء يتردد في اعتماد ذلك الكتاب كمصدر يعتمد عليه ، خاصة وأن الرأي العلوي في سليمان هذا أنه كان سكيراً عربيداً ، الأمر الذي أدى إلى طرده من الجامعة العلوية . أما الرجل من ناحية وجهة نظره فيذكر أنه لم يستطع أن يتقبل عقائد القوم وغلوهم الشديد المقرون بالجهل . الأمر الذي زعزع عقيدته أو بالأحرى جعله وقد وجد نفسه بغير عقيدة ، ومن ثمّ أخذ يبحث عن دين ، وينتقل من عقيدة إلى أخرى بين الإسلام واليهودية والمسيحية ، بل تأرجح بين فرقتين من الفرق المسيحية نفسها .

إنّ صاحب الباكورة السليمانية ربما كان معذوراً من الناحية الشكلية في تخبطه بين الديانات شأن غيره من العلويين الذين افتقدوا التوجيه الديني الرشيد فتحولوا كلية عن الإسلام ، وإن الشيخ الجليل عبد الرحمن الخيّر ، وهو ممّن نجلهم من إخواننا العلويين ديناً وعلماً وحسن إسلام يقول في هذا المقام : «إن المخلصين من رجالات العلويين الأفذاذ ظلوا يجالدون سياسة الاستعمار الغاشمة التي كانت ترمي بين ما ترمي إليه تنصير جهلائهم ، ومن البداهة أن الإستعمار لا يقدم على تنصير مسلم إلا إذا كان بين هذا المسلم وبين الإسلام شأو بعيد ، مسافته جهل وغفلة ، ولقد كان عدد كبير من مشائخ العلويين ـ ناهيك عن عوامهم ـ غارقين في تيارات الغلوّ ، سالكين متاهات الجهل بحقائق العقيدة ، هذا فضلاً عن كثرة عددهم الذي كان يناهز عدد العوام»[2] .

---

(١) أنظر تاريخ العلويين ص ٣٩٣ ـ مصدر سابق ـ وتاريخ ولاية بيروت القسم الثاني فصل الديانات .

(٢) انظر مقدّمة كتاب تاريخ العلويين ـ مصدر سابق ص ـ ٤٧٧ ـ .

وقد يستند بعض الغلاة في غلوهم وشططهم على ما جاء من الشعر عن بعض الأكابر من الشيعة والطافح بالغلو والشطح فمن ذلك قول الحافظ البرسي :

أيُّها اللائم دَعني ... واستمع من وصف حالي
أنا عبد لعليّ المر ... تضى مَوْلى الموالي
كلما ازددت مديحاً ... فيه، قالوا: لا تغالِ
وإذا أبصرت بالحق ... يقيناً، لا أبالي

ويقول وهو من الغلوّ الشديد أيضاً :

أنت الوليُّ الذي مناقبه ... ما لعلاها في الخلق أشباه
يا آية الله في العباد، ويا ... سرّ، الذي لا إله إلاّ هو
فقال قومٌ بأنه بشر ... وقال قومٌ لا بل هو اللّه
لا يختشي النار عبد حيدرة ... إذ ليس في النار من تولاّه

وموقف الأئمة عليهم السلام من الغلاة هو الرفض أو البراءة منهم ، وقد غلا فريقٌ منهم في الإمام حال حياته ، وزعموا أنّه إله ، فنفى بعضهم ، وحرّق البعض الآخر في النار ، وهو ما أشار إليه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يركب على بغلة في شهر رمضان في الكوفة فرأى جمعاً يتناولون الطعام في شهر رمضان فقال لهم : هل أنتم نصارى ؟ أجابوا بالنفي ثمّ قال أيهود أنتم ؟ وكان الجواب النفي ، ثم سألهم هل هم قوم سفر ؟ فأجابوا أيضاً بالنفي ، فقال عليه السلام أمرضى أنتم ؟ فأجابوا بالنفي فأدرك عليه السلام المراد حينما قالوا : بل أنت أنت فنزل الأرض ومرّغ وجهه بالتراب وقال : أنا

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ـ رجب البرسي ـ الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ ط عاشرة .

(٢) المصدر السابق .

عبد الله فأجابوه بل أنت أنت ثم أرسل ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ليحاججهم فلم يتراجعوا فحرّقهم عليه السلام بالنار ثم قال :

ولما رأيت الأمر أمراً منكراً   أجّجتُ ناري ودعوت قنبرا .

وإن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان له مواقف علميّة وجريئة في الردّ على الغلاة ، وإنه تبرأ من أبي الخطاب «المغيرة بن سعيد» حينما وقف على غلوّه .

وإنّ الإمام محمد الباقر عليه السلام ، نهر المغيرة بن سعيد وطرده ، كما طرده الإمام جعفر الصادق عليه السلام وإن الإمام الحسن العسكري بريء من ابن نصير ، ولعنه على غلوّه وحذّر منه ومن قبول دعوته .

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله : إعتقادنا في الغلاة المفوضة أنهم كفّار بالله ، وأنهم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس ، والقدرية والحرورية ، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضللة . وقال الشيخ المفيد رضي الله عنه : الغلاة ضلّال وكفّار ، حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار ، وقضت الأئمة عليهم السلام بهم بالإكفار والخروج من الإسلام .

وقال الدكتور محمد جواد مشكور محقق كتاب «المقالات والفرق للقميّ» .

سمي الغلاة بهذا الاسم لأنهم غلوا في علي ، وفي أئمتهم وقالوا فيهم قولاً عظيماً ، وقالت طائفة فيهم إنّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الله ، وهؤلاء الغلاة ينسبون أنفسهم إلى الشيعة ، ولكنّ ، الشيعة الإمامية ، ينكرونهم ويلعنونهم .

وقد يجد بعض الغلاة ذريعة في أمثال قصيدة ابن أبي الحديد المعتزلي في مدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفيها من الصعب المستصعب ما لا يخفى يقول :

يا برق ان جئت الغريّ فقل له ... أتراك تعلم من بأرضك مودع

فيك ابن عمران الكليم وبعده ... عيسى يقفّيه وأحمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال وإسر ... افيل والملأ المقدّس أجمع

بل فيك نور الله جلّ جلاله ... لذوي البصائر يستشفّ ويلمع

فيك الإمام المرتضى فيك الوصيّ ... المجتبى فيك البطين الأنزع

هذا هو النور الذي عذباته ... كانت بجبهة آدم تتطلّع

يا قالع الباب الذي عن هزّها ... عجزت أكفّ أربعون وأربع

لولا حدوثك قلت إنك جاعل ... الأرواح في الاشباح والمستنزع

لولا مماتك قلت إنك باسط ... الأرزاق تقدرُ في العطاء وتوسع

ما العالم العلويّ الاّ تربة ... فيها لجثتك الشريفة مضجع

أأقول فيك سُميدع كلا ولا ... حاشا لمثلك أن يقال سميدع

بل أنت في يوم القيامة حاكم ... في العالمين وشافع ومشفّع

والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البرية مجمع

علم الغيوب اليه غير مدافع ... والصبح أبيض مسفر لا يدفع

وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع[1]

ومن الأسباب التي دعت للغلو به ﷺ ما جاء في خطبه مثل :

«إنَّ لي الكرَّة بعد الكرَّة ، والرجعة بعد الرجعة ، وأنا صاحب الكرات والرجعات ، وصاحب النقمات والصولات ، والدولات العجيبات»[2] وقوله :

«أنا أسماء الله الحسنى ، وأمثاله العليا ، وآيته الكبرى ، وأنا صاحب الجنّة والنّار ، أُسكن أهل الجنة الجنّة ، وأهل النار النار ، وإليّ إياب الخلق جميعاً . أنا الذي سخرت لي السحاب ، والرعد والبرق ،

(١) شرح القصائد العلويات السبع ـ مصدر سابق ص ـ ١٤٣ ـ .

(٢) صحيفة الأبرار جزء أول ص ٩٣ مصدر سابق .

والظلم والأنوار ، والرياح والجبال ، والبحار والنجوم ، والشمس والقمر ، وأنا الذي ذللت الجبابرة ، وأنا صاحب مدين ، ومهلك فرعون ، ومنجي موسى ، وأنا فاروق الأمّة ، وأنا الهادي ، وأنا أحصيت كل شيء عدداً»[1] وسئل مرة : كيف أصبحت ؟ فقال : «أصبحت وأنا الصِّديق الأكبر ، والفاروق الأعظم ، وأنا وصيّ خير البشر ، وأنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الباطن وأنا الظاهر وأنا بكل شيء عليم ، وأنا عين الله ، وأنا جنب الله ، وأنا أمين الله على المرسلين بنا عُبد الله ، ونحن خزنة الله في أرضه وسمائه ، وأنا أحيي وأميت ، وأنا حيّ لا أموت»[2] .

وخطب مرة في جامع البصرة فقال :

«يا معشر المؤمنين والمسلمين ، إن الله عزَّ وجل أثنى على نفسه فقال : هو الأول - يعني قبل كل شيء - والآخر - يعني بعد كل شيء - والظاهر على كل شيء ، والباطن لكل شيء . سلوني قبل أن تفقدوني فأنا الأول ، وأنا الآخر ، أنا دحوت أرضها ، وانشأت جبالها ، وفجّرت عيونها ، وشققت أنهارها ، وغرست أشجارها»[3] ويقول :

«وأطعمت ثمارها ، وأنشأت سحابها ، وأسمعت رعدها ، ونوّرت برقها ، وأضحيت شمسها فيها . أنا جنب الله ، وكلمته ، وقلب الله ، وبابه الذي منه يؤتى ، ادخلوا الباب سجّدا ، أغفر لكم خطاياكم ، وأزيد المحسنين ، فيّ وعلى يديّ تقوم الساعة ، وفيَّ يرتاب المبطلون»[4] .

وهذا الكلام الآنف الذكر غريب عجيب يدهش العقول ، ويحير الألباب ، ولكن إن صحّ نسبة هذا الكلام إلى المولى ﷺ فلا بدّ حينئذ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ١٦١ - ١٦٤ - ١٦٨ - مصدر سابق .

(٣) صحيفة الأبرار جزء أول ص ٨٧ مصدر سابق .

(٤) مشارق أنوار اليقين ص ١٧٢ مصدر سابق .

من التأويل والتخريج والتصويب والتوجيه بما لا يخدج العقيدة ويؤدي إلى الشرك المحظور فإن لم يمكن ذلك وجب إما التوقف في شأنه وإعادته إلى المعصوم ، وإمّا حظر ومنع مداولته بين السذّج ، والعوام ، والبسطاء حتى لا يفضي الأمر والعياذ بالله إلى الغلوّ المؤدي إلى الكفر .

ومن الأمور المستغربة صعود أمير المؤمنين عليه السلام على كتف سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم لإنزال هبل ، وقد روي أن الملائكة أحاطت بظهره حين أصعده فنال علي عليه السلام شيئاً لم ينله أحد ، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أن سائلاً سأله فقال :

«أخبرني يابن رسول الله لم رفع النبي علياً على كتفيه ؟ فقال : ليعرف الناس مقامه ورفعته ، فقال : زدني يابن رسول الله ، فقال : ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله فقال : زدني فقال : ليعلم الناس أنّه الإمام بعده والعلم المرفوع ، فقال : زدني ، فقال : هيهات ، والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عندي وأنت تقول : إن جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون ! ! وكيف يطلع على الأسرار غير الأبرار»[1] وهذا من الدواعي والأسباب الأكيدة التي دعت كثيراً من النفوس المريضة والأرواح السقيمة ، والأجسام المعكوسة إلى الغلوّ والإنعتاق من ربق الشريعة وإقامة الفريضة والسنن وفي هذا يقول الشافعي :

قيل لي قل في عليّ مدحاً	ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرىء	ضلّ ذو اللبّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا	ليلة المعراج لمّا أصعده
وضع الله بظهري يده	فأحسّ القلب أن قد برّده
وعلي واضع أقدامه	في محل وضع الله يده[2]

(١) مشارق أنوار اليقين . ص ١٧ .

(٢) ينابيع المودّة جزء أول ص ١٣٩ مصدر سابق .

قالوا ومن دواعي الغلوّ ، النار التي تجلّت لموسى من الشجرة ، استناداً إلى قول الإمام عليه السلام في إحدى خطبه : «أنا ذلك النور : وأنا صاحب الطور»[1] ويقول المعتزلي ابن أبي الحديد :

وشهاب موسى حين أظلم ليلهُ ... رُفِعتْ له لألاؤه تتشعشع
لولا حدوثك قلت إنك جاعل الأ ... رواح في الأشباح والمستنزع
والله لولا حيدر ما كانت الدّ ... نيا ، ولا جمع البرية مجمع[2]

وله أيضاً :

يا أيها النار التي شبّ السّنا ... منها لموسى والظلام مُحلّلُ
لولاك ما خُلق الزمان ولا دجا ... غبّ انبلاج الفجر ليل أليل[3]

وقد زعموا استناداً إلى الحديث الشريف : «يا عليّ كنت مع كل نبي سرّاً ومعي جهراً» أنَّ جميع معاجز الأنبياء كانت بعلي بن أبي طالب قال الشاعر :

فلولاك لم ينج ابن متى ولا خبت ... سعير لإبراهيم بعد تلهب
ولا فلق البحر ابن عمران بالعصا ... ولا فرّت الأحزاب عن أهل يثرب.
ولا قبلت من عابد صلواته ... ولا غفر الرّحمن زلة مذنب
ولم يغلُ فيك المسلمون جهالة ... ولكن لسرّ في علاك مغيّب[4]

قالوا ومن هذه الأسباب قصة رميه بالمنجنيق ، وهي قصة غريبة مستغربة صعبة مستصعبة وفي الرواية «وذلك لوضع أمير المؤمنين بكفه المنجنيق ، ثم قذفه في الهواء عوضاً عن الحجر ، ولمّا لم توصله الرمية

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص ١٦٩ مصدر سابق .
(٢) الروضة المختارة من شرح العلويات السبع ص ١٠٦ مصدر سابق .
(٣) المصد السابق ص ١٥٥ .
(٤) سلوني قبل أن تفقدوني جزء أول ص ١٦٩ .

إلى فوق الحصن خطا في الهواء حتى بلغ الحصن ثم نزل وقلع الباب الذي كان لا يقدر على فتحه وإغلاقه الاّ أربعة وأربعون رجلاً وتترس به بأن حمله بيد واحدة ، وجعل يضربهم من تحته حتى هزمهم وحمل الباب إلى خارج الحصن ، وجعله جسراً على الخندق ، فلما لم يصل إلى طرفي الخندق وصله بيده إلى أن قطع الجيش كلّه عليه»[1] .

فقذفه عليه‌السلام في المنجنيق ، وخطوه في الهواء ، وخلعه الباب ، وحمله إيّاه ووضعه جسراً يصله بيده ، كل هذه الأمور مدهشة ، محيرة ، مخيفة من الصعب المستصعب ممّا دعت الشعراء للتغني بها والتعجب في أمرها يقول المرحوم الشيخ محمد كاظم الأزري من القصيدة الأزرية المشهورة بالشمسية :

فأتاه الوصيّ أرمد عين ... فسقاها من ريقه فشفاها

ومضى يطلب الصفوف فولّت ... عنه علماً بأنه أمضاها

ويرى مرحباً بكف اقتدار ... أقوياء الأقدار من ضعفاها

ودحا بابها بقوة بأس ... لو حمتها الأفلاك منه دحاها

ويقول المرحوم الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي :

حكمت في الكفر سيفاً لو هويت به ... يوماً على كنز الأفلاك لانخلعا

أسلت من غمده ناراً مروّقة ... تجرّع الكفر من راووقها جرعا

حكي الحمام حماماً من حسامك في ... لسان نار على هاماتهم سجعا

عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو ... كان العلاج بغير البيض ما نجعا

وباب خيبر لو كانت مسامره ... كلُّ الثوابت حتى القطب لانقلعا[2]

---

(١) الحيرات ص ١٧٩ ـ وبحار الأنوار جزء ٢١ ص ٤ .

(٢) الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي ـ حيدر الحلي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت لبنان ط أولى ١٩٨٢ م .

وممّا اتخذه الغلاة ذريعة قول أمير المؤمنين ﷺ :

«جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة ، وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في النقطة ، وقال أنا النقطة»[1] وقال : «العلم نقطة كثّرها الجاهلون والألف وحدة عرفها الراسخون»[2] وقال العمري الموصلي :

وأنت أنت الذي آثاره مسحت ... هام الأثير وعنها قدره اتضعا

وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا

وفريق الغلاة في نظر صاحب كتاب «اسلام بلا مذاهب» يقسمون مشايخهم إلى رتب ودرجات وهم في ذلك يشبهون الإسماعيلية إلى حد ما ، فأولى رتب المشيخة الإمام» ثم تليها رتبة «النقيب» وثالثها رتبة «النجيب»[3] ولكل من الإمام والنقيب والنجيب سلطانه وحدوده وحقوقه ، ولقد بدأت هذه الرتب على زمن السيد الخصيبي معتمدة على درجات المعرفة في نطاق المذهب ، ولكنها في الأزمنة الأخيرة افتقدت هذه المؤهلات ، ولعلّ المؤهل الغالب هو قوة شخصية صاحب الرتبة ، بعض النظر عن تأهيله العلمي والديني ، وقد وردت هذه الرتب في شعر بعض من جنحوا إلى الغلو مثل المنتجب العاني[4] ، ولقد أنشأ المنتجب قصيدة بائية طويلة أسماها «جذوة التوحيد» تحدث من خلالها عن الرموز العلوية «المعنى والإسم والباب» ووصفها على طريقته ، ثم انتقل إلى ذكر المراتب «العلوية» بما لا يخالف فيه كثيراً ما جاء به صاحب «الباكورة السليمانية» فبعد ذكر الأبواب يذكر الأيتام السبعة ـ وقد مرّ ذكرهم ـ ثم ينتقل إلى النقباء ثم النجباء ، ويلحّ على السبعة العلوية

---

(١) ينابيع المودّة جزء أول ص ٦٨ مصدر سابق .

(٢) المصدر السابق جزء أول ص ٦٨ .

(٣) الباكورة السليمانية ص ٣٦ .

(٤) إسلام بلا مذاهب ص ٣٢٤ مصدر سابق .

المنسوبة إلى السبعة الشهب ، والسبعة السفلية المنسوبة إلى التراب يقول المنتجب العاني :

فتلك «الأبواب» والأيتام تتبعهم	وخلفهم «نقباء» سادة نجب
وإثرهم «نجباء» كلهم سلكوا	نهج الهدى وإلى نيل العلا وثبوا
وبعد ذلك مختصون ترفعهم	ومخلصون إلى مولاهم قربوا
فهذه «سبعة علوية» ظهرت	دون الأوائل منها السّبعة الشهب
وبعدهم «سبعة سفلية» نسبوا	إلى التراب وماوارتهم الترب[1] .

ويرى الغلاة من العلويين ضرورة كتمان العقيدة ، ولكنّ المتدين الحصيف ينكر هذا المبدأ بداهة ، إذ كيف تحترم عقيدة نفسها وتختفي بالمؤمنين بها ثمّ تتذرع بأسباب للكتمان ، إنّ للقوم على كل حال وجهة نظرهم في ذلك[2] . ويعرضها السيد محمد الطويل على لسانهم بقوله «إنه لما أعلن كمال الإسلام كان لا يزال بعض العقائد مكتوماً وخفياً ، ولذلك بقي إلى هذا اليوم مكتوماً لخصوصيته ، وبتعبير أصح : إن بقاء عقيدة العلويين مكتومية هو من كمال الإسلام ، وإعلانها مضرّبه لأن الرسول ﷺ بشّر المؤمنين بولاية علي ، وبذلك كمل الإسلام ولكنه بقي حريصاً على كتمان البقية ، ولذلك كان كتمان البقية من كمال الإسلام أيضاً[3]» .

فإذا سأل سائل عن الكتب التي يعتمد عليها هذا الفريق الغالي الذي سبب الكثير من المضايقات والحرج ، ليس للصّادقين من العلويين وحدهم ولكن لبقية المسلمين ، فإننا نجيبه بذكر بعض هذه الكتب التي قرأنا بعضاً من نصوصها ، والأخرى التي لم يكن لنا نصيب من التعرف عليها إلّا من خلال قراءة عناوينها ، والسماع بها ، فإن الوصول إلى

(١) المنتجب العاني ص ٥٢ ـ ٥٣ مصدر سابق .
(٢) إسلام بلا مذاهب ص ـ ٣٢٥ ـ .
(٣) تاريخ العلويين ص ـ ٧٥ ـ .

الكثير منها دونه الكثير من العقبات[1] ، وهذه الكتب هي : كتاب ، المجموع ، كتاب الدلائل ، كتاب التأييد ، للشيخ محمّد الكلازي ، كتاب جدول النوراني ، كتاب الباطن ، كتاب الدستور ، كتاب الهفت أو الهفة الذي ينسبه القوم خطأ إلى الإمام جعفر الصادق ، عينيّة الطوسي ، دواوين أبي عبد الله الحسين الخصيبي ، ديوان المنتجب العاني .

وبعض الغلاة يرى : «أن عليّاً يسكن القمر أو بالأحرى إن القمر هو عليٌّ ذاته ، وإنّ ما في القمر من سواد ليس إلاّ أعضاء جسم علي ، ومن ثم كان القمر معبوداً له ، ولما كان القرآن الكريم يصف الخالق بقوله تعالى : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٢٩] فإن القمر يكون هو ذلك الإله لأنه كل يوم في شأن ، وكلمة قمر توحي بالضياء وهي مكونة من ثلاثة أحرف ، ولما كانت كلمة «شمس» وكلمة «نجم» كل منها مكونة من ثلاثة أحرف وتعطي ضياء فإن الصلة تكون وثيقة القداسة بينها ، ولذلك فإن بعض القوم يذهبون إلى أن القمر هو علي ، والسماء هي علي ، والشمس هي محمد . أمّا وإنّ القمر هو الإله فإن لهذا الفريق كثيراً من الأشعار التي تمجد القمر أو «الرمق» كما يحلو لبعضهم أن يكني عنه بحروفه مقلوبة على ما سوف نبين بعد قليل فيما نقدم من نماذج لأشعارهم الدينية . ومن حيث العبادة والمعبود فإن النصيرية التي نخصها هنا بالحديث تنقسم إلى أربع طوائف هم عباد السماء ، وعباد الشفق ، وعباد القمر ، وعباد الهواء . وليس كل من السماء والشفق والقمر والهواء إلاّ عليّاً[2]» .

وبسبب هؤلاء المشتطين الغلاة الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى مجتمعهم وهم فئة من المشايخ استسلمت للجهل وتعصبت له وحاربت

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ـ ٣٢٧ ـ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ص ـ ٣١٥ ـ والباكورة السليمانية مصدران سابقان .

العلم وناصبته العداء ، وأصرت على أن العلم يتنافى مع الدين ، الأمر الذي حدا بالعلّامة المرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر كي يؤلف كتاباً في الإيمان بالله وبالعلم أسماه «ما بعد القمر» حمل فيه على جهل هذه الفئة من المشايخ واستنكر آراءهم التي تقول بأن العلم يتنافى مع الدين . يقول رحمه الله : «وقد أتحير حتى الدهش في محاربة هذه الإكتشافات الجديدة وما في تكذيبها الذي يعطي صاحبه لقب «الكاذب المغفل[1]» ويمضي الشيخ في تمجيد العلم مستشهداً بآيات كثيرة من الكتاب العزيز مستطرداً في القول بأنه : «لا تصبح العبادة فضيلة سامية إلاّ بالعلم ، وإن ركعة من عالم خير من ألف ركعة من زاهد ، فمن زعم أن العلم يتنافى مع الدين فقد رضي من العلم مبلغ الرعاع وحصة الأعمى من الشعاع[2]» .

ويذكر الشيخ المرحوم أحمد حيدر أخباراً مثيرةً عن هذه الفئة من المشايخ وكيف أنها لم تكتف بإنكار العلم وإنما تفننت في التحايل إلى محاربة التعليم بين الناس وتشجيع الجهل فيقول : «وقد كنّا نحرّم عليهم (العوام) تعلم اللّغة العربية ، وحتى القراءة في أي كتاب «إن لم يكن مخطوطاً» ويستطرد قائلاً في التدليل على تشجيع الجهل : «واعرف قرية من قرانا حسب لها منجّم بأن كلّ ولد يتعلم بها القراءة يموت ، فلم يتجاسر بها أب أن يعلم ابنه فن القراءة حتى جاءها بعض الشيوخ فتزكى من عدة رجال بها تعليم أولادهم فزكوه بأن يعلموا أولادهم فن القراءة مضحين بأولادهم ، خوفاً من أن يردّوا طلب الشيخ فيقعوا تحت عقاب أمرّ من التضحية[3]» .

وبحذق المجرّب ينتهي الشيخ إلى النتيجة الحتمية التي يصل

---

(١) ما بعد القمر ص ـ ٣٢ ـ .

(٢) ما بعد القمر ص ـ ٣٧ ـ .

(٣) المصدر السابق ص ـ ٣٨ ـ .

إليها شباب حرموا التعرف على دينهم إلّا ما يذيعه المشايخ من أنه ضدّ العلم ، فتكون الطامّة أن ينشأ شباب منكر للدين جاحد لقيمه ومقاصده يقول الشيخ في ذلك :

«والمؤسف القاتل أن الشباب المثقف قلّما أعطى من وقته شيئاً لفهم شيء من كتاب أو سنّة ، وقد ابتلوا منا «أي من بعض المشايخ» بمن لا يعلم إلا أن العلم نسف الدين نسفاً حتى لم يبق منه ولم يذر ، فحينئذ صار كالمتيقن أن الدين خرافة ، وزاده تيقناً بظنه هذا إفتاء بعضنا بأن العلم يتنافى مع الدين[1] » .

ويمضي العلماء الواعون الصادقون من العلويين المحدثين في طريقهم الطويل يزيحون الخرافات التي أصبحت عقائد ويحاربون البدع التي صارت شرائع . لقد مرّ بنا كيف أن بعض الغلاة قدسوا القمر وقالوا فيه شعراً وإن يكن ركيكاً متخاذلاً . ينشط القوم في عملية التصحيح والعودة بالجاهلين إلى رحاب الإيمان ، وما إن يصل العلم الحديث والعقل البشري المتطور بالإنسان إلى القمر فيحط بقدميه ويسير على ترابه برجليه ، حتى ينطلق الشيخ أحمد حيدر ـ من علمائهم ومشايخهم المستنيرين ـ ويصدر كتابه الذي مر بنا ذكره «ما بعد القمر» يصور فيه حقيقة القمر كما هي علمياً وواقعياً قائلاً[2] : «أجمع العلماء والحكماء والفلاسفة من اليونان والمسلمين أن القمر ليس منيراً بذاته ، بل يكتسب نوره من الشمس ، ويرد نور الشمس عنه كما ترد نورها المرآة ، فهو منير ما دام يرد إليه نور الشمس ، فإذا عرض له أن يحول بينهما ظل الأرض، انخسف وأظلم ، فالنور للشمس بالأصالة ، وللقمر بمجرد الإستعارة . وفي المقدمة التي كتبها محمد أحمد حيدر لكتاب أبيه يقول معرّياً القمر عن كل قداسة مستخفاً بهؤلاء الذين مجدوه في نطاق

---

(١) المصدر السابق ص ـ ٣٨ ـ .

(٢) المصدر السابق ص ـ ٢٥ ـ .

القدسية والعبودية وخلعوا عليه صفات روحانية[1] :

«بعد أن اكتشفنا مادية القمر ، وتبدّد عنه غشاء الروحانية ، أباح هذا التدين المفروض بغير علم ومعرفة ، وبدون شرع وكتاب ، أباح للعقل أن ينطلق من عقاله وأن ينشط من قيوده الوهمية قيود المادة ـ راجعا إلى عالمه ، عالم الإطلاق الذي لا يحد إلا بعدم تحديده . لقد حدَّ الإعتقاد بروحانية القمر من نشاط العقل وضرب دونه ودون الحقائق سداً من الأوهام ، وباكتشاف مادية القمر أتيح للعقل أن ينشط من عقاله . . . . . أتيح لهذا العقل المعتقل أن يكسر القيود ويحطم الحواجز بينه وبين عالمه المطلق[2]» .



---

(١) مقدّمة كتاب ما بعد القمر ص ـ ٥ ـ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ص ـ ٣٣٣ ـ .

العلويون والهبطة «التقمص»

إن فكرة الهبطة وعقيدة التقمص ترتبط الواحدة منهما بالأُخرى ارتباطاً وثيقاً يشبه إلى حد كبير ارتباط الروح بالجسد ، وأصحاب هذه النظرية يقولون إنَّ الأرواح كانت قديماً بغير أجساد يوم الأظلّة ، ثم هبطت إلى الأرض وألبست كل روح قميصاً لا تلبث أن تنتقل منه حين يبلى إلى قميص آخر ، وهذا القميص هو الجسم البشري وبذلك يكون التقمص قد بدأ بعد الهبطة ، بسبب أن الروح لم تكن في حاجة إلى هذا القميص قبل ذلك .

وقد جرى ذكر الهبطة في كتب ومصنفات العلويين قديماً وحديثاً ، وذلك في مقام تكليف الله سبحانه للإنسان ، وفي نظر بعضهم فقد كلّف الله الإنسان مرتين :

الأولى : في عالم الظلّ والشبح .

والثانية : جرى التكليف فيها بعد الهبوط من دار القرار إلى دار الدوران ومقارعة الشيطان .

ومن قادة العلويين فكراً في التاريخ المنتجب العاني «وفاته ـ ٤٠٠ هجري ـ في أصح الأقوال وهو يتذكر ما كان له يوم الأظلة ، وما كان من

تلبية وإنكار ، ولذلك فهو يرافق في الأرض من كانوا رفاقه في السّماء ، ويستعين بأكثرهم قرباً من الحق في النشأة الأولى ، وقرباً من النبيّ في النشأة الأخيرة ، وقد عبّر المنتجب[1] عن محبته للذات الإلهية ، صراحة ، أو إشارة ، أو رمزاً ، ومن التعبير صراحة قوله :

دعاني الإله فلبّيته ويوم الأظلة ناجيته
وفي سرّ سري أخفيته فهذا الذي كنت عانيته
به أتقي غاسقاً إذا وقب

ويعني أنه آمن بالله علانية بالتلبية وسرّاً بالنجوى ، وأنّه حافظ على سرّ ذلك الكشف الذي تجلّى له من ذات الحقّ سبحانه ، واستوقد باطنه المصفى به ليكون ضوءه الذي يهديه في ظلمات الكون بعد الغياب عن شهود ذات الله الممثلة .

وقد يصبر عن فرحته بلقائه وحبّه الذي يكتم بعضه عن بعض ، وحبّ المنتجب حتمي مقضي عليه ، وهي فرحة يعبّر عنها بقوله[2] :

وليلة من ليالي الزهر قابلت فيها بدرها ببدري
ولون داجيها بلون الشعر منه ولون فجرها بالثغر
فانفتح الغيب لنا جليا

وفيه إفاضات الحب وانتشاراته في وجهي الذات المجهول ، والظهور المعلوم والمتقون يظلون متجهين بأشواقهم إلى الغيب يجاهدون في سبيل المعرفة والهيام . ويبدي الشيخ الحسين الخصيبي حزناً وتحسراً لمناسبة الهبطة التي غيرت الحال من رتاع وانطلاق وحرية إلى سجن وقصاص وآلام وابتلاء[3] :

---

(١) فن المنتجب العاني ص ـ ٤٩٩ مصدر سابق ـ .

(٢) المصدر السابق ص ـ ٥٠١ ـ .

(٣) فن المنتجب العاني ص ـ ٢٣٢ ـ مصدر سابق .

كم قد رتعنا فوق أفلاك العُلا ... في ظلّ طوبى في رضى رضوان
حتّى هبّطنا بالذنوب إلى التي ... صارت لنا سجناً من الأسجان

وقوله هذا يشير به إلى ما ورد في كتاب الله العزيز من قول الحق سبحانه :

﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

[سورة البقرة ؛ الآية : ٣٨]

ويقول المنتجب العاني مما يكشف منه الشوق إلى العالم الروحاني الأول :

إن كنت لي صاحباً قف لي بهبّود ... وقلْ لعينك في أطلالها جودي
عسى الدموعُ إذا انهلّت غواربها ... تطفي لهيب سليب اللّب معمود
منازل أنكرتْنا بعد معرفة ... قدْ أخلقتها النّوى من بعد تجديد
تحالفتْ زفراتي والدموع بها ... فهنّ ما بين تصويب وتصعيد

فهو معمود[1] أي عاشق هدّه العشق ، وسلب الحب عقله ، ولذلك يبكي ويستبكي عسى ولعلّ دموع التوبة والإستغفار تخفف عنه ، وتطفي حرارة كبده من الشوق ، ولعلّ صاحب تلك الأطلال والديار يصفح ويغفر ويصفو فيعيده إلى رحاب النعمة والسرور والحبور حيث كان في عالم الروح والشبح .

والمكزون السنجاري العارف يعطي الفكرة طابعاً دراميًا ـ حيث إنه قد أقنع نفسه بغير مراء بنشأتيه في عالم الظلّ والشبح أولاً ثمّ في دار الإمتحان والدوران ثانياً ثم يجري مناجاة مع ربّه حول الهبطة وما صاحبها من حرمان ويتساءل : هل من عودة إلى المنزلة الأولى[2] :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المكزون السنجاري ١/٣٧١ .

والذي منه به هام الورى ... أثر أعينا أبدا في مقلتيّ
فشهدتُ النّشأة الأولى بها ... فانتقى عنّي المرا في نشأتيّ
وتفاوضنا حديثاً حسدَتْ ... كُلّ أعضائي عليه أذُنيّ
قلتُ: بَعْدَ القُرْب ما أبعدني ... عَنْكَ؟ قال: الشك والرّدُّ عليّ
قلت: هل عوْداً لأعياد الصّفا؟ ... قال: كي تقْضي وتقْضي أجليّ
قلت: فالتوبة تمحو زلّتي ... قال: للأوْبة في الرّجعى تهيّ

وقد أغرم الشعراء عند القوم ومفكريهم بالحديث في الهبطة، وعنها نثراً وشعراً، ولم يقف الحديث عنها عند الشعراء والعلماء من الصفوة، بل تعدى ذلك إلى بعض المشائخ المحدودي الثقافة والبسطاء والسذّج الذين عاشوا في القرن الماضي فأكثروا فيها القول.

وما إن هبطت الأرواح من عالم الظلّ وحلّت على الأرض حتّى اتخذت قمصاناً من الأجساد، ومن هنا اصطلاح التقمص، ويبدو أنّ بعض العلويين يؤمنون بالتقمص والدروز يؤمنون كذلك بالتقمص، والبوذيون يؤمنون به، وإن كان لكل طائفة فلسفتها الخاصة بها، وفكرتها المستقلة حول عقيدة التقمص، والدروز يعتقدون أن فكرة التقمص ترتبط بفكرة العدل الإلهي، فإنّ العدالة الإلهية أرحم من أن تحاسب الإنسان على سلوك سوي أو منحرف لمرة واحدة عاشها على الأرض، وإنما يعيش الإنسان أدواراً عديدة متوالية تنتقل خلالها روحه من قميص إلى قميص، ويكون حسابه في النهاية على حصيلة ما قدم من خير أو ما اقترف من آثام في أدواره المختلفة وهذا ما يعلّل به الدروز عقيدة التقمص والأدوار عندهم، وبذلك فإنّ روح الرجل تتقمص طفلاً وليداً، وروح المرأة تتقمص طفلة وليدة، والتقمص هو تقلب الروح في شتى الأحوال لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال، فمن لم يتقبل نداء الحق حسب المعتقد الدرزي لا يمكنه إلاّ أن يحصد نتيجة أعماله

في حيواته التالية[1] . والمفهوم من ذلك استنتاجاً هو العقاب الـذي يكوّن مختلف الأنـواع في حيـاة الشخص القـادم في أدواره التـاليـة أو في «قمصـانه» التـاليه حسب التعبيـر الحقيقي ، وقد يكـون العقاب فقـراً أو تشويهاً أو شقاء ، ولا أعتقد أنـه يكون مسخـاً . وأمّا بـالنسبة لمن تقبـل النـداء وعرف الحقيقـة فإن جـزاءه يكـون النعمـة والخيـر في شكـل من الأشكال .

والمكزون السنجاري يـذكر التقمص بعبـارة «قمص التأجيـل» وهو يـوردهـا مقتبسة من كتـاب ذكـره تحت عنـوان «الصـراط في مسـالـك المؤمنين»[2] .

وأمّا المتجب العاني فـإنه في داليتـه الطويلة الحـافلة بالكثيـر من العقائد ، والقضايا في نطاق المائة بيت وستة التي جعلها حدود قصيـدته قـد عـرض لقضيـة التقمص في دورهـا من دورة الكـون بعـد الهبـطة فيقول[3] :

ولـكـن رأى أن الإلٰـه تـعـاظـمـت ... معـانيـه عن حصـرٍ وعن أن يحـدَّدا

تـجلىّ لأبـصـار الـبـرايـا بـصـورة ... مـمـثلـة بـالـذرءِ كـان بـهـا بـدا

نـراه بـهـا يـوم الأظـلّة ظـاهـراً ... فمجـده بـالحق مـن كـان مجِّـدا

وقـال لهم : جهـراً ، ألستُ بـربكم؟ ... فقالوا : بلى ، أضحى لـك الكلُّ عبـدا

وقـد كـان أبـدا الميم من نـور ذاتـه ... فخرَّت لـه الأمـلاكُ من قبـلُ سجّـدا

هـو البيت والعرش المكين لعـارف ... وأول نـور كـان لـلّه وحّـدا

وأخـرجنا من عـالم الكـون والفنـا ... نـردّدُ في الأطـوار عـوداً ومبـتـدا

---

(1) إسلام بلا مـذاهب ص ـ ٢٨١ ـ وأضواء على مسلك التـوحيد ـ سامي مكارم ط صادر بيروت ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(2) المكزون السنجاري ٢/٢٧٢ .

(3) فن المتجب العاني ـ ص ٢١٩ مصدر سابق .

وكـرر آيـات الـظهـور مـذكـراً ... بما كان من إقرارنا ساعة الندا

فذو العلم والإيمان زاد تيقُّناً ... وذو الجهل والإنكار زاد تمرّدا

وكلٌ على قدر الأصول فمنهم ... خبيثٌ ومنهم طيِّبٌ طاب مولدا

وها نحن في الأجساد يشقى أخو الشقا ... ويسعد فيها من له الله أسعدا

ويا ابن هذا فعل هذا تناقضاً ... ويصلح هذا ما له ذاك أفسدا

إلى أن ترى فيك اللطيف مفارقاً ... كثيفاً به قد كان أضحى مقيَّدا

هناك يعود الجنس طالب جنسه ... فمن منهم يمضي منا فيه منجدا

فأرضيُّها يبقى مع الأرض ماكثاً ... وعلويُّها يبغي السَّموات مصعدا

وما الناس إلا اثنين : هذا أخو هدى ... وهذا الغيّ في الضلال تردّدا

فكن زارعاً ما أنت حاصده غداً ... فما زرع الزراع إلّا ليحصدا

ولا تبغ في الأرض الفساد ولا تكن ... لك الخير، ممن لجَّ في الظلم واعتدى

ولا تحسبن المال خلّد أهله ... فمن ذا الذي أضحى بمال مخلَّدا

وما المال إلّا أن تسرّ ببذله ... صديقاً صفيّاً أو تصُدّ به العدى

ولا الدين إلَّا تركك الشرّ والأذى ... ودفعك بالمعروف عن خلِّك الردى

وللمرحوم العلّامة الشيخ محمد أحمد حيدر قصيدة طويلة تسمى «الهبطة» نختار منها[1] :

هبطت إلى ذي الدار أمتار ريعها ... بما سنّه المختار والآل والصحبُ

هبطت وليس الذنب مصدر هبطتي ... وفي جنب عفو الله يحتقر الذنبُ

ولا باعتراضي قيل عنه كناية ... وأخبر عنها الله والرسل والكتبُ

هبطت ليعطى الكون في كماله ... وأكمل فيه هكذا حكم الربُّ

وأبصرت آيات الإله سوافراً ... يضاحكني في ظلِّها الأمل الرَّطب

---

(١) العلويون والتشيّع - علي عزيز الإبراهيم ص - ١١٤ - الدار الإسلامية - بيروت ط الأولى ١٤١٣ هـ .

تعاقب أبداني على الروح ريثما ... تطهر والتكرير يحتاجه العذب
علمتُ بأني في بلائي فائزٌ ... بنعمى جلال القدس فاستسهل الصعبُ
فإن تك بي تلك المَصائب صبّة ... فإنّي بها من ذلك مغرم صبّ
وإن نقصتني الحادثات فريعها ... يكفي أسلاب وإنتاجها نهبُ
وإن حبست روحي بجسمي فإنها ... مع القيد بالإطلاق منزلها رحبُ
لم أزل في تطلعي دائم الشوق ... إلى مجلس مناه شرود
بظلال الفردوس حيث الأماني ... يتزاهى منها التشتيت البرود
مجلس من رياض مكّة ينميه ... إليها، ولاية، وعهود
وشعاع من الغري على يثرب ... يعشو إليه هادٍ رشيدُ
بسمات الرضى على جانبيه ... يجتليهن طالع مسعود
يتفيّا بظلّه الوارف النضر ... من الناس سيد ومسود

ومن الفلاسفة المسلمين الشيخ الرئيس ابن سينا فهو يقول بهبوط الروح من الملأ الأعلى لعلة ـ إلى العالم الأدنى ـ الأجسام ـ ولكنها ستلحق بعالمها بعد مفارقة هذه الأجسام، وأكثر فلاسفة المسلمين يرون هذا الرأي :

هبطتْ إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزّز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت، ولم تتبرقع
وصلت «على كره» إليك، وربما ... كرهت فراقك، وهي ذات تفجع
أنفت، وما وصلت، ولما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها، نسيت عهوداً في الحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت «بهاء» هبوطه ... في «ميم» مركزها بذات الأجرع
علقت بها «ثاء» الثقيل، فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي، وقد ذكرت عهوداً بالحمى، ... بمدامع تهمي، ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي ... درست بتكرار الرياح الأربع

إذعاقها الشرك الكثيف وصدّها	قفص عن الأوج الفسيح المربع
حتى إذا قرب المسير إلى «الحمى»	ودنا الرحيل إلى «الفضاء الأوسع»
سجعت، وقد كشف الغطاء فأبصرت	ما ليس يبصر بالعيون الهجع
وغدت مخالفة لكل مخلف	عنها، حليف الترب، غير مشيّع
وبدت تغرّدُ فوق ذروة شاهن	والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأيّ شيء أهبطت من «شامخ»	سام، إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الإله لحكمة	طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب	لتكون سامعة لمّا لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية	في العالمين . . . . . فخرقها لم يرقّع
وهي التي قطع الزمان طريقها	حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برقٌ تألق في «الحمى»	ثم انطوى، فكأنه لم يلمع

ولنقارن الآن بين إبن سينا والمكزون، ونرى بما يتفقان، وبما يختلفان[1] .

١ ـ ابن سينا يقول «بهبوط» النفس من «المحل الأرفع» إلى «الحضيض الأوضع» والمكزون يقول بهذا «الهبوط» وبأنه من «الرفعة» إلى «الحضيض» .

دنت في علاها من «حضيض» الـ ـذي «هبطت» نفسي به بعد «رفعة»

٢ ـ ابن سينا يدعوها «ورقاء» والمكزون يدعوها «النفس» والورقاء اسم النفس عند الصوفيين .

٣ ـ والمكزون يقول إنّ هذا الهبوط كان «بالإختيار» وتارة يقول : إنه «بالخطيئة والإجترام» والإخلال بالحق ، وحيناً بالشكّ والردّ ـ رد القول .

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف ص ٢٨٠ جزء أول ـ مصدر سابق .

ولـولم تـرَ «الإخـلال» مني بحقِّهـا	لمـا منعتني الـوصـل وهي خليلتي
ومـا «أعـرضت» عني وحق وصـالهـا	لغير «اجترامي» في الهوى وخطيئتي
أهـبـطه مـن «راحـة الـظلال» فـي	دار العنـا «اختيـاره» عـنـد الـنظر
لـو ارتضى «ظـل الغمـام» لم يشب	من بعد «حي الإنس» في «الفقر الوعر»
مـل الـسكـون فـغـدا محـركـاً	من «علمي نجـد» إلى «غـور الغير»
هـدي سـبـيـلي رشـده وغـيـه	«مخيـراً» فيمـا يـرى، ومـا يـذر
قلت: بعـد الـقـرب، مـا أبعـدني	عنـك؟ قـال: الشـكّ، والـردّ علي

فهـو قد «أخـلّ» بحقّها ، وشـروط حبّها ، و «أجـرم» و «أخـطأ» ، «فأعرضت» عنـه . وكان في «راحـة الظلال» فأهبط «بـاختياره» إلى «دار العنـاء» . ولو ارتضت ـ أي الـروح «ظل الغمـام» لمـا أصبحت «بـالفقر الوعر» بعد «حي الإنس» ولقد مل السكون فتحرك من «علمي نجد» إلى «غـور الغير» . والتعـابير راحـة الظلال ، وظـل الغمام ، وحي الإنس ، وعلمي نجـد ، والحمى ، وظل الأظلة ، وأمثالها من التعـابير يقصـد بها المكزون عالم القـدس والأنوار ، ومحل الروح الأول كما عبر عنهـا ابن سينا بالحمى ، والمحـل الأرفع ، والأوج الفسيـح ، والفضاء الأوسـع ، وذروة الشاهق ، والشامـخ . وعبر المكـزون أيضاً عن الأجسـام ، وعالم المادة ، بعالم الحس ، والحضيض ، ودار العنـاء ، وغور الغيـر ، ووعر الفـلا ، ونار الجفـا كما عبـر عنها ابن سينـا : بـ «الخراب البلقـع» وثـاء الثقيـل ، والطلول الخضـع ، والـدمن المـدروسـة ، والشـرك الكثيف ، والقفص ، والحضيض الأوضع .

٤ ـ كلاهما يقول بالعودة ـ عودة الروح ـ إلى موطنهـا الأول . فابن سينا يرى أنهـا سجينة المعـالم والطلول ، بـاكية على الحمى ، سـاجعة على الدمن ، فإذا قـرب المسير إلى الحمى ، ودنـا الرحيـل إلى الفضاء الأوسـع سجعت طربـاً ، وغنت فـرحـاً ، وكشف غـطاؤهـا ، واطمـأنت وأبصرت ببصيرتهـا ، ما ليس يبصـر بالعيـون ، وأصبحت تاركـة للجسد

الكثيف الترابي ، وغردت ـ وهي الورقاء ـ فوق ذروة المكان الشاهق لأنها استنارت بنور العلم ، وحالفت العقل ، والمكزون يقول :

قلت : هل «عوداً» لأعياد الصفا ... قال : كي تقضي ، وتقضي أجليّ
قلت : كي تشتفي الآلام من ... جسدي ، يشفى فؤادي ؟ ؟ قال : كيّ
قلت : فالتوبة تمحو زلتي ... قال : للأوبة في «الرجعى» تهيّ
وكنت بها ، والقلب في قبض بسطها ... أرى سائر الأكوان في قبض بسطتي
فأمسيت في «نار الجفا» بعد وصلها ... أردد في نار الجوى بعد جنة
فكم جسد أنضجت في نار هجرها ... وتبدلني منه جديداً لشقوتي
وكم كرة ثرت على بكورها ... ترددني في دورة بعد دورة
ولولا «اعتلاقي في الهوى بوعودها» ... لما سلمت من لوعة البين مهجتي

لقد أصلته «نار الجفا» بعد نعيم الجنة ، فكرّ في الأكوار ، ودار في الأدوار ، وأبدلته أجساداً وأجساداً ، جزاء وعقوبة .

ومنت فمنت في مآبي إلى الحمى ... فؤادي بوصل الوصل بعد القطيعة
فآنسني بعد المسافة بيننا ... وتقصير نضو السعي من قرب أوبتي
وأطمعني في وصلها بعد هجرها ... تفضلها المحجوب عن عين رؤيتي
فإن حملتني ناقتي نحو دارها ... وصلت ، . . . وإلاّ متُّ في دار غربتي

إنه يلقى «امتحانا» «وعقاباً» وسيبلغ «النقاء والتصفية» بواسطة هذه المحنة والتكفير ، عن خطاياه ، وما أسلفه واجترحه ، وتعيده إلى «الحمى» وهي تمنيه وتعده بهذه «العودة» .

٥ ـ ابن سينا يقول : إن «عودة» الروح تكون «بالعلم» ، ويقصد به تصور المعقولات ، وهو خاص بالنفس العاقلة . والمكزون يقول إنّ هذه «العودة» تكون «بالتوبة» منها ، واللطف والرحمة من الخالق .

٦ ـ ابن سينا لا يعلم الحكمة والغرض والغاية من هبوط الروح ، ويقول إنّ الحكمة من إرسالها «مطوية» حتى عن الفطن اللبيب . وإن

كان هبوطها لتسمع ما لم تسمع ، وتعلم كل خفيّة من خفايا العالمين فخرقها لم يرقع ، كناية عن الخيبة ، وكأنها برقٌ تألق قليلاً وانطوى .
أما المكزون فيرى أن هذا الهبوط إنما كان «بالإختيار» أو «الخطأ» أو «الشك» وأنها ستمتحن ، امتحاناً طويلاً وتعاقب بالتكرار ، ومن هذا الإمتحان فرض التكاليف عليها اختبارا لها وعقوبة ، وإلزامها بالأوامر ، والنواهي .

قلت: فالتكليف ما أوجبه قال: تكليفي أعلا نعمتي
إذ به الجاهل أضحى عالماً وبزاكي أجره أمسى زكي

وإن خالقها لطفاً منه بها يذكرها ما نسيته من الأعمال ، فتتلافى أخطاءها ، وتستقيم سبلها .

وإنما باللطف إذ عاوده مذكراً من بعد نسيان ذكر

وخالق الروح لا يرضى لها أن تظلم نفسها ، وترى بالأجسام المظلمة ، بعد «ظل الأظلة» والراحة ، والسكينة ، والطمأنينة .

وأبدى عتابي لطفها بي «على الرضا» بسوحو الفلا» من بعد ظلّ الأظلة

ويقول المعري في عودة الروح :

والأمر لله ما ضاعت أكابره ولا أصاغر أحياء، ولا هلك
إن مات، جسم فهذي الأرض تخزنه وإن نأت عن روح فهي «في الفلك»

مع أن المعري تشكك ، وتحير وتردّد كثيراً في مسألة الروح .
وأخيراً :

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي﴾ .
[سورة الفجر ؛ الآية : ٣٠]

العلويون والتصوف

عرّف الأنصاري التصوف في تعليقه على رسالة شيخه القشيري فقال :

«التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية» .

ويقول الدقاق فيما نقل عنه صاحب الرسالة القشيرية في باب التصوف :

«الصفاء محمود بكل لسان ضده الكدورة، وهي مذمومة» ويقول :

«هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفي ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له : متصوف ، وللجماعة : المتصوفة .

وليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية ، قياس ، ولا اشتقاق ، والأظهر فيه كاللقب .

فأمّا قول من قال : إنّه من الصوف ، وتصوف ، إذا لبس الصوف كما يقال : تقمّص إذا لبس القميص . فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفّة ، لا تجيء على نحو الصوفي ، ومن قال : إنه من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللّغة ، وقول من قال : إنه مشتق من الصف ، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى . فالمعنى صحيح ، ولكن اللّغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف ، ثمّ إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق»[1] .

وفي أوائل القرن الثاني للهجرة ، نرى أن أول من أظهر التصوف والتزم به هو أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ المتوفى سنة ـ ١٦١ هـ ـ ويوردون السبب الذي تصوّف الرجل من أجله ، وهو :

إن إبراهيم بن أدهم ـ كان من أبناء الملوك ، فخرج يوماً متصيداً ، فأثار ثعلباً وأرنباً ، وهو في طلبه فهتف به هاتف ، يا إبراهيم ، ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجه ، والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت ، فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبّة الراعي وهي من صوف ولبسها ، وأعطاه فرسه ، وما معه ، ثم إنه دخل البادية»[2] .

ويقرر أبو العلاء المعري في رفضه بعض مظاهر التصوف ، التي هي الفقر ، ولبس الصوف على الجسد يقول :

ما الزهد صومٌ يذوب الصائمون له	ولا افتقار ولا صوف على الجسد
وإنما الزهد ترك الشرّ مطرحاً	ونفضك الصدر من غل ومن حسد[3]

---

(١) الرسالة القشيرية .

(٢) أنظر كتاب «صلة التصوف الإسلامي بالتصوف المسيحي» .

(٣) التصوف جدلية وانتماء ـ أحمد علي حسن ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ١٩٩٠ ـ ص ـ ٢٢ ـ .

ومن الطرف التي أوردها صاحب «العقد الفريد حول لباس المتزهدين وأن الصوف هو زيُّهم ولباسهم وشعارهم قوله فيما رواه :

«عن وهب من منبه قال : نصب رجل من بني إسرائيل فخاً ، فجاءت عصفورة ، فوقفت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنياً ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت ، فقالت : مالي أراك بادياً عظامك ؟ فقال : لكثرة صيامي بدت عظامي ، فقالت : مالي أرى هذا الصوف عليك قال : لزهادتي في الدنيا لبست الصوف» .

ويرى البعض أن التصوف مدرسة ، أو نزعة عالمية ، عرفها اليونان ، والهند ، والفرس . والرومان : كما عرفتها الوثنية ، واليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

ويعتبر التصوف إنفتاحاً لجميع الأديان بعضها على بعض ، ومناخاً روحياً يتلاقى على صعيده ، ومنبسط رحابه ، وتحت ظلاله ، فئات من جميع البشر ، بلا تمييز بين عرق وجنس ولغة .

إنه دنيا الروح التي تتلاشى فيها الحدود ، وتذوب الفوارق ، ويعمّ الحب ويسود الإخاء والصفاء[1] .

وقد أوردوا لكلمة «صوفي» معان كثيرة :

١ ـ أن تكون نسبة إلى الصوف لباس العارفين ، الذي اتخذوه دليلاً على الزهد والتواضع ، وكبح جماح النفس ، وإيلام الجسد بلبس ما خشن من الثياب .

٢ ـ أن تكون مشتقة من معنى الصّفاء ولفظه ، ونسبة إليه .

٣ ـ أن تكون نسبة للغوث بن عامر المعروف بصوفه ، والذي عاش منقطعاً لله في خدمة البيت الحرام .

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف ـ ص ١٠٣ ـ مصدر سابق .

٤ ـ أن تكون من كلمة «سوفيا» اليونانية ومعناها الحكمة أو «سوفيتس» وتعني معلمي الحكمة . ومنها جاءت كلمة فيلسوف .

والعرب تطلق لفظ الحكمة على الفلسفة .

«وما يمنع أن تكون كلمة «سوفيا» اليونانية ، قد جاءت من لفظة «صوف» العربية ، ثم رحلت إلى ديار اليونان ، ومعابدها ، لأن التصوف قديم في العرب ، وهو أساس في المسيحية»[1] .

ويقول المعري :

صوفية مارضوا للصوف نسبتهم ... حتى يقال لهم : من صوفة صوفوا

ويقول البستي :

تنازع الناس في الصوفي ، واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الإسم غير فتى ... صافي ، فصوفي ، حتى لقب الصوفي

وهناك أرجوزة لحسن رضوان وهو من متصوفي القرن الثالث عشر يعرّف فيها التصوف ، ويصف مراتب القوم ، وسلوكهم ومنها نقتطع :

فبعضهم بالفقر عنه عبّرا ... وبعضهم بوصف زهد فسرا
وبعضهم بالأخذ بالحقائق ... ويأسه مما لدى الخلائق
وقائل بحب الإفتقار ... والفقر ، والإعطا مع الإيسار
وبعضهم بقطع كل عائق ... عن ربّنا من مطلق العلائق
وقيل : إنه القيام بالأدب ... لكل وقت في جميع ما طلب
من شكر نعمة عليه أسبغت ... أو توبة مما به نفس بغت
وقيل : أن يحيي الإله عبده ... به ، وأن يميت منه قصده

---

(١) أنظر فلاسفة من الشرق والغرب لمصطفى غالب والتصوف الإسلامي لزكي مبارك جزء ١ .

وقيل : ذكر باجتماع ، والعمل   مع أتباع : ثم وجد متصل

ويرى بعضهم أن التصوف خليق أن يطلق على كل نزعة وجدانية صافية صادقه مخلصة ، وهو لا يقتصر على الإنخطاف بالله ، والإتحاد به أو الزهد في الدنيا ، وملاذها ، وإما يشمل الحبّ العام ، والمثل العليا في السياسة والدين والأخلاق ، وكل الأعمال الأُخرى ، حين نوصلها بالروح والوجدان أو تكون نابعة منهما أو عنهما . ويرى أن في قول قيس بن الملوّح العامري كل معنى التصوف حين يقول :

وأحبس عنك النفس ، والنفس حية   بذكراك ، والممشى إليك قريب ،
مخافة أن يمشي الوشاة بظنة   وأحرسكم أن يستريب مريب

وقول الآخر :

والله ما طلعت شمس ، ولا غربت   إلّا وذكراك مقرون بأنفاسي
ولا شربت لذيذ الماء في ظمأ   إلّا رأيت خيالاً منك في الكاس
ولا جلست بندمان أحدثهم   إلّا وكان حديثي عنك جلاسي

وقول العبّاس بن الأحنف :

إذا لم يكن للمرء بدّ من الردى   فأكرم أسباب الرّدى ، سبب الحبّ
ولو أن حيّاً كاتم الحب قلبه   لمتّ ، ولم يعلم بحبكم قلبي

وقوله :

ألم تر أن سائلة أتتني   فقالت ، -وهي في خلق بوالي
الا أصدق علي بحق فوز   فقلت لها : خذي روحي ، ومالي

ويقول العلّامة الشيخ سليمان الأحمد - من أعلام العلويين في القرن العشرين :

لا يفخرن أخو التنسك بالعبادة والزهاده

أنا في اعتقادي كل فعل الواجبات من العباده
مثل الفقيه بدينه مستنبطاً ، بذل اجتهاده
شهم يسود قبيلة أدى بنها حقّ السيادة
ومعلم الأولاد يكثر في رقيّهم إعتداده
وكذلك راعي الضأن يد أب مخلصاً عنه ذياده
كل يوفى عند خالقه غداً أجر الإجاده

وقد قيل إن هناك تشابهاً بين التصوف الإسلامي ، وبين التصوف الهندي «ذمتاسارا» من حيث الإغراق الروحي والتأملي ، والتطلع إلى المثل الأعلى «الله» ، البرهما ، الجنّة . ويرى بعضهم أن هناك نسباً بين التصوف الإسلامي ، وبين التصوف الفارسي ، وقد دخل التصوف الإسلامي شيء من الفارسية القديمة في العصور العباسية بسبب أنّ عدد المتصوفة من المسلمين في ذلك الزمن كان كثيراً جداً[1] .

ويقولون إن هناك تشابهاً يتلاقى مع الأفلاطونية الحديثة : الحبّ والتسامي .

ويقول بعض المفكرين الإسلاميين إن التصوف الإسلامي لم يأخذ من الفرس ، ولم يأت من الهند ، كما لم ينبع من اليونان ، وإنما نبع من الكتاب والسنة .

فالتقشف الذي أظهره الرسول ﷺ وكبار صحابته ، وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر ، ويليهم الحسن البصري ، وعمر بن عبيد ، وسفيان الثوري ، ومعروف الكرخي ورابعة العدوية من النساء ليس إلاّ تصوفاً إسلامياً ، لا أثر للنزعات الخارجية فيه ، ثمّ تطور إلى عقيدة راسخة في العبادة والتسامي ، والفناء في

---

(١) منهم : أبو حامد الغزالي ـ داود الأصبهاني ، روزبهان ـ الجنيد ـ الشبلي ـ الحلاّج البسطامي ـ السهروردي ـ التبريزي ـ الهمداني ـ .

واجب الوجود كما هو الحال عند بشر الحافي ، والجنيد ، والشبلي ، والسري السقطي والبسطامي والسهروردي . وابن أدهم وغيرهم»[1] .

صلة التصوف بالتشيع :

وبعد فما هي الصلة بين التصوف والتشيع يقول الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه «الصلة بين التصوف والتشيع» :

«لقد رأينا فيما مضى ، كيف كان الشيعة سبّاقين إلى التلبس بالزهد الذي انبعث من الإسلام الأوّل ، وكيف شارك التشيع في تشكيل الزهد ، بأشكاله المتطورة ، التي أدَّت به إلى التصوف ، ورأينا كيف كان علي بن الحسين ، يعدّ من رؤوس الزهاد في عصره ، وكذلك ابنه الباقر ، وحفيده الصادق ، وكيف اشتهر زيد بن علي ، والثوار الزيديون من بعده بلبس الصوف ، كمحمد بن جعفر الصادق الذي كان يصلي بمايتين من أتباعه ، وكلهم كان يلبس الصوف .

ورأينا أيضاً كيف كان الثوار العلويون ، يحيى بن عبد الله الثائر أيام الرشيد ، ومحمد بن القاسم الخارج سنة ٢١٩ هـ ـ ٨٣٤ م وأبو بكر علي بن محمد الخراساني ، وإبراهيم بن محمد بن يحيى الثائر بمصر سنة ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م ـ وأبو محمّد ، القاسم بن حمزة ، من نسل العباس بن علي بن أبي طالب يلقبون جميعاً بـ «الصوفي» بل لقد ذكر عن عبد الله بن معاوية قائد الغلاة الجناحية (أنه لبس الصوف) .

غير أن أصحاب كتب التصوف ، أوردوا ذكر بعض العلويين بوصفهم صوفية حقيقيين ، فبصرف النظر ، عن عبد الله حفيد الثائر الزيدي ، إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، الذي يذكره الشعراني في الطبقات الكبرى . . يذكر الصوفية ، أبا الحسن العلوي ، بوصفه مريداً للخواص توفي سنة ٢٩١هـ ـ ٩٠٣ م وأبا حمزة الخراساني

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف ص ١١٦ ـ مصدر سابق جزء أول .

المتوفى سنة ٢٩٠ هـ بإعتباره صديق أبي سعيد الخراز ، ومصاحب أبي تراب النخشبي ، ومحمد بن الحسن العلوي ، الذي روى الهجويري : أن الحلاّج نزل في منزله بالكوفة ، ومن ثمّ التحق بهما الخواص ، وحمزة بن عبد الله العلوي مريد أبي الخير التيناتي المتوفى سنة ٣٤٩ هـ ـ ٩٦٠ م وإبراهيم بن سعد العلوي ، الذي كان يقال له «الشريف الزاهد» وقد صحبه أبو سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م وروى عنه ، وقد ذكر أيضاً : أن رفاعة الهاشمي الذي روي أنه شارك في تحرير رسائل اخوان الصفا قد صحب الشبلي المتوفى سنة ٣٣٤ ـ ٩٤٥ م وأخذ عنه ونسب التصوف أيضاً إلى محمد بن أبي إسماعيل علي العلوي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ الذي سافر إلى الشام ، وصحب الصوفية ، وصار كبيراً فيهم[1] .

غير أن التشيع . أخذ يدب إلى التصوف ، أملاً في استغلال مكانته وتطويعه لأغراضه وهكذا أخذ التشيع يسير في موازاة التصوف ، بتبني الزهد الشديد . والظهور في لباس الصوف الذي يعبر عنه . . وكان التصوف . يسير في موازاة التشيع أيضاً من حيث الأصول والجذور ، وتفصيلات الروحانيات ، وأوصاف الإمامة والصلة بين الشيخ والمريد ، وغير ذلك . . ومن هنا وجدنا تنفيراً من الأئمة للشيعة عن الإلتحاق بالمتصوفة التحاق أتباع ، مع إباحة التظاهر بالتصوف تقية ، أو استمالة للناس عن طريق التصوف . . ومن أبدع الأمثلة على ذلك أن أبا عبد الله الشيعي الذي وطد للفاطميين بناءهم ، وأسس دولتهم قبل سنة ٢٩٧ هـ ـ ٩٠٩ م كان يتظاهر بالزهد الشديد ، بل لقد عدّه الفاطميون أنفسهم من الصوفية وينبغي أن نذكر أنه لما اتصل معروف «الكرخي» بـ «الرضا» على فرض[2] صحة هذه الواقعة ، كاد التصوف

---

(١) التصوف جدلية وانتماء ـ ص ـ ٢٥٣ ـ مصدر سابق والصلة بين التصوف والتشيّع .
(٢) الصلة بين التصوف والتشيّع ـ مصدر سابق .

والتشيع ، أن يكونا شيئاً واحداً لولا ردّ الفعل الذي أحدثه المتوكل في نفوس المتصوفة ، وهم من ضعاف الناس وجبنائهم ، وإضافة المتصوفة وغيرهم ممن كانوا تحت قيادة «الرضا» أيام ولايته للعهد ، وتحت حماية أخويه من بعده كالمعتصم والواثق . .

وليس من البعيد أن نجد من الأدلة والبراهين ، ما يثبت أن الحلّاج نفسه كان داعياً اسماعيلياً ، أو قرمطياً أو شيعياً ، على كل حال استخدم طاقته الصوفية ، ونفوذه الروحي . للتأثير في الناس ، ودعوتهم إلى نصرة الفاطميين ، أو القرامطة وكانوا فرعاً لهم ، داعياً إليهم أولاً ، ولكنهم خرجوا عليهم ، ونازعوهم في الشرق ، حتى انتزعوا منهم سورية بقوة السلاح بعد أن كادوا يستولون عليها .

ومن هذا التوازن ، ولعله التأثير الصوفي في التشيع ، بوصف التصوف حركة يثق بها الناس ، كان إطلاق الإسماعيلية على أنفسهم لقب «الصوفية» في فاتحة رسائلهم ، وتسمية جماعتهم «الثقافية» بـ «إخوان الصفا» أيضاً وكان الصفا أفضل ما تمنى الصوفية أن يكون أصلاً لاشتقاق مشربهم ، ومن هذا التأثر أيضاً : أن اخوان الصفا جعلوا المجاهدة الصوفية السبيل للترقي من مقام إلى مقام ، للوصول إلى مقام الحجّة عندهم ، ويعتبر قمة ما يستطيع المريد الإسماعيلي أن يصل إليه ، من معرفة ومن تصفية . .

وكان أطرف وأوضح ما خلفه التصوف من أثر في التشيع الإسماعيلي ، لوجه خاص ، ظهور الحاكم بأمر الله الفاطمي ـ الشيعة الإثنا عشرية ترى أن هذا الرجل ساقط عندهم وغير سوي ـ قبل سنة ٤١١ هـ ـ ١٠٢٠ م ـ بمظهر صوفي كامل ، لا بلبسه الصوف فقط ، بل بما أضيف إليه من ادعاء الألوهية ، فأعاد إلى الحياة صورة أخرى من الحلّاج بعد قرن من الزمن ، وعادت مع الحاكم ، ذكرى أبي يزيد الخارجي ، الذي كاد يعوض دولة الفاطميين في صورة «أبي ركوة» الذي كان يعتبر نفسه من المتصوفة ، ويجمع الناس حوله بناء على زهده

وتصوفه اللّذين كانا يتمثلان في ركوته ، التي كان يحملها دائماً ، وكانت من تقاليده الصوفية إلى جانب تعلقه بالمهدية إمارة على عظم نفوذ التصوف في العالم الإسلامي ورواج سوقه في أذهان المسلمين[1] .

أشهر المتصوفة الذين خلدت طرقهم في بلاد الشام :

١ ـ عبد القادر الجيلاني ٥٦١ هـ .

٢ ـ عمر بن الفارض .

٣ ـ عبد الغني النابلسي ١١٤٣ هـ ـ ١٧٣١ م الذي شرح ديوان ابن الفارض ، وأوغل في التفسير والتأويل[2] .

ولا تزال أصداء الشيخ عبد الغني وكراماته تتردّد أصداؤها في الأوساط المتأثرة بالصوفية .

٤ ـ محي الدين ابن عربي الذي أثار مذهبه اختلافاً كبيراً في الآراء .

٥ ـ جلال الدين الرومي ، وغيرهم .

ويرى المؤلف أن فرق المتصوفة كانت لها دويلاتها الخاصة في إطار الدولة العثمانية ، وأحياناً خارج إطارها . . ويتخذ من مواكبهم في الشوارع وولائهم في البيوت ، واجتماعاتهم في المساجد والزوايا وتغلغل نفوذهم في المدن والقرى وامتداد سلطانهم إلى مختلف فئات الشعب وتسربهم إلى قصور الحكام والأغنياء دليلاً على ذلك . ويرى أن دويلات الطرق الصوفية زادت من عروشها بما لها من سلطان في قلوب العامة ، وقسم كبير من الخاصة .

ثمّ يعدّد أهم الطرق الصوفية التي انتشرت بين عامة بلاد الشام وهي :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مجلة المعرفة السورية ـ عبد الله حنا ـ رقم ٢٠١ ـ سنة ١٩٧٨م .

١ ـ البكناشية : (البكداشية) التي تغلغلت في صفوف الإنكشارية .

٢ ـ المولوية : التي اشتهرت بحفلاتها الدينية في التكايا والزوايا ، حتى أُطلق عليهم اسم : الدراويش الراقصين .

٣ ـ النقشبندية : التي تعتبر نفسها ، أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد . .

وهذه الطرق الثلاثة لم يكن معترفاً بها بين الطرق الرئيسية الأربعة التي قالت بنسبتها إلى الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام وهي :

١ ـ الرفاعية التي لمعت مع وصول أحد مشايخها إلى قصر السلطان عبد الحميد في أواخر القرن التاسع عشر ، «وهو محمد أبو الهدى الصيادي» من خان شيخون إلى الجنوب من حلب . وقد مثل الصيادي الجانب الرجعي من الصوفية ووقف في وجه حركة التجديد الإسلامي ، وقد قام بنشر عدد من الكتب الموضحة والمفسرة للطريقة الرفاعية .

٢ ـ الجيلانية أو القادرية ، التي ظهرت في بغداد وأحيط مؤسسها بهالة من التقديس والأساطير .

٣ ـ البدوية التي لاقت رواجاً كبيراً في مصر ، ولم تنتشر انتشاراً واسعاً في بلاد الشام .

٤ ـ الدسوقية ، وظهرت في مصر أيضاً ، وانتشرت في بلاد الشام ، وينسب إليها كثير من الخوارق .

٥ ـ بالإضافة إلى هذه الفرق ، عرفت الشام أيضاً : السعدية والشاذلية ، وغير هما من الفرق التي كانت في الواقع أحزاباً للعامة وفق مفاهيم ذلك الزمن .

التصوف الفارسي وصلته بالفلسفة العرفانية :

يقول الدكتور إبراهيم الدسوقي صاحب كتاب «التصوف عند الفرس» تحت عنوان :

منابع التصوف عند الفرس :

التصوف الإسلامي ، تجلت فيه اسهامات الإيرانيين في أروع صورها ، ومن نافلة القول ، أنه من العسير على الدارس أن يتناول التصوف الإسلامي دون أن ينظر نظرة متفحصة إلى جانبه الفارسي ، فقد ظلّ التأثر والتأثير بين الجانبين سائداً طوال العصور ، في صورة التبادل المستمر في تيارحيّ ، وقد تجلىّ هذا التبادل في فترة النشأة ، وفي فترة الإزدهار بل في فترة الإنهيار .

وساعد على ذلك ، أن اللغة الفارسية ، قد انتشرت في منطقة واسعة من العالم الإسلامي ، تمتد من الهند إلى العراق العجمي ، وآسيا الصغرى . ومن ثم فإن هجرات الطُرق الصوفية فضلاً عن هجرات الأفكار الصوفية تمثّل فصلاً شائقاً من فصول سريان التيار الصوفي في العالم الإسلامي ، وكانت العوامل السياسية إلى جوار سنّة الحضور على شيخ تمثل الدافع لهذا الإنتقال المستمر .

وأثبت التصوف الإسلامي ، أنه أقدر تيارات الحضارة الإسلامية على التأثر بالبيئة التي يحطّ فيها رحله ، وعلى امتصاص أكبر قدر ممكن من سماتها البيئية ، والحضارات المولية ، والقديمة فيها .

ولا يفرض الجانب الفارسي للتصوف الإسلامي نفسه ، من حيث إنه طرح كمصدر من مصادر التصوف الإسلامي ككل فحسب ، بل لأن هذا التيار وإن مثل جزءاً من كل ، كان في ذلك الجزء الذي يمكن أن يلاحظ تميزه بسمات خاصة ، فإلى جوار غلبة الجانب العاطفي والشعري على التصوف الفارسي يتميز أيضاً بأنه اختص بأفكار خاصة ، كانت أقرب إلى الفلسفة منها إلى السلوك .

ويطلق الباحثون من الفرس ، على التصوف الفارسي اسم العرفان وواضح أن المصطلح قريب من المعرفة ، قاصدين بذلك ، أن السمة التي تميز التصوف في ايران ، تصوف فكري ، أكثر منه تصوفاً سلوكياً .

وسنرى ، أن شعراء التصوف الكبار في ايران ، قد خاضوا أكثر ما خاضوا ، في موضوعات فكرية ، وأن التصوف ، كل ما كان يتطور في إيران ، كان يبتعد عن الإهتمام بمسائل السلوك ، بقدر قربه من مسائل الفلسفة .

وإن الإهتمام بالعرفان بدأ عند فلاسفة ، مثل «ابن سينا» وانتهى بفلاسفة ، مثل «ملاصدرا» .

كما أن الشعر العرفاني ، يمثل أكثر من ثلثي الشعر الفارسي[1] .

وتحت عنوان : نظرة على أهم تيأرات التصوف الفارسي يقول :

«لم يدخل الإسلام إيران على فراغ ، فعرفان شيوخ إيران قد صبّت فيه روافد عدَّة ، فتراث أمّة من الأمم ، لا يموت بمجرد الغزو ، أو الدخول في دين جديد ، بل يبقى كنار تحت الرماد يشعّ عند أول ريح جنباً إلى جنب التيارات الجديدة .

ثم ينقل المؤلف عن المستشرق «جولدتسيهر» قوله :

إنه كان لا بد أن تختلف روح التصوف في إيران ، والروح في بيئات التصوف الأخرى ، فمن المعروف ، أن إيران ، كانت لفترة طويلة ، قبل الإسلام ، ملتقى الحضارات ، كما نشأ فيها عدد من الديانات ظل تأثيرها إلى ما بعد دخول الإسلام .

هذه الروافد الكثيرة ، وبنفس نسبتها ، إن لم تزل روح الإسلام العالمية السمحة ، التي تقبل ما يناسبها ، وتستوعبه ، وتذيبه في تناسق

---

(١) التصوف عند الفرس - إبراهيم الدسوقي شتا - ١٩٧٨ م - مؤسسة «كتابك» مصر .

فكري وعاطفي ، إلى جوار الظروف والعوامل النفسية والتاريخية التي تدخلت في تكوين النفسية الإيرانية ، كونت الجانب الفارسي من التصوف الإسلامي .

المطابقة بين سيرة إبراهيم بن الأدهم ، وسيرة بوذا :

ويرى الدسوقي أن تأثير النحل الهندية في التصوف الإسلامي الفارسي كان عميقاً ، ليس من حيث مطابقة بعض سير الصوفية ، وأشهرهم إبراهيم بن الأدهم ، لسيرة بوذا فحسب بل في كثير من تفصيلات أفكاره .

فالوصول إلى الله ، أو الحق أو المطلق ، عند الجوكيين الهنود يمر بمرحلتين :

١ - «السمبراكناثا» أي تركيز الخاطر في نقطة واحدة .

٢ - «الاسبمراكناثا» أي التجاوز عن صور الذات ، والغوص في فكر الذات العليا . والمرحلة الأولى عند متصوفة المسلمين ، تسمى بمرحلة جمع الخاطر .

أمّا الأخرى ، فتسمى بالمراقبة . .

وإلى جواز ذلك ، فإن الجانب الخاص ، بعقيدة قتل النفس عند الجوكيين الهنود ، وعند متصوفة المسلمين واحد .

جاء في «الريجويدا» : إن الذي يسلك طريق السلام والصدق ، والوفاء ، ويكتسب جمع خاطره ، ويفكر في «برهما» صباح مساء يوفق في قتل نفسه الأثمة ، ويستطيع أن يقاوم الموت . من هنا جاءت فكرة الموت قبل الموت التي روى لها المتصوفة حديثاً نبوياً هو : «موتوا قبل أن تموتوا» .

وغني عن الذكر أن الحالة الناشئة عن «نرفانابوذا» تشبه كثيراً حال الفناء عند المتصوفة المسلمين ، وبحال الفناء هذا يستطيع الصوفي ،

أن يقوم بأشياء وأفعال خارقة للعادة ، دون أن يصيبه أذى .

ومما رويَ عن صوفية المسلمين ، وجوكية الهنود على السواء كانت إيران هي معبر كل هذه الأفكار إلى البيئة الإسلامية ، كما روي أن الحلاّج قد سافر إلى الهند ، وقد امتزج التصوف الإسلامي بالتصوف الهندي ، بعد تكوين الدولة الإسلامية المغولية في الهند .

ويتجلى هذا الإمتزاج في طريقتين صوفيتين، انتشرتا في الهند ، ولا يزال لهما أتباع فيها إلى عصرنا الحالي . . الطريقة الجشتية والطريقة القادرية . .

ويمكن البحث عن تأثير الطريقة الجشتية في شعر الشاعر الفارسي الهندي «أمير خسرو» الدهلوي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ .

أما التأثير الهندي الخالص ، فيمكن أن يستدل عليه في شعر الشاعر المسلم الهندي «ميرزا أسد الله غالب» المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ .

وقد أفاض الحديث عن هذا الإمتزاج بين المتصوفين ، الأمير المغولي المسلم «محمد دارا شكوه» في كتبه الكثيرة التي كتبها بالفارسية ، ومن أهمها «سفينة الأولياء» التي أرَّخ فيها للطرق الإسلامية الصوفية ، مع تركيز خاص على تلك التي نشأت في الهند[١] .

الفلسفة الأفلاطونية والتصوف في إيران :

إن الفلسفة الأفلاطونية كانت ميداناً أعظم امتزج به التصوف الإسلامي في إيران ، وكان من نتاجه المباشر ظهور العرفان الفارسي . وبدخول إيران امبراطورية الإسكندر اجتمع الفكر اليوناني العقلي ونزوع الروح الشرقية للبحث فيما وراء العوالم المادية وقد تحدّث شعراء الفرس المتصوفة كثيراً عن موضوعات الأفلاطونية المحدثة ، من قبيل

---

(١) التصوف عند الفرس ـ ص ـ ١٤١ ـ .

وحدة الوجود ، واتحادالعاقـل والمعقـول وفيض عالم الوجود من المبدأ الأول ، وسجن روح الإنسان في البدن وتلوثها بأدران المادة ، وميل الروح للعودة إلى موطنها الأول والطريق الذي ينبغي عليها أن تقطعه في عودتها ، واتصاله بالمبدأ الأول ، والعشق ، والمشاهدة والتفكير في الذات ، والرياضة ، وتصفية النفس ، والوجد ، والسكر الروحاني والوله والغيبة عن النفس ، ومحو التعينات الشخصية التي تعد حجاباً كثيفاً يمنع الإتصال في الله ، وفناء الجزء في الكل فناءً تاماً . ولا يمكن فهم شعار «سنائي» و «العطار» و «الرومي» دون فهم لتاسوعات «أفلوطين» كما كانت أفكار أفلوطين عن المبدأ الأول ، والعلة الأولى ، أو الواحد المطلق ، وفيض الموجودات كلها عنه ، في جدول تنازلي ينتهي عند الإنسان ، أي المعلول المطلق[1] وقوله : إنَّ على الإنسان لكي يصل إلى المعرفة الحقّة أن يعكس قوس النزول هذا بقوس صعود على درجات الفن ، والعشق والحكمة ، ذلك الفن الذي يبعث الوجد والشوق ، والعشق الذي يحرك في النزوع إلى المنشأ ، والحكمة ، أي العشق الكامل . كانت هذه الأفكار أساس الموضوعات التي خاض فيها عرفان إيران ، وذلك إمّا عن ترجمات أصولها ، أو عن تفسيرات الفلاسفة المسلمين لها أولئك الفلاسفة الذين تعدّ كتبهم بعض منابع العرفان .

ابن سينا ـ السّهروردي :

ذكر ابن سينا في كتابه «منطق المشرقيين» أن الحكمة المشائية هي حكمة العوام ، وأنه في سبيله إلى الحديث عن حكمة الخواص . . ويقول السهروردي ، إن ابن سينا لم يحصل على منابع هذه الحكمة وان ابن سينا وضع لبنة في بناء هذا الأساس وهي رسائله :

---

(١) المصدر السابق .

١ ـ حيّ بن يقظان .

٢ ـ رسالة الطير .

٣ ـ سلامان وابسال .

٤ ـ رسالة في العشق .

ولم تغب هذه الرسائل عن خواطر متصوفة الفرس ، فكتب فريد الدين العطار «منطق الطير» ترجمها إلى العربية «بديع جمعة» ونظم «عبد الرحمن الحابي» «سلامان وابسال» ترجمها «عبد العزيز مصطفى» . وغير ابن سينا ساهمت جماعة «إخوان الصفا» في تقديم الفلسفة الأفلاطونية ، وتوفيقها أو تلفيقها ، بالدين الإسلامي . كما كان لكتابات الإسماعيلية أثر كبير في هذا المجال ، ولا يمكن أيضاً إنكار أثر الغزالي هنا ، وخاصة في مؤلفيه «الرسالة اللدنية» و«مشكاة الأنوار» اللَّتين أثرتا مباشرة في أعمال السهروردي المقتول في هذا المجال . ويعدّ شهاب الدين «يحيى بن حبش السهروردي» صاحب النصيب الأكبر ، في مزج هذه الحكمة بالدين الإسلامي ، وفي إرساء أساس العرفان ، وخاصة في رسائله القصيرة التي كتبها بالفارسية مثل «العقل الأحمر» و«حفيف جناح جبريل» و«لغة النمل» و«ذات يوم مع جماعات الصوفية» و«صفير الضعفاء»[1] والواقع أنّ السهروردي ، يعدّ منشىء الفكر الإيراني في القرون السبعة الأخيرة ، فقد جمع في فكره كل روافد الفكر الإيراني كما كان يعتبر «الذوق» هو وسيلة المعرفة .

ولعلّ النهاية المفجعة ، التي انتهى إليها السّهروردي في صدر شبابه ، جعلت مدرسة أخرى أكثر اعتدالاً في مزج التصوف بالفلسفة تسود العالم الإسلامي ، وهي مدرسة محي الدين بن عربي المتوفى سنة ـ ٦٣٨ هـ ـ الذي وضع نظرياته عن وحدة الوجود ، واتحاد العاقل

(١) التصوف عند الفرس ص ـ ١٤٣ ـ .

بالمعقول على أسس سابقة ثم حملها تلاميذه من الفرس إلى الآفاق ومن أهمهم :

صدر الدين التونوي ـ عبد الرزاق الكاشاني ـ فخر الدين العراقي ـ وتأثر بها أكثر عارفي إيران من أمثال :

سعد الدين حموية ، وعزيز النسفي ، ومحمود الششتري . وعبد الرحمن الجامي ، ويعدّ جلال الدين الرومي من ألمع من تأثر بهذه المدرسة ، وخلاصة القول ، إنّ المدرسة الأفلاطونية المحدثة ، كانت أقوى المدارس تأثيراً في بنية العرفان الإيراني . وعلى يد نصير الدين الطوسي سنة ٦٧٢ هـ ، امتزجت أفكار هذه المدرسة، والمذهب الشيعي لأول مرة ، وذلك في كتابه : «أوصاف الإشراق» واكتمل هذا الإتجاه ، على يد عدد من مفكري الشيعة ، من أمثال ، قطب الدين الرازي ، وغياث الدين منصور دشتكي ، وأثير الدين أبهري ، وجلال الدين الدواني . وقد واصلت مدرسة ابن عربي تطورها في إيران على يد حيدر الأملي صاحب «جامع الأسرار» وابن جمهور صاحب كتاب «المحلى» وابن تركة الأصفهاني ، صاحب «شرح فصوص حكم» وتمهيد القواعد . وعند مدرسة «ملاصدرا» المتوفى سنة ـ ١٠٥٠ هـ ـ اكتملت هذه الحلقة من توفيق الفلسفة بالدين بأسلوب عرفاني ، واستطاعت هذه المدرسة أن تواصل الفكر العرفاني في إيران إلى القرون الأخيرة ومن أهم أعلامها : محسن فيض «الكاشاني» المتوفى سنة ـ ١٠٩١ هـ ـ وغيره ، والجدير بالذكر أن أغلب مفكري إيران من المتصوفة كانوا بالرغم من هذا التأثر الواضح بالفلسفة ، يحملون على الفلاسفة ويكفّرونهم . . ومن ثمّ ، قدم العرفان الإيراني ، شهداء ظلوا دائماً بمثابة الضمير ، أو المثال الذي يحتذى.

وأشهر هؤلاء الحسين بن منصور الحلاّج ، وشهاب الدين السّهروردي وغيرهم[1] .

---

(١) المصدر السابق ص ـ ١٤٥ ـ .

وقد لا يستبعد أن يكون الزهد الفلسفي المانوي أحد مصادر التصوف الإسلامي . كان الهدف من حياة الإنسان عند «ماني» هو أن يكافح عن طريق النور الذي في داخله «الروح» ضد ، الظلمة «المادة والجسد» وقد ترجمت هذه الفكرة عند عارفي إيران ، بأن الإنسان روح لطيفة ، حبست في بدن كثيف ، ولا تنجو الرّوح إلاّ عن طريق السلوك والعشق ، وإلى جوار كل هذا التراث ، وبسيطرة أشدّ ، كان الإسلام ، فهو المنطلق الرئيسي ، والبوتقة التي تفاعلت فيها كل هذه الأفكار ، والإطار الذي ضمّها، وألف بينها، وحوّزها، ومنحها الروح ، فالعارف مسلم موحد قبل كل شيء ، ولم يكن من المستطاع أن يحط العارف من قدر الشريعة ، أو يتجاهلها . .

فإذا كانت الطريقة هي القلب فان الشريعة هي التي تحقق التوازن الذي به يتم للطريقة سيرها وهي التي تمهد للطريقة الطريق . .

هذا وإن عير بعض العارفين بأن طريقة اللبّ في مقابل الشريعة التي هي «قشر» أو أن الشريعة «ظاهرة» في مقابل الطريقة «الباطن» فإنهم قالوا أيضاً : إنه لا غنى لأحدهما عن الآخر ، وبوجود التأسي والقدرة تتم عناصر السلوك العرفاني . وقد خاض الصوفية في مشكلات كلامية ، عند مناقشتهم التوحيد والشهادة .

«لا إله إلاّ الله» دستور شامل متعدد الأطراف ، يحصر الصوفي في دائرة «الله» ويقطعه عن الأغيار . والشهادة ، من نفي وإثبات فكأنه لا يوجد إثبات كلي ، إلاّ بعد نفي كلي .

والله ، فحسب ، هو صاحب الوجود الحقيقي ، وكل ما سواه ذو وجود ظلي ، والعالم كلّه ، فاض عن ذاته ، كما تفيض الشمس بالنور ، والله ، نفث في الإنسان روحه ، وكرمه على كل المخلوقات ، ومن ثم فالإنسان مسؤول ، نتيجة لهذا التكريم .

والعبادات ، ظاهر ، وباطن ، وباطنها الحق ، أما ظاهرها فهو

حجـاب . . وأهم تفصيل لبـواطن العبـادات ورد في كتـاب «كشف المحجوب» للهجويري ، وكلام الله القرآن ، ذو ظاهر ، وباطن ، بـل : إن له سبعة أبطن ، كما ذكر «سنائي» وجلال الدين ، وهو يخضع للذوق لا للعقل ، وحروفه حجاب عليه[1] .

وقـد استخرج الصـوفية ، أصـول كل مقـامـاتهم ، وأحـوالهم من القرآن ، وذلك لوضع أساس للطريقة من الشـريعة ، ولهم عليه تفاسير وتأويلات خاصة بهم . وبعد التوحيد والقرآن . يأتي دور الرسالة ، وقـد نال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند الصوفية مكـانة ، لا تـدانيها مكـانة ، فهـو أولهم وامـامهم ، ورأس طرقهم على اختـلافهـا . وهـو الإنسـان الكـامـل ، وفكـرة النـور المحمـدي التي يسنـد الحـديث فيهـا ، إلى ابن عـربي ، تحدَّث عنها «سنائي» قبله بقرن كامل .

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول الأنبياء خلقاً ، آخرهم بعثاً ، وكان نبيـاً وآدم بين المـاء والطين ، وهـو أوّل الفقراء والمفتخـر بالفقـر . وقد وضـع الله تعالى علماً خاصاً في قلبـه ، وعلمه الحقـائق الأزلية ، وهـو الغرض من خلق الإنسان ، وبه يتم خلقـه ، وهو المختص بـرتبة قـاب قوسين ، من بين الملائكة والأنبيـاء ، وهو المتـوسط بين المخلوق والخلق ، وشرعـه فوق العقل . ولا تقـل أحاديث الرَّسول عنـد الصوفيـة مكانـة عن القرآن الكريم . ولا توجد طريقة صوفية ، لم تستند فرقتها إلى أحد الصحابة ، وكـان للإمـام علي النصيب الأكبر بحيث إنـه عوض حكم الـدنيـا بحكم الـدين ، وعنـه انتقلت الـطريقـه والعلم البـاطني ، عن طـريق سلمـان الفارسي ، وحبيب العجمي .

ويـصرّ العـارفـون ، على أنـه لا يمكن للطريقـة أن تبـدأ دون الشـريعة ، والـطريقـة بـلا شـريعـة نـوع من المـروق ، لا يـوصـل إلى الحقيقة ، وأكثر الصوفية شططاً لم يتخلَّ عن الشـريعة ، مهمـا وصل في الطريقة .

---

(١) التصوف عند الفرس ـ مصدر سابق ـ ص ـ ١١٥ ـ .

التصوف عند العلويين ـ تصوف المكزون السنجاري :

ذكر بعضهم أن التصوف الإسلامي نوعان :

١ ـ تصوف عملي : وهو ما استمد أصوله من القرآن والسنة ، وسيرة السلف طوال القرنين الهجريين الأول والثاني ، ويطلق عليه اسم الزهد وأصحابه هم الزهاد .

٢ ـ تصوف نظري فلسفي ، وهو ما جاء من تحاك الثقافة الإسلامية بالثقافات اليونانية ، والفارسية ، والهندية جراء اختلاط هذه الأمم والأجناس وتفاعل هذه الثقافات وحضاراتها مع البيئة العربية ، والثقافة الإسلامية .

والزهد زهدان زهد الغنى ،وزهد الرّضى ، وزهد المكزون السنجاري هو زهد الغنى ، وتصوفه جمع بين التصوف العملي ، والتصوف النظري الفلسفي ، فهو أمير ابن أمير ولكنه الأمير الزاهد ، وغاز يقود الجيوش ، ويحرز النصر ، ويغنم المعارك، وقد يُهزم ، وقد توفرت له كل أسباب الرفاهية ، ومصادر الثراء ، ورغد العيش ، وترف الحياة ، ولكنه آثر الزهد ، والتّقشف فترك الإمارة ، ونبذ مباهج الحياة ، واتجه إلى ربّه ، معرضاً عن الدنيا مفتخراً مباهياً بالفقر يقول[1] :

يا راغباً بغنائه عن فقرنا	بالزهد فيك، الفقر قد أغنانا
لو ذقت طعم طعامنا وشرابنا	ما عشت عمرك جائعاً ظمآنا
ولو استقمت على سواء سبيلنا	لم تمش في تيه العمى حيرانا
ولدت بالدار التي درنا بها	ولثمت فيها الحور والولدانا

ومن زهد الأمير الورع أنه يرى أن أقصى الجهل أن يجتهد الإنسان ويسعى ، ويكدّ ليحصل على الثروة ، ويكتنز المال ،ثم يتركهما

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة جزء أول ص ـ ١٤٧ ـ .

لغيره من الوارثين ، متمثلاً قول إمامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وعليه أن لا يتجاوز في ذلك مقدار ما يمسك رمقه فإن لم يفعل انتهى به الأمر إلى الهلاك يقول :

نهاية الجهل اجتهاد الفتى ... في كسب ما ينفقه غيره
وشرّ حال المرء في نفسه ... أن يتعدى نفسه خيره

ونظريته في الغنى مبتكرة، فالغنى في نظره أن تستغني عن الشيء - أما أن تغنى - به - فهذا هو الفقر الحقيقي ، والعلّة في ذلك أن حصولك على الأشياء يجلب لك تعباً وجهداً وقد يؤدي إلى حساب عسير في الآخرة ، وهذا سرّ قول المسيح ﷺ : «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة» وقوله :

«لئن يدخل الجمل في سمّ الخياط أقرب من أن يدخل الغني ملكوت الرّحمن» .

وليس من الزهد أن ترغب في ثناء الناس على زهدك يقول :

غناك عن الشيء نفس الغنى ... وأما «به» فهو فقر إليه
وليس من الزهد في رتبة ... أخو «رغبة» في «ثناء» عليه

وقوله :

سعي الفتى لسوى كفاف ... العيش غاية جهله
إذ فيه يخسر ما يؤمل ... ربحه من أجله
والفقر لا يؤذي الفقيـ ... ـر أذى الغني بنجله
إذ ذا يعان وذا يرا ... د به الردى من نجله

وقوله :

عرض الحياة أقل ما يسعى له ... من جوهر العلياء بعض طلابه

ومـواسـم اللذات فـي عمـر الـفتـى   كـالبـرق أومض من خـلال سحابـه
لـكنـمـا يسعـى الـلبيب لـقـوتـه   ولـستر عورتـه وكـشـف حـجـابـه

وقوله :

تـوهم الجاهـل المغـرور من سفـه   أنّ الـفـضيلة فـي الإثـراء لـلرّجـل
وظـن أن لـبـاس الـمـرء منـقـصـة   إذا غـدا المرء عـريـانـاً من الحلل
ومـا دري لـتعـامـيـه ، وحيـرتـه   بـأن حليـة أهـل الفضـل بالعطـل

ويقول :

يـكـون مـاذا لـمـن يموت ؟   ثـوب يـوارى بـه ، وقـوت
أيـحـذر الـمـرء فـوت أمـر   فـي قـصـده عـمـره يـفـوت
مـا الـحـرّ فـي الـدار غـيـر عـبـد   أغـنـاه عـن كـده الـمـقـيـت
لـمـا انـتـفـى هـمّـه بـوهـم   أتـاه فـي مـحـوه الـثـبـوت

ويقول :

شـرفـي ، وعـزّي ، أنـكـم   دون الـورى شـرفـي وعـزّي
وإلـيـكـم فـقـري بـه   نـلـت الـغـنـى عـن كـل كـنـز

ويعرف المكزون الزهد ، ويضع حدوده ، وشروطه ، وفق مقتضيات الشرع والقرآن والنصوص ، موافقاً السلف الصالح ، مخالفاً في بعض الوجوه ما درج عليه بعض المتصوفة الذين خرجوا في القصد عن حدّ الإعتدال ، ففرطوا وأفرطوا .

يقول[1] :

ليس زهـد الفتى بتحـريـم حـلّ   مـن نكـاح ، ومـطـعـم ، وشـراب
وارتـبـاط بـالـرُّبط أو بـاعتـزال   فـي جـبـال ، ولا بـرقـع ثـيـاب

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة ـ ج١ ـ ص ـ ١٥٠ ـ .

فالزهد فيما أحلّه الله من نكاح وطعام وشراب من حلّ ليس من الدين في شيء قال الله تعالى : ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٢] والرهبانية الجديدة من انقطاع في الربط ، والتكايا ، والخانقاه ، والصوامع ، والبيع ، والإعتزال في الجبال ، والإستيحاش من الناس ، ورقع الثياب ، إظهاراً للفقر والمسكنة والتواضع ، فليس من الزهد والتقوى بسبب تعطيل الكسب والعمل قال تعالى : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [سورة تبارك ؛ الآية : ١٥] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأصحابه الذين سألوه عن رجل يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويؤدي الصلاة ، وهو منقطع لذلك فقال : «من منكم يطعمه ويكسوه ، ويروح عليه ، قالوا : كلنا يفعل ذلك فقال : كلكم خير منه» .

والزهد أحسنه فيما حرَّمه الله لا فيما أحلّه ، فالرسول وهو معلِّم البشر والمسلمين صلى الله عليه وآله وسلم صام وأفطر ونكح النساء وأكل اللحم والطيبات مما أحله الله ، ويقول المكزون في ذلك :

أحسن زهد المرء في رغبه عمَّا عليه حرَّم اللّه
وأخذه بالقصد فيما اقتنى وتركه ما ليس يرضاه

ويرى أن الإمتناع عمَّا أحلّه الله هو الخروج عن حكمة الباري سبحانه ، وشرعه وإرادته يقول :

لم يحرم ما كان حلاًّ على غير جهول ، بذا أتانا الكتاب
مثل ما يمنع الطبيب مريضاً من لذيذ ، له الكريه الشراب[1] .

(١) المصدر السابق ص ـ ١٥١ـ .

مراقبة الله :

ويرى المتصوفة أن الله رقيب على أعمال عباده ، في حركاتهم ، وسكناتهم ، وسرّهم ، وعلانيتهم ، وكل خاطرة من خواطرهم ، وحدس في هواجسهم قال تعالى : **﴿إن اللّه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾** [سورة آل عمران: الآية: ٥] وقال جلّ وعلا : **﴿ألم يعلموا أن اللّه يعلم سرّهم ونجواهم ، وأن اللّه علّام الغيوب﴾** [سورة التوبة ؛ الآية : ٧٨] وقوله تعالى : **﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾** [سورة ق ؛ الآية : ١٨] وقول الحق سبحانه : **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ، ولا أكثر ، إلّا هو معهم ، أينما كانوا ، ثمّ ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن اللّه بكل شيء عليم﴾** .

[سورة المجادلة ؛ الآية : ٧]

ومراقبة الله ركن من أركان التصوف الحقيقي في الإسلام ، وهو من أسس الإيمان ، ويدخل الإخلاص إلى قلوب العابدين ، وهو من أوسع المقامات يبدأ بالتوبة العامة من عامة المخالفات الشرعية ، وهذه توبة العامة .

أمّا توبة الخاصة فهي التبرؤ من الأضداد ، والأغيار ، وكل ما يعوق النفس عن السير إلى معارج التبتل ، ومنازل الإنقطاع إلى الخالق .

وهناك ما ذكروه من توبة خاصة الخاصة ، وهي عدم الإلتفات إلى ما كان . وما يكون خشية وتعبداً . ومقام المراقبة مفتاح لجميع المقامات الصوفية ينطوي تحته مقام الصبر، والشكر ، والشفقة ، والأنس واليقين يقول المكزون[1] :

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة ـ ص ـ ١٥٣ ـ .

أراقبه خوفاً وأرجو مع الحيا   وأشتاق أنساً فيه وهو يقيني
وأشهده في غيبتي بحضوره   بغير حجاب في عيون عيوني

ويقول :

أراقبه ، وهو الرقيب بخاطري   وفيّ له مني عيون وأعوان
وبين الرجا ، والخوف ، والأنس والحيا   بقلبي جنان من هواه ونيران

ويقول :

أراقبه في حالة الخوف والرجا   وأصبح بين الحالتين كما أمسي
إذا قبضتني دونه وحشة الحيا   دعاني إليه الشوق في وحشة الأنس
وأصبح قلبي مستقرّ يقينه   لمشهده القدسي في كوني الحسي

ويقول :

أنسي بذكرك من ناسيك أوحشني   وفيك عانيت فقدي عين وجداني
يا من بقائي لنفسي في الفناء له   أدم عليّ فناء فيك أبقاني

وبهذا يكون التصوف العملي في الإسلام القائم على الزهد ، ومراقبة الله ، وعدم الغفلة عن ذكره قد تحقق عند المكزون جلياً واضحاً لا لبس فيه .

التصوف النظري الفلسفي عند المكزون :

يبدو أن التصوف النظري وتسرب الآراء الفلسفية إلى أقوال المتصوفين قد ظهر بعد القرنين الهجريين الأول والثاني ، وذلك بفعل انتشار الآراء الفلسفية في البيئة والمجتمع الإسلامي ، خاصة بعد توسع المسلمين المشتغلين بالمنطق في المسائل الفقهية ، ومن ثم بأعمال العقل في الأصول والفروع المتبعة ، وإخضاع المسلمات الأولية إلى القياس ، والجدل والمقارنة . وكان نتيجة هذا التوسع أن تشعبت الآراء وتكونت الفئات والجماعات، فكانت الفرق ، وكانت المذاهب ، وكان

للسياسة ، دورٌ كبيرٌ في توسيع شقة الخلاف ، وترسيخه ، ووضع قواعده ، ووجدت العناصر والأجناس والنحل والمذاهب مجالاً لنشاطها ومتنفساً لنزعاتها وأرضاً خصبة لإثبات آرائها ومذاهبها وفرقها .

يقول غوتيه : بحق يجب التفريق بين ثلاثة أنواع من المذاهب الصوفية في الإسلام :

١ ـ التصوف الديني المحض الذي لا يخرج عن حدود السنة الإسلامية ، والذي يمثل اتجاه المتعبدين إلى حياة التقشف والزهد والتأمل ، وهذا ليس سوى عبادة دينية محضة، ولا يمكن اعتبارها مذهباً فلسفياً .

٢ ـ التصوف الفارسي ، أو الهندي ، الذي نراه عند بعض المتحمسين أمثال الحلاج والبسطامي وابن الفارض ، والذي يتعارض قليلاً وكثيراً مع الإسلام لأنه ينتهي في الحقيقة إلى مذهب «وحدة الوجود» .

٣ ـ التصوف حسب مذهب الأفلاطونية الحديثة ، وهي إدراك ما بعد الطبيعة بطريقتين :

الأولى : البحث والنظر .

والثانية : الذوق بالمشاهدة ، أو الكشف[1] .

ولم يكن الأمير المكزون بعيداً جداً عن الفريقين المتصارعين على المستوى الفكري ، والسياسي فهو مسلم شيعي ، إمامي ، إثنا عشري ، وهو يقول بالباطن والظاهر ، وبالتأويل والتنزيل :

وإني بتنزيل المحبّة عالم	وفي سرّ تأويل المحبّة راسخ
ولي علم فيه ، وعلم بباطن	لظاهره طود على العقل شامخ

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة ـ ص ١٥٥ ـ .

ويرى المكزون أن الحقيقة لا تبطل الشريعة وهو يشنع على من يقول خلاف ذلك :

أمّي الشريعة، والمقيم لها أبي   وبنو بنيها كلهم إخواني
أأعق والدتي، وأنكر والدي   وإلى عداي أفرّ من أعواني؟
وأفرّ من أنسي إلى وحش الفلا   إن كنت ذاك فلست بالإنسان

وهو يكره الرهبنة ويخالف أهلها :

ومدّعي القرب إلى ربّه   ومنه بالبعد بدا القرب
كمستنّ الزور أو رافض   السنّة مقرون به السبب

وهو يخالف «الحرفيين» في فهم الشريعة والكتاب :

وبألطافها إليها دعتني   وأرتني نزولها في سمائي
بكتاب فيه شفاء اكتئابي   من وعيد القلى، ووعد اللقاء
ناطق، صامت، مبين، معمي   كاشف، ساتر، قريب، ناء
ظاهر، باطن، أنيق، عميق   شاهد، غائب، عن الأغبياء
محكم، ذي تشابه، وائتلاف   في اختلاف الآيات، والأجزاء

ومن «جمع المتضاد» أو «الثنائية المتناقضة» أو الشطحات الصوفية إن شئت قوله :

أنا في هواها مشهد ومغيب   فاعجب لكوني واصف ومجرّد
ومنزّه، ومشبه، وموحّد   ومعدّد، ومقرّب ومبعد
ومفوض والجبر غير مجاحد   عندي، لأن عيانه لا يجحد
ومكلف ومرفه، ومبصّر   ومبصّر، ومقلّد ومُقلَّدُ
متفلسف متصوف، متسنّن   متشيع، ذور غبسة متزهد

وللمكزون فهم صوفي خاص لأركان الإسلام الخمسة :

واسلم كإسلامي لها تسلم بها   في قصدها من العناء والكلل
وإن عراك خبل في قصدها   فاتل أساميها يزل عنك الخبل
وعذبها من غفلة عن أمرها   في سترها تعقب في الكشف الخجل
واعمل بمسنون الهوى في ملتي   وارفض فروض غيرها من الملل
واسلك سبيلي في هواها نحوها   ولا تمل دون الحمى إلى الطلل
واتخذ القبلة شطر وجهها   فهي لأهل العشق من أرضى القبل
وقل إذا قمت على صلاتها :   حي على خير الصلاة ، والعمل
وجهت وجهي للتي جمالها   عن جهة الأوصاف بالتحديد جلّ
مستسلماً ، مسلماً لأمرها   معتصماً بحبلها من الزلل
واتل سناها راكعاً وساجداً   عساك تحظى بالقبول ولعلّ
ودم على فعل الصلاة تتصل   بمن إليها بالصلاة قد وصل
وصم لها بالصون للسرّ الذي   حملت منه عن جهول ما حمل
تحظ بسرّ الصون في سبيلها   وما عليه من معانيه اشتمل
وقنّع النفس ، وكن متزكياً   إلى مواليها بما عنك فضل
وزر حمى حلّ به جمالها   تستغن عن حث الشرى إلى الجبل
ولا تزر معهد ربع قد خلا   وزر حمى عنه سناها ما انتقل
فذلك الحجّ الذي إن نلته   نلت حجّاً لم تنله بالإبل
وأجهد على مرضاتها النفس ، وكن   مجاهداً بالسيف فيها من عذل
وكن لما أشرعته في حبّها   متبعاً ، مطّرحاً عنك الكسل
تمرق إلى الباطن من ظاهر ما   أشرعته ، فعندها اصمت واعتزل
واقطع أخا الجهل ، وصل كل فتى   شبّ على دين الغرام ، واكتهل

إنّه تصوف فلسفي نظري باطني يجمع بين الفلسفة والعقل ، والبحث والنظر وهو يميل في هذا الشعر إلى الرمز ، والتأويل ، والتنزيل ، وهو يبتعد بفكر الإنسان ، وعقله ، وعواطفه ، إلى الفلسفة ،

والحكمة التي يستخلص بوسائلها المنطقية ، وبواسطة ملكاته العقلية[1] ، وهو يتناول هذا الإستخلاص فيمحصه بالعقيدة حتى يبلغ به مرتبة عالية من الكمال واليقين ، ويشابه شعر المكزون المتقدم قول ابن الفارض :

أنتم فروضي ونفلي   أنتم حديثي وشغلي
يا قبلتي في صلاتي   إذا وقفت أصلي
جمالكم نصب عيني   إليه وجهت كلي
وسرّكم في ضميري   والقلب طور التجلي
آنست في الحيّ ناراً   ليلاً، فبشرت أهلي
قلت، امكثوا، فلعلي   أجد هداي، لعلّي
دنوت منها، فكانت   نار المكلّم قبلي
نوديت منها كفاحاً   ردوا ليالي وصلي
حتّى إذا ما تدانى الميقـ   ـات في جمع شملي
صارت جبالي دكاً   من هيبة المتجلي
ولاح سرّ خفي   يدريه من كان مثلي
وصرت موسى زماني   مذ صار بعضي كلي
فالموت فيه حياتي   وفي حياتي قتلي

فالشعر الذي مرّ ذكره يحتوى على الرمز ، والتعقيد ، والتعمية ، والإغراب ، والإغراق في المعاني وذلك لستر السرّ ، وصونه عن الجهّال ، والعامّة ولكنها واضحة عند أهلها من ذوي الحجا الذين صفت نفوسهم ، وأشرقت سرائرهم يقول المكزون :

متى ينشق عن جسدي الضريح   وينفخ فيّ من ذي الروح ، روح؟

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة ـ ص ـ ١٦٢ ـ .

وأخرج نافضاً ألتراب رأسي	ترابياً، ويقدمني المسيح
ورايات الصليب لدي تسري	وقد شهر السلاح له السليح
وانجيلي على صدري، وكفي	بها كأسي، وقديسي سطيح
وأحكم عقد زناري بعقد	لحل عقود أجرامي يبيح
وأسمع من سنا يوح نداء	إلى أهل الهوى أوحاه يوح
وأقتحم الصراط بغير شك	إلى نار لعارفها تلوح
وأسقي من حميم الظل ماء	به لمزاج أتراحي مزيح
وأقرن بالحديد إلى قرين	عليه بالسفينة ناح نوح
وأفني في هواها خط جسمي	فإن فناه من ترحي مريح
فرضوان الجنان بغير شك	على أبواب مالكها طريح

ورح متدبراً قولي فلغزي ألمعي عند ذي حجر صريح

ونظم عقيدتي في سر ديني	على عين الجهول بها قروح

ومثله قول الشيخ محي الدين بن عربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان ودير الرهبان
وبيت الأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة وأوراق قرآن
أدين بدين الحبّ أنى توجهت	ركائبه أرسلت ديني وإيماني

ونلاحظ أن تصوف المكزون يقوم على المجاهدة ، وهو لا يقف عند قيام أركان الإسلام الخمسة بل يتجاوزه ، إلى أعمال الحواس الباطنة . فالطهارة عنده لا تكون بنظافة البدن فقط ، وإنما تكون بنظافة القلب ، والسريرة من الجنائن . والصّلاة لا تتم عنده بتحريك اللسان بالكلام ، والجسم بالركوع والسجود فحسب، بل بفهم المعاني والمقاصد من الصلاة كصفاء القلب ، ورسوخ الإيمان . والحواس الظاهرة تقابلها حواس باطنة ، والجسد تقابله الروح ، وهو يعطي العقل دوره الفعال في

القضايا والأحكام ، ويفيض على تلك الأحكام العقلانية الروحانية التي تشع من الروح والقلب .

والظاهرة الأُخرى في تصوف المكزون أنه يعتمد التوراة والإنجيل أحيانا ، وآراء فلاسفة اليونان أحياناً ، لكنه في كل ما يستقيه من غير الإسلام - لم يكن إلاّ وسيلة لفهم الإسلام فهماً عميقاً صحيحاً ، ودعمه بالبراهين الدالة على صحته ، وصلاحه للحياة العملية والعقلية والسلوكية والروحية ، وموقفه هذا يشبه إلى حدّ بعيد موقف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين[1] .

وثالثاً فإنه يظهر من بعض شعر المكزون أنه يؤيد الفلسفة الفيثاغورسية التي ترجع الأعداد كلها إلى الأصل أي «الواحد» وعنها نشأت نظرية «وحدة الوجود» وإعادة «الكثرة» إلى «الواحد» فهو يسوق المنطق الصوري لتأييد نظرية «الواحد» في التثليث وهو الأساس في المسيحية ، يقول ويظهر لنا في قوله المذهب الفيثاغورثي :

مرّبي بالأب ، والابن وروح القدس يشدو
راهب كالبدر في البر نس منه الوجه يبدو
قلت: توحيدك في التثـ ـليث، للتوحيد ضدّ
قال: برهاني على التو حيد فيه، لا يردّ
خذه: من فيَّ، بريق طعمه: خمر وشهد
وهو في الأكباد حرّ وهو في الأفواه برد
وبزناري بخصري وله حلّ، وعقد
وبحالي في زماني وله قبل، وبعد

ومثله قوله :

وجه تثليث النصارى بان في قدّ حبيبي

---

(١) انظر المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة الجزء الثاني ص - ١٧٣ - .

فهو بدر، فوق غصن لاح من فوق كثيب
وهو موضوع لحمل البدر محمول القلوب

وأطلق الصوفيون على «الحقيقة المحمدية» اسم الوجود، أو الموجود الثاني، الموجود بغيره، العقل، العقل الفعّال، مضافاً إليها النور المحمدي، المبدع الأول ـ بفتح الدال ـ ومن يدرس المكزون الصوفي الفيلسوف لا بدّ له من فهم مصطلحاته الصوفية والفلسفية والإستدلال بها على مقاصد المكزون يقول:

كلّ المحاسن جزء نور محمّد وإليه مرجعها، وعنه صدورها
وسناه لولم يغش أنوار السماوات العلى لم يبد فيها نورها
قدمت مكارمه وجلّ ثناؤه إذ عزّ في كل الوجود نظيرها

وفقهاء المسلمين، والمتصوفة يقولون بمصطلح «النور المحمدي» وأزلية هذا «النور» بالنسبة لأعيان الوجود على تفاوت في هذا القول. وقد توسعوا في هذه المسألة حتى أصبحت أساساً في العرفان الصوفي، ولعل، الشيخ ابن عربي أكثرهم جرأة ومغامرة، وتقحماً في هذا المجال، وإلحاحاً على جلاء هذا السرّ تلويحاً وتصريحاً.

وقد يطلق المكزون على النبي محمد ﷺ أوصافاً جاءت كلها في القرآن الكريم:

لأحمد في الذكر وصف عظيم رسول، نبيٌّ، رؤوف رحيم
نذير، مجير، وليٌّ نصير وساع، وداع، وراع حميم
ذكور شكور، صبور وقور حميد مجيد، غفور رحيم

وقد توسع الصوفيون فأخذوا بعض المصطلحات الفلسفية وأطلقوا على الله تعبير الوجود، وواجب الوجود، والموجود بذاته ولذاته، والذات الكلية مضافاً إليها إسم «المعنى» والمبدع ـ بكسر الدال ـ.

واستعملوا ألفاظ الجلال: الزمان، المكان، الكون، الكيان،

الفصل ، الوصل ، الوجود ، العدم ، الوهم ، الأزل ، الأبد ، وضمنوها مقاصد صوفية خرجت بها عن المعنى اللغوي المباشر إلى معان مجازية[1] .

يقول المكزون في إحدى قصائده في تنزيه «الذات» :

ونزهت عن كون «المكان» كيانها   وأوصافها عن رتبة الحدثيّة

وأعطيت «معناها» «التقدم» في الهوى   على «نورها» «الموصوف» بالأزلية

وأفردته من غير «فصل» ولم أقل   مع «الوصل» إن «النور» عين «المنيرة»

العرفان والباطن عند المنتجب العاني :

جاء في كتاب «شفاء السائل لمعرفة المسائل» لابن خلدون : إن علم الباطن هو روح الشريعة ، ومنشأ التصوف يوضح فيه مجاهدات المتصوفين ، في التقوى ، والإستقامة ، ومجاهدة الكشف ويقدم لذلك بأربع مقدمات :

الأولى : يشرح فيها معنى الروح والنفس والعقل والقلب ، وكمال بروزها .

الثانية : يشرح فيها كيفية اكتساب الروح للمعارف التي بها كمالها .

الثالثة : يشرح فيها السعادة ، وأعلى أنواع السعادة : النظر إلى وجه الله .

الرابعة : لذّة المعرفة الكشفية ، وأنها قد تحصل في الدّنيا .

وبنى على ذلك ملاحظاته حول تطور كلمة التصوف واختلاف مدلولها ، وتعريفها . والباحثين فيها ، واختلاف مذاهب

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة ـ الجزء الثالث ـ ص ـ ١٣٩ ـ .

المتصوفين ،ولا سيما الراسخين منهم ، وموقفهم الحذر من المشاهدة لما يحفّ برحلة المشاهدة من أخطار .

وقد راقب ابن خلدون التكاليف المفروضة على العباد ، وقد لخصها الإسلام في تنظيم علاقتين : الأولى علاقة الإنسان بربّه ، وهذه تصل البحث في الجانب التعبدي . والثانية علاقة الإنسان بالإنسان ، وهذه تقود البحث إلى الميدان الإجتماعي ، وللقيام بالتكليفين ظاهر وباطن ، فالظاهر عبادات وعادات ومتناولات تقوم بها الجوارح ، والباطن إيمان يقوم به القلب وصفات يتلون بها وعلى هذا الباطن تقوم روح الشرع[1] .

ويقول ابن خلدون : «وتأملت في استعداد الناس المتفاوت إزاء تلك التكاليف ، وجدتهم ثلاث زمر ، فمنهم القادرون على استيعابها وتنفيذها تنفيذاً دقيقاً يستوي فيه باطنهم ، وظاهرهم ، وهؤلاء في درجة الإحسان ، وهي أرقى درجات التوحيد «ومنهم من يقبل عليها مرَّة ويدبر أخرى ، ولكنه عند إقباله يحاول التوفيق بين ظاهره ، وباطنه ، ومثل هذا في درجة الإيمان ، وهي تلك الدرجة السابقة» ومنهم من يقبل على ظاهر تلك التكاليف ، دون اهتمام بالباطن ، فقد يكون باطنه مخالفاً لظاهره ، ومثل هذا في درجة الإسلام ، وهي بهذا الإعتبار أدنى درجات السلم التوحيدي . وقد عرف تاريخ المسلمين الأول هذه الفئات الثلاث ، ولكن العناية بالباطن كانت أكبر في البداية ، لأن القلب ونواياه هما الأصل في نظر القرآن والنبي . . ولكن الزمان تقدم بالمسلمين، وغاب عنهم النبي ، وانتعشت أنانيتهم ، ومالوا إلى شهواتهم ، ووجدوا مشقة في مراقبة أعمال القلوب فهجروها ومالوا إلى أعمال الجوارح الظاهرة واكتفوا بها . .

---

(١) شفاء السائل لتهذيب المسائل ـ ص ٥ ـ ابن خلدون ط ١ استنابول ١٩٥٨ .

إلاّ أن فئة من الخواص انتبهت لخطورة الإنحراف عن الباطن الذي هو الأصل ، إلى الظاهر الذي هو الفرع ، فالتزمت تنفيذ تعاليم الإسلام بدقة ، وجاهدت لتبلغ درجة الإحسان ، وهي أعلى درجات التوحيد ، وقد وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وعلى هذه الفئة من الخواص أطلق الجمهور إسم «الصوفية» أو أهل الباطن ، وأطلقوا على نزعتهم اسم «التصوف» وصار فقه الشريعة على نوعين : الأول فقه الظاهر ، ويهتم بأفعال الجوارح ، والأفعال الظاهرة ، وأهله أصل الفتيا وحرسة الدين ، والثاني فقه الباطن ، ويهتم بأحكام أفعال القلوب ، وأهله أهل القلوب ، وأهل الباطن ، وأهل الورع والآخرة ، وأهل التصوف»[1] والمنتجب العاني يستعمل كلمة الباطن كثيراً ، ويستعمل كذلك كلمة العرفان ، ولا يستعمل كلمة «التصوف» ولكن بما أن «علم الباطن» يساوي عند البعض «علم التصوف» مع تطور مفهوم الكلمتين عند القشيري والغزّالي وابن خلدون ، وعليه ينبغي أن تكون الدراسة عن المنتجب العاني بأن المقصود بكلمة «الباطن» ومشتقاتها ، هو عين المقصود بالتصوف ومشتقاته[2] .

وقد اهتم المنتجب العاني بالباطن الإنساني وصفاه شوقاً لوصال الباطن الإلهي ، والإتحاد به ، وسماه سرّدينه وأصل معتقده قال في قصيدته «التوحيد» .

ورُبَّ خلّ أتى يسائلني	عن سرّديني وأصل معتقدي؟
فقلتُ: غير التوحيد باطنه	بباطني اليوم غير متحد

(١) المصدر السابق ـ ص ـ ١ ـ ١١ .

(٢) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ أسعد أحمد علي ـ دار النعمان بيروت ص ٤٠٧ ـ ١٩٦٨ م .

وإخلاص التوحيد هو الإقبال الكلي على الله بشهادة أن لا إله إلا الله وحده ، والإقبال الكلي على تكاليف الله للإحسان ، مع مساواة الباطن والظاهر ، وذلك هو الإحسان ، وهو غاية المتصوفين الذين يعكفون على تنقية بواطنهم بالمراقبة والمجاهدة ، حتى يبلغوا مرتبة المشاهدة لله سبحانه ، والشهادة لله بالألوهية ، وما يتبعها من أركان التوحيد تكاليف واحدة للجميع ، فشهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، والإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر . . وهذا دون مستوى الإحسان الذي يجاهد من أجله العارفون ، ولا يرتضون عنه بديلاً .

وقد عرض لظاهر الشريعة وباطنها ومناقشتها كثير من العلماء منهم الغزّالي ، والقشيري وابن خلدون الذين اعتبروا بعض الباطنية ناقضين لمعاقل الشريعة بأقوالهم السفسافة التي تقتضي أن الشارع أظهر حكماً وأخفى آخر تعالى الله عما يقولون . وأن مقام الإحسان يلازم إتفاق الباطن والظاهر مع المراقبة في جميع العمل . وقد أشار أشياخنا إلى جريان هذه المقامات في جميع العبادات والتكاليف كما أكدوا أن ذلك هو ما قصده بعض الأكابر من قولهم : إن للشريعة ظاهراً وباطناً ، بمعنى أنّ لها حكماً على المكلفين من حيث ظاهر أعمالهم . وحكماً عليهم من حيث باطن أعمالهم[1] .

وفي قصيدة المنتجب «السرّ الخفي» إيضاح للمقصود من «باطن التوحيد» يقول شارح الديوان : الله ذاته ، جل جلاله سرّ ، وادراك هذا ، السرّ من الصعوبة بمكان بعيد لأنه خفيّ ، وكيف يدرك الخفي؟ ولكن هذا الخفاء لا ينطوي على معنى الإحتجاب أو الإختفاء لأنه «جليل لايحاط به» فخفاؤه في عجز الباحثين عن الإطلالة على حدوده غير

---

(1) إحياء علوم الدين ـ الغزالي ـ جزء ٥ ص ٦٢ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

المتناهية، التي لا بداية لها ولا نهاية ، فهو أزليّ البداية أبدي النهاية ، سرمدي الإمتداد . . لا يحدّ ولا يقاس ولا يمثل ، ولذلك كان باطناً عن الخلق رغم ظهوره لهم ، وإذا زعموه غائباً عن أبصارهم فليس ذلك لغيابه حقيقة ، وإنما لعجز الأبصار عن رؤيته . . فهو ظاهر من حيث هو ، لا يغيب معناه ، ولا ينفقد ، ولكنه باطن عنا من حيث عجزنا عن الرؤية والإحاطة . والمنتجب إنما أخبر بذلك ، لأنه عرف ذلك السرّ بقوة إيمانه ورآه رؤية عيانية جعلته دائم الإنجذاب إلى حقائقه الظاهرة بذاتها الباطنة عن الخلق بحجاب عجزهم عن معرفتها. ولذلك يظل شديد الحرص على تصفية «باطنه الإنساني» ليظل متحداً بهذا «الباطن الإلهي» الذي لا يدركه إلاّ من بلغوا مقام الإحسان ، فلم يغيبوا عن حقيقة النقصان فيهم هم لا فيه تعالى . . . فهو ظاهر أبداً ، جليل لا يحيط به شيء ، تام الملاحة ، كامل الحسن ، لا يعتوره النقص ، وإنما النقص فينا نحن البشر ، ونقصنا عن إدراكه وإدراك الحكمة من أفعاله يوقعنا في الحيرة والتناقض ما لم يحسن إلينا ، ويؤتنا الحكمة ، فندرك كماله الإلهي ، ونقصنا البشري ، ولإحسانه إلى العبد شروط أهمها تصفية الباطن ، وموافقته للظاهر ، فإذا تمّ ذلك حصل له الإحسان ، وأدرك نعم هذا الإحسان في الشهود والغياب في الكمال ، وفي النقص ، وقد عبّر المنتجب عن هذا المعنى في قصيدته «الخلصاء» بقوله :

تمت ملاحته وأكمل حسنه … فبدا لي النقصان من إحسانه[1]

وفي قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ : «سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض» إشارة إلى المقامات والأحوال . . فطرق السماوات : التوبة ، والزهد وغير ذلك من المقامات ، فإنَّ السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماوياً وهي طرق السماوات ومتنزل البركات ، وهذه الأحوال ، لا يتحقق بها إلاّ ذو قلب

---

(١) فن المنتجب العاني ـ ص ـ ٤١٣ ـ .

سماوي[1] . ولما كان السالك : «لا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام[2] كان لزاماً علينا أن نبين ونشرح الرّضا من المقامات واليقين من الأحوال وخط المنتجب من ذلك كما عبر في قصائده وأقنع نفسه بالصبر ، والتوكل والتسليم للّه دائماً «من الناحية الدينية» يقول المنتجب :

فوكّل إلى الله كلّ الأمور
وكن لإلهك عبداً شكور
فإنك تلقاه في المنقلب
فسلّم إليه وخلّ التعب

مجاهدات المنتجب في الطريق إلى الله :

قال ابن خلدون في شفاء السائل : التكاليف قسمان : الأول : التكاليف الظاهرة على الجوارح كالعبادات ، والمعاملات ، الثاني : التكاليف الباطنة على القلب كرياضة النفس وتطهيرها والدقة في مراقبة الباطن وعلمه سميت فيما بعد تصوفاً ، فالتصوف إذاً هو علم الباطن أو عالم المجاهدة ، وقد قسم المجاهدات إلى ثلاث هي : مجاهدة التقوى ، ومجاهدة الإستقامة ، ومجاهدة الكشف ، وأول الكشف محاضرة ، ووسطه مكاشفة ، وآخره مشاهدة وغاية المجاهدة الأخيرة بلوغ السعادة ولذة المعرفة بالنظر إلى وجه الله قبل الموت وبالإجمال : «هي إخماد القوى البشرية كلها حتى الأفكار متوجهاً بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية ، طالباً رفع الحجاب ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعداء . ولذلك شروط خمسة[3] :

---

(١) إحياء علوم الدين جزء ٥ ص ٢٢٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ـ أبو القاسم القشيري ـ ص ٥٤ ـ دار الكتب العربية بمصر .

(٣) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ ص ـ ٤٤٥ ـ .

١ ـ حصول التقوى «وهي رعاية الأدب مع الله في الباطن والظاهر بالوقوف عند حدوده مراقباً أحوال الباطن»، طالباً النجاة ، وأنه التصوف عند الصدر الأول منهم .

٢ ـ حصول الإستقامة «وهي تقويم النفس ، وحملها على الصراط المستقيم ، حتى تصير لها آداب القرآن والنبوّة بالرياضة والتهذيب خلقاً جبلية ، طالباً مراتب :

﴿الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّديقين والشهداء والصالحين﴾ [سورة النساء ؛ الآية : ٦٩] ووجه اشتراطها من جهة المعنى أن القلب في تصفيته يفضي إلى العلم الإلهامي الذي هو تجلّي الحقائق في القلب على ما هي عليه في نفس الأمر من غير خلل ولا انحراف فإذا لم تحصل الإستقامة للمرتاضين تجلّت لهم الحقائق على ما عندهم ، أو على خلاف ما هي فيرجعون إلى الإباحة وتعطيل الشرائع والزندقة المحضة ، أعاذنا الله .

٣ ـ الإقتداء بشيخ سالك قد خبر المجاهدات ، وقطع طريق الله ، وارتفع له الحجاب وتجلّت له الأنوار ، فهو يعرف أحوالها ويدرج المريد في عقباتها حتى تتاح له الرحمة الربانية ، ويحصل له الكشف والإطلاع ، فإذا ظفر بالشيء فليقلده أمره ، وليهتد بأقواله وأفعاله ، ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء البحر بقائده ، ويلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ، ويعلم أن نفعه في خطأ شيخه أكثر من نفعه في صواب نفسه .

٤ ـ وقطع العلائق كلها عن النفس بالزهد في كل شيء والإنفراد عن الخلق بالخلوة . . إذ مطلوب هذه المجاهدة فراغ القلب من كل ما سوى الله حتى كأن البشرية كلها ذاهبة ممحوة شأن الميت ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ «موتوا قبل أن تموتوا» .

٥ ـ صدق الإرادة ، وهو أن يستولي حبّ الله على قلب المريد

حتى يكون في صورة العاشق[1] المستهتر الذي ليس له إلّا هم واحد .

فإذا حصلت هذه الشروط كلّها فصورة العمل في هذه المجاهدة :

ـ أن يلزمه الشيخ بذكر يلزم قلبه على الدوام ، ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة ، ومن التلاوة بل يقتصر على الفروض والرواتب ويكون ورده ملازمة القلب لذلك الذكر ، ولا يشغل قلبه بغيره .

ـ ثمّ يلزمه الشيخ الخلوة وهي زاوية ينفرد بها عن الخلق ، ويوكل به من يقوم له بقدر حلال من القوت ، ويعين له ذكراً يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول : الله ، الله ، الله ، أو : لا إله إلّا الله ، لا إله إلّا الله . . ويجب على الشيخ التحفظ ، فهو موضع الخطر العظيم . فقد يغلب عليه خيال من الخيالات ، فيشتغل بالبطالة ، ويسلك طريق الإباحة[2] ، ومن تجرّد لهذا الذكر لم يخل من هذه الأخطار . . فإذا سلم من هذه العوائق كلها ، وحصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة ، وتجلى له الحق ، وعظم الفرح واللّذة ، وطاربه السرور ، وظهر من لطائف الله ما لا يحيط به وصف واصف . وأعظم القواطع بعد رفع الحجاب أن يتكلم به ، أو يتصدى للنصح والتذكير . . أو يفتر عن العمل والإلحاح عليه الذي هو وسيلة إلى هذا التجلي لما يظن من الإستغناء عن الوسيلة بحصول المقصد ، فيضعف التجلي ، ثمّ ينقطع وينزل الحجاب ، فيقع بسبب هذه القواطع في بحر من الهلاك لا ساحل له . . . وما عرض به لذلك إلّا طلب المشاهدة فلو اقتصر على الإستقامة وأخّر المشاهدة إلى محلها بوعد الصدق ، وهو دار الجزاء ، سلم من هذه الأخطار المهلكة عصمنا الله بفضله .

والمنتجب العاني يرسم في شعره من قصيدته «باطن الدين» علم

---

(1) إحياء علوم الدين جزء ٣ ص ـ ٧٨ ـ .

(2) المصدر السابق .

طريق الآخرة وهو الذي يعنى بكيفية تطهير القلب من الخبائث ، والكدورات بالكفّ عن الشهوات ، وإخماد القوى البشرية . بقطع جميع العلائق البدنية ، والإقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم .

يبدأ القصيدة وعلى عادة من تقدمه من الشعراء عن ذكرى الحبيب الذي عرفه أول مرّة ، قبل أن تودع روحه اللطيفة في جسده الكثيف والحبيب هنا رمز للحقّ تعالى «ومن بقية الذكرى أن الحبيب سقاه خمرة» تلطفت عن ملمس وحسّ .

والخمرة هنا رمز لمعرفة الحق سبحانه . . وهو إذ يناجي نفسه ويسمّي ذاته خليل ذاته يرسم طريق الهدى والفوز ، فيقول :

فاتبع هداك يا خليلي واعلم — أن متى خالفت قولي تندم

ومنْ يفزْ منها بقدر الدرهم — مع فتية بيض الوجوه، يظلم

فاختر لصافيها أخاً صفيّا

مهذّباً في علمه والدين

يفرق بين الشك واليقين

ينقل عن «إمامه المبين» — حقائق البيان والتبيين

ويعرف السّر المحمديّا

وباطن الدين هو التحقيق — وظاهر الأمر لنا تزويق

وكلّ من قارنه في قصده الطريق — بان له التوفيق

وحقّق «الإمام» والنبيّا

متى ابتغيت أن تكون عارفا : — فكن على باب اليقين واقفا

ودم على حسن الوفاء عاكفا — وجانب المعاند والمخالفا

وكنْ بنور الحقّ مستضيّا

مولىً علا عن رتبة الوصوف

وجلّ عن حدّ وعن تكييف

منّ علينا منه بالتسويف   برحمة تنجي من التخويف

وكان حسن وعده مأتيا

فهو يصف طريق رحلته الرّوحية متوجهاً بالخطاب إلى نفسه ، لأنه في رحلة زادها تصفية الباطن ، وصفاء الباطن لا يكون بغير الخلوة ، ومباعدة الأغيار ، والتأمل في حقائق الطريق القويم ، وتلمس أنوار الهدى ، وابتغاء الشفاء مما يعاني العاشق البعيد عن حبيبه ، وقوله «فاختر لصافيها أخاً صفياً» أي ممن هذبوا نفوسهم في العلم والدين ، وفرّقوا بين الشك واليقين ، ونقلوا علومهم عن كتاب الله وسنة نبيّه ، وحققوا ما نقلوه بتصفية بواطنهم ليتحد بباطن ما نقلوا من الهدى ودين الحق . . .

ثمّ إنه بعد التوبة إلى الله ، وحسن التوكل عليه ، وابتغاء وجهه سبحانه يستطيع السير في طريق المعرفة التي هي آخر مراتب الطريق ، حيث نصل إلى النعمة القصوى فيتجلى لك الحبيب وتشاهد جمال وجهه فيحظى بالسعادة الكبرى سعادة المشاهدة لوجه حبيبه : «مولى علا عن رتبة الوصوف» .

وقد رأيناه في علم المعاملة يذكر خمرة قدّمها الحبيب ، ويختار لصافيها أخاً صفياً ، ينقل دينه وعلمه وحقائق البيان والتبيين عن القرآن الكريم «ويعرف السّر المحمديا» . وهنا يأخذ المنتجب بسرد مايعرفه من حقائق ذلك السرّ ، ولكنه سرد إجمالي لا وضوح فيه ، يدل على معرفته الباطنية به ، ولكنه يمسك لنفسه بما يعرف من عطاء التجلي والمشاهدة ، فهو يعرف السرّ المحمدي نقلاً عن حقائق البيان والتبيين في قرآن أحصى الله فيه كل شيء ، وجعله هدى ورحمة ، ومن هنا كان تفصيل ثمار المكاشفة المنتجبية ، يعده تعداداً إجمالياً يدّعي فيه أنه يعرف أسرار الوجود العلوية والسفلية[1] :

---

(١) فن المنتجب العاني ص ـ ٤٦٤ ـ .

ويفهم الأشباح والأرواحا والنور إذ كان لها الـمّاحا
ويفقه المشكاة والمصباحا إذ راح في زجاجة وصاحا.
بدا فلاح كوكباً دريّا.

ويعلم الخفيّة الجليّة الجذوة المشرقة المضية.
زيتونة وسطى فلا شرقية في ظاهر الأمر ولا غربيّة.
يلوح نور زيتها مضيّا.

هذا وينبيك عن الأخبار وعن خفايا باطن الأسرار
وعن جنان الخلد والأنهار والطبقات في قرار النار.
ورمزها وينشر المطويّا.

ما الماء ما الهواء ما السّماء ما الأرض ما آدم ما الأسماء؟
ما جنة المأوى ولا حوّاء ما نخلة ما مريم العذراء؟.
هزّت فألقت رطباً جنيّا.

ما العرش ما الكرسّي ما جبريل ما الصور في المعنى وإسرافيل؛
ما مالك النار وعزرائيل ما طير أبابيل وما سجيل؟.
والفيل إذ أضحى لها مرميّا.

ما كوكب شاهد إبراهيم فقال: هذا ربّي الكريم؟
ما الطور ناجى فوقه الكليم وكيف كان ذلك التكليم؟
لمّا دنا مقرباً نجيّا.

ما يوسف ما جبّه ما الذّيب وما القميص والدّم المكذوب،
وما صواع الملك المطلوب ما فتيا السجن وما المصلوب؟
إذ جاء شيئاً ويحه فريّا.

ما نسوة في يوسف عواذل ما البقرات السّبع ما السنابل؟
وما العجاف للسّمان تأكل إذ قصّهن الملك الحلاحل؟
وقال يا قوم اسألوا العبريّا.

ما الباب ما حطّة ما الدخول ما سبع نيران لها تفضيل؟
أربعة منها لها تفضيلٌ وسبعةٌ أخرى أتى التنزيل؟
بها فجانب بحرها اللُّجيّا.

ما كهيعص تُجمل وما الحواميم لها تفصّل؟
وما الطواسين لها تفصّل ولا أقول إنها تفضل؟
يعرفها من كان لوْذعيا.

ما ص ما ق و ن والقلم ما اللوح أجرى فيه ما كان حكم
ما النار إذ آنس موسى ذو الكرم وما العصا هشّ بها على الغنم؟
تجسُّداً طوراً وروحانيا.

ما قسم بالعاديات ضبحا محقق فالموريات قدحا؟
بيانه فالمغيرات صبحا وقوله: إنا فتحنا فتحا.
لمن عنا، إن كنت معنويا.

ما الطور ما يس ما الدخان ما الفلك المشحون ما الطوفان؟
من كان فرعون ومن هامان لم حمل الأمانة الإنسان؟
لما تشكى الكون منها العيا

من ذلك الإنسان ما الأمانة من كان قابيل أخو الخيانة.
من عاقر الناقة ذو المهانة ما صرح فرعون وما الإبانة.
عنه وعجلٌ كان سامريّا.

ما المرّ في النبت وما الحلاوة ما سبب المكروه والطلاوة؟
وما هو الليث أخو الضراوة يخشاه ذو لين وذو قساوة؟
يقتنص الإنسيّ والوحشيّ.

ما الحدث الأول ما القديم ما الحيّة ما شيطانها الرجيم؟
ما حزن يعقوب وما الكظيم ما باطن الجمار والحطيم؟
إذ كان قدسيّاً غدا مكيّا.

لـذاك شـأن وجـوابٌ حـاضـرُ يعـرف معنـاه اللبـيب الـمـاهـرُ
وسـرّ مـا تـخـزنـه الـسّـرائـر لـيس كـعـلم ضـمّـت الـدفـاتـر
تـعـدّه كـغـيـره سـوقـيّـا . . . .



من أعلام الفكر العلوي
٥٨٣ هـ - ٦٣٨ م
الشاعر المتصوف المكزون السنجاري

جاء في كتاب «مختصر تاريخ العرب» :

الأمير حسن بن الأمير يوسف بن مكزون سيف الدين ، لقبت أُمراء الموصل وسنجار باسمه[1] ، وفي كتاب «التجريد»[2] لحاتم الجديلي : السيد العالم الفاضل الكامل شيخ مشائخ الحقيقة ، ومبين الأسرار الدقيقة أبو الليث حسن بن مكزون السنجاري وفي رواية مجد الدين علي بن النقيب المعروف بابن كتيلة الحسني قوله : حدثني المولى الأجل الفاضل مجد الدين علي بن النقيب المعروف بابن كتيلة الحسني ، قال : قدم الشيخ حسن بن مكزون إلى المشهد الغروي على مشرفه السّلام - مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في النجف الأشرف - العراق - زائراً في الموسم بالسابع والعشرين من رجب عام «٧٠٥» فعند الحضور بخدمته سألته أن يوردني شيئاً من شعره ، فأنشدني من منظومته هذه الأبيات[3] :

---

(١) من مخطوطات البطريركية المارونية بلبنان للمطران يوسف الدبس مؤلف تاريخ سورية .

(٢) مخطوط خاص .

(٣) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة - حامد حسن - الجزء الثاني ص ٢٩ دمشق .

لك الخير، عرّج بي على ربعهم، فذي ربوع بفوح من عطرها الشذي

فذا يا كليم الشوق وادٍ مقدس به الحبّ، فاخلع، ليس يمشيه محتذي

وقفنا، وسلّمنا على خير منزل تلذّ فيه العين، أي تلذذِ

ولم يشجني إلاّ أذكار مجدد لأحزان قلب الغرام مجدذِ

فيا حرقتي إذا خرج الدمع فاشربي ويا زفرتي هافضلة القلب، فاغتذي

وبي ظبي أنس كمل الله حسنه وقال لأفواه الخلائق: عوذي

جلا تحت ياقوت اللمى عقد لؤلؤ نضيد، وأبدى عارضاً من زمردِ

ولي عذل أبغي التجاوز عنهم ولو أخذوا في عذلهم كل مأخذِ

يقولون: من هذا الذي همت في الورى به شغفاً؟ يارب لا علموا الذي

وفي «مختصر تاريخ العرب» عند إيراد نسب الأمير حسن المكزون قوله: الأمير حسن، بن الأمير يوسف، بن مكزون، بن سيف الدين لقبت أمراء سنجار والموصل باسمه، ابن عبد الله، بن محمد مؤسس الإمارة المكزونية في سنجار عام ٣٨٦ هـ - ويعدّد أجداده حتى يصل إلى زيد أمير جرجان وطبرستان سنة - ٩٨ - ١٠٠ هـ - ويرجح الأستاذ حامد حسن أن تكون لفظة «المكزون» فارسية لأن أجداده كانوا أمراء على جرجان وطبرستان، وهما ولايتان فارسيتان وأن جدّه محمداً أسس إمارة في سنجار، ودعاها الإمارة «المكزونية» فاسم «المكزون كان طبعاً قبل تأسيس هذه الإمارة في سنجار عام - ٣٨٦ - بدليل إطلاقه على الإمارة وتسميتها به، فيكون اسمه الأمير حسن، بن الأمير يوسف «المكزوني» بياء النسبة، نسبة إلى الإمارة.

نسبه:

في كتاب «تاريخ العلويين»:

الأمير حسن بن الأمير يوسف بن مكزون، بن السيد خضر، بن السيد طرخان، بن السيّد محمّد، بن السيد رائق، بن السيّد حسن،

ابن السيّد طرخان ، بن السيد عبد الله ، بن السيّد محمّد ، بن السيد علي ، بن السيد حسين ، بن الأمير مفضل ، بن الأمير يزيد ، بن الأمير أبي سعيد المهلب عاصم ابن أبي صفرة الغساني ، بن ظالم ، بن سراق ، بن صبح ، بن كندي ، بن عمر ، ابن عدي ، بن وائل ، بن الحرث ، بن العتيك ، بن الأزد ، وينتهي نسبه بملوك اليمن»[1] .

وفي «مختصر تاريخ العرب» للمطران يوسف الدبس :

الأمير حسن ، بن الأمير يوسف بن مكزون ، بن سيف الدين ـ لقبت أمراء سنجار والموصل باسمه ـ بن عبد الله ، بن محمّد مؤسس الإمارة المكزونية في سنجار سنة ـ ٣٨٦ هـ ـ بن طرخان أمير الرملة ، بن محمّد صاحب دمشق وأميرها ، وامير الأمراء في بغداد ، بن رائق أمير الرملة ، بن السيّد خضر ، بن محمّد ، ابن علي ، بن الحسين ، بن الفضل ، بن المفضل ، بن زيد ، أمير جرجان وطبرستان سنة ٩٨ ـ ١٠٠ هـ .

أعقابه :

ذكر صاحب «مختصر تاريخ العرب» أن للأمير حسن المكزون ثلاثة أولاد من زوجته المسماة هند بنت عز الدين ، بن المفضل ، بن قريش ، أخت الملك الأصلح صاحب حلب ، والتي لم يتزوج غيرها ، وهم حسام الدين ، ونجم الدين ويوسف الذي اشتهر بالزهد والتقوى ، وقد توفي بعد قدوم أبيه إلى بلاد النصيرية بأربع سنوات ـ ٦٢٢ هـ ـ ودفن بقرب قرية عين الكروم ، وبنيت عليه قبة أثرية تُعرف بمقام الشيخ يوسف«أبي غارة» . وأما حسام الدين فهو الذي أقامه والده الأمير حسن

---

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ طبعة ثالثة. ص ٣٦٢ .

وكيلاً عنه في الإمارة على بلاد سنجار والموصل وأما نجم الدين وهو أحمد فقد سكن في إعزاز . . وتوفي فيها بعد حياة قضاها بالزهد والتقوى ، ويُعرف قبره الآن بمقام الشيخ أحمد الإعزازي الحلبي .

آثاره :

ذكر أن للمكزون ثلاثة آثار أدبية وصوفية :

١ ـ ديوانه المعروف ويحتوي على مجموعة من القصائد والمقطوعات والرباعيات والثلاثيات ، والثنائيات . بلغ بعضها مئات الأبيات كالتائية التي يردّ بها على ابن الفارض ويعارض بها تائيته المسماة «نظم السلوك» والرائيتين الكبرى والصغرى ، ويقع الديوان في حوالي ٢٦٣ صفحة من القطع المتوسط ، وأمّا أغراض الديوان فهي تدور على المباحث التالية :

١ ـ التوحيد ويعني إثبات الوحدانية لله ، الظهور ، التجلي ، الصفات ، الوحدة ، الفيض .

٢ ـ التصوف ويعني : الزهد ، الإنفتاح الصوفي أو الكلية ، القول بالشريعة والحقيقة ، رأيه في بعض المتصوفة ، الحلّاج ، البسطامي ، الجنيد ، الكرخي ، الأبليّ ، السقطي ، ابن الفارض ، وحدة الوجود .

٣ ـ العلوم ـ المنطق ـ الفلك ـ الرياضيات ـ الطبيعة ـ الجبر ـ الهندسة ـ .

٤ ـ النزعات المذهبية في الإسلام ـ السنة ـ الشيعة ـ الجبرية ـ المفوّضة ـ المحاجّات ـ الخلافة ـ الإمامة ـ .

٥ ـ الرّمز والكناية والتعقيد .

٦ ـ تشيعة لآل البيت عليهم السلام .

٧ ـ معارضاته ومدائحه .

ولم ينشر هذا الديوان ، ولم يحقق طوال ثمانية قرون تقريباً ، ولم يتسنّ له شارح حتى جاء الفاضل السيّد الشيخ محمد ياسين آل يونس وطلب إلى العلاّمة الشيخ سليمان الأحمد ـ ١٢٨٥ هـ ـ ١٣٦١ م ـ من أقطاب الشيعة العلويين في القرن العشرين ـ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق أن يقوم بشرحه ، وتقريب معانيه من أفهام الجمهور، فقام بضبطه وصحّح أخطاءه ، وشرح ألفاظه اللّغوية ، وأوضح إشاراته وعباراته الصوفية . وأتم شرحه[1] يوم الخميس في ١٦ ذي القعدة عام ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٩ م وأورد هذه الأبيات بتلك المناسبة :

تم بحمد اللّه، والتوفيق ... بشهر ذي القعدة بالتحقيق
سادس عشر منه في البيان ... يوم الخميس الواضح البرهان
في عام ثنتي عشرة توفي ... بعد ثلاثمائة ، وألف
من هجرة المبعوث بالرسالة ... صلّى عليه ربنا ، وآله

ويورد له الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه «دراسات فنية في الأدب العربي» هذين البيتين :

قالوا تحدّث بالصحيح ... من الحديث بغير رمز
فأجبتهم ؛ هل عاقل ... يرمي الكنوز بغير حرز

ويذكر تأريخ ولادته ووفاته ، ويعلق عليه : شاعر مجيد ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، يعتبره العلويون واحداً منهم كان مقامه في سنجار أميراً عليها ، مات في قرية كفرسوسة بقرب دمشق ، وديوانه لا يزال مخطوطاً .

٢ ـ رسالته :

وللمكزون رسالة مخطوطة تسمّى : «تزكية النفس في معرفة

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة ـ حامد حسن ـ الجزء الأول ص ٤٢ ـ طبعة ثانية ـ دمشق .

العبادات الخمس» وتقع في حوالي ثمانين صفحة من القطع الكبير ، وقد كتبها الأمير كما جاء في مقدمتها لمن : وجب حقه ، وحسن ظنه به ، وصحت الأخوة بينه وبينه ، وذلك في عام ـ ٦٢٠ هـ ـ بعد رجوعه من الهجرة» والرسالة هذه مبنية على مقدمة ، وسبعة أبواب :

الباب الأوَّل : في العبادة وأقسامها .

الباب الثاني : في الإسلام وأقسامه والإيمان ، ومستقره ومستودعه .

الباب الثالث : في الصلاة ولوازمها .

الباب الرابع : في معرفة الصيام ، ولوازمه .

الباب الخامس : في معرفة الحج ، ومناسكه .

الباب السادس : في معرفة الزكاة ، وأقسامها .

الباب السابع : في الجهاد ولوازمه ، وأقسامه .

وأمّا المقدّمة ففيها تقريران :

التقرير الأول : يبحث في التكاليف وفائدتها الإجتماعية ، والنفسية ، والحكمة من وجودها وفرضها ، والدعوة إليها، ووجوب إقامتها وما يترتب على ذلك من مثوبة وعقوبة فيقول : إن لفظ العبادة يدل على معنيين :

الأوَّل : الطاعة ، والقيام بما فرض الله على عباده على ألسن رسله ودعاته .

والثاني : معرفته ، وجعل الله التكليف إتماماً لجوده على أهل وجوده .

إذ جعل النعيم الدائم والحياة السرمدية منوطين بما كلف الله به عباده من المعرفة ، إذ به تخرج النفوس من ظلمة الجهل إلى نور

العقل . ثم يشرع بشرح الفائدة والحكمة من إقامة الأركان الخمسة فيقول :

فرض الله الصلاة ليزيل بها مقت الكبر من رؤوس المتكبرين في السجود له ، والخضوع بين يديه ، وفرض الصيام امتحاناً للنفوس بالصبر عن اللّذات ، وتقوية لاستعدادها لقبول اللّذات القدسية ولترق به القلوب ، وينقمع سلطان الشرّ ، وتلين قلوب الأغنياء للفقراء بالآلام الحاصلة في نفوسهم من الجوع .

وفرض الزكاة لتواسي بها الأغنياء الفقراء بما أفاء الله عليهم من فضله ، فتصلح بذلك معايشهم .

وفرض الحج ابتلاء للنفوس بالطاعة ، والتوجه إلى البيت الذي ببكة .

وفرض الجهاد ليقطع دابر أهل الفساد .

ثم يقول : فهذه حكمة الله فيما شرّع لعباده وهذه العبادات لا يجوز الإتيان بها قبل أوقات دخولها ، وترتيب أوضاعها ، وقد قرن الثواب بفعلها ، والعقاب بتركها .

والتقرير الثاني : معرفة اللّه :

وهو يقسم الفرق التي حاولت المعرفة ، ويعين نقطة الإنطلاق عند كل منها .

ثمّ يصدر حكمه عليها ، ويعطيها إسماً مميزاً لها عن غيرها ، وكل ذلك تمهيد لإبراز معتقده ، والتدليل على صحته بالمناقشة والدليل ، والمقارنة ، والأحكام العقلية المنطقية والنقلية فيقول :

١ ـ من الناس من قال : عرفت الحقّ بالعجز عن معرفته ، فاقتنع من المعرفة بعجزه دون معرفة الحقّ وذلك سبيل الحائرين .

٢ ـ ومنهم من قال : عرفته في مصنوعاته ، وآثار الصنعة ، وذلك

مقام المنقطعين .

٣ ـ ومنهم من قال : عرفته بأوصافه ، ولم يعرف أنه جهله بإدخاله في حدّ الصفة الموجودة من قبل الواصف ، وأوجب تعدده في ذاته بتعدد الأوصاف التي أوقعها به من طريق جهله بوحدة ذاته، واستغنائها عن الوصف الزائد عليها ، الجاري في حدث الواصف لها به وذلك مقام المشركين .

٤ ـ ومنهم من قال : عرفته بأسمائه ، والأسماء يعرف بها من يكتنفه حد العارفين به ، ليحصل لهم بالإشارة إليه ، ويحصل له بذلك التميز عنهم فيه وذلك قول المجسمين .

٥ ـ ومنهم من قال : عرفته بنفي معرفته ، ولم يعلم أنه قد جوّز مكان العدم لوجود ذاته تعالىٰ لأن ما لا يمكن شرحه ، ومعرفته لا يمتنع عدمه وتلك إشارة الملحدين .

٦ ـ ومنهم من قال : عرفته بكليته ، فأدخله في حيّز معرفته ، وتلك دعوى التائهين .

٧ ـ ومنهم من قال عرفته بعقلي ، ولم يعرف سفه دعواه في أنه عرف عقله في غير الله ، وذلك تصور الجاهلين .

ثمّ يقول : وقد صرفت وجهي عن الإطالة في تعديد هذه الأقوال الفاسدة .

وأمّا الحقيقة عنده فهي ما يعتقده هو ويقول به وهو :

إن معرفة الله لا تصح إلاّ بذاته ، وذاته لا تعرف إلاّ برؤيته ، ورؤيته لا تمكن إلاّ بتجليه ، وتجليه لا يدرك بكماله ، والتجلي يقع بحسب قوة الناظر إليه ، ومعناه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر ، ليشهد من ذات المتجلي على قدر طاقته في حد عجزه ، وكلال بصره عن مشاهدة نور اللاهوت[1] من غير تغير في ذات المتجلي بحركة

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والتصوف والشعر والفلسفة .

توجب الإنتقال من حال إلى حال . وإنّما شوهد بذلك من قبل تقلب القلوب والأبصار ، وذلك في مشاهدة الشهادة ، تعالى الله عن الحركة والسكون ، وتنزه عن حلول الأجساد ، والتغير والفساد ، وهو القادر الذي لا يعجز ، والظاهر الذي لا يتحيّز ، لا تحويه الجهات ، ولا تقع عليه الأسماء ، والصفات ، الحي القائم بذاته ، الغني عن أسمائه وصفاته ، وسائر مبتدعاته ، لا يفعل إلاّ إبداعاً ، أفاد وجوده وجود الموجودين ، ما عرفه من كيفه ، وجهل ذاته من وصفه ، فبإفادته القدرة للقادرين سمي قادراً ، وبتعليمه العلم للعالمين سمّي عالماً ، وكذلك كل ما وصفناه به إنما أجري عليه من قبل أنه وهبه ، لا من قبل أن الوصف كمال لذاته ، وهو زائد عليها ، وأكمل المعارف به لأهل المزاج نفي خط الخيال العارض في الوهم ، ونفي حدّه عند تجلّيه بإثبات القدرة الظاهرة ، وتحقيق الحقّ ووجود العيان ورفع الحصر عن الصفة المشهودة من غير إثباتها ولا إثبات ما هو سواها هي هو ، لا هو هي ، فمن حلّ هذا الرمز ظفر بالكنز ، ولم يبلغ قرار المعرفة من لا يعلم مواقع الصفة .

٣ ـ أدعيته :

للأمير حسن المكزون السنجاري عدد من الأدعية ، منها أدعية الأيام السبعة أي دعاء لكل يوم من أيام الأسبوع على نمط «سجاديات» الإمام علي الرضا ﷺ ، وهي مسجوعة الأسلوب ، عميقة المقاصد الصوفية ، تدور حول توحيد الله ، وتنزيهه ، وطلب الإستغفار ، وسيأتي في فصل قادم شذرات من هذه الأدعية .

هجرة المكزون من سنجار إلى سورية :

ونحن هنا نذكر ملخصاً وموجزاً لما ذكره محمد أمين غالب الطويل في «تاريخ العلويين» حول مجيء الأمير حسن المكزون من سنجار إلى البلاد العربية :

١ ـ في عام ٦١٧ هـ أرسل سكان جبال اللاّذقية إلى الأمير حسن يوسف المكزون في سنجار رجلين هما الشيخ علي الخياط ، والشيخ محمّد البانياسي ـ نسبة إلى بانياس الساحل ـ ليستنجدابه ، ويستعديا ، على ظالميهم من الأكراد والإسماعيلية .

٢ ـ في عام ٦١٧ ـ ٦١٨ هـ ـ جاء الأمير بحملة تقدر بخمسة وعشرين ألف مقاتل لإنقاذ مشايعيه من الإضطهاد ووصل إلى شمال بلدة مصياف المعروفة ، وخيم في الموقع المعروف «بعين الكلاب» فبيت له أخصامه وهاجموه ليلاً ، وتمكنوا من دحره ، وهزموه .

٣ ـ عاد الأمير حسن ثانية للأخذ بالثأر عام ٦١٩ ـ ٦٢٠ هـ وهو يقود حملة مؤلفة من خمسين ألف مقاتل عدا النساء والصبيان ، وتمكن من احتلال قلعة «أبي قبيس» المعروفة ، وهاجم أخصامه ، وتمكن من التغلب عليهم ، ثمَّ اجتاز جبال «الشعرة» وهي : «الجبال الممتدة من الإنهدام العرضاني المسمى «البقيعة» في الجنوب حتى التواء نهر العاصي إلى الغرب في الشمال» . بعد ثلاثة أشهر ، وسكن مدة في قرية «سيانو» ثمَّ في قرية «متور» ومكن الأشياعه وأنصاره من المنطقة .

٤ ـ راسل علويي مصر ، وعلى رأسهم عائلة بيت البلقيني فأنجدوه بحملة خرجت في «جبلة» على الساحل واختلطت بالسنجاريين .

٥ ـ عاد إلى سنجار عام ٦٢٦ وهجر الإمارة وتزهد .

٦ ـ يذكر له عمّاً يدعى «حسن معلى» وابن أخ يدعى «عليا» .

ـ يقول : إختلف الناس في سبب مجيء المكزون لجبال اللاّذقية فبعضهم قال : لنجدة إخوانه ، والآخرون قالوا : للقضاء على «العقيدة الإسحاقية» .

ويقول صاحب مختصر تاريخ العرب : والأمير حسن لقب بسيف

الدين ، وفتح بلاد النصيرية ، سنة ٦١٨ هـ ـ ٦١٩ هـ ـ واستتب له الأمر فيها ، وركز دعائم إمارته ، بعد أن قهر «خمارتكين» زعيم الأكراد والإسماعيلية .

ولادته ـ وفاته ـ قبره :

تكاد تصفق المصادر التي تحدثت عن المكزون السنجاري أنَّه وُلد في سنة ٥٨٣ هـ وهي السنة التي تغلب فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وأجلاهم عن بيت المقدس وأنَّ وفاته سنة ٦٣٨ هـ وجميع المصادر يعود إلى أصل واحد في هذه المسألة وهو كتاب «تاريخ العلويين» لمحمد أمين غالب الطويل ، وقد أثبت المكزون في مقدمة رسالته التي ذكرت في باب : «آثار المكزون» قوله :

«أمّا بعد فإني رجعت إلى مدينة سنجار بعد الهجرة ، وقد أويت إلى ظل مدين ووردت ماءها ، وأجّرت نفسي ، وقضيت الأجل ، وأكملت العدَّة ، وخرجت مستأنساً نار الهداية من وادي التجلي ، في مفازة الخير ، وسمعت النداء من الشجرة المباركة ، العالية عن حدود الأين بواسطة الداعي ووحي العقل .

وقد سألني من وجب حقّه عليّ ، وحسن ظنه بي ، وصحّت الأُخوَّة بيني وبينه في المسارعة إلى شأنه في أن أؤلف رسالة جامعة لأقسام العبادات الخمس المشروعة على لسان الناطق . . . وذلك في سنة ٦٢٠ هـ ـ وفي سنة «٦٢٧» هـ جرت بيني ، وبين سعيد الموفق أبي جمال الدين بن مكة مذاكرة في معناها فذكرتها له فسألني الوقوف عليها ، فاعتذرت بعدم تنقيحها ، فأعاد علي السؤال ثانية وثالثة . . . الخ . وإذا صحت ولادته سنة ٥٨٣ هـ ـ فيكون عمره يوم عودته من الهجرة ، وتأليفه الرسالة ٣٧ عاماً ، وهذا السنّ يخول من بلغه السيادة ، والقيادة ، والنضوج الفكري ، وقد كان يومئذ أميراً خطيراً له أنصاره وأتباعه الكثيرون كما تدلّ أخبار غزوتيه اللّتين قام بهما .

وفي «مختصر تاريخ العرب» : إنّ الأمير حسن المكزون عندما جاء غازياً ، ترك ولده حسام الدين على إدارة الإمارة في «سنجار» فإذا كان الأمير بلغ الثلاثين من عمره يوم الغزوة الأولى وذلك في عام ٦١٧ هـ فكم يكون عمر ولده الذي ترك له مقاليد الأمور ؟ إنه على أقل تقدير لا يقل عن عشرين عاماً ويرجح الأستاذ حامد حسن أن يكون عمر الأمير خمسين عاماً يوم غزوته ، وتصبح ولادته حوالي ٥٧٠ هـ ، وعليه فإن الأمير يوم مجيئه ترك ولداً راشداً يدير الإمارة ، وترك أعقاباً وذرية واصطحب ولداً راشداً توفي بعد الهجرة بأربع سنوات وهو الملقب «بأبي الغارة» والمدفون بالقرب من الموقع المعروف بعين الكروم ، وأمّا وفاته فقد حدَّدتها أكثر المصادر بسنة ٦٣٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها معاصره الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي .

وأمّا قبره فأكثر المصادر تشير إلى أنّه دفن في قرية كفرسوسة قرب دمشق ونحن نعلم من المكزون نفسه أنّه عاد إلى مدينة سنجار سنة ٦٢٠ هـ كما مرّ معنا وظل هناك حتى سنة «٦٢٧» هـ فهل ترك سنجار واستوطن دمشق ؟ ولم يقم دليل واضح يشير إلى أنّ المكزون استوطن دمشق . وفي كفرسوسة الكائنة في الغرب الجنوبي من مدينة دمشق مقام يدعى «السنجاري» يقدّسه الأهلون ويتبركون به ، ولا يحلفون به كذباً ، وكان موقعه أمام باب جامع القرية المعروف بالجامع الكبير العمري الكائن في منتصف القرية من الجهة الشمالية ضمن حديقة صغيرة ، والسنجاريون كثيرون وأشار ياقوت الحموي إلى أن سنجار أنجبت عدداً كبيراً من العلماء والأدباء والشعراء ذكر بعضاً منهم في كتابه معجم البلدان والذي يبدو أن القبر المعروف في كفرسوسة هو لشمس الدين محمد بن المبارك السنجاري المتوفى ٦٥٤ هـ وفي تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين لأبي شامة الدمشقي في حوادث سنة ٦٥٤ هـ وفي الصفحة ١٩٤ وهو كما يلي :

«وفي يوم الخميس تاسع ذي الحجة ـ وهو يوم عرفة ـ توفي شمس

الـدين محمد بن المبـارك السنجاري ، وذكـر من صفاتـه أنه كـان رجـلاً سخياً فاضلاً سمع معي - يقول المؤلف - كثيراً من كتب الحديث ، وغيرها لمـا أسمعت ولـدي محمـداً رحمـه الله ، ثمَّ سـافـر إلى مصـر ، وحـج الحرمين سنين كثيرة ثم قدم دمشق وأقام بها نحو عـامين وتوفي[1] . وفي مجلة العرفان التي كان يصدرها في صيدا - لبنان المرحـوم الشيخ أحمـد عـارف الزين سؤال مـوجه إلى رئـاسة تحـرير المجلة المـذكورة عن قبـر الأمير حسن المكزون ، ولقد أجاب عليه العلاّمة الأب أنستاس الكرملي بقـوله : «هنـاك قريـة عراقيـة قريبـة من سنجار - تُسمّى «معمـلا» وأهلها يكتمون عقائدهم ، وفيها مزار يدعى الشيـخ «حسن» وأهلها لا يحلفـون به ، أي لا يكذبون إذا حلفوا باسمه والله أعلم .



(١) أنظر المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة - حـامد حسن طبعـة ثانية - الجزء الأول ص ٩٨ .

النشر عند المكزون
الرسالة الموسومة بتزكية النفس
في معرفة بواطن العبادات الخمس

تأليف الشيخ الفاضل . العالم العامل ، المتصوف ، شيخ الحقيقة ، ومبين الأسرار الدقيقة ، الشيخ حسن بن يوسف بن مكزون السنجاري «المتوفى سنة ٦٣٨ هـ» .

قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه ، آمين .

بسم اللّه الرَّحمٰن الرَّحيم

فاتحة الرسالة(*) :

الحمد لله ؛ المتجلي لأبصار أهل البصائر ، الظاهر بحلل البهاء في المظاهر ؛ العالي عن شبه المخلوقين البريء من شبه المتخلقين ؛ المعنى الحق ، والإلٰه الصدق ؛ ذي الأمر الأزلي ، والخالق السرمدي الأحد القادر بذاته ، الغني عن أسمائه وصفاته ، مبدىء بداية العالمين ،

---

(١) معرفة الله والمكزون السنجاري ـ ص ـ ٢٦٥ ـ مصدر سابق .

ومنتهى مطلب الطالبين ؛ الذي لا بداية لأوليته ، ولا نهاية لآخريته ، لا تدركه البصائر ، ولا تحجبه السواتر ، الغيب المنيع المشهود ، المتعالي عن النعوت والحدود ؛ مقيم الحجب والأبواب ، ومرتب المراتب والأسباب ؛ وضارب السجن والأسوار ، وصاحب الصحف والأسرار ، مرشد أرباب القلوب ، والدال إليه بابه من مكان قريب ؛ ممتحن العباد بالعبادات ، وفي السنن والمفترضات ، إبصاراً لأبصار المؤمنين ، وآصاراً في أعناق الجاحدين ، استعمل كلاً على شاكلته ، وأوقف كلاً عند استحقاقه في سابقته . أحمده حمد معترف بعجزه عن القيام بحد حمده ، مغترف من بحار فضله ورفده ؛ وأستهديه سبيل قصده إلى محل مجده ؛ وأشهد أنه الأحد ، لا من عدد ، الظاهر بذاته من غير حسد ، المتنزه عن الصاحبة والولد ؛ وأشهد أن الواحد أول مبتدعاته ، وأجل مخترعاته ، ومبدىء مرضاته ، وموقع أسمائه وصفاته ؛ حمده المحمود وبيته المقصود ، وعرش استوائه ، ومقام استعلائه ؛ وأشهد أن الوحدانية باب رحمته ، وسبيل رشده ومعرفته ، والمؤذن بأحديته ؛ سين سره ، الصادر عن ميم أمره ؛ شهادة مبرأة من الشك والإرتياب ، مدخرة عنده ليوم العرض والحساب . وأسأل المعنى القديم ، الصلوات : على الحجاب العظيم ، والباب الكريم ، وأن يفيض من صلواتهما على : الالف اليتيم ، والأربعة التابعين له ؛ صلاةً متصلةً : بالنقباء ، والنجباء ، والمختصين ، والمخلصين ، والممتحنين . . . موصلةً لأسرار المؤمنين باللاحقين . . . وملحقةً اللاحقين بالمستمعين . . . والمستمعين بالسائحين والسائحين بالمقدسين . . . والمقدسين بالروحانيين . . والروحانيين بالكروبيين والكروبيين بالمقربين . . . وأن يوفّر من فواضل بركاتهم ، ونوافل صلواتهم ، نصيب من أجرى إلى النعمة على يديه ، وجعلني الله حجة له ، لا حجة عليه . . . وعصمني من الزيغ والزلل ؛ وقادني إلى العلم والعمل ؛ وأفادني عقل عاقل . .

أما بعد :

فإنني ، لما رجعت إلى مدينة سنجار ، بعد الهجرة . . . وقد أويت إلى ظل مدين ، ووردت ماءها ، وأجرت نفسي ، وقضيت الأجل ، وأكملت العدة ، وخرجت مستأنساً نار الهداية من وادي التجلي ، في مفازة الخير ؛ وسمعت النداء من الشجرة المباركة ، العالية عن حدود الأين ، بواسطة الداعي ووحي العقل . . . سألني من وجب حقه علي ، وحسن ظنه بي ، وصحت الأخوة بيني وبينه ، في المسارعة إلى شأنه بملتمسه . . . في أن أؤلّف له رسالةً جامعةً لأقسام العبادات الخمس ، المشروعة على لسان الناطق في ثامن مقاماته الذاتية ، من الصيام والصّلاة والحج والزكاة والجهاد . . . بعد أن أبين الظواهر الأصلية ، ومجازها ، وحقيقتها ، والإسلام الذي بنيت ظواهر الخمس على ظاهره ؛ والإيمان الذي لا تعرف بواطنها إلّا به ؛ وأقسامها ؛ ومجاز الإسلام وحقيقته ؛ ومستقر الإيمان ومستودعه . . . فبادرت بعون الله وحسن توفيقه إلى تأليف هذه الصورة المسطورة ؛ وبذلت فيها جهد العاجز ، وذلك في سنة عشرين وستمائة . . . ثم إني أهملتها مسودة ، حياءً ممن يقف عليها ، لقصور عبارتي في إيضاح معانيها ، ولعدم ثقتي بصحة نظري في ترتيب فصولها ومبانيها . . . وفي سنة سبع وعشرين وستمائة ، جرت بيني وبين سعيد الموفق ، أبي جمال الدين بن مكة ، مذاكرة في معناها ، فذكرتها له ، فسألني الوقوف عليها ، فاعتذرت له بعدم تنقيحها ، فأعاد علي السؤال ثانية ، وثالثة ، في نساختها له . . . ولما لم أجد سبباً للإعتذار عن ترك إجابته ، بادرت إلى تقرير قواعدها وقوانينها ، وإيضاح دلائلها وبراهينها ؛ لاشتمالها على فروع شجرة طوبى ، العالية عن جهات الحيز ، الدانية بقطوفها لأفهام المخلصين للحق ، التي حرم الله الفردوس على الجاهلين بثمارها الآتية أكلها في كل حين ؛ لأنها باطن ما شرع من العبادات ، وحقيقة ما دعت إليه الدعاة ، من الصّلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد ، وسائر الأوامر الشرعيات ؛ وعلى معرفتها والإقرار بها الثواب ، وعلى الجاهل بها

والمنكر لمعانيها العقاب ؛ وقد سميتها ، بتزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس ؛ وبنيتها على مقدمة ، وسبعة أبواب ، مبنية موضحة :

الباب الأول : في معرفة العبادة ، وبواطنها ، وأقسامها .

الباب الثاني : في معرفة باطن الإسلام وأقسامه ، ومستقر الإيمان ومستودعه .

الباب الثالث : في بواطن الصّلاة ولوازمها ، ومعرفة أشخاصها .

الباب الرابع : في معرفة الصيام ولوازمه ، ومعرفة أشخاصه .

الباب الخامس : في معرفة باطن الحجّ ، ولوازمه ، ومعرفة أشخاصه .

الباب السادس : في معرفة باطن الزكاة ، ولوازمها ، وأقسامها .

الباب السابع : في معرفة الجهاد ، ولوازمه ، وأقسامه .

أما المقدمة ففيها تقريران :

التقرير الأوّل :

إعلم إيها الأخ البر الرحيم . . . جعلك الله ممن استقرت عندهم معرفته ، وتمّت لديهم في الملكوت الأعلى نعمته . . . إنه لما أوجب الله تعالىٰ طلب العلم على كل عاقل ، استلزم ذلك الوجوب وجوب بذله لأهله على كل عالم . . . لاستحالة حصول ما وقع به التكليف بدون المتعلم ، وذلك على اختلاف مراتب العلوم ، حقيقة ومجازاً ؛ خصوصاً في العلوم الخفية ، فإنها بعيدة عن كسب الخيال ، غامضة عن بديهة الفكر ، محجوبة عن تصور الوهم، فلا تعرف إلاّ من مبادئها ، ولا توجد أسرارها عند غير أهلها ؛ وكيف تحصل جواهرها بعوارض الأعراض ، وتدرك أشعة شموسها بالأبصار المراض . . . . ؟ .

وإنما تظهر بالدليل ، ويسلك إليها منهج السبيل ؛ وقد تفاوتت مراتب طلابها ، واختلفت مراتب طلبهم ، وحالاتهم ؛ ولم يبلغ أحدٌ منهم غاية إلاّ وظهر له أن وراء تلك الغاية غاية ، قد انقطع عندها علمه ، وقصر عن إدراكها فهمه ؛ والمعرفة بهذا المقام تنهى من عرفها أن يصرف وجهه عن الكلام على ما وهبه الله من العلم الإلهي ، ولو كان يسيراً من كثير ؛ لأن كل مرتبة سماء لما دونها ، أرض لما فوقها ، ولا سبيل للسالكين إلى الوصول إلى سماء المعرفة ، دون العروج في الدرجات المتوسطة ، بين درجته وبين تلك الدرجة العليا ، بالأخذ عن تناهي كل درجة يسلك فيها ؛ حتى تنتهي الخطوط إلى مبادئها ، وتقف العقول عند بارئها وقفاً . وقد ورد في الكتاب الموسوم بالصراط في مسالك المؤمنين ، بعد خلعهم قمص التأجيل واللحوق بدرجة اللاّحقين ، قول العالم منه السلام : «لا يشهد السالك عند الوصول إلى رتبة اللاّحقين غير نور الممتحنين ، فيلقي إليه سراً من علم الحق لم يمر على سمعه في البشرية ، فإذا ثبت عليه وعمل به ، رقي رتبة المستمع ، فيتجلى له المخلص ، فيلقي إليه سراً لم يسمعه في درجة اللاّحق ؛ فإذا ثبت عليه ، وعمل به ، رقي رتبة السائح ، ثم لم يبرح يرقى رتبة بعد رتبة ، ويسمع سراً بعد سرّ ، حتى ينتهي إلى رتبة المقرب ، وهي غاية ما يقطعه العارفون من الدرجات العلى ، وهي سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى» . وإنما أوردت هذا الفصل تنبيهاً على علم الله تعالىٰ ، الذي بينه لأوليائه ، كيلا يقف السالك إلى الله تعالىٰ عن طلب الزيادة من المعرفة ، ويعتقد أن الغاية في سبب ما حصل له منها ، مع وجود كتب مشائخ أهل التوحيد ؛ وذلك في بيان تفاوت المقامات ، في العلم الإلهي ، وأن كل أدنى يأخذ عن من فوقه ؛ فنظرت بنعمة الله إلى من دوني ، من العاملين على مقامي من المعرفة ؛ فإنني أحببتُ أن أُحدثهم بنعمة الله علي ، امتثالاً لقوله تعالىٰ : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث . . . .﴾ [سورة الضحى ؛ الآية : ١١] لتشتد بذلك رغبتهم في الوصول إلى ما وصلت إليه ، وتسمو همتهم إلى

العمل على ما أنا عامل عليه ؛ على أنني أدنى المؤمنين مقاماً ، وأقل العارفين عرفاناً ، وإنما يعلو مقامي على الطالبين ، الذين لم يبلغوا أشدّهم ؛ وارتفاع مقامي عليهم من مدة الطلب فقط ، وإذا بلغوا ما بلغت ، صار اللاحق بي منهم سابقاً لتقصيري في العلم ؛ وقصور ذهني عن الفهم ؛ وبهذا التقرير تجاسرت على تأليف هذه الرسالة ، غير جاهل بضعف عبارتي ، وقلة مادتي ، في إيضاح جليل ما التزمت عليه ، من الكلام على العلوم الحقيقية والأسرار الدقيقة الباطنة الخفية ، وأعوذ بعصمة مولاي العلي ؛ من التحريف والتبديل والتصحيف فيما أوردته ، بما ليس لي فيه عمل ، سوى تقريب معانيه ؛ بل هو مما نقلته من كتب الموحدين ، وسمعته من أفواه المؤمنين ؛ متبعاً غير مبتدع في جملة أصول هذه الرسالة ؛ وأما فروعها ، لا أصولها ، فربما خصني منها زيادة كشف ، ومطابقة لا تخالف الأصل ؛ استخرجتها بقرع يد الإخلاص من أبواب اللطف الخفي ، وألتمس ممن وقف عليها من ساداتي العارفين ، وإخواني المؤمنين المحققين ، إصلاح ما زاغ عنه البصر ، وإيضاح ما طغى فيه السهو في النظر ، تكرماً منهم علي ، وبراً وإصلاحاً إلي ؛ وبحبل مولاي الحق أعتصم من العدول عن عدل سنته ، وألتمس لطف المعونة في إبلاغ دعوته ؛ وأستعفيه عن السهو في النظر ، وعثرة اللسان ؛ وأستشفيه من أمراض الشك به ، وعوارض الغفلة ، والنسيان . وإني أستهديه إليه ، وأستدله عليه ؛ وأستوهبه لباً عاصماً من الجهل ، وقولاً جارياً من العدل ، لي ، ولسائر إخواني في سبيل معرفته ؛ فمنه تطلب الخيرات ، وعن سحائب جوده تنزل البركات ؛ إنه جوادٌ كريم ، عليٌّ عظيم .

التقرير الثاني :

إعلم علمك الله الخيرات : إن سبب فرض ما افترضه الله على عباده . . . من : معرفته ، وتوحيده ، والتصديق به ، والإخلاص له ، ونفي الصفات عنه ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله ، وموالاة أوليائه ،

ومعاداة أعدائه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وتعليق الثواب بطاعته ، والعقاب بمخالفته ؛ مع استغنائه عن طاعة المطيعين ، وعدم تضرره بمعصية العاصين . . . . هو من جهة ما اقتضته الحكمة ، في وجود الوجود على ما هو عليه ، من الدني والشريف ، والقوي والضعيف ، والخير والشر ، والإيمان والكفر ، ليجري ذلك في قسطاس العدل إلى الداني والقاصي ، والمطيع والعاصي ، وذلك بعد أن وهب للمكلفين استطاعة وافية بالتكليف ، وقدرةً على تركه ، والشاهد بذلك قوله تعالىٰ : ﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٦] لقطع المعذرة في ترك القيام به ؛ وجعل ذلك التكليف إتماماً لجوده على أهل وجوده ؛ إذ كان النعيم الدائم والحياة السرمدية منوطين بما كلف الله عباده من المعرفة إذ به تخرج النفوس من ظلمة الجهل ، إلى نور العقل بحقائق الأسرار الإلهية ، فالأشخاص النورانية ، الممدة بقواها لنفوس الأبرار ؛ وتلك هي اللذة الباقية والعيشة الراضية ؛ فلذلك كان التكليف تمام الوجود ، لما فيه من بلوغ النفوس الكمال الممكن لها ، الذي لا يحصل بدونه ؛ وهذا التكليف الأول من الله تعالىٰ ، في عالم الظل والشبح ، عند وقوع الإعتراض في الأخبار الصادرة إلى النفوس لقوله تعالىٰ : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة . . .﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] وهي ملائكة ، بتجردها عن الأجسام في عالم الملكوت ؛ بقولهم : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ؟ . . .﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، والشك الواقع في المتجلي ، من المتجلى له ، حيث قال : ﴿أنا خير منه﴾ [سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢] . ولم يكن ما شهده من كثافة صورة المتجلي مع انتفاء الجسم عن ذاته ، إلاَّ من جهة ظلمة الإعتراض ، في مقابلة الأخبار والجهل بمعنى الاستخلاف ، واتهام الرب بفعل غير الواجب في الحكمة ، إذ يجعل خليفة في الأرض ، يفسد صالحها ، ويسفك دماء أوليائه فيها ، ولتزكيتهم أنفسهم بالتسبيح

والتقديس ، وذلك ما حكاه الذكر الحكيم من قولهم : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ . . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] فرد عليهم سبحانه وتعالىٰ ، على وجه التجهيل لهم : ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] ثم أجزاهم التكليف الثاني ، بعد انهباطهم من دار القرار إلى دار الدوران ، ومقارنة الشيطان ؛ جزاءً لاعتراضهم عليه ، فيما أخبرهم به ، ووعدهم قبول التوبة ، في متابعة الهدى الآتي منه ، بقوله لهم : ﴿**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٨] وجعل ظاهر التكليف الثاني إصراً للمصرين على المعصية ؛ ونوراً مخرجاً من ظلمات الطبيعة للنفوس المنيبة إليه ؛ ليظهر في العاصين عدله ، وفي المطيعين فضله ، وأفاد الهابطين أبصاراً ناظرة ، وأسماعاً واعية ، وعقولاً هادئة ، وهداهم النجدين ، ودلهم على المقامين ، ونزه نفسه عن ظلمهم ، بعد تقديم الحجة ، وإيضاح المحجة ، بقوله تعالىٰ : ﴿**وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٥٧] . وأبان دعاءه لهم إلى الهدى ، وعدلهم عنه إلى الضلالة ، بقوله تعالىٰ : ﴿**وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ [سورة فصلت ؛ الآية : ١٧] فتمت كلمة ربك صدقاً فيما قضاه ، وعدلاً فيما أمضاه ؛ وجعل العلم والعمل جوادي التسابق، في بلوغ غاية اللذات الروحانية ؛ والجهل والكسل سبب السلوك ، في أليم العقوبات الجسمانية ؛ ولم يفرض ما فرض مما تقدم ذكره ، إلا لافتقار المخلوقين إليه ظاهراً وباطناً ، فإنه فرض معرفته لتعرف بها الأشياء ، إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقة الصنعة ، إلاّ بعد إثبات الصانع لها ؛ لأنها لم توجد إلاّ منه ؛ وهو صانع كل مصنوع ، وقادر كل مقدور ، ولا سبيل إلى معرفة الأشياء إلاّ به ؛ وفرض توحيده ليفيد النفوس العلم بوحدته ، ويزيل عنها ظلمة الجهل به ؛ وفرض الإيمان به ، في ستر غيبه ، ليحصل لها بذلك الخلاص ، في مشاهدة شهادته ، وتذكيراً للناس ، وإرشاداً إلى علامات من القدرة

القاهرة ، والأنوار الباهرة ؛ وفرض الإسلام ، إدخالاً للنفوس الشريرة تحت أوامر الأنفس الخيرة ، ليقل شرها ، وتنكس شوكتها ؛ وفرض التصديق بملائكته وكتبه ورسله ، تنبيهاً للنفوس على شرف مقامات أهل الطاعة ، وعظم درجاتهم عنده ، وفرض طاعة أولي الأمر بقوله تعالىٰ : ﴿أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولي الأمر . . .﴾ [سورة النساء ؛ الآية : ٥٩] ليأتمر من دونهم بأوامرهم ، وينتهي عن نواهيهم ، لتنتظم أحوال الوجود بسنتهم ، وتكف أكف الهداوات بسطواتهم . . . وفرض الصّلاة ، ليزيل بها مقت الكبر من رؤوس المتكبرين ، في السجود له ، والخضوع بين يديه ؛ وفرض الزكاة ، ليؤاسي الأغنياء الفقراء ، مما أفاض الله عليهم من فضله ، فتصلح بذلك معائشهم ؛ وفرض الصيام امتحاناً للنفوس بالصبر عن اللذات الحسيّة ، وتقوية لاستعدادها لقبول اللذات القدسية ، ولترق به القلوب ، وينقمع به سلطان الشر ، وتلين قلوب الأغنياء للفقراء ، بالآلام الداخلة على نفوسهم ، من قبل الجوع ؛ وفرض الحج ، ابتلاءً للنفوس بالطاعة ، في التوجه إلى البيت الموضوع ببكة ، كما ابتلى الملائكة بالسجود لمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون ، ليميز الطائعين من العاصين وتنبيهاً على مقابلة شعائر العارفين ، وليتشبهوا بالطواف حوله بالطائفين بالبيت المعمور من ملائكة رب العالمين ، في ملكوت السماء ، وفرض الجهاد ، لقطع دابر أهل الفساد ، من الكافرين ؛ فهذه حكمة الله الظاهرة في ما شرع لعباده ؛ وأما حكمته الباطنة : ففيها مسالك لا يعرفها إلاَّ أهل الإجابة السابقة ، ولا يطلع عليها إلاَّ الآحاد من أُلوف الألوف ، لأنها النعمة الشاملة ؛ واللذة الكاملة ، والدرجة العليا ، والمعرفة العظمىٰ ؛ وهي الأسماء التي عرضنا عنها ، في هذه الرسالة ، بالإشارة إليها ، والدلالة عليها ، من المقامات القدسية ، والذوات العقلية ، العالية عن ذوات الأجساد ، الكاملة بالقوّة والاستعداد ، التي وضعت السنن دالة عليها ، والفرائض بإزاء مظاهرها ؛ ولا يلج الملكوت الأعلى من جهل مقاماً من

مقاماتها ، أو أنكر رتبة من رتبها ؛ ولن تقبل المحافظة على صور العبادات الظاهرة المشروعة على ألسن النطقاء، من المرسلين ، إليهم التسليم ، دون الغوص على معانيها ، والتدبر لما أودع من الأسرار الإلهية فيها ؛ ومن أمعن ببصر بصيرته ، في تعيين أوقات العبادات ، التي لا يجوز الإتيان بها قبل أوقات دخولها ، أو ترتيب أوضاعها التي لا يجوز خلافها ، علم أن لها معاني غير الطاعة ، ولو كان المراد منها الطاعة فقط لجاز للمصلّي أن يصلّي ضحوة النهار ؛ وأن يجعل الفريضة فيها عشر ركعات ، وأن يصوم شهراً من الشهور المتقدمة على شهر رمضان الآتي ، ويجعله سلفاً عن صومه ؛ ولم تتعلق صحة الحج بليلة عرفة ؛ لأن تعجيل الطاعة على أوقاتها زيادة في الطاعة ، وذلك غير مؤد للفريضة عند عامة المسلمين ، وهذا كله ، مما يحدو الأذهان السليمة على ركوب العزيمة ، في طلب أسرار الله ، في ما افترض على عباده ؛ فإن الله عز وجل أعدل من أن يتعبد العباد بأمور لا تعدل مبانيها ، ولا تعقل معانيها ، وقد قرن الثواب بفعلها والعقاب بتركها ؛ وإنما أوردت هذا التقرير ، ليتضح الباطن في هذه الرسالة ، بوجوب معرفة ما تضمنت من أشخاص العالم النوراني ، على كل راغب في الخلد ؛ إذ لا سبيل إلى العروج إليه بدون معرفة بواطن ما تقدم ذكره ، من العبادات ، وبالله التوفيق ، بمنه ولطفه .

الباب الأوَّل :

في معرفة أقسام العبادة وصفة باطنها :

إعلم أيها الأخ البر الرحيم أن لفظ العبادة يدل على معنيين : أحدهما الطاعة ، والقيام بفرائض الله تعالىٰ ، التي شرعها لعباده على ألسن رسله ودعاته . والثاني معرفته ، وهو الذي ذكره أهل التفسير ، لقوله تعالىٰ : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ [سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٦] والمعنى ليعرفوني ؛ وقد انقسم الناس في معرفة الله تعالىٰ إلى أقسام ، لا يمكن لبشر شرحها ، وحصرها ، لأنها تتعدد بعدد

السالكين إليه ، فيما لم يزل ولن يزول ، وذلك أن لكل منهم إشارة إلى معرفة الحق ؛ ولم تتجاوز إشارتهم حد عجزهم عن إدراك كمال المعرفة ، والإحاطة من علمه إلّا بما شاء ؛ وأن لا يقع التساوي بين الأنفس البشرية ، من كل الوجوه ، لاختلاف السوابق في النشأة الأولىٰ ، فلذلك امتنع تساويهم في النظر إلى جهة الحق ؟ لكن ترجع المناظرة إلى أُصول يمكننا أن نذكر بعضها على وجه كلي ، على سبيل الإشارة إليها والدلالة عليها ، وإن كانت ضد الحق ، فالشيء يظهره ضده ، لئلا يشتكل على الضعيف ، لأن غرضنا في ذكرها ، أن نوضح الحق في بيان بطلانها ؛ إذاً ، ليعرف الحق معرفة حقيقة مجردة من الباطل ليقع التمييز بينهما ؛ وذلك ، أن من الناس من قال : «عرفت الحق بالعجز عن معرفته» فاقتنع من المعرفة بعجزه ، دون معرفة الحق ، وذلك سبيل الحائرين ، ومنهم من قال : «عرفته في مصنوعاته ، وآثار الصنعة . . .» وذلك مقام المنقطعين . ومنهم من قال : «عرفته بأوصافه» ولم يعرف أنه جهله بإدخاله في حد الصفة الموجودة من قبل الواصف ، وأوجب تعدده في ذاته بتعدد الأوصاف التي قد أوقعها به من طريق جهله بوحدة ذاته ، واستغنائها عن الوصف الزائد عليها ، الجاري في حديث الواصف لها به ، وذلك مقام المشركين . ومنهم من قال : «عرفته بأسمائه . .» والأسماء إنما يعرف بها من يكتنفه حد العارفين به ، لتحصل لهم بها الإشارة إليه ، ويحصل له بذلك التمييز عنهم وفيهم ، وذلك القول قول المتجسمين . ومنهم من قال : «عرفته في عقلي . . .» ولم يعرف سفه دعواه ، في أنه عرف عقله في غير الله ؛ وذلك تصور الجاهلين . ومنهم من قال : «عرفته بنفي معرفته . . .» ولم يعلم أنه قد أجاز إمكان العدم لوجود ذاته تعالىٰ ، لأن ما لا يمكن شرحه ومعرفته لا يمتنع عدمه ؛ وتلك إشارة الملحدين . ومنهم من قال : «عرفته بكليته . . .» فأدخله في حيز معرفته ؛ وتلك دعوى التائهين . وقد صرفت وجهي عن الإطالة في تعديد ما شاكل هذه الأقوال الفاسدة ، طلباً للإختصار ؛ والإيجاز هو

غرضنا في هذه الرسالة ، لأننا قد ذكرنا أكثر أُصول معارف التائهين عن معرفة الحق ، المحجوبين عن أسراره الخفية ، وقد أشرت إليها ونبهت عليها ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . . . وقد عقبت هذا الفصل بذكر الأسماء المشروعة ، بإزاء المشاهدات القدسية من ذاتيات الأحد ، ومثلياته بمقامات اسمه الواحد ؛ وذاتيات الإسم ، وامتزاجاته بمقام الوحدانية ؛ وذاتيات الوحدانية من أول الدور إلى آخر السطر ؛ لأن أصل المعرفة الحقيقية، شجرة ذات أصل ثابت وفرعها باسق ، لا تنال ثمرتها إلَّا برفع أيدي السؤال إلى فروعها الزاكية ؛ فأصلها الأزل ؛ وفرعها الأبد ؛ وثمرها السرمد ؛ وهذه الرتب الثلاث ، هي التي عبر عنها أهل التوحيد ، بالمعنى والحجاب ، والباب ، وقد عبر عنها الحكماء : بالباري ، والعقل ، والنفس ، وهي التي تعرف بمعرفتها سائر الأشياء ، فالمعنى من هذه الرتب الثلاث ، هو الحق الأول ، الذي ابتدع الحجاب الأول ، والحجاب الأول هو الذي خلق الباب ؛ والباب هو الذي اختص الأيتام بقدرة المشيئة الظاهرة فيه ؛ وكذلك ظهرت المقامات الخمس من العالم الكبير النوراني ، رتبة عن رتبة ، وعن الرتب الأخيرة ، تكونت سائر الموجودات مما دونهم . . . وإنما ذكرت ذلك ، ليعرف العبد الوسائط التي بين باريه الحق وبينه ، ولا سبيل إلى معرفة هذه المقامات إلَّا بمعرفته ، ومعرفته لا تصح إلَّا بذاته ؛ وذاته لا تُعرف إلَّا برؤيته ، ورؤيته لا تمكن إلَّا بتجليه ، وتجليه لا يدرك بكماله ؛ لأن التجلي يقع بحسب قوة الناظر إليه ، ومعناه : رفع الحجاب ، حجاب الظلمة عن بصر المبصر ، ليشاهد من ذات المتجلي على قدر طاقته ، في حد عجزه ، وكلال بصره عن مشاهدة نور اللاهوت ، من غير تغيير في ذات المتجلي بحركة توجب الإنتقال له عن حال بطونه ؛ وإنما شهد بذلك من قبل تقلب القلوب والأبصار ، وذلك في مشاهدة الشهادة ؛ تعالى عن الحركة والسكون ، وتنزه عن حلول الأجساد والتغير والفساد؛ وهو القادر الذي لا يعجز ، والظاهر الذي لا

يتحيز ، لا تحويه الجهات ، ولا تقع عليه الأسماء والصفات ؛ الحي ، العالم بذاته ، الغني عن أسمائه وصفاته ، وسائر مبتدعاته ؛ لا يفعل إلاَّ إبداعاً ؛ أفاد وجوده وجود الموجودين ؛ ما عرفه من كيفه ، وجهل ذاته من وصفه ؛ فبإفادته القدرة للقادرين سمي قادراً ، وبتعليمه العلم للعالمين سمي عالماً ؛ وكذلك كل ما وصف به ، إنما أُجري عليه ، من قبل أنه وهبه ، لا من قبل أن الوصف كمالٌ لذاته ، وهو زائدٌ عليها ؛ وأكمل المعارف به لأهل المزاج نفي خط الخيال العارض في الوهم لذاته ، ونفي حده عند تجليه كالشجرة المباركة الطالعة من طور سيناء ، المنعوتة بالخروج عن حدود الجهات ، في قوله تعالى : ﴿**شجرة مباركة ، زيتونة ، لا شرقية ولا غربية . . .**﴾ [سورة النور ؛ الآية : ٣٥] بإثبات القدرة الظاهرة ، وتحقيق الحق ، ووجود العيان ، ورفع الحصر عن الصفة المشهودة ، من غير إثباتها ، ولا إثبات ما هو سواها ؛ هي هو ، ولا هو هي ، فمن حلَّ هذا الرمز ظفر من المعرفة بالكنز ؛ ولم يبلغ قرار المعرفة من لم يعرف مواقع الصفة ، لقول العالم منه السلام : «من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة فيتجنب فصل الإفراج وينزه وصل الإمتزاج ؛ فهذا سر الأسرار ، وأجل مراتب أهل الإقرار . . .» وقد بقي أن أُبين أقسام الظهورات ؛ ليعرف بها الذاتي ، والمثلي والإمتزاجي ، إعلم أن الظهور ظهوران : ظهور إفراج ، وظهور مزاج ؛ فأمَّا ظهور الإفراج فظهور النورانية ؛ وظهور المزاج فالظهور كمثل الرتبة الوسطى ، بين رتبتي النور والظلمة ، وفي هذه الرتبة يُقال : ذاتي ، ومثلي ، وامتزاجي ، ومعنى الذاتي هو المقام الذي تقع الغيبة والظهور به ، من كل مقام من هذه المقامات الثلاثة ، المقدم ذكرها ؛ والمثلي هو صلاة الأحد على اسمه الواحد ، بإزالة مقامه الظاهر للأبصار ، تحت تلالي نوره ، من غير ظهور به ؛ وظهور الإمتزاج يزيل حكم الوحدانية منه ؛ وهذا ما نسخ في هذا الكتاب .

الباب الثاني :

في معرفة أقسام الإسلام وحقيقته :

ومعنى الإيمان ومستقره ومستودعه .

إعلم يا أخي ، علمك الله الخير ، أن الإسلام ينقسم إلى قسمين : مجازي ، وحقيقي .

أما المجازي :

فينقسم الناس فيه إلى خمسة أقسام :

الأول : كإسلام من أسلم من المنافقين ، بظاهره دون باطنه ، خوفاً من القتل ورغبة في الذي كان يناله من أموال الكافرين ، في تسليم ظواهرهم إلى صاحب الناموس والدعوة ، صلوات الله عليه ، ويسمى ذلك إسلاماً ، فهم الذين وصفهم الله بالذكر ، بالإسلام دون الإيمان ، بقوله تعالىٰ : **﴿قالت الأعراب آمنا قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا﴾** [سورة الحجرات ، الآية : ١٤] .

الثاني : كإسلام من أسلم ، ولم يكن له في إسلامه تبصّر بدليل عقلي ، ولا مرجع حجة إلاّ أنه وجد أبويه على أمر ، فتابعهما عليه ، من غير غوص له على حقيقته ولا فحصٍ عن صدقه أو كذبه ، وذلك يسمى همجٌ رعاع .

والثالث : كإسلام من أسلم ، وركب مطية هواه ، التي هي جسمه ونفسه ، في سبيل النظر إلى جهة الحق ، بغير زاد ، وحاول اقتحام البحث من غير شريعة الحق ، فعدل به إلى الباطل عن ورود شريعة الحق ، فلم يزل تائهاً في حال خيالاته ، لا يجد له ظلاً يأوي إليه ، ولا دليلاً يعتمد عليه ؛ وذلك يسمى تائهاً .

والرابع : كإسلام من أسلم ، وسفه نفسه ترغبةً عن الإئتمام بأئمة الحق ؛ وأقام نفسه علماً لرعاع الأمة ، وامتلاء البطن ، يصدهم عن

سبيل الحق ، ويدعوهم إلى اضطهاد المؤمنين ، والمخالفة لأئمة الحق المعصومين من كل ذلك ، اشتغالاً منه عن أوامر الله تعالىٰ ، ومشاركته في شرعه ، إضلالاً لعباده ، وطعناً في دينه ، وتكذيباً لرسله ، وتكبراً على أوليائه ، بالتزخرف لتبّاعة الأقوال ، ويجوز في عقولهم المحالُ ؛ وذلك يسمى مُضلاً .

والخامس : كإسلام من أسلم ، ووقف عند حسن ظنه ، وإن قبحه العقل ، واعتقد أنه قد بلغ كمال ما يجب عليه من المعرفة ، وعلا في نفسه عن طلب الزيادة ، وانحجب عن طلب العلوم في ظواهرها ، وبمجازاتها عن طلب حقائقها ، وتدرع من العلم اسمه ، وجهل معناه ؛ ولبس من الزهد رسمه ، ولا يدري ما وراءه ، وذلك يسمى مُنبتّاً ؛ وعن الإغترار بهذا المقام ، نهى الرسول بقوله : «إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، فإن المنبتّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .....» .

وأما القسم الحقيقي :

فله خمسة لوازم ، لا يصدق على إنسان بعدم لازم منها . الأول منها : تسليم الأمر إلى صاحب الدعوة الصادقة عن الله تعالىٰ ، عند مشاهدة العجز ، الذي هو علامة الصدق ، بسلامة القلب من أمراض الشك ، في شيء من أوامره ، وإن جهل من قبل هذا المعجز بمعناه . الثاني : الإيمان بالله ، ورسله ، وكتبه ، وملائكته ، من غير طعنٍ في أحد منهم . الثالث : الاستنان بجميع سننهم الظاهرة ، والمحافظة على جميع ما فرضه الله تعالىٰ ، على ألسنتهم ، من غير إخلال بشيء منها ، والإنتهاء عن جميع ما نهوا عنه . الرابع : كف اليد واللسان عن تناول دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وتجنب أذاهم ، لقول الرسول منه السلام : «... المسلم من سلم الناس من عينه ويده ولسانه ...» . الخامس : صدقٌ في القول ، وإخلاص في العمل ، وورعٌ عن المحارم ؛ ونصر للمؤمنين ، وخذل للمشركين ، وتسكين

لغضب النفس ؛ وصفحٌ عن المذنب ؛ وإحسان إلى المسيء ؛ وتفضل في المكافأة ، وعدل عن الجور ؛ وخوف من العقوبة ؛ وطمع في الرحمة ؛ ورضاء بأمر الله ؛ وقنع بقسمه ، واعتراف بعدله ؛ وإيمانٌ بفضله ، وذلٌ لأعداء الله ؛ وعزّ لأوليائه ، وزهد في الدنيا ، ورغبة في الآخرة ، وميل عن الشبهات ، وأنفةٌ من الشهوات ؛ ورحمةٌ للخلق ، وسخاءٌ في النفس ؛ ووفاء بالعهد ؛ وأمانة في الودائع ؛ واجتهادٌ في طلب العلم ؛ وحسن الأدب مع العلماء ، وحرصٌ على تحقيق الحق ؛ بخلع ثياب المعصية ، وصقل مرآة البصيرة ، برفع صورة الهوى عن النفس ؛ لتقبل حكاية ما قابلها من شعاع شمس العقل المشرق على النفوس الخيرة ، والأرواح الطاهرة النيرة ؛ فمتى صحت هذه الأفعال في حق إنسان كان مسلماً بالحقيقة جديراً بأن يخلع عليه خلع القبول ، وأن يقابله وجه الإقبال في الدخول إلى الحرم الأيمن ، الذي حرم الله العذاب على داخله ، لقوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً . . . ﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ٩٧] وههنا الإشارة في باطن الإيمان : إعلم أيها الأخ ، أن الإيمان ينقسم إلى قسمين : أحدهما مستقر ، والثاني مستودع ، فالمستودع ، مسلوب عن من لم تسبق له الإجابة والإيمان ، في عالم الظلال ، بالنور المنجلي كمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون ، لامتحان سائر العالمين بالسجود له : وإنما يقع الإيمان هٰهنا للشاك هناك ، مجازاً للحقيقة ، بواسطة مصاحبته للمؤمنين من أهل المزاج ؛ وإنه مفارق لهم بانتقاله عنهم ؛ فإن ثوابه على حدوث إقراره مع قدم إنكاره ، عدلٌ من الله في حقه ؛ غير أنه لا يلج الملكوت الأعلى ، ولا يتجرد عن موارد المزاج .

وأما المستقر : فهو مقام أهل الإيمان في العالمين ، والتصديق بالرؤيتين ، وله عشر خصال ، من أقرَّ بهن دخل الملكوت الأعلىٰ .

الأولى منها : معرفة الله في جميع ظهوراته . والثانية : معرفة الولي . والثالثة : معرفة ولي الوالي . والرابعة : معرفة إبليس مما كانت بدايته . والخامسة : معرفة قوام القسط . والسادسة : معرفة الأشخاص الذين

أقيموا في ضياء القدس . والسابعة : قبوله لعلم الله ، والتصديق لرسله . والثامنة : تعظيم أهل معرفته . والتاسعة : أن يكون ، هو وأخوه ، في الدين والدنيا ، شرعاً واحداً . والعاشرة : كتمان سر الله ، وستره عن غير أهله . فهذه الخصال التي ترفع من كملت فيه ، عن كون الحس إلى عالم القدس . ولا بأس أن نبين وجه التعبد بهذه الخصال ، على سبيل الإيضاح للمستضعفين ، لئلا يشتكل عليهم ؛ فأقول وبالله التوفيق : أمّا المعرفة له في سائر ظهوراته : فتلك التي قدمنا ذكرها ، في فصل العبادة ، من المقامات الذاتية ، والمثلية ، من غير منع لظهوره في غيرها ، فقد قال الله تعالىٰ : ﴿قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً . . .﴾ [سورة الكهف ؛ الآية : ١٠٩] أي لظهوراته ؛ وأراد بذلك امتناع حصرها للعدد ، وإنما تعرف بوجه كلي ، ليصدق بها المؤمنون ؛ فقد قال العالم عليه السلام : «من عرف الحق من وجه ، وأنكره من آخر ، فقد جهل أكثر مما علم . . .» وذلك بمحو العرض العارض من الظلمة الموجودة ، قبل المشاهدين لنور الذات ، وإثبات القدرة العالية عن الأسماء والصفات . وأما معرفة وليّه : فإنها معرفة مجابه الأعلى ، الذي لا فاصلة بينه وبين مولاه ، وهو عرش ذاته ، وموقع أسمائه وصفاته ، والإقرار له بالعبودية ، لأنه أول نور أظهر منه ، ولم يبن عنه ؛ فأوجد به الوجود ، وجعله كعبته وفرض إليها السجود ، غير أنه عبده الخاضع لديه ، والمعنى إلهه العالي عليه . ومعرفة ولي الولي : فإنها معرفة باب الرحمة ، وسراج الظلمة ، فهو نور نوره ، وآية تقديره . ومعرفة إبليس مما كانت بدايته : فإن بدايته كان من ظلمة الإعتراض ، الذي هو اعترض الملائكة في جواب الإختبار لهم ؛ بقوله : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ؟ قال : إني أعلم ما لاتعلمون﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] . فرد عليهم في جواب اعتراضهم ، وتجهيلهم ،

وإثبات علمه ، بقوله : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠] . فأقام لهم من ذلك الإعتراض ظلمة حجبت أبصار الشاكين عن معنى العلم ، الذي ظهر لهم من الصورة ، التي أمروا بالسجود لها ، وأوقعت عندهم الشكّ في ذات المتجلي بها ، فوقفوا عند مشاهدتها وراء حجاب الظلمة الحاصلة من قبل شكهم ، وثنت أعناقهم إلى ذات الجهل الموجودة من نار الأنفة، عند الأمر بالسجود، لقوله : ﴿أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [سورة ص ؛ الآية : ٧٦] قطعتهم عن اعتبار قوله تعالىٰ : ﴿فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين . . .﴾ [سورة الحجر ؛ الآية : ٢٩] فأوقفهم عند الصورة، وحجبهم عن معرفة الروح القائم بعلم ما جهل الملائكة وهذا ظاهر الباطن في معرفة إبليس ، لعنه الله . وأما معرفة قوام القسط : فهي عدم الإعتقاد أن الله تعالىٰ جبر الناس على إتيان ما نهاهم عنه ، واضطرهم إلى ترك ما أمرهم به ، ولكن جعل لهم الإستطاعة في فعل الخير والشر ؛ وقد سبق تقرير ذلك في التقرير الثاني ، من صدر هذه الرسالة ، وجعل ما حل بهم من السعادة والشقاوة مكافئة على أفعالهم ، من الطاعة والمعصية ، عدلاً منه ورحمةً . ومعرفة الأشخاص الذين أقيموا في ضياء القدس : فهي معرفة المقامات للعالم الكبير النوراني ؛ وأما التعظيم لأولياء الله : فإنه على قدر قرب المؤمن من الله ؛ ومعرفته به ، يكون تعظيمه لأهل طاعته . . . ومن لم يعظم المؤمنين فليس منهم . وأما كون المؤمن يكون هو وأخوه في الدُّنيا والدين شرعاً واحداً ، فذلك من طريق عدالة المؤمن ، لأنه إذا اعتقد أنه وأخاه في دينه عبدان لله ـ وقد أفاض الله عليه شيئاً من فضله ، إما من عرض الدنيا ، وإمّا من جوهرة الآخرة ـ فيجب عليه أن يساوي أخاه في ما منّ الله عليه ، لتساويهما في مقام العبودية . فإن الله لم يمنع أحدهما من ذلك إلّا ليمتحن به قلب الذي أعطاه ، وينظر إلى وفائه بعهده . وأما صون سرّ الله : فتنزيه له عن أسماع الشاكين لئلا يخرجوا من تحت ما جعل عليهم من الآصار ، ويقابلوا معرفة الله

بالجهل والإنكار . وإن كان ، قد خرجت عن غرضي بشرح هذا الخبر ، في هذا الفصل . فإني أعود إلى ما هو الغرض من ذكر مقامات الإيمان الحقيقي . فأما رسمه : فإن الحد لا يكشفه ، فإنه نور إلٰهي ، موجبٌ للنفوس كمال اللذات الروحانية إذ امتزج بها ، وحصل لها به التصديق الخالص من الإرتياب ؛ والمؤمنون فيه على ثلاث طبقات : طبقة إيمانها محض . وطبقة تمحض إيمانها . وطبقة لم تتمحض . فالأولى : العالم الكبير النوراني ، المنزه من شوائب الكدر ؛ والثانية : العالم الصغير الروحاني ؛ والثالثة : العالم الصغير المزاجي البشري ؛ وأما درج العالم الكبير النوراني فخمسة آلاف درجة . . . ودرج العالم الصغير مائة ألف ، وتسعة عشر ألف ، درجة . . . ودرج العالم الصغير البشري ، وهو عالمنا ، وهم غير داخلين في الحصر ، لعدم تناهي أعدادهم ، ولعدم التساوي بينهم في البشرية ، لاختلاف مناظرهم إلى الحق ، وذلك بحسب اختلاف أمزجتهم وقوالبهم ، ومراتب العالم الكبير سبع درج وهم : الأبواب ، والأيتام ، والنقباء ، والنجباء ، والمختصون ، والمخلصون ، والممتحنون ، والعالم الصغير الروحاني أيضاً ، ينقسم على سبع درج ، وهم : المقربون ، والكروبيون ، والروحانيون ، والمقدسون ، والسائحون ، والمستمعون ، واللاحقون ؛ وأما العالم البشري المزاجي الذي فيه ترتيب الناس على سبع درج وهم : المسلمون ، المؤمنون ، والعارفون ، والعالمون ، والموقنون ، والمخلصون ، والموجلون ؛ وإنما جعلت بعدد الأشخاص لامتناع التساوي ، على ما بينت في التقرير الأول .

الباب السابع :

في معرفة باطن الجهاد :

إعلم ، وفقك الله لمرضاته ، أن الجهاد هو أحد المفترضات الخمسة ، وهو فرضٌ على كل مسلم ، سالم الأعضاء والجوارح ،

وعرفه الشرعي يدل على معنيين : أحدهما : قتال المسلم لأهل الكفر بالله ، مع جيش المسلمين . والثاني : جهاد المرء نفسه في مخالفة الهوى ، والمحافظة على فعل ما أمر الله تعالى به وفرضه ، وسنة رسوله الصادق منه السلام ، من فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، والمحذورات ، وهذه أحكام ظاهرة . وإن التعبد الباطن يأتي على سبعة أوجه : الوجه الأول منها : مجاهدة الطالب لعلم الحق نفسه على رفض المألوفات ، وترك الشهوات ، وتصفية النفس من العقائد الفاسدة والخيالات الكاذبة ، واجتهاده في خدمة المؤمنين ، والصبر على المكروه وامتحانهم له ؛ والإنكار على أهل الفلطة فيهم ، والذم لهم ، بمهما استطاع من يده ولسانه وقلبه . الثاني : مجاهدة النفس ، ومجاهدة العارف لأهل بيته وعشيرته وجيرانه ، بإظهار التقية لهم والتمسك بما هم عليه ، وإن خالفهم باطنه في إتيان ذلك الفعل

والمحافظة على المشروعات الظاهرة بعد معرفة حقائقها ، ليسلم له بذلك دينه ونفسه من أهل الميل عن رأيه وعقيدته . الثالث منها : مجاهدة المؤمن ، بين يدي إخوانه ، بماله ونفسه ، وقد قال عزّ من قائل : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** . . . .﴾ [سورة العنكبوت ؛ الآية : ٦٩] وصبره على المكروه وما يسمع من أهل الشقاق واجتهاده في الأفعال التي تنقله من عالم الحس إلى عالم القدس . . . . الرابع منها : جهاد المؤمن بلسانه ، في إيضاح براهين أئمة الحق ، والتنبيه على لطف معانيهم ، والتبرؤ بالقلب واللسان من مخالفيهم ؛ واللعن لأئمة الضلال عن سبيلهم ، والنشر لمساوىء أعدائهم ، وإذاعة محاسن أوليائهم . . . والخامس منها : سماح المؤمن بنفسه وعرضه ، في حفظ نفوس إخوانه وأعراضهم ، والصون لأسرارهم . . . والسادس منها : قتال المؤمن لأهل الشرك بالسيف عند قيام الداعي إلى الحق . والسابع منها : معرفة شخص الجهاد ، والإتباع لأوامره ، والإنتهاء عن نواهيه ؛ وهو رب الرتبة العالية ، والأنوار العلوية . . . جعلنا الله بهدايته من المهتدين ولبابه من

القاصدين ، ولحجابه من الخاضعين الساجدين ، ولمعنويته من الموحدين المخلصين ووفقنا للحوق باللاّحقين ، والإستماع من المستمعين ، والسياحة مع السائحين والتقديس مع المقدسين ، والراحة مع الروحانيين ، وإزالة كربنا مع المكروبين ورزقنا قرب المقربين ، إنه جواد كريم علي عظيم ... وهذا آخر ما انتهى إلينا من غامض الكلام ، من البواطن المستورة ، في مكاني العبادات المذكورة ، التي أقر بها العالمون، وأنكرها الجاهلون ؛ وذلك ما سما عزمي الكليل إلى تحصيله من علم الموحدين ، وإنه ربما أوردت ملاحظات ؛ من شرح معانيها ؛ يختص استخراجها بفكري الكال ، وإن لوحظ فيها انحراف عن الصواب فمني غلطة ... والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على مشاكي أنواره ومعادن أسراره ؛ تمّت الرسالة بحمد الله وحده .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم .

١ ـ من آثار المكزون (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ـ سنة ١٢٤٠م) :

(أ) إفتتاحية أدعيته[١] :

«كتاب فيه أدعية الأعياد ؛ للملاّ الشيخ فخر الملّة والدين ، أبو محمّد ، الأمير حسن بن يوسف ، الملقب بالمكزون السنجاري ....» .

(ب) إفتتاحية رسالته ، تزكية النفس ؛ وردت الإفتتاحية .

(جـ) إفتتاحية ديوانه ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، رقم ٨٧٥٨ عام :

«كتاب فيه ديوان الإمام الهمام ، العالم العامل ، والصدر الكامل ، والسيد الفاضل ، فخر الملّة الشعيبية ، والفرقة الخصيبية ، والطريقة النميرية ، العارف بالله تعالىٰ ، أبي محمد ، الأمير حسن ابن

---

(١) معرفة الله والمكزون السنجاري ـ مصدر سابق .

الأمير يوسف ، الملقب بالمكزون السنجاري ، المتصوف النميري ، إمام عصره وفريد دهره » .

(د) من مقدمات قصائده :

«وله في بغداد في أيام صباه :

من صبٍّ متيّم مشتاق   قد براه الأسى وعزَّ الراقي ؟ .

وفي بعض نسخ الديوان ورد هذا الخبر :

«حدث المولى ، السيد الأجل ، العالم الكامل الفاضل ، مجد الدين علي بن النقيب ، المرحوم ، علم الدين ، المعروف بابن كتيلة الحسيني ، قال :

«لما قدم الشيخ حسن بن مكزون إلى المشهد الشريف الغروي ، على مشرفه السلام ، زائراً ، في السابع والعشرين من شهر رجب سنة (٧٠٩ هـ) فعند الحضور في خدمته ، سألته أن يوردني شيئاً من أشعاره ، فأنشدني من منظومات له ، قدس الله روحه ، وهي أول المشعات :

لك الخير عرّج على ربعهم .... فذي   ربوعٌ ، يفوحُ المسكُ من عرفها الشذي»

وفي بعض النسخ ٧٠٥ هـ - ٦٧٩ هـ .

٢ - معاصرون للمكزون :

(أ) حاتم الجديلي في مخطوطة «التجريد» ، (معاصر للمكزون السنجاري) لم أعثر على تحديد لحياته ، «والسيد ، العالم ، الفاضل الكامل ، شيخ مشائخ الحقيقة ، ومبين الأسرار الدقيقة ، قبلة العارفين أبو الليث حسن بن مكزون السنجاري .. سألت مولاي أن يبلغه آماله وأمانيه ، ألف رسالة وأرسلها إليَّ ، دحض بها كلَّ خوان ، وزاغ عنها كل شيطان» وراجع المكزون السنجاري ، لحامد حسن ص ٥٣ .



(ب) سليم الأدهم (معاصر للمكزون وبدر الحويلا ، لم أعثر على تحديد لحياته) : تغريبة مرسل وحسن شعراً . وراجع مختصر إبراهيم الخليل :

«قال السلطان سليم الأدهم : هذه القصيدة أرسلها إليَّ الشيخ بدر الحويلا . . . وهي تاريخية يذكر بها التغريبة الأُولىٰ فقط ، يعني تغريبة مرسل وحسن . وأما الأمير مرسل فهو ابن الأمير محمد ، الملقب بالكلبي الكناني ، وذلك نسبة إلى جبل سن كلوب ، وهو في العراق ، قبال جبل سنجار ، الذي ينسبون إليه الأمير حسن ابن يوسف بن مكزون السنجاري . . . وأما لفظة كناني لخروج آبائه أو أجداده من قلعة كنان المشهورة ، وهذه هي القصيدة :

١ ـ سافر حبيبي عني ديا بدر» اسمع مني ... هي خمرة بالبدن اشرب واسقي هني .

٢ ـ خمره تشعشع دائم يا بدر قلبي هائم ... إياك تعاند عالم تروح ما تتهني

حذفت الأبيات التي لا تتعلق مباشرة بالمكزون : وحافظت على الترقيم من ١ ـ ٧٥ ، أرقام الأبيات المختارة كما هي حسب المخطوطة :

٢٩ ـ حين بلد سنجار ضاق قد جمعوا الأرزاق ... وشيعوا الأوراق نحو جدودك هني

٣٠ ـ لمرسل الكنان فريد عصر وكان ... حاز التقى وإيمان وبالجود قد يشملني

٣١ ـ طلبون منه النصرة تالله كانت حصره ... باشات سبعة وزره حاظوا البلادات هني

٣٢ ـ وقد جمّع الكلبيّة في بلادها الجمعيّة ... قتلوا توابع فيه وعيشه وقزمل هني

٣٣ ـ وباشات حاقي الطلب متجهزين للحرب ... أنفسوهم في الدرب أخذوا الموالي وهني

٣٤ ـ وساروا كما الحجاج في برّها وفجاج ... في جنح ليل داج جمعوا العساكر هني

٣٥ ـ والمحرزيون قاموا وبيت الكناني داموا ... وانتشرت الأعلام والحرب عاد ترنّ

٣٦ ـ وبيت مكزون زادوا في حربهم وجهاد ... وآل حداد جادوا بالحرب فرض وسني

٣٧ ـ ومرسل الكلبيي قد قام غيره دين ... عمر وأخوه أمين بالسيف نترهن

٣٨ ـ عشيرة الكلبية بالنصر هي مسمّية	من دولة العالية الرب أيدهنّ
٣٩ ـ أربع فرق قد جوهم بالليل قد كبسوهم	بالفجر قد هيوهم وأضحوا بمنزلهنّ
٤٠ ـ وجمعوا الأموال وكل شيء غال	وعسكر الأوبال أغدوا عدائم هن .
٤١ ـ وعاد البلاد إيمان مع جملة الإخوان	وقلوبهم فرحاني من غيروهم وظنّ .
٤٢ ـ وقال سيروا معنا الحيّنا ومربعنا	واليوم قد جمعنا خاص العوالم هنيّ .
٤٣ ـ ركبوا الجميع وساروا الحيّهم وديار	يا عالم الأسرار بالنصر أيدهن .
٤٤ ـ وتعاهدوا الجمعين عهد وثيق ومبين	دنياه دوم ودين هم فرد روح هنيّ .
٥٤ ـ يابدر ، باللّه سلّم عند الوصال اتكلم	وقل سليم الأدهم يدعي لكم في الجنيٌ
٧٥ ـ يارب اعف وارحم عن آل بيت الأدهم	لمن عنا وترجم بالذكر فرض أو سني .

(جـ) بدر الحويلا : في سياحة الأخوان . وقصيدته ٢٨٤ بيتاً . لغتها ضعيفة ، ولا تكاد تستقيم على وزن ، أقتطف منها ما يتعلق بالمكزون دون رفاقه الذين كانوا معه في السياحة ، وقد ذكر إخوانه في مختصر إبراهيم الخليل فراجعه هناك ، وقابل كل ذلك بتاريخ المكزون الذي كتبه الشيخ يونس حسين رمضان ، تقول القصيدة : إنّ مجموعة من العلماء برئاسة المكزون السنجاري ، ساحوا في البلاد لإرشاد الناس وتعليمهم الدين ، مدة سبع سنوات . ومن البلدان التي زاروها : سنجار ، حلب ، العراق ، إنطاكية ، آدنة ، اللاذقية ، جبلة ، بانياس ، صافيتا ، طرابلس ، دمشق ، مصر . وفيها زاروا الأزهر ، وتعرفوا على عائلة البلقيني ، وسألوا عن أخبار الحسين بن حمدان الخصيبي . . . ومن مصر عادوا في البحر ، وخافوا من حرب بحرية جرت يومذاك شنها مركب فرنجي . . . ولما وصلوا إلى طرطوس تفرقوا وقد مات منهم أربعة ، والأبيات المهمة من هذه القصيدة النثرية الطويلة ، هي التي تتعلق بالمكزون :

١ ـ ياخمرة قد شعشعت في كاسها	لمّا بدت هي خندريس راسها . . .
١٠ ـ سرنا إليها طالبين لشربها	البانواس مشى على بو نواسها . . .

١١ ـ وابن مكزون الذي جاز الورى أروى علوم الغيب وأسس ساسها . . .

١٢ ـ حسن بن هاني مع حسن أجرودها وحسن بن مكزون معمّر ساسها . . .

٣٨ ـ يا نعم سنجارها في كبارها وخيارها ما تنوجد في الناسها .

٣٩ ـ طفنا نواحيها نجدّ بسيرنا نقطع فيا في الشامخات رواسها .

٤٠ ـ إلى حلب جئنا وناخ ركابنا إلى عند سادات لنا يا تاسها . . .

٦٥ ـ قمنا وسرنا إلى دمشق الشامها فيها حسن مكزون شارب كاسها .

٦٦ ـ قد دفناه بجنب قلاعها قمنا عليه الحزن أيضاً وناسها .

٦٧ ـ عدنا ثلاثة أيام في حزن طويل قالوا قوموا ارجعوا يا ناسها . . .

٧٣ ـ قمنا وسرنا من دمشق الشامها وصدورنا من الهمّ ما تنقاسها .

٧٤ ـ كنا جماعة ما بقي إلا القليل ورفاقنا ربُّ السّما حرّاسها .

٧٧ ـ قمنا الأمر الله سلمنا الأمور رحنا وسحنا في بلاد الناسها . . .

١٠٤ ـ لا مصر جينا بعد حين وحين غرباً وما نعرف جميع الناسها .

١٠٥ ـ طفنا جوامعها وكل زقاقها درنا مخازنها وجميع سواقها .

١٠٦ ـ وقلاعها وضياعها وطباقها والنيل والعامود في مقياسها .

١٠٧ ـ أما البلاد فهي مصر القاهرا وأمرنا مخفيّ وما هو ظاهرا .

١٠٨ ـ قمنا تجمعنا بها بالأزهرا وعلمائها وخطبائها ورؤسائها . . .

٢٥٨ ـ سبع سنين كاملات نواعس في علم رباني وطيب منافس .

٢٥٩ ـ قوموا يا أخوتي نتباوس هذا الفراق يوم صعب مراسها . . .

٢٨٣ ـ الحمد لله العظيم الأمجد حمداً مقيماً في دوام السرمد .

٢٨٤ ـ ثم الصّلاة على النبي محمد ما دامت الأسوار في مقياسها .

(د) حسن بن هاني اللاّذقاني (معاصر للمكزون ورفيق له في السياحة ، لم أعثر على تحديد لحياته) . ولم أطلع على ما كتبه شخصياً ، وإنما وصلتني رسالة من إبراهيم الخليل عيد ، من سورية ، لخص بها السياحة ، وجملة من أخبار المكزون ، وقد سميت رسالته

«مختصر إبراهيم الخليل» . ومع أن المختصر وصلني حديثاً ، في شتاء ١٩٦٨ ،لكنه يخبر عن أخبار المكزون القديمة ، كما تناقلتها المخطوطات والأخبار الموروثة. لذلك أضع مختصر إبراهيم كاملاً هنا ، وها هو :

مختصر إبراهيم ... لأخبار المكزون[1] .

أخي ، بل أستاذي، السيد أسعد ، أسعد الله أوقاته ....

أما الأخبار عن الأمير المكزون ، فهي كما ستراها بالحرف الواحد مما سمعت وتحققت عن الذين دونوه بمصنفاتهم ، وأوردوه بأخبارهم عن الآباء والأجداد ، وها هو كما سأورده لك ، إن شاء الله تعالى :

أولاً : يثبت صدق الأخبار قصيدة سليم الأدهم ، المذكورة على أن تغريبة مرسل كانت قبل تغريبة حسن ... وقد طيب مرسل الديار الشرقية قبل مجيء حسن من سنجار ، وكان مسكنه في أبي قبيس ، وفي الملزق الشرقي ، ولذلك يسمونه ملزق الكلبية ، لسكنهم به ، واحتلاله من أيدي التركمان . وقد ضاق على حسن الوقت ، وقتئذ ، لذهابهم من جواره ، وغزو القبائل العربية المحيطة بهم لهم فكتب لمرسل بالأمر ، كما ذكر سليم الأدهم ... وكان عمر وأمين يرئسان القبائل العربية المجاورة لهم ... وقبل وصول مرسل إلى العراق ، كان اعتراض باشات حماه ، وكذلك ذكرها سليم ... وعند وصولهم ونجاحهم ، أتوا جميعاً للديار الشرقية .

وبعد الفراغ من الشدائد ، وتطبيق البلاد ، ذكر أنه جرى اختلاف بين الفرقة الحايدة وبين بعض إخواننا في الديار الغربية ، في ساحل اللاذقية ، وكان سبباً في ذهاب الأمير المكزون ومن معه إلى الديار الغربية ، .... وسأذكر لك أسماء من ذهبوا معه ، إن شاء الله ، كما ذكر في السياحة المسماة : «سياحة الإخوان» ، التي يذكر فيها عنهم ، وعن كل شخص منهم : أين كانت وفاته ، ودفنه ... ؟ وكم بقوا

(١) معرفة الله والمكزون السنجاري .

مسافرين عن ديارهم . . . ؟ ومن رجع منهم ، ومن مات قبل الرجوع . . . وذكروا أن مرسل لما رجع من سن كلوب ، الكائنة قبال سنجار ، كان عدد رجاله ألف ومائة رجل . . . وأما التغريبة الثانية ، فهي بعد مدة كبيرة ، مما تعادل أربعمائة سنة ، حتى صار أحمد بن مخلوف ، وأبناء عمه : ناصر ، وحازم ، وشلهوم ، ورسلان ، ورشوان . . . . وإثبات لصحة هذا الكلام تاريخ رسالة الأمير حسن ، وهو سنة ٦٢٠ هـ ، وتاريخ أحمد بن مخلوف يثبته تاريخ عينية الشيخ إبراهيم العاني الطوسي ، لأنه مدحهم بقصيدته المشهورة ، وذكرهم بها إفرادياً . . . ويذكر فيها احترامهم له ، ومطلعها :

بريقٌ لاح من جنح الدجنا   فذكرني وصالاً فيه كُنّا .

فإذا كنت بحاجة للقصيدة أنفذها إليك ، إن شاء الله . . . . وأمّا تاريخ العينية ، قيل إنه : (صيفاً بيد المطالع) ، ورأيتها أيضاً (ضيفاً بيد المطالع) . . . وعلى كلا التاريخين فهي أكثر من الألف . . . فثبت من هذا أن المدة التي بين أحمد بن مخلوف ، صاحب التغريبة الثانية ، وبين مرسل وحسن أصحاب التغريبة الأولى أكثر من أربعمائة عام . . . وأما مرسل فهو والد الشيخ علي في قرية العامود . ومرسل هو الذي تعلم مقامه في الزوجل . وأما الرجال الذين ذهبوا مع حسن أيام سياحته ، فهم كما سأذكرهم ، بالحرف الواحد ، نقلاً عن السياحة مفصّلاً :

١ ـ منهم الطبيب الروحاني ، والعالم الرّباني ، حسن بن هاني اللاّذقاني .

٢ ـ وحسن ، الملقب بالأجرود .

٣ ـ والرئيس حسن بن مكزون ، ذو المعاني والمباني . . .

٤ ـ وعبد الله المغاوري بن جبلة الغساني . . . .

٥ ـ وعلي البانواسي الدياني .

٦ ـ وحسن القليعا الريحاني . . .

٧ ـ وبدر الحويلا الحصناني . . .

٨ ـ ونور الدين الحموي الشيرساني . . .

وبعد ذكر أسمائهم قال المؤلف :

اسمع أيها الأخ السديد الموفق الرشيد ، أطال الله بقاك ، وأخذ بناصيتك واجتباك . لمّا أنَّ بيت مكزون تلملموا في بلاد الشرقية ، في جورة الريحان ، قال علماء البلاد الشرقية ، أولاد شعبة الحرّانية ، والإخوان الخصيبية ، معتمدين على قواعد دين الشعيبية ، بني نمير ، الفرقة الصادية ، ما كان بينهم فرقة ولا خلل ، ولا ريب ولا ذلك . . . إلاَّ أخوّة صادقة بالدين ، وحسن العمل ، موحدي الفرد القديم . . . وهم مستحفظون مستودعون صائنون لسرّ الله العظيم . . . . وليس عندهم كشف لسرائر المخلوقين ، وهكذا سريرة المؤمنين . . . . أمّا بعد يا سادات ، أدلكم على طاعة الشهادة ، وقيام الصّلاة وحسن العبادة ، إنّ القطب المأمون ، المحافظ على السرّ المصون ، الأمير حسن بن مكزون . . . استمع إلى بعض كلام من عامة الناس أنه قد وقع خلاف بين علماء ساحل اللاذقية ، الذين هم حائدون عن المعنى الحقيقي ، وبين إخوان الدين ذكرناهم سابقاً . . قال المؤلف : وكان ذلك الحين عيدٌ كبيرٌ وجمع غزير ، فحضرت به السادات ، وفتحت جواهر العلوم ، فوقع خلاف بين القومين على الرشد المعلن ، والجوهرة الثمينة التي ليس للطالب وراءها مطلب . . . وكان بدء ذلك ضعفاء العلم وقليلو الفهم ، وعامة الشيعة والإخوان ، في ذلك الآن ، لا يبذرون في سرّ الله تعالى ﴿لأن المبذرين إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ [سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٧] . . . لأن بذل السرّ مع غير أهله حرام . . . وكانت السادات في الوقت ودادهم عجيب ، وخلافهم قريب ، ورأيهم مصيب ، وهم رأي واحد ، على طريقة الخصيبي

والمـذهب الشعيبي . . . . قال : فوقفت السادات كلهم عند نطق المعلم منصور ، وما دان به جده الشيخ علي بن عيسى الجسري الكناني ، ورضيت به الإخوان ، لأن المعلم منصوراً كان خارقاً في بحار العلوم ، فطيناً وذا عقل رزين ، ولا يقتحمه أحدٌ من المخلوقين . قال : فرضيت به السادات الحاضرة والعلماء الناضرة ، كما يقول ، فنهض على قدميه قائماً ، وأخذ الطاعة على أقدامهم رامياً . . . . وقال :

«الأمر لمن بيده مقاليد الأُمور ، وهو الكريم الرحيم العزيز الغفور ؛ وقال : يا إخوان ، وأهل محافظ العلم والإيمان ، حملتمونا ما لا طاقة لنا به ، وأنا بمنّ الله وعطفه ، وجزيل لطفه ، إني متجنب خطى هذه الدُّنيا الدنية ، والتجارة الفانية ، إلى انقضاء دهري وفناء عمري ، محافظ مقيم على سرّ مولاي الأزل القديم ، لأنني رأيت محقق الدين الشعيبي ، والرأي الخصيبي ، وما دان به : أبو سعيد ابن القاسم الطبراني . . . ومنتجب الدين العاني وأبو النواس حسن بن هاني . . . وابن شعبة الحرّاني . . . وابن المعمّر صاحب الجدول النوراني والسادات الحاضرة هم مع جملة إخواني . . . لأن مرادكم أيها السادات الحاضرة ،والعلماء الناضرة ، من بدا من الحساب والحقّ والصواب وإليه المرجع والمآب ، لأن المآب إليه ، وحساب الدنيا والآخرة عليه . . . قال : فتجمعت سبع مشايخ من الحاضرين ، وساروا إلى عند بدر الحويلا قاصدين ، واجتمعوا به في خالص اليقين ، والتفقه في المعرفة والدين ، قصدوا السياحة والمهاجرة في حبّ كريم ، إلى أن وصلوا إلى بلاد حماه ، إلى عند نور الدين ، فهاج عليهم الغرام في ولاية أمير المؤمنين . . . فباعوا الدنيا واستغنوا في الدين ، وهاجروا في سياحتهم سبع سنين ، في محبة ديّان يوم الدين . . . فصرح حسن بن هاني اللاذقاني ، شعراً ، في سياحتهم وحسن فصاحتهم . . . . قدّس الله العلي أرواحهم أجمعين ، وأرواح المؤمنين آمين . . .

أمّا ذهاب الإخوان لأجل الجهاد بالدين ليقووا هذه الفرقة لا غير ،

ويجاهدوا في الدين حق الجهاد . . . ذكر المؤلف أنهم ذهبوا من وقتهم إلى حماه ، إلى عند الشيخ نور الدين ، حماه . . . وإلى حمص . . . وبعدها إلى بغداد . . . إلى سنجار وقراها . . . إلى حلب . . . إلى أنطاكية . . . إلى بلاد اللاّذقية ، فتوفي بها الشيخ بدر الغفير ، والأجرود وبعدها إلى جبلة ، فتوفي عبد الله بها . . . ويذكر مؤلف السياحة أنه نزل عليه النور في ليلته أمام جمهور الناس . . . وسافروا بعدها إلى بانياس . . . إلى صافيتا . . . وأرض طرابلس . . . إلى دمشق الشام ، فتوفي بها الأمير حسن بن مكزون ، ودفنوه في كفرسوسة ، وبقوا ثلاث ليالي عنده ، بعد وفاته . . . وأرادوا بعد وفاته الرجوع ، كل إلى دياره . . . غير أنهم اتفقوا بعدها أن يذهبوا إلى مصر ، وكان الأمر فذهبوا إليها ، واجتمعوا مع بيت البلقيني ، والخبر والحديث يطولان . . . وكل واحد توفي ذكر عنه المؤلف ، وإنَّ تأليفه ، قدسه الله ، أورده شعراً ، وهو لا يدوّن في مؤلفاتكم السامية ؛ لذلك لم أرسله لك ، وإنه بكتاب كبير الحجم . وبالمختصر لم يكن الهدف الوحيد إلاّ المكزون ، لذلك عند وفاته قطعنا كلامنا . . . . وإن المكزون ، على ما يظهر ، عمّر أكثر من المائة ، لأنه في عهد مرسل الكناني ؛ وقد ذكره المقدس ، الشيخ يوسف بشمان بمديحه للشيخ حسن رمضان ، الريحانة ، فقال ، قدسه الله :

يا نجلْ رمضان حبّك في فؤادي سكن .
قاطن بريحانة الفيحا وفيها سكن .
وحقّ مكة وزمزم والحسين وحسنْ .
أنتم فنائي ، وجدّي عم جدّك حسنْ .

يقصد بذلك ، جدي ، عن مرسل ، عمّ جدك حسن بن مكزون . . .

وذكر في السياحة أنه كان مع منصور الغرابيلي ، وبين مرسل

ومنصور لا يقل عن خمسة آباء أو أجداد. . . . وإذا كان تاريخ رسالته ٦٢٠ هـ . . . ورواية عماد الدين بن كتيلة الحسيني سنة ٧٠٩ هـ ، فكم الفرق جاري ؟ وممّا نقلته من ديوانه ، بعد النصف الأول منه ، قال ، قبل ذكره ، في باب المتسعات . . . قال ما هذا نصه ؟ :

«حدّث المولىٰ ، السيد الأجل ، العالم الكامل الفاضل ، مجد الدين علي بن النقيب ، المرحوم ، علم الدين ، المعروف بابن كتيلة الحسيني ، قال :

«لمّا قدم الشيخ حسن بن مكزون إلى المشهد الشريف الغروي ، على مشرفه السلام ، زائراً ، في السابع والعشرين ، من شهر رجب سنة ٧٠٩ هـ ؛ فعند الحضور في خدمته ، سألته أن يوردني شيئاً من أشعاره، فأنشدني من منظومات له ، قدس الله روحه ، وهي أول المتسعات :

لـك الخير عـرّج على ربعهم، فذي ربوعٌ، يفوح المسك من عرفها الشذي.

هذا الحديث موجود في بعض نسخ من ديوانه، وإثباته في ديوانه دليل على صحته ؛ وهذا ما عرفته عن المكزون ولك فائق الإحترام .

أخي . . . لا بد أن يكون لعماد الدين بن كتيلة الحسيني ، المار ذكره ، من مصنفات أو تآليف تستفيد منها . . . وهو حتماً ممن عاصره . . . إذن ، فلم أتمكن من إثبات تاريخ ولادته ، ولا تاريخ وفاته ، بدقة تاريخية ، إلاّ كمّا ذكرته لك من تاريخ رسالته ، وتاريخ زيارته التي أوردها عماد الدين بن كتيلة الحسيني . . .

وأما زواجه وعدم زواجه ، ففي أي نسخة من ديوانه يكتبون عند تسميته أنّه : أبو محمد ، الأمير حسن بن يوسف بن مكزون . . . . وهذا يدل على زوجه أكثر من عدمه . . . وسلام الله ورحمته عليكم ، وعلى

الوالدة الكريمة ، وعلى من يلوذ بطرفكم وتحبون له الخير ، ودمتم بأمان من نوائب الزمان . . . .

٣ ـ مراجع حديثة مخطوطة :

(أ) سلمان بيصين وخليل النميلي (من المشايخ المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري) ؛ البحث عن المكزون وذراريه في سنجار . . . يقول راوي هذا الخبر ، مقدّماً لقصيدة الشيخ سلمان بيصين بهذا الموضوع : «أستعين بالله ، وبرسوله ، وبالمؤمنين ، في نقل هذه القصيدة المباركة . تأليف العالم الفاضل ، الشيخ سلمان بيصين . وهي مذاكرة جرت ما بين الأستاذين الرئيسين : الشيخ خليل النميلي ، والشيخ سلمان بيصين ، قدّسهما الله ، آمين . قد أبدوا أفكارهم الرشيدة ، ليقوموا بالبحث عن السيد المكزون ، قدس الله العلي سرّه المكنون ، ويسألوا عن ذراريه . هل يوجد له ذريّة أم لا ؟ .

وبعد ذلك أرسلوا ، إلى مدينة سنجار ، من يختبر لهم إذا كان يوجد بقية أشخاص منهم . وقد أرسلوا الشيخ إبراهيم الجعفر التنجي ، من إخوان حماة ، إلى بلاد سنجار ، ليحقق ويدقق عن الأمير حسن . فوجد جماعة ينتسبون إلى الأمير حسن بن مكزون . وفيهم أبعة مشائخ رؤساء بالعلم ، والإيمان ، وهم :

الشيخ حيدر ، والشيخ ناصر ، والشيخ محمد، والشيخ أحمد. . . فبلغ المقدّسين : الشيخ خليل النميلي ، والشيخ سلمان بيصين عنهم ، حسبما رأى . . . . فطلب الشيخ خليل النميلي من أخيه سلمان بيصين أن يكاتبهم بقصيدة ، ويمدحهم فيها ، ويلاطفهم ، ويذكر المكزون ويلوح لهم عن طريقته ، وعن الحبّ القديم ، والعهد القويم الذي كان المكزون عليه . . . فإذا كانوا باقين على هذا الحبّ أن يراسلوهم ويخابروهم ليتوجهوا إلى عندهم ، إلى سنجار ، بعد أن يوافوهم بمدينة حلب . وهذه القصيدة أرسلت لهم بتاريخ ١٢٢٧ هـ .

أنشئت وأرسلت إلى بلاد سنجار من الأستاذين الكريمين : الشيخ خليل النميلي ، والشيخ سلمان بيصين . ووقعت باسميهما . وحملها إلى سنجار الشيخ إبراهيم الجعفر التتنجي ، من حماه في التاريخ المذكور ١٢٢٧ من الهجرة المحمدية ، على شارعها أفضل الصّلاة وأتم السلام لأجل الأخبار عن ذراري المكزون قدسهم الله ، للذين في سنجار . . . . وبالله المستعان» : والقصيدة مؤلفة من ٣١ بيتاً ، وهي بخط أحمد محمد جامع ، من عين الكروم ، ومطلعها :

أبث اشتياق الوجد من غامض الجوى إلى الفتية الحب الذي ما بهم لوى .

الشعر عند المكزون

قافية الهمزة

كتاب من واحدة الحسن :

أمرتني بستر كشف غطائي إذ أرتني صباحها في مسائي

ودعتني وأودعتني سراً في سراها ، عدت به أعدائي .

ونهتني إذ نبهتني عن بث هواها إلى ذوي الأهواء .

وإلى الفجر أوعدتني وفيه وعدتني الإبلال من بلوائي .

فأزاحت خوف الوعيد بوعد قبض اليأس منه بسطُ رجائي .

وعلى الموت بايعتني وقالت: من وفى لي منحته بوفائي .

ولتعليقها المنى بالمنايا صرت أهوى منيتي لمنائي .

وبها إذ قضيت نحبي قضت لي بمقام الأبرار والشهداء .

ومن المسجد الحرام إلى الأقصى أرتني أسرّة الإسراء .

وأقرّت بنور نار قراها في قراها بناظري حشائي .

وانثنت عندما انثنت لي إماماً سدرة المنتهى إليها ورائي .

وبرو باصها تهيّا خلاصي من قذى طينتي فراق صفائي .

وورود السراب فيها ثنائي مورداً للعطاش بعد ظمائي .

وبعين الحياة سرت إلى حيٍّ به الموت منية الأحياء .
غيبتني من بعدما أشهدتني وأعادت شهادتي بنداءِ .
فثناني استحياؤها في انثنائي نحوها ماشياً على استحياءِ .
وبألطافها إليها دعتني وأرتني نزولها في سمائي .
بكتاب فيه شفاء اكتئابي من وعيد القلى بوعد اللقاءِ .
ناطقٌ صادقٌ مبينٌ معمىً ساتر كاشف قريب نائي .
ظاهرٌ باطنٌ أنيقٌ عميقٌ شاهدٌ غائبٌ عن الأغنياءِ .
محكم ذو تشابه وائتلاف في اختلاف الآيات والأجزاءِ .
فعليه جعلت وقفاً فؤادي عندما جاء جامع الأشياءِ .
وإليه عند الخصام احتكامي فلذا رحت داحضاً خصمائي .
حبذا ما به حبتني على الهجر جزاءً منها لصدق ولائي .
فسناها أهدى لعيني ضياها وهداها أسرى إليَّ هدائي .
بصفاها ممنوعة أن تراها عين راء إلاَّ بوصف الرائي .
ولعجزي عن أن أراها بإياها بدت بالصفات والأسماءِ .
فعليها ما دلَّ قلبي سواها وإليها لم تدعني بسوائي .
ولهذا شاهدت آيات صحبي ونهايات ما رأوا في ابتدائي .

* * *

قافية الباء

قد بدت البغضاء منهم لنا كما لهم منا بدا الحبُّ .
وما لنا إلاَّ موالاتنا لآل طه عندهم ذنبُ .

* * *

وجه تثليث النصارى بان في قدِّ حبيبي .
غصن بانٍ تحت بدرٍ نابتٌ فوق كثيب .

فهو موضوع لحمل الـ ـبـدر محمولُ القلوب .

* * *

تمتع في شبابك بالأماني فما اللّذات إلاّ في الشباب .
وخذ أمر الهوى ودع اللواحي وبح باسم الحبيب ولا تحابي .
فما حسن الصبا إلاّ التهاوي ولا حسن الهوى إلاّ التصابي .

* * *

ليس زهد الفتى بتحريم حلّ من نكاحٍ ومطعمٍ وشراب .
وارتباط بالربط أو باعتزال في جبال ولا برقع ثياب .
بل بقصد فيما أحل وزهدٍ في حرامٍ ورغبةٍ في ثوابٍ .

* * *

أصبحت من عنقاء مغرب أعجبا من عاج بي يزداد فيَّ تعجبا .
أهوى مليحة فارسٍ في فارسٍ وأرى الذي وارى قباه في قبا .
وليُّ الحنيفة مذهبٌ وتولهي بالصابئية عنه قلبي ما صبا .
وبأسر إسرائيل لي في آله أمسيت في أهل الهوى مترتبا .
وإذا غدوت مصلياً أستقبلُ البيت الحرام مبجلاً ومصلبا .
ودم المسيح مدامتي فلذا بها أمسيتُ في بيع الهوى متقربا .
ودم الضحايا اللواحي عن حمى دوحي غدا بين الفيا في مشربا .
ناري لضدي جنة وبظلها يضحي لما يبقى بها متكسبا .

* * *

لعلوة دون العاشقين حجابٌ وبابٌ إليه بالسجود أنابوا .
وعقدٌ وثيقٌ لا يحلُ وذمَّةٌ لها شاهدٌ عدلٌ بها وكتابُ .
فإن أنكر العذال وجدي بحبِّها فما ذاك إلاّ أن حضرتُ وغابوا .

عـرفت فـآثـــرت الهوى وبجهلهم بمعـــرفتي لي بـالصبـابـة عـابــوا .

وشاهدت أوصاف الكمال لوجهها ولم يثنني عمـا شهـدتُ نقـابُ .

ولي ولهـا بيـن الـظلال تـواصـلٌ بـغيـر مـزاج والجـسـوم تـراب .

زمـان الـرضى منهـا عليَّ وليتهـا يـدوم رضـاهـا والأنـام غضـاب .

وبـالخمسة الأكوان مـا زلت سـالكـاً إلى كـونهـا المـائي وهـو عبـابُ .

وفي كـونهـا النوري شـاهـدت نـارهـا بغيـر حجـاب والمثـال حجـاب .

ومـا حجبتني عن مـلالٍ وإنمـا لمعنىً لأهـلِ العشـقِ فيـه جـوابُ .

* * *

لـبيت لمـا دعتني ريـة الـحجـب وغبت عني بـهـا من شـدَّة الـطرب .

وأحضـرتني من عيني لتشهـدني جمالهـا في حجـاب غير محتجب .

مشهـودةً لا يـراهـا في الأنـام بهـا خلقٌ وقـد شوهـدت بين الخـلائق بي .

مـوصـوفـة لم أصف إلّا وصيفتهـا وهي العليَّة عن نـظمي وعن خـطبي .

تـركيَّةٌ في بـلاد الهند مـذ ظهـرت ووجههـا عن بـلاد الترك لم يغب .

أبدى الرضى حسنها في الفرس فابتهجوا بحسنهـا واختفت في ظلمـة الغضب .

وألـوت الحسن عن أبيات فـارسهـا إلى لؤي فصـار الحسن في العـرب .

في كـل حي لـهـا حيّ تـطوف بـه من المحبين أهـل الصـدق والكـذب .

ويـدعي وصلهـا من ليس يعـرفهـا إلّا بـأسمـائهـا في ظـاهـر الكتب .

ولست ممن غـدا في الحب متهمـاً وقـد تعلقت من لـميـاء بـالـسبب .

وبـاليتيم اقـتـدائي في محبتهـا وبـانتسـابي إليـه ينتهي نسبي .

وبـالـشعيبي أُدعى بين شعبتهـا وهـذه في هـواهـا أشـرفُ الـرتب .

فـأي حـب تـهـواهـا وجـاء بـبُـر هان على حبِّ ليلى فهو ابن أبي .

قافية التاء

رشد الطريقة :

فأمسيت في ليل الجفـا بعد وصلهـا أردد في نـار الجـوى بعـد جنتي .

إذا أخرجتني من لظاها مطامعي أعاد بيأسي وارداً نار خيفتي .

فكم جسد أنضجت في نار هجرها وتبدلني منه جديداً لشقوتي .

وكم كرةٍ كرُت عليَّ بكورها ترددني في دورة بعد دورةِ .

وحزني على ما فات من زمني بها يقطر أجفاني بتصعيد زفرتي .

ألمت فلمت بالأسى شعث الأسى فأخلق تجديدُ الأسى ثوب جدتي .

وأشفت بما شفت به الجسم من ضنى عذولي على وجدي ولم تشفِ علتي .

دنت في علاها من حضيضٍ مقامي الذي هبطت نفسي به بعد رفعتي .

وأبدا عتابي لطفها بي على الرضى بوعر الفلا من بعد ظل الأظلة .

وما الصوم في شرع الهوى غير صون ما تحمل حي الحب عن كل ميت .

وباعدت فيها الأقربين مقارباً على حبِّها أهل الشعوب البعيدة .

وفي الصوم أديت الزكاة لأهلها وفي شعبهم أخرجت في الفطر فطرتي .

وقمت بأحكام الفرائض ظاهراً وأتبعتها بالنفل بعد الفريضة .

وواليت من والى ذويها معادياً على الحبِّ من عادى ولي وليتي .

ودنت كما دان الدعاة لحسنها بخلع التقى فيها ولبس التقية .

جعلت صلاتي في الغرام بذكرها إلى وصلها بعد القطيعة وصلتي .

وطهرت أعضائي بعرفات من علي مراتبهم في عالم العشق دلت .

ووجهت وجهي في اتجاهي لوجهها فمن حيث ما استقبلتها فهي قبلتي .

إليها أصلي قانتاً لمفيضها بأسمائها الحسنى بحسن التثبت .

وحين رأي عشاق سلمى تسنني بسنتها صاروا كما شئت شيعتي .

فبشرني بالبشر قلبي وعندما دعتني بعيد صرت مولىً لرفقتي .

فلبيتُ داعيها وأسرعت نحوها وجئت صحابي من سناها بجذوة .

وما كنت لولم تهدني لسبيلها بمهدي الهدى للناس من بعد ضلَّة .

ولما وردنا ماء مدين حبها وجدنا عليه للهدى خير أمَّة .

يـذودون عنه كـل سال عن الهـوى ويسقـون منـه كـل صبّ بـصبـوة .

محجبـةٌ لمـا اختفت بجـلالـهـا عن الـوهم أبداهـا الجمـال لمقلتي .

ومـا احتجبت عني بغيـري ولا بـدت بغيـر حجاب عنـدمـا لي تبـدت .

فـأثبت في محـو الـعيـان عيـانهـا بنفي حـدود الأين في حـال رؤيتـي .

وأشـهـدني غـيبي حضـوراً وغـيبـةً وحـاشا لهـا من غيبـة بعـد حضـرة .

ولكن كـلال الطرف بـالسر في الهوى أراني مغيبي في شهـادتـي التـي .

وإن ضيـاء الشمس عنـد طلوعهـا لـمحجبٌ عـن كـل عيـنٍ عـميّـة .

وشـاهـد عيني في عيـاني لـذاتهـا كـذاتي شهيـدٌ في حضـورٍ وغيبـة .

وإن كـذب النفس الـعيـان لـعينهـا تبصـرت في رؤيـا الكـرى بـرؤيتي .

فجـردت معنـاهـا المصـور إذ بـدا كصـورة حـد الأين عن كـل صـورة .

ونـزهت عن كـون المكـان كيـانهـا وأوصـافهـا عن رؤيـة الحـدثيـة .

وأعـطيت معنـاهـا التقـدم في الهـوى على نـورهـا المـوصـوف بـالأزليـة .

وأثبـت فـي المـثـل الـظهـور إذا اختفى المثـال وأنفي مزجـه بالهـويـة .

وأنكـر من ليلى الحلول بحلة ترحلهـا عنـا مـطايـا المنيـة .

وكيف يـصـح الإتـحـاد وشـاهـد العيـان على الأضـداد بعض الأدلـة .

قضى جـودها فيض الـوجود فـأظهـرت مشيئتهـا قدمـاً حجـاب المشيئـة .

بـدور بـدت من غيـر نقص لهـدينـا إلـى عـود أعيـاد الـلقـا كـالأهـلة .

وأبـدت سـراراً في العيـون ولم تـزل على الأوج في أفق البـروج الـعليـة .

ولم تسكن الأجسـام عنـد ظهـورهـا لأبصـارنـا بـالصـورة البشـريـة .

ولا خـذلت بـالقهـر بعد انتصـارهـا ولا عجـزت في ذاتهـا بعـد قـدرة .

أدلـة قـلبي فـي هـوى من بحسنهـا عـلى حسنهـا كـل الأدلـة دلـت .

ومـا الحج في شـرع الهوى غيـر صـورة تعبـر عن كـون المعـاني الخفيـة .

سبيـل الـهـدى للسـالـكيـن سبيله وأميـالـه أقـمـار شـمس الأبـوّة .

ومشعـره المستـور عن غيـر شـاعـرٍ بمـا اقتـرحتـه بـالغـرام قـريحتي .

وفي حجره حجر على كل لائذٍ ... به أن يوالي عصبة العصبية .
وزمزمه ميمٌ طميسٌ بمائها ... يزول الصدى عن كل نفس زكية .
وإني لممن حج كعبة حسنها ... وأكملت حجي في هواها بعمرتي .
وفي عرفات الوصل عرفني الهوى ... مقام ازدلافي في الغرام بزلفتي .
وإني لفي أوج الغرام بحبها ... وإن سفه الجهال بي نقص رتبة .

* * *

المكزون ووحدة الوجود والحلّاج :

ووحدة الوجود هي مشكلة الصوفية الكبرى ، ولقد لعبت دوراً هاماً في التاريخ نظراً لما لقيه الصوفيون من العذاب والإضطهاد ، والقتل في سبيلها . وقد ذكروا أنواعاً عدة لهذه «الوحدة» .

١ ـ وحدة قبل الدهر ، وهي وحدة الخالق ، وهي وحدة غير مستفادة من الغير ، وحدة الإحاطة بكل شيء ، والحكم على كل شيء وهي وحدة تصدر عنها الآحاد في الموجودات ، والكثرة فيها .

٢ ـ وحدة مع الدهر ، وهي وحدة العقل الفعّال .

٣ ـ وحدة بعد الدهر ، وقبل الزمان ، وهي وحدة النفس .

٤ ـ وحدة مع الزمان ، وهي وحدة العناصر والمركبات[1]

ومن الجدير بالذكر أن الوحدة الأُولىٰ غير مستفادة من الغير ، لأنها وحدة الخالق ، أما الوحدات الثلاث الباقية فهي مستفادة من غيرها لأنُها دون الخالق .

والقائلون بوحدة الوجود فريقان :

الأول : يرى أن الله روحاً والعالم جسماً لهذه الروح .

---

(١) المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة جزء أول ص ٣١٩ .

والثاني : يـرى جميـع الموجودات لا حقيقة لـوجودهـا غير وجـود الحق فكل شيء هو الله[1] .

وفي العيذا أن البرهمـة تقوم على وحـدانية الله ، أي تؤمن أنـه لا شريك لـه ، وقد صـدرت عنه كـل الموجـودات ، وسرت روح منـه في الجماد ، والنبات ، والحيوان ، فالمـوجود بحق هـو الله وحده ، وليست هـذه الكائنـات إلاّ مظاهـر منه . والـركن الثاني في البـرهمة هـو تناسـخ الأرواح ، وعودتها إلى مصدرها الأول .

وفي «الويدانت» الأخلاق الهندية :

هذا الكون كله ليس إلاّ ظهـوراً للوجود الحقيقي الأسـاسي ، وإنَّ الشمس والقمـر ، وجميع جهـات العالم ، وجميـع أرواح المـوجـودات أجزاء ومظاهر لذلـك الوجـود المحيط المطلق . إن الحيـاة كلها أشكـال لتلك القـوّة الأصلية . إن الجبـال والأنهار ، والأرض كلهـا ، تفجـر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سـائر الأشيـاء . وفي «الويـدا» أيضاً إيضـاح للصلة بين الكون ، و«برهمـا» ممـا أدى إلى الإعتقـاد بـوحدة الوجود ، وأنّ الكون انبثق من الله ، وفي مبدأ «الإنطلاق» يمكن أن يعود الإنسان إلى القوّة التي انطلق منها ، ويتحـد بها ، فـالقوّة العـظيمة التي في العـالم يجب التقـرب إليهـا بـالعبـادة والقـرابين ، وهـذه القـوّة هي «براهما» وأنّ الإنسان هو القـوّة أو «البراهمـا» . فالكـون فيه روح واحـدة تسكنـه ، ومعنى واحد تحققـه سائـر المـوجـودات كمـا تحقق الكلمـات المتعـددة المعنى الواحـد ، أو الفكرة الـواحدة ، وكمـا يحقق الرسـام ، والموسيقي ، والنحات ، والأديب ، والشاعر ، والمغني المعنى الـواحد في سيل من المخلوقات ، والعطاءات الفنية[2] .

---

(١) معجم لاروس (.) أسفار الفلسفة الهندية .

(٢) أنظر «ويدانت» ص ـ ٤١ ـ ٤٢ .

والفيلسوف «أريجنيا» ـ ولد عام ٨٠٠ في إيرلندة وتوفي عام ٨٧٠ م ـ يعتقد أن الله هو بدء الأشياء ونهايتها ، وأنه روح خالصة مجردة لا تحدها حدود، ولا تميزها صفات ، وقد اتخذ هذا العالم وسيلة يبدو فيها ويُعرف ، وكل ما في الوجود من أشياء قد انبثق عن الله انبثاقاً ، ولا بد أن ينتهي المسير بهذه المخلوقات كلياً إلى حد تبلغ عنده الغاية المنشودة فتعود إلى الإتحاد بالله من جديد ، ويقرر هذا الفيلسوف أن الله ومخلوقاته ، وهذا العالم الذي هو وسيلة ظهوره ، كل ذلك شيء واحد ، وإن كل محاولة لفصل الله عن مخلوقاته باطلة . إلاّ أن تكون على سبيل المجاز . كما يعتقد أن الكلي هو الحقيقة الأساسية الأولى ، ثمَّ نشأت عنها الجزئيات أي الأنواع ثم الأفراد . فالكليات هي عناصر الوجود الأصلية ، وهي لذلك أسبق في الوجود من الأشياء الجزئية المادية . ويقول : كلما كان الشيء أكثر شمولاً كان أمعن في حقيقة وجوده .

ولما كانت فكرة الله أوسع الكليات شمولاً كان هو أسمى الكائنات ، وليست المخلوقات على اختلاف أنواعها وألوانها إلاّ صوراً يتمثل فيها الخالق .

ويرى أوغسطين الفيلسوف ـ وُلد في تجستي في شمال أفريقيا عام ٣٥٣ م من أب وثني وأم مسيحية ـ إنّ إرادة الله اتجهت منذ الأزل إلى خلق العالم ، فأخرجه من العدم إخراجاً ، وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن ، وقد خلقه خلقاً دون أن ينبثق عنه ، أو منه ، ولقد بدأ الخلق المادي حين خلق الزمان ، أما الله فليس له زمان ولا مكان ، وقد تمّ خلق العالم على دهور متتابعة . وليست الأيام الستة التي قال موسى إن الله قد أتم فيها الخلق إلاّ درجات متعاقبة من الكمال تتابعت على الكون في مسيره ولله قوة مطلقة تسيطر على الكون بأسره فلا يحدّها شيء وهو ﴿فعال لمّا يريد﴾ [سورة هود ؛ الآية : ١٠٧] لا يخرج شيء عن هذه الإرادة ، وإذن فهو العلة لكل ما يقع في أنحاء الكون من أحداث .

ويرى النظام شيخ المعتزلة أن العالم خلق دفعة واحدة ، وكل ما في الأمر أن التأخر منه في الزمان كامن في التقدم ، فالتقدم والتأخر إنما يقعان في الظهور من الكون دون الحدوث والوجود [1] .

ويرى البعض أن وحدة الوجود ذات جذور تاريخية ممتدة في أعماق التاريخ وأنها انتقلت إلى التصوف الإسلامي ، وذلّ بها الكثيرون من رجالاته ، وقد انتقلت هذه النظرية إلى المسلمين إمّا عن طريق الهنود مباشرة ، وذلك عن طريق الغزو ، أو التجارة ، أو الرحلات ، وإمّا عن طريق متصوفة فارس لأن أكثر متصوفي المسلمين الذين «فلسفوا» التصوف هم من الفرس كالحلاّج والجنيد ، وفريد الدين العطار ، وجلال الدين الرومي ، وداود الأصفهاني ، وروزبهان ، وأحمد الغزالي ، وناصر خسرو ، وسهل التستري ، ونصير الدين الطوسي ، والسهروردي ،والكاشاني ، والهمذاني ، وأكثرهم قال بوحدة الوجود ، وإن بعضهم ينحدر من سلالات مانوية ، أو مزدكية أو زرادشتية [2] .

والقول بوحدة الوجود انبثق عن نظرية العشق الإلهي ، ولم يكتف أصحاب هذه النظرية بأن لهم وجوداً ذاتياً ممتازاً عن الناس ، بل انتهوا إلى القول بأن لهم حقيقة أزلية ، أو جزءاً من حقيقة أزلية . هي حقيقة واجب الوجود .

وينقسم القائلون بهذا المذهب إلى قسمين : قسم يؤثر الرفض ، وقسم يؤثر القبول [3] .

والقسم الأول : يتشرق بنسبة العاشق إلى المعشوق .

---

(١) المكزون السنجاري جزء أول ص ٣٣٣ .

(٢) الأسفار المقدسة ـ الدكتور عبد الواحد وافي ص ـ ١٦٣ ـ .

(٣) المكزون السنجاري جزء أول ص ـ ٣٢٤ ـ .

والقسم الثاني : لا يرى عاشقاً ولا معشوقاً ، بل شوقاً يتمثل في حنين الجزء إلى الكل . وفي مرتبة «الإتحاد» تنتفي «الإثنينية» ولم تعد هناك «جزئية» بل تصبح ، «الأنائية والهوية» «كلا» واحداً لا على مبدأ «الحلول» وإنما على مبدأ «الوحدانية» لأن الحلول خاص ، لا عام .

يقول ابن الفارض :

متى حدت عن قولي : أنا هي ؟؟ أو أقل ـ وحاشا لمثلي ـ أنّها فيّ حلت .

فهو ينزه نفسه عن «الحلول» وحاشا لمثلي ! ولم يحد ولم يمل عن القول بالوحدة «أنا هي» وبهذا الأسلوبالإستفهامي ، الإنكاري . . . التقريري .

ويقول حسن رضوان في أرجوزته :

وحسبه من ذلك المقصود إشراق نور وحدة الوجود
وكل ما سواه نجم آفل بل في شهود العارفين باطل
فليس إلاّ الله . . . والمظاهر لجملة الأسماء وهو الظاهر
فغيره في الكون لا يقال لأنه في ذاته محال

ويقول الكاشاني :

وإن تجلى بصورة أحديته الذاتية كان الله ، ولم يكن معه شيء ، وبطنت فيه الأعداد غير المتناهية ـ صور الموجودات ـ بطون النصفية والثلثية والربعية في الواحد ، فإنها لا تظهر إلاّ بالعدد .

وإن تجلى في صور تعيناته ـ صور الموجودات ـ ومراتب تجلياته أظهر الأعداد ، وأنشأ الأزواج ، وتلك مراتب ـ منزلاته ـ مراتب الألطاف ـ وليس في الوجود إلاّ هو[1] .

---

(١) شرح الفصوص ـ ص ـ ٦٥ ـ .

المكزون والحلاّج :

والحلاّج من القائلين بوحدة الوجود ، وبسبب هذا الإعتقاد قتل صلباً ، وهو يؤكد أن غاية الكائنات جميعاً ، لا الصوفي وحسب ، هي الإتحاد بالله أو مع الله ، وهذا «الإتحاد» يتحقق بالحب ، ويحتاج الصوفي إلى عمل إلهي تحويلي ينقل الموجود إلى وضعه الأسمى .

ومن أقواله :

مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسّك شيء مسني ... فإذا أنت أنا ، في كل حال

* * *

جبلت روحك في روحي كما ... يجبل العنبر بالمسك الفتق
فإذا مسّك شيء مسّني ... فإذا أنت أنا لم نفترق

* * *

لست أنا ، لست هو ... فمن أنا ، ومن هو؟

ومن حواره مع شيخه الجنيد بعد مصاحبته عشر سنين قوله :

الحلاّج : ألاتفيدني بكلمة عن التوحيد يا شيخي ! .

الجنيد : التوحيد خارج عن الكلمة حتى يعبر عنه ؟ .

الحلاّج : ما معنى لا إله إلاّ الله .

الجنيد : هذا حشو التوحيد يا بني .

الحلاّج : وما حقيقته ؟ .

الجنيد : أما حقيقته ، فهي أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون .

الحلّاج : أرجو التوضيح .

الجنيد : التوحيد إفراد القدم عن الحدث ، ثم الإعراض عن الحدث ، والإقدام على القدم ، وهذا أيضاً حشو التوحيد ، وأما محضه يا بني فهو الفناء بالقدم عن الحدث .

الحلّاج : هذا توحيد الصحراء يا شيخي ! توحيد تتلاشى فيه العدة والفوارق ، وتمحي آثار التنوع ، فأين نذهب بهده الكثرة الوجودية المسماة بالعالم ؟ ألم يجعلها تعالىٰ تفصيلاً لوحدانيته ؟ وفيضاً لكرمه ؟؟ أليس هو واحداً في كثرة ، أو كثرة مردها الواحد ؟ أليست صفاتنا البشرية المتغيرة الزائلة لسان الحجة على ثبوته ، وصمديته ؟ .

الجنيد : إلى أين تحاول أن تجرني يا حسين ؟ .

وكان يقول : حجب الله الخلق بالإسم فعاشوا ، ولو كشف لهم الحجاب لطاشوا !!

ويقول :

هوية لك في لانيتي أبدا ... كلّي على الكل تلبيس بوجهين
بيني وبينك إنيّ يزاحمني ... فارفع بأنيّك أنيّ من البين

والمعنى :

إن هويتك في أعماق وجودي فادعاء إضافة كلي إلى الكل إنما هو وهم مزدوج : وإن بيني وبينك «أنيّ» أي ذات هي ذاتي ، فارفع بذاتك هذه الذات الفاصلة ، فتصبح واحداً لا اثنين ويقول :

يا سرّ سرّ يدق حتّى ... يخفى على وهم كل حيّ
وظاهراً باطناً تجلّى ... من كل شيء لكل شيّ
إن اعتذاري إليك جهل ... وعظم شك ، وفرط غي
يا جملة الكل لست غيري ... فما اعتذاري إذاً إليّ؟

وكلمته الشهيرة التي حوكم بشأنها وقتل هي : «أنا الحقّ» وقد دافع الشيخ ابن عربي عن الحلاّج بحرارة وإيمان ، وأوصى المتصوفة بكتمان وصون الأسرار فقال :

ومن فهم الإشارة فليصنها ... وإلاّ سوف يقتل بالسنان
كحلاّج المحبة إذ تبدت ... له شمس الحقيقة بالتداني
فقال: «أنا هو الحق» الذي لا ... يغير ذاته مرّ الزمان[1]

ورووا عنه أن أحد أصحابه مرّ به وهو على الصليب فقال متهكماً : كيف رأيت الحبّ يا أبا عبد الله ؟ فأجابه : أهونه ما ترى !

ومن شعره :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سني لاهوته الثاقب
ومن بدا لخلقه ظاهراً ... بصورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

والمكزون السنجاري ردّ على الحلاّج ، وعرض به في قوله : «أنا الحقّ» وهذه هي قضيته الكبرى يقول المكزون :

من هو أنا حتى أسمى أنا ... لست «أنا الحق» سوى أنت
فنحن من كونك كوننا ... وأنت بالفرد تفردت
بدوت لي منك بوصف، وقد ... جاز علاك والنعت
إن قلت: حلّ بذا، وحال ... أحلته عن كونه
أو قلت: في، وفي سوا ... ي، حصرته في أينه
أو قلت : عيني عينه ... فالعجز بؤت بعينه

---

(١) كتاب الأسرار لابن عربي ـ الرسائل ـ ص ـ ٤ ـ .

ويقول الحلّاج :

بيني وبينك أنيّ يزاحمني ... فارفع بأنيّك أنيتي من البين

ويريد :

إن بيني وبينك حجاباً وحاجزاً هو «أنيّ» الدالة على ذاتي المنفردة فارفع وأزل بذاتك ذاتي التي تفردني عنك فتصبح ذاتاً واحدة .

والمكزون يقول :

وعن طرب أصفق إذ تغني ... بأني منك حين دنوت مني
ومن حبل الوريد غدوت «أدنى» ... إلى قلبي ، وأنك غير أني !

ويقول الحلّاج :

عجبت منك، ومني ... غيبتني بك عني
«أدنيتني» منك حتى ... ظننت أنك أني

فالمكزون والحلّاج يلتقيان «بالدنو» ولكن «دنو» المكزون إلى «القلب» و «دنو» الحلّاج إلى «الذات» .

ويختلفان بأن الحلّاج «يظن» أن ذات الخالق هي «أنه» ذاته نفسه ، أي ذات المخلوق ، أما المكزون فينفي ذلك ، ويفرد «الأنّ» الإلهية عن «الأنّ» ، البشرية قائلاً : وأنك غير أني[1] .

المكزون وابن الفارض :

إنّ ابن الفارض ـ ٥٧٧ هـ ـ ٦٣٢ هـ ـ هو في طليعة القائلين بمذهب وحدة الوجود وهو جريء صريح لا يداري في إعلان مذهبه هذا ، وهو عميق الإيمان به ، بخلاف معاصره الشيخ محي الدين

---

(١) المكزون السنجاري ـ جزء أول ـ ص ٣٣٠ ـ .

ابن عربي ، الذي يحاور ، ويداور ، ويراوغ ، وهو يكني ، ويلوح ولا يصرّح ، وهو كثير الغموض ، والإبهام في تعابيره التي تحتمل الكثير من الصور والمعاني والتفسيرات والتأويلات .

وقد عاش في القاهرة ، وهي فيما يبدو أكثر تسامحاً ، وأقل تشدداً على المتصوفة وغيرهم من أرباب النحل والمذاهب في ذلك الزمان خلافاً لدمشق التي كانت متشدّدة على المتصوفة بل كانت يومئذ مهيأة لتلد ابن تيمية والتي كانت بيئتها مهيأة لتلد مدرسة «فضيّة» أفرطت في بعض الأحيان في حرفيتها ، وفي نفس الوقت تعتبر «العقل» في المرتبة الثانية بعد «النص» وهي لا تملك العقل ، ولكنها في نفس الوقت لا تتنكر له .

وهذا هو السرّ الكائن في ردّة الفعل عند الشيخ ابن عربي ، ومن هنا نعرف سرّ إغراقه في التأويل ، والإستبطان ، بحيث أفضى ذلك إلى الغموض والتعمية ، لأنه يمثل الجانب السلبي ، والمعاكس لمدرسة «النص» أو «السلفية» .

وإن خير ما يمثل لآراء ابن الفارض الصوفية . ونزعته الصوفية في «وحدة الوجود» هي قصيدته ، المعروفة «بنظم السلوك» والتي تنتهي كما سنرى كلها إلى القول بوحدة الوجود بدون تورية ، أو مواربة يقول فيها :

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذاتي بذاتي مذ تجلت تجلت
وما زلت إيّاها ، وإياي لم تزل	ولا فرق، بل ذاتي لذاتي تجلت
متى حدت عن قولي : أنا هي ؟ أو أقل	وحاشا لمثلي - أنها فيّ حلت

ويقول :

وجل في فنون «الإتحاد» ولا تحد	إلى فئة ، في غيره العمر أفنت
«فواحدة» «الجم الغفير» ومن عدا	ه، شرذمة حجّت بأبلغ حجة
وجاء حديث في «اتحادي» ثابت	روايته في «النقل» غير ضعيفة

يشير بحبّ الحقّ بعد تقرب إليه بنفل ، أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة واضح «بكنت له سمعاً» كنور الظهيرة

فهو وإن كان لا يقول «بالحلول» وإنما يقول : «أنا هي» وإن أعيان الوجود «الجم الغفير» هي الواحد ، وهو يتخذ دليلاً على «الإتحاد» الحديث النبوي الشريف القائل : «ما زال عبدي يتقرَّب إليّ بالفرائض والنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت يده التي يبطش بها ، ورجله التي يسعى بها ، وعينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به .

ولا يوافق المكزون ابن الفارض فهو يردّ عليه ويقول في هذا الصدد :

إذا المولى لعبد صار سمعاً وعيناً في الرضا ، ويدا ورجلا
فلم ذا في الأحبّ إليه تنفي مقالة من يقول : به تجلى
ولست بذا أدين ، وإن أدنى مقالي فيه من ذا القول أعلى

فالمكزون يسوق الحديث «مشروطاً» في البيت الأول ، ويستفهم «منكراً» في البيت الثاني ثم «ينفي» الأخذ به ، أو بما قالوه من شرح وتفسير له في البيت الثالث[1] خلافاً لمذهب ابن الفارض .

وروى شمس الدين محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ابن أخت الأمير حسن المكزون بحضرة الصلاح الصفدي حول تائية ابن الفارض أن خاله الأمير ردّ عليه «بتائية» مثلها وقد ذكر الصلاح الصفدي القصة والأبيات :

ولست كمن أمسى على الحبّ كاذباً مضلاً لأصحاب العقول الضعيفة
يمين على الجهال من عصبة الهوى بنسبته في الحب من غير نسبة
ويوهم وصلاً من سليمى وقد رمى به التيه عنها مبعداً بالرمية

---

(١) المكزون السنجاري ـ الجزء الأول ـ ص ٣٣٧ ـ حامد حسن .

ويمسي لها عبداً بدعواه في الهوى   ويصبح مولاها، بغير مزية
ويجمع ما بين النقيضين جهله   وذاك محال في العقول الصحيحة
ويعدل عن عدل الهوى بادعائه «اتحاداً» لإعيان الوجود الكثيرة
وكيف يصح «الإتحاد» وشاهد العيان على «الأضداد» بعد الأدلة

فالمكزون يرى ـ خلافاً لما يراه ابن الفارض وغيره من «الإتحاديين» ـ أن الأدلة العقلية متوفرة على بطلان القول «بالإتحاد» بين أعيان الوجود الكثيرة المختلفة المتضادة وبعض هذه الأدلة العيانية هو «التضاد» بين هذه «الأعيان» والحال أنَّ النور ، والظلام لا يتحدان ، وكذلك الماء والنار ، والقائل بهذا مدع مائل عن عدالة الهوى والحبّ والحق لجمعه «النقائض» و «الأضداد» وذلك محال في صحة العقل ، ولا يقول به إلاّ مكابر متعنت يغالط إحساسه وعيانه يقول المكزون :

ومحدد معنى الهوى بعيانه   وعم على غيب الشهادة يشهد
«ومكابر» إحساسه في «إنه   وسواه» من «أضداده» متوحد
فيريك باطل ما ادّعاه بجحده   لمقال من للقول منه يجحد

والدليل على خطأ من «يوحد» بين «الأضداد» وعلى بطلان مدعاه أنّه يجحد مقال الآخرين الذي يجحدون مقاله ، ولا يستطيع الجمع ، أو التوحيد بين الرأي ، وضده . ولابن الفارض قصيدة في منتهى الرقة والعذوبة ، وغاية الوضوح ، وهي روعة في الحبّ ، والأشواق والغزل الإلهي يقول :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس ، وهي شمس يديرها   هلال ، وكم يبدو ـ إذا مزجت ـ نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها   ولولا سناها ما تصورها الوهم
ولم يبق منها الدهر غير حشاشة   كأنّ خفاها في صدور النهي كتم
فإن ذكرت في الحي أصبح أهله   نشاوى ، ولا عار عليهم ، ولا إثم

ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت ... ولم يبق منها في الحقيقة إلاّ اسم

وإن خطرت يوماً على خاطر امرىء ... أقامت به الأفراح ، وارتحل الهم .

ولو نظر الندمان ختم إنائها ... لأسكرهم من دونها ذلك الختم .

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت ... لعادت إليه الروح ، وانتعش الجسم .

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها ... عليلاً ، وقد أشفى لفارقه السقم .

ولو قربوا من حانها مقعداً مشى ... وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم .

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعادله الشم .

ولو خضبت من كأسها كف لامس ... لما ضلّ في ليل وفي كفها النجم .

ولو جليت سرّاً على أكمه غدا ... بصيراً ، ومن راووقها تسمع الصم .

ولو أن ركباً يمموا ترب أرضها ... وفي الركب ملسوع لما ضره السم .

ولو رسم الراقي حروف اسمها على ... جبين مصاب جن ، أبرأه الرسم .

وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها ... لأسكر من تحت اللوا ذلك الرقم .

تهذب أخلاق الندامى ، فيهتدي ... بها لطريق العزم ، من لا له عزم .

ويكرم من لم يعرف الجود كفه ... ويحلم عند الغيظ من لا له حلم .

ولو نال فدم القوم لثم فدامها ... لأكسبه معنى شمائلها اللثم .

يقولون لي : صفها ،فأنت بوصفها ... عليم ، أجل : عندي بأوصافها علم .

صفاء ، ولا ماء ، ولطف ، ولا هوى ... ونور ، ولا نار ، وروح ، ولا جسم .

تقدم كل الكائنات حديثها ... قديماً ، ولا شكل هناك ، ولا رسم .

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة ... بها احتجبت عن كل من لا له فهم .

وهامت بها روحي بحيث تمازجا ... اتحاداً ، ولا جرم تخلله جرم .

فخمر ، ولا كرم ، وآدم لي أب ... وكرم ، ولا خمر ، ولي أمّها أم .

ولطف الأواني ، في الحقيقة تابع ... للطف المعاني ، والمعاني بها تنمو

وقد وقع التفريق ، والكل واحد ... فأرواحنا خمر ، وأشباحنا كرم .

ولا قبلها قبل ، ولا بعد بعدها ... وقبلية الأبعاد فهي لها حتم .

وعصر المدى من قبله كان عصرها وعهد أبينا بعدها، ولها اليتم.
محاسن تهدي المادحين لوصفها فيحسن فيها منهم النثر والنظم.
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها كمشتاق نعم، كلما ذكرت نعم.
وقالوا: شربت الإثم؟ كلّا! إنّما شربت التي في تركها عندي الإثم.
هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها، ولكنهم همّوا.
وعندي منها نشوة، قبل نشأتي معي أبداً تبقى، وإن بلي العظم.
عليك بها صرفاً، وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب، هو الظلم.
فدونكها في الحان، واستجلها به على نغم الألحان فهي بها غنم.
فما سكنت والهم يوماً بموضع كذلك لم يسكن مع النغم الغم.
وفي سكرة منها، ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً، ولك الحكم.
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً ومن لم يمت سكراً بها فاته الحزم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب، ولا سهم.

* * *

فهذا الشعر هو السحر الحلال المتدفق، وهذه الألفاظ المعبرة الجميلة قد صيغت لباساً موشّحاً لهذه المعاني الواضحة، ثم إن هذا التقصي للمعاني، وجمال عرضها وتناسقها، ينتظم القصيدة كلُّها.

أما الأبيات التي تصف الخمرة في هذه القصيدة كذات للإله، فهي تختلف من حيث الإبانة والوضوح، وسهولة المأخذ، ويسر التناول، وهي تشير بالتالي إلى قدمها، وحدوث الأشياء، وقيامها بها، وتلمح إلى الإتحاد الصوفي ـ أنا وهو ـ أو «إمحاء الأنا» وما إلى ذلك من مصطلحات القوم وإشاراتهم البعيدة المنال.

وأمّا المكزون فهو يقول في هذا الباب:

مذ أقفرت ممّن أحب الأربع درست معالمها الرياح الأربَع
وجفا الحيا أطلالها لما جفوا فجرت عليهم ـ لا عليها ـ الأدمع

صاحوا: الرحيل، وودعوني فانثنى قلبي يودعني عشيَّة ودَّعوا.
وسروا، وجسمي بعد كم راصهم من ناظري ومن فؤادي بلقع
فاعجب لقلب بالقلى متقلقل أنى استقر به الجوى المستودع.
ولأدمع تربو بوابلها الربى وبه غليل مفيضها لا ينقع
ولما أرى عن بعضه ضاق الفضا من لوعتي أنّى حوته الأضلع.
ولمن حدا يوم النوى بنياقهم أني أصم السمع، وهو المسمع
شالوا الجمال على الجمال، وبالنوى عن ناظري بعد السفور تبرقعوا
فحشاشتي من بعد طيب وصالهم بمُدى مدى هجرانهم تتقطع
بعداً لدار كدرت بعد الصفا فيها النزيل بكل خطب يقرع
ما سرَّ فيها قادم بقدومه إلّا وساء ذويه، وهو مودّع
والعيش فيك وإن تطاول عمره كرجوع طرف، أو كبرق يلمع

* * *

ولـه :

سرت موهنا تحوي فأبدت مسيرتي وحيّت فأحيتني بحسن التحية
ومنت، فمنت في مآبي إلى الحمى فؤادي بوصل الوصل بعد القطيعة
فإن حملتني ناقتي نحو دارها وصلت، وإلّا متّ في دار غربتي
عزيزة وصل عزّني الصبر دونها فقابلت عزّ الوصل منها بذلتي
ولو لم تر الإخلال مني بحقها لما منعتني الوصل، وهي خليلتي
فأمسيت في نار الجفا بعد هجرها أردّد في نار الجوى بعد جنُة
إذا أخرجتني من لظاها مطامعي أعاد بيأسي وارداً نار خيفتي
وحزني على ما فات من زمني بها بقطر أجفاني بتصعيد عبرتي
ألمت، فلمت بالأسى شعث الأسى فأخلق تجديد الأسى ثوب جدتي.
وأهدت لعيني في المنام خيالها يعاتب جفني بالكرى بعد هجعة.

وقالت: سلوت الحب، قلت: أعوذ بالغرام من السلوان إلاَّ لسلوتي

فساء فؤادي بالتودع ساعة ورد سروري بالوعود الجميلة.

ولولا اعتلاقي في الهوى بوعودها لما سلمت من لوعة البين مهجتي

* * *

ومن قصيدة أخرى:

وقل: سلام اللّه في كل ضحى عليكم يا ساكني هذا المحل.

لبّيكم لبّيكم من مغرم أذلّه البعد، وغرته السّبل.

علّله القلب بأن يصحبه من بعدكم حتى رحلتم فرحل.

وحالت الوعاء بين قلبه وبينه، وانقطعت فيه الحيل.

فما ارتوى من بعد غدرانكم فؤاده الصادي، ولم يلق البلل.

وقلما أبقى الضنا من جسمه وإن تمادى هجركم يفني الأقل.

يعلل القلب بآمال اللقا وليس تشفى بالتعاليل العلل.

ساق به إلى السياق قلبه وعاد عنه نادماً لما فعل.

فكان في أفعاله كقاتل أصبح يبكي رحمةً لمن قتل.

من أعلام الفكر العلوي القديم
٤٠٠ هـ
منتجب الدين العاني

جاء في الجزء الثالث من تاريخ الأدب العربي لبروكلمان في الترجمة للمنتجب: «هو أبو الفضل، محمد بن الحسن، المنتجب العاني، الخديجي المصري».

أما لقبه المنتجب فيعني المنتقى المختار أو المصطفى المنتخب وهو يفتخر بذلك:

فها أنا مثل ما قد قيل منتجب
نجيبه الأصل بنت منتجب
عربية الألفاظ منتجبية
فخذها هنيئاً من المنتجب

ونسبته العاني، فترجع إلى البلدة التي وُلد ونشأ وترعرع فيها على الأظهر، و«عانة بليدة بين هيت والرقة، يطوف بها خليج من الفرات» وهي «قضاء في العراق «لواء الديلم» له ناحيتان: الحديثة والقائم، وقد استعمل النسبة لخمرته، فهي:

مسكيّة الألفاظ عانية

وقد استعمل اللفظة صفة لفؤاده في قصيدته الخامسة يقول[1] :

هات الأحاديث عن جرعاء كاظمة ... فلي فؤاد بهاتيك الربى عاني

ومن معاني الكلمة الأسر تقول : عني عنأ في القوم صار أسيراً فيهم ، فهو عان . والعاني : السائل من ماء أو دم . . وتقول : عنى الأمر لفلان : حدث ونزل به ، وعُني بالأمر : اشتغل واهتم به وأصابته مشقةٌ بسببه ، فهو عانٍ ، وعَني بالأمر : عُني به فهو عان . . والعاني : الأسير ، المعنّى الموجع .

أما نسبته الخديجي ، فهي نسبة إلى خديجة أو خديج وخدج واخدج ، فعلان يدلان على صفة النقص وتقول : خدجت الناقة : ألقت ولدها قبل الوقت وإن تمّ خلقه . فهو مخدج وخديج ، واخدج صلاته : نقص بعض أركانها ، ومن الطريف أن المنتجب العاني استعمل هذه الكلمة لممدوحيه ، وهو انتساب غريب لا سيما إذا جاء في معرض الفخر أو المدح يقول في مدح علي بن بدران :

هو الخديجي ذو المجد الأثيل ومن ... أضحى به الدين في عزّ وتأييد

ويقول في مدح حسين بن فضل وإخوته :

خديجيّ بالدين القويم بهالت ... إلى نيل ما يختاره ينتسبُ

ولعلّ النسبة إلى خديجة عليها السلام زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولعلّ هذه جدّة عظيمة لهؤلاء جميعاً . . . ولكن الإنتساب ديني ، وما في أيدينا من التاريخ ما يساعد على كشف انتساب هؤلاء إلى تلك الخديجة ، إلاّ من قبيل التخمين ، فقد يكون اعتزازهم بالإنتساب إلى خديجة أم المؤمنين ـ رضوان الله عليها ـ زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ووالدة فاطمة عليها السلام سيدة النساء ، ونعرف في التاريخ مثل هذا الإنتساب إلى فاطمة بنت

---

(١) فن المنتجب العاني ـ أسعد أحمد علي ـ دار النعمان بيروت ص ١٠٠ ـ ١٩٦٨ .

النبي ، وإلى ذلك ينتسب الفاطميون[1] .

وأما نسبته المضريّ ، فهي نسبة إلى مضر ، وبنو مضر بن نزار : من أمّهات القبائل العربية . كانت ديارهم في ما بين النهرين على الفرات ، وهي قبيلة النبي العربي محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي المعاجم أنَّ مضر سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر أي الحامض . والشاعر يذكر أن معشره تضرب جذور مجدهم إلى مضر الحمراء . وقد ذكر في صفة الحمراء أقوال : منها أنها صفة مكتسبة من الذهب ، ومنها أنها مكتسبة من الأعلام ، فقد كانت أعلام مضر حمراء ، وربيعة كانت أعلامها صفراء وهو يفخر بهذه النسبة يقول :

وإني نميري اليقين . . . ومعشري إلى مضر الحمراء في المجد تضربُ

ولعلَّ المنتجب أراد أن معشره أي جماعته من الرجال أمجدوا أبناءهم باختيار أمهاتهم من مضر الحمراء ، لأنها العشيرة المجيدة ، سيدة في الجاهلية ، وبانية الإسلام ويكفي في فخرها انتساب سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليها ، ولذلك ينتهي إليها أشرف نسب وأفخر سبب ، إذ كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما عداه . ولعلّ الشاعر أراد أنه مضري حسباً ونسباً ، ومعشره اليوم يشبهون قومه بالأمس :

بها ليلُ في الإسلام سادوا ولم يكن كمنصبهم في الجاهلية منصبُ

مولده ـ أصله ـ موطنه :

قال مؤرخ العلويين ، محمد أمين غالب الطويل في تاريخ العلويين : «والأمير المكزون» مع الشيخ منتجب العاني المولود في «٥٩٥ هـ» هما العالمان المتأخران ، ولم يرَ العلويون من بعدهما من يماثلهما بالعلم والتقوى»[2] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ العلويين ـ مصدر سابق ٣١١ .

وقال السيد منير الشريف ، في كتابه : «المسلمون العلويون ، من هم ؟ وأين هم» : «وإن أسرة السيد محمد العاني الملقب بالمنتجب العراقي الذي ولد : ٤٣٩ هـ رحلت إلى جبال العلويين واستوطنتها»[1] .

فكيف يمكن التوفيق بين ما ذكر وبين ما ذكره بروكلمان من أن المنتجب توفي حوالي ٤٠٠هـ ، إن ذلك ممكن من شعر المنتجب ، وما يرافقه من مطابقات ومؤيدات . . ويمكن قبول رأي بروكلمان عند الدكتور أسعد علي صاحب «فن المنتجب العاني وعرفانه» بتحديد الوفاة من جهة ، وافتراض بداية لتلك الحياة التي حدّد نهايتها وذلك من وجوه :

١ ـ نسق الشعر المنتجبي شبيه بالنسق العباسي في القرن الرابع ، بعيد عن الزخرف اللفظي المعروف بعصور الانحطاط ، وفي دارسة الأبواب التالية من هذه الرسالة يتكشف الطابع العباسيّ ، ويزول وهم الإنحطاط الذي حطه المؤرخان المذكوران للمنتجب فنشراه من القرن الخامس حتى القرن السابع .

٢ ـ القصيدة الأخيرة في ديوان المنتجب ، باطن الدين ، حكاية طويلة في ستمائة وخمس وتسعين شطرة من بحر الرجز[2] . . . يوازن فيها المنتجب قصيدة لرأس باش ملك الديلم ، ويمدحه ، ويرثيه كما يظهر من خاتمة القصيدة .

وفي دائرة المعارف للبستاني تاريخ لملك الديلم هذا ، وتعليق من شارح المنتجب يطابق فيه بين ترجمة الدائرة وبين نصوص المنتجب .

---

(١) المسلمون العلويون ـ مصدر سابق ـ ص ٨٦ ـ .

(٢) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ مصدر سابق ـ ص ـ ١٧ ـ .

وتقول الدائرة : «هو أبو منصور عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي أوصى إليه والده حين مرض ٣٤٤ هـ وقلده الأمر بعده» .

وقال شارح الديوان معلقاً على الدائرة :

«فقول المؤرخ هو أبو منصور مطابق لقول السيّد المنتجب في مديحه «خلاصة الوقت أبا منصور» سوى أن كلام الناظم يخالفه بقوله : ابن أبي منصور بختيار . . وفي بعض الدواوين ، قال الملك منصور . وفي بعضها قال شهاب الدين أحمد بن بختيار . . ولا يخلو من إشكال لتضارب الأقوال ولا يصحّ أن يكون ولد صاحب هذه الترجمة هو الناظم «يعني لقصيدة عقيدة الديانة التي يوازنها المنتجب» لعدم موافقة التاريخ لأنه هو أول تلاميذ الشيخ «يعني الشيخ الخصيبي» فلا يمكن التوفيق بين هذه الإختلافات ـ على ما أرى ـ إلاّ إذا كان اسم منصور لقباً لكل فيصح أن يكون منصور وأبا منصور وابن أبي منصور . . والله تعالىٰ أعلم» .

وبروكلمان يحدّد وفاة الخصيبي سنة ٣٤٦ هـ ، أو ٣٥٨ هـ . . ويحدّد وفاة ابنه شهاب الدين بختيار بن أبي منصور رأس باش الديلمي العجمي سنة ٣٨٥ هـ ويذكر قصيدته في التصوف ، التي وازنها المنتجب ، وهو يرى بذلك رأي «منكانا» ويحدد وفاة المنتجب سنة ٤٠٠ هـ[1] .

وبالعودة إلى قصيدة المنتجب التي وازن بها ابن أبي منصور ، على رواية بروكلمان . . والقصيدة ذات نفس طويل جداً ، فيها الإلتفات إلى المنزل الخليّ ، والبكاء على أطلاله حفاظاً على عهود الغرام الأول لحبيب مهفهف رشيق ، سقاه خمرة جلت عنه الغسق الدجيّ ، فعرف هداه ، وفهم الأشباح والأرواح : وما تعرض له من أحوال وعبادات ، وما

---

(١) المصدر السابق .

تنطوي عليه من ضلالات أو هدايات . . يتلمس هو عناصر الهداية في سبّاقين إلى المعرفة من إخوته بالله . . من هؤلاء الأخوة «العالم الموفق المبرور» الذي يقدم له قصيدته الحرَّة العذراء عروساً :

أنكحها المظفر الصفيّا
خلاصة الوقت أبا منصور
خصّ بسعي في العلى مشكور
والجزء لن يساوي الكليّا

وهنا يطيل في مدح صاحبه وتعداد صفاته ، ويروي قصة معرفته من الأزل ، وكيف تقلّب في الأزمان ، وظلّ مؤمناً بربه الذي قال : «لا إله إلاّ هو» من النداء الأول . . . ولكنه بعد الهبوط ظلّ يغوص في بحار العلوم ، ويزداد إيماناً بالله على إيمان ، نتيجة مجاهداته الروحية التي جعلته أخيراً يؤمّ العالم القدسي أي ينتقل بالموت إلى عالم حبّه الأوّل ، حيث يدخل في نعمة ربّه راضياً مرضياً . ويختم القصيدة هنا مضيفاً أنّ النجاة في مثل هذا السبيل الذي يسلكه أبو منصور لمن أراد أن يكون عند ربه مكرّماً :

حتى إذا ما أكمل الخصالا وتمّم اللّه له الجلالا
وعمّ إخوان الصفا أفضالا ونال من كسب العلى ما نالا
راح يؤم العالم القدسيا
به غدا وجه الزمان أبلجا ومنصب المجد به مُتوَّجا
وهو لمن يرجو النجا نعم الرجا ومن حذا كحذوه فقد نجا
وكان عند ربّه مرضيّا

ويرى صاحب «فن المنتجب العاني وعرفانه» أن هذه القصيدة ليست موازنة لقصيدة الديلمي فحسب ، ولكنها كما يبدو رثاء له ، أي قيلت بمناسبة انتقاله إلى العالم القدسي ، وإن كان مفهوم هؤلاء للموت لا يثير الأحزان لأن الموت للعارف انتباه ومشاهدة لوجه الحبيب . . ومع

ذلك لم تخل من ذكر الموت والدعوة للتزود لرحلته الطويلة ، إذ قال فيها :

ألا لبيب يعقل الأمورا ألا جهول يسأل الخبيرا
ألم تروا الموت لكم نذيرا لا يتقي الجليل والحقيرا
ولا يخاف البطل الكميّا
تزوّدوا لرحلة الأسفار وشمّروا لفرقة الديار
وخففوا من ثقل الأوزار فليس يدري حادث الأقدار
أبكرة يهجم أم عشيّا

ثم يعطي مثالاً من سلوك أبي منصور ، فمن يسلك سلوكه فقد نجا . . .

فإذا صحّ أن القصيدة كانت رثاء للديلمي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وكان «منصور» الذي ذكره في القصيدة السابقة لها هو الديلمي نفسه . . يكون المنتجب قد عاصره وعرف عنه ما حدّث به في قصيدته هذه ، وقد تكون من آخر شعر المنتجب الذي وصلنا ، وتساوي ثلث شعره ، ويلخص معظم آرائه في الخالق ، والإنسان ، والعالم ، وفي كيفية المبدأ والمعاد ، وقد لا يكون عبثاً وصولها إلينا آخر قصيدة في ديوانه . . هنا أجتهد بتحديد سنة ولادة المنتجب ، وأرجح أنها في أواخر الثلث الأول من القرن الرابع لأن بروكلمان حدّد وفاته بحوالي سنة ٤٠٠ هـ . . وهو يذكر في شعره أنّه كبر ووجد طول همّ وتنكيد ، بل صار الشيب له رداءً وعمامة على حدّ تعبيره :

وكيف يرجو وصال الغانيات فتى معمّم برداء الشيب منتقبُ؟

وقد يكون تحديد بروكلمان تقريبياً، وكلمة حوالي تبيح لنا هذا الفهم ، وبذلك نظن أن المنتجب قد تجاوز السبعين من العمر ، وإذا كانت وفاته حوالي ٤٠٠ هـ أي يتراوح تحديدها بين ٣٩٥ ـ ٤٠٥ هـ . .

إذا كان ذلك كذلك فإن تحديد ولادته يتراوح بين ٣٢٥ ـ ٣٣٥ هـ . .

وهذا أقرب إلى الصواب مما يزعمه الأستاذان الطويل والشريف . ولا نظن بعد ذلك ، تناقضاً ممّا خشيه السيّد شارح الديوان ، خصوصاً فيما يتعلق بمن وازنه المنتجب أو رثاه ، عنيت بختيار الديلمي ، لأن وفاة الخصيبي سنة ٣٤٦ هـ أو ٣٥٨ هـ لا يمنع أن يكون قد تلمذ على ابن أبي منصور المتوفى ٣٨٥ هـ فالفرق بينهما في العمر حوالي ٣٠ عاماً . . وهذا فرق طبيعي بين المريد وشيخه[1] .

٣ ـ بالإضافة إلى طابع القرن الرابع على شعر المنتجب ، وقد أوضحت قصيدته باطن الدين معاصرته لملك معروف عاش في القرن الرابع ، وهو أبو منصور الديلمي والخلاصة أن الراجح في ولادة المنتجب هو ٣٣٠ هـ ـ ووفاته حوالي ٤٠٠ هـ وبذلك يكون شاعراً عباسياً من متصوفي القرن الرابع هجري ، ولفنه طوابع ذلك العصر ، ولتفكيره مميزاته والله أعلم .

عصر المنتجب وبيئته :

في هذا القرن تغلب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها ، فصارت فارس والريّ وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن إلياس ، والموصل وديار ربيعة ، ودياربكر وديار مضر في أيدي بني حمدان ، وأصبحت مصر والشام في يد محمَّد بن طغج الأخشيد . والمغرب وإفريقية في يد الفاطميين ، والأندلس في يد عبد الرّحمٰن الناصر الأموي ، وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني ، والأهواز وواسط والبصرة في يد البريديين ، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، ولم يبق في يد الخليفة إلاّ بغداد وأعمالها .

---

(١) في المنتجب العاني وعرفانه ص ٢٠ ـ .

وإذا كـانت فرضيـة أن حياة المنتجب العـاني امتدت بين ٣٣٠ هـ إلى ٤٠٠ هـ كما ذهب إله بروكلمان ورجحه الدكتور أسعد علي فقد ذكر أبـو الفداء في تـأريخه أن هـذه الحقبة كـانت مسرحـاً لأحـداث مختلفـة منهـا : هرب الخليفـة من بغـداد ، والتجـاؤه إلى ابن حمـدان صـاحب الموصل الذي حماه، وأعاده إلى بغداد . ومنها نهب الديلم الفرس لدار نـاصر الـدولة بن حمـدان ، وثورة ولـد التركي واستيـلاؤه على بغـداد ، وتنصيبه أميراً لـلأمراء من قبـل الخليفة . ومنهـا انتهاب معـز الدولـة ابن بويه الديلمي لدار الخليفة ، وسجنه حتى الموت . ومنها استيـلاء عسكر المعتـز العلوي على قسم من سـوريـة . ومنهـا تغلب الـروم على حلب وحمص وحمـاه ، ثمّ انهزامهم وطـردهم . ومنهــا تملك القــرامــطة لـدمشق . . ووصول الـروم إلى الجزيـرة والـرهـا ونصيبين ، حيث قتلوا العرب المسلمين فيها وهرب الباقي إلى بغـداد ، فدفـع الخليفة المـطيع أربعمائة ألف درهم إلى بختيار بن بويه الديلمي لينفقها على غزو الروم ، ولكنه لم يفعل شيئاً . . ومنها اشتداد القتال بين التـرك ، وبين بني بويـه الفـرس في بغـداد . . ثمّ ضعف أمـر الـديلم في بغــداد وتسلط الأتـراك عليها ، وتدهور الأوضاع العـامة في السيـاسة والإجتمـاع ، «تاريـخ أبي الفداء جزء ٢ ص ٣٨٨» .

ومن الناحية الإجتماعية ظهـرت عادة الإحتفـال بالأعيـاد وهي عادة قديمة حملها الداخلون في الإسلام معهم ، ولم يرض الـذين دخلوا في الإسلام من أهل تلك البـلاد بأن يحـرموا من الإحتفـال بهذه الأيـام التي كانت تزدهي بها حياة آبـائهم الوثنيين من قبـل . ولكن المسلمين خلافـاً للكنيســة النصرانية أنفوا في الغـالب من وضع الأسـاطير . وقـد تـركـوا النصـارى يتصـرفـون في أمـورهم الـدينيـة من غيـر تـدخـل في ذلـك ، واشتركوا في الجانب الإجتماعي المسلي بتلك الأعيـاد كما فعـل آباؤهم من قبل ، فمثلاً كانت أعياد أهـل بغداد أكثـر الأعياد نصيبـاً من احتفال الناس لا سيما أعياد القديسين في مختلف الأديـرة ، وكانت نصـرانية من

كل وجه ، وكانت هذه الأديرة لا تخلو حتى في غير الأعياد من الزوار الذين لا تربطهم بالدين صلة . ـ الحضارة الإسلامية ص ٢٧٦ ، وكان يوم أحد الشعانين يوم عيد كبير عند العامة ، ولا بدَّ أنه كان عيداً قديماً من أعياد الأشجار ، وخصوصاً أشجار الزيتون ، وكان في مصر يسمَّى عيد الزيتونة فقط . وكانت الوصائف في يوم أحد الشعانين يظهرن في قصر الخلافة ببغداد ، متزينات في ثياب جميلة غالية ، وفي أعناقهن صلبان من الذهب ، وبأيديهن قلوب النخل وأغصان الزيتون . «الأغاني جزء ١٩ ص ١٣٨» .

وفي ليلة عيد الميلاد «٢٥ ديسمبر» وعيد الشمس كان يحتفل بها بإيقاد النيران وكذلك كان المسلمون يحتفلون أيضاً بليلة الوقود التي تعرف بالسّدق وتكون بحسب ما ذكره ابن الأثير وأبو الفداء في ليلة عيد الميلاد . وجرت العادة في القرن الرابع هجري بالتبخير ليلة الوقود لدفع المضرّة . «الآثار للبيروني ص ٢٢٦» ومن الناحية الدينية لم يكن تمزق الدولة الإسلامية مقصوراً على الشكل السياسي في صورة الدول التي آلت إليها من عباسية وفاطمية وعلوية وأموية ، ولكن هذا التمزق كان أعمق من الشكل وأخفى من الظاهر ، فقد تناول العقيدة نفسها وقد أدى التمزق الروحي إلى التمزق السياسي .

ولمَّا أغار الروم في سنة ٣٣٢ هـ ـ ٩٧٢م على الرُّها ونواحيها . وساروا في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين ودخلوا ديار بكر ، فغنموا واستباحوا ، وقتلوا وسبوا ، وخربوا البلاد . . قصد بغداد من نجا من أهل تلك البلاد مستنفرين ، واجتمع معهم أهل بغداد في الجوامع ، وأصابهم جميعاً غضب اليائسين فكسروا المنابر ومنعوا الخطب ، وقصدوا دار الخليفة ، فحاولوا الهجوم عليه ، واقتلعوا شبابيك دار الخلافة ، وخاطبوا الخليفة بالتعنيف فرماهم الغلمان من الرواشن[1] .

---

(١) الحضارة الإسلامية ـ آدم متيز ـ جزء أول ص ٨ ـ ٩ ـ لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ م .

وقد اجتمع من استنفار العامة للغزاة جمع عظيم من العامة والأجلاد يبلغ زهاء ستين ألفاً ، فطلب عز الدولة بختيار بن بويه من الخليفة المطيع لله أن يبعث له مالاً يخرجه للغزاة فامتنع الخليفة بحجة أن الأموال لا تجبى إليه ، فلا تلزمه نفقة على الغزاة ، وهدَّد بالإعتزال ، وتردَّدت الرسائل بينه وبين بختيار ، حتى بلغ الأمر التهديد ، فبذل المطيع أربعمائة ألف درهم واحتاج في ذلك إلى بيع ثيابه وأنقاض داره من ساج ورصاص وشاع بين الحجاج أن الخليفة قد صودر ثم تحزب الغزاة إلى سنيين وشيعيين ، ووثب بعضهم على بعض ، وأعرضوا عن ذكر الروم جانباً ، ولما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة[1] .

وقد أحسَّ المسلمون من أعماق نفوسهم بحاجات جديدة في الدين ، وسرعان ما تقدَّمت لسدِّ هذه الحاجات الديانات القديمة التي كانت دائماً مستترة وراء ستار ظاهري ، ولا سيما النصرانية ، أعني مجموعة الفلسفة اليونانية في عصرها الأخير في الشرق والمشرَّبة بالنصرانية ، وإن الحركة التي غيرت صورة الإسلام في أثناء القرنين الثالث والرابع ليست في مجموعها سوى نتيجة لدخول التيارات الفكرية النصرانية في دين الإسلام[2] ويقول صاحب تاريخ الحضارات العام جزء ٤ :

«كان هدف أوروبا خلال قرنين كاملين بلوغ آسيا . فالوصول إلى الهند والصين واليابان ، واستثمار ما فيها من موارد طائلة ، وحمل سكانها على اعتناق المسيحية ، والقيام بحركة التفاف على الإسلام ، من الوراء

(١) تاريخ ابن الأثير - جزء ٨ - ص - ٤٥٥ - ٤٥٦ - دار الفكر بيروت ١٩٥٥ م .
(٢) الحضارة الإسلامية - مصدر سابق ص ١٣٠ .

والعمل على سحقه بحيث لا يبقى على الأرض سوى إيمان واحد وحضارة واحدة ، تلك كانت الغاية الأولى والأخيرة ، والحلم الأسمى البعيد الذي راود خواطر الأوروبيين بكثير من الإغراء» .

«وقد عبَّر البعض عن المثل الأعلى الجديد في الدين بأنه معرفة الله» وهذا المثل الأعلى الجديد ، حتى من حيث التسمية ، هو مذهب الغنوسطيين القديم ، يعود إلى الظهور في وطنه الأول ، وتصبح له السيادة طول هذين القرنين ، وقد ظهر عند أهل التفكير الحرّ في صورة مذهب عقلي أو مذهب لاهوتي علمي وعند الآخرين في صورة التصوُّف والذين بالغوا في التضييق بمعاني القرآن وسلوك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شجّعوا بل أوجدوا أصحاب الملل والبدع الإسلاميَّة وأصحاب التأويل الباطني الغالي ، حتى صار الباطنيّون كفرة بالنسبة للظاهريّين ، وصار هؤلاء حشوية مشبهة بالنسبة للباطنيين»[1] .

وكذلك عادت إلى الظهور كل علامات المذهب الغنوسطي الأول ، من علوم سرِّية ، وتنظيم للجمعيات السرِّية ، وإنشاء لدرجات في المعرفة بعضها فوق بعض ، وقول بصدور الموجودات عن الله وبالتوازي والتقابل بين العالمين ، وظهور خصائص الحكمة البابلية القديمة ونشوء مذاهب تتردد بين الزهد والإباحة ، وتصوُّر الكمال والسموّ الروحيَ على أنه «طريق» .

وتدلُّ أقدم الكتب الصوفية التي وصلت إلينا على أنه تأثّر بالنصرانية . . ولم تكن المملكة الإسلامية «مملوءة بالآلهة» المزعومين ، كما امتلأت في ذلك العصر ، حتى انمحت الحدود بين الله وبين عبده ، وصار بعض المتصوفة يدَّعون الوصول إلى درجة الإتحاد بالله ، ويروي أبو العلاء لبعض أهل النحلة الحلولية[2] :

---

(١) المصدر السابق جزء ٢ ص ٤٢ .

(٢) ديوان ابن هانيء ص - ٤٠ - بيروت ١٣٢٦ هـ .

رأيت ربي يمشي بلالكة في سوق يحيى فكدتُ أنفطرُ
فقلت: هل في اتصال الناطمع؟ فقال: هيهات! يمنع الحذر

وكان بين يدي بعض الطوائف القائلين بالمهدي من يعبث بالقول ، فيصف الخلفاء بالألوهية ، على نحو لا نظير له من قبل ولا من بعد ، فمن ذلك غلوّ ابن هانىء في مدحه للخليفة المعزّ ، حتى كفّره العلماء في قوله :

ما شئت، لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ولمّا نزل الخليفة في مدينة رقادة، وهي قريبة من القيروان قال ابن هانىء:

حلّ برقّادة المسيح حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

وفي آخر ذلك العصر ظهر أمر الخليفة الحاكم بأمر الله ، ولا يزال الدروز حتى اليوم يعظمونه معتقدين أنه إلـه . وكما تحوّل الإسلام عموماً في هذا القرن ، كذلك تحوّل التصوف عن أصله . . ويروي الكندي أخبار صوفية أتقياء من أصحاب النزعة العلمية ، أخذوا جادين بالواجبات المفروضة على المسلم ، وكانوا يتدخلون في حياة المجتمع تدخلاً شديد الوطأة(1) .

وأوّل ما أُطلق اسم الصوفية على هذه الجماعات، وذلك أنه كان يُقال لخواص الناس ، ممّن لهم شدة عناية بأمر الدين ، الزهاد والعباد ثمّ «انفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالىٰ ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم

---

(1) الحضارة الإسلامية جزء ٢ ص ١٦ .

لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة»[1] .

ولم يكن في مذهب هؤلاء القوم في أول أمرهم شيء من مذاهب الصوفية الذين جاؤوا بعدهم . أما نمو مذهب الصوفية وتكامله فقد كان كله في المشرق ، وخصوصاً في بغداد ، وكان نمواً سريعاً متتابع الخطى .

وتحوَّل التصوف عن أصله الذي عنه نشأ حتى : «خرج الصوفية عن طريقهم الأول بالكلية فعلى حين أنهم كانوا في أول الأمر تدفعهم غيرة الأتقياء إلى التدخل في حياة الجماعة وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى جرّهم ذلك إلى معارضة أمر السلطان أحياناً . نجدأبا عمرو إسماعيل بن نخشد «المتوفى بمكة عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦م» يُسأل عن التصوف ، فيقول : هو الصبر تحت الأمر والنهي ، وهذا ينطوي على ترك «الأمور على مجاريها ، وعدم المبالاة بما تكون عليه حياة الجماعة»[2] .

وكان التوكل أكبر عقيدة للصوفية في القرن الرابع الهجري . وكان مذهبهم يقوم على أربعة أصول ، فكان فيها بعد التوكل الصبر ، والرخاء ، والرجاء ، وهذا الرجاء شبيه باعتقاد البروتستانت بالفضل الإلهي . . وقد أثر الصوفية تأثيراً قوياً في الإسلام عن طريق قولهم بالتوكل حتى طبعوه بطابعه ، وهو ما يسمى بالإستسلام أو الجبر الإسلامي . . . ولم يكن للقول بالجبر عند المتكلمين ، ولا عند المنجمين من الأثر في الإسلام ما كان لتوكل الصوفية ، وما ذلك إلاَّ لأنَّ الصوفية كانوا يطبقون قاعدة التوكل ، جادّين كل الجدّ ، في شؤون الحياة اليومية العملية .

---

(١) رسالة القشيري - ص - ٧ - ٨ - مصر - ١٣٤٦ هـ .

(٢) القشيري - ص - ٢٨ - الحضارة الإسلامية جزء ٢ ص ٢١ .

أما النظرية الثانية الكبرى في مذهب الصوفية ، وهي مسألة الولاية ، فإنها مذهب نصراني غنوسطي ، والولي هو من يواليه الله وينصره ، وهذه فكرة صوفية أدخلها الصوفية في الإسلام ، فلم ينفك عنها في كلّ عصوره ، وهذا هو أكبر نجاح ظاهر للصوفية ، وهو النجاح الذي بدأ يظهر في القرن الرابع هجري[1] . . .

وللولاية شرطان هما : أن يكون الولي مُجاب الدعوة ، وأن تقع على يديه الكرامات . . . ولم يكن يدفع عن نفسه تقديس الأولياء إلاّ السنة المتمسكون بالنزعة القديمة . وكان الصوفية يزدرونهم ويشنعون عليهم بأنهم حشوية «مشبهة» أما المعتزلة فكانوا ينكرون بالكلية أن يختص بعض المسلمين بالولاية دون البعض ، ويرون أن جميع المسلمين الذين يطيعون الله ، ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله[2] .

أمّا مؤرخو القرن الرابع وأصحاب التراجم فيهم فلا يعرفون من الأولياء إلاّ الطائفة المسمين «بالأبدال» ويذكر ابن دريد المتوفى ٣٢١ هـ ـ ٩٣٣ م ـ أن الأبدال جمع بديل ، وهم فئة من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم أبداً وعددهم سبعون ، أربعون منهم في الشام وثلاثون في سائر البلاد . أمّا الهجويري في القرن الخامس هجري فهو يذكر طبقات أخرى من الأولياء : فهناك ثلاثمائة يسمون الأخيار ، وأربعون يسمّون الأبدال ، وسبعون يسمّون الأبرار ، وأربعة يسمون الأوتاد ، وهم يطوفون العالم بجملته في كل ليلة ، وثلاثة نقباء . وأخيراً يوجد القطب أو الغوث ، والأولياء هم ولاة العالم ، والحلّ والعقد منوط بهم ، وتدبير العالم موصول بهمتهم . «كشف المحجوب ص ٢١٤ ـ ٢٢٨» وأخيراً فإن المذهب الصوفي أنشأ اعتقاداً كانت له قوّة

---

(١) الحضارة الإسلامية جزء ٢ ص ـ ٣٨ ـ ٤٣ ـ المصدر السابق ص ٥٩ ـ ١٥٠ .
(٢) المصدر السابق جزء ٢ ص ٤١ ـ ٤٢ .

جاذبية كبيرة جداً من الناحية الدينية ، لأنه كان يشبع حاجة للتقديس موجودة قبل عهد الإسلام : فقد رفع هذا الإعتقاد محمداً ﷺ إلى درجة فوق درجة الإنسان ، حتى أوشك أن يرفعه إلى درجة الألوهية ، وقد رأينا من قبل أن القطب هو الذي يقوم مقام الإله عند الغنوسطيين[1] .

بهذه الأصول الثلاثة الكبرى ، وهي ما سُمّي بالإستسلام ، ثمّ تعظيم الأولياء ، ثمّ تعظيم النبي محمّد ﷺ . . رسم الصوفية ، في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، للحركات الإسلامية الإتجاهات الكبرى التي سارت عليها والتي بقيت إلى اليوم « ».

وكانت المذاهب النصرانية أيضاً هي الأصل الذي أتت منه جميع الآراء الأخرى التي جاء بها زنادقة ذلك العصر« ». ويذكر صاحب الحضارة الإسلامية أمثلة من أقوال منصور العجلي الملقب بالكف القائل : إنّ أول من خلق الله عيسى بن مريم عليه السلام ثمّ خلق بعده علياً «الفصل جزء ٤ ص ١٨٥» وكذلك ادّعى الشلمغاني أن روح الله حلّ فيه «الإرشاد لياقوت جزء ١ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧» وأن الله يحلّ في كل شيء على قدر ما يحتمل وأنه خلق الضدّ ليدل به على مضدوده فآدم وإبليس كلاهما يدل على صاحبه لمضادته إيّاه في معناه ، وكان يقول : إنه قبل اجتماع اللاّهوتية في علي وإبليسه اجتمعت في عيسى وإبليسه ثمّ في تلاميذه كلهم . . وكان المسعودي يعدّ الشلمغاني من الشيعة . «التنبيه للمسعودي ص ٣٩٦ ـ ٣٩٦» ثمّ ظهر حمدان قرمط في منتصف القرن الثالث الهجري ، وقامت الدولة الفاطمية ، وكان القرامطة يطيعون أمر الفاطميين . . وكانوا جميعاً يلجأون إلى التأويل .

ولعلّ أزهى ما في هذا العصر الناحية الأدبية ، والأدب هو جماع

---

(١) الحضارة الإسلامية جزء ٢ ص ـ ٥١ ـ .

الحالتين العقلية والفكرية فقد يعرض الأديب لسائر علوم عصره حتى العلوم التجريبية كما فعل الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٨ م في كتابه «الحيوان» ، ولا نعدم في الشعر ظلال علوم الدين ، والمذاهب الفقهية ، وعلم اللغة ، ولا سيما الشاعر على وجه أخص ، فهو مرهف الحساسية ، سريع التأثر والإنفعال بما يثقفه ويدور حوله .

وقد تجلت أحوال العصر أوضح ما تكون في الأدب ، من اختلاط دم الأمّة العربية ونضوب قوّة الطبقة العليا فيها ، التي كانت بيدها القيادة ، إلى بروز الشعوب الشرقية القديمة التي كانت تتألف من أجناس مختلفة .

فمنذ حوالي عام ٢٠٠هـ ـ ٨٠٠ م ـ بدأ الأدب يتحرك بحركات جديدة ، وتيقظ في الناس ميل إلى الطرائف المستحدثة ، وعاد الأدب مرة أُخرى إلى كشف ما يحيط بالإنسان في حاضره . وأصبح يلذُّ له البحث فيما حوله من حياة متشعبة النواحي وإن لم تكن حياة بطولة وروح سامية[1] .

ورسائل القرن الرابع الهجري هي أسمى آية من ازدهار الفن الإسلامي ، ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان ، وهي اللغة ، ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنان في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة ، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة ، وتلاعبهم بذلك تلاعباً[2] .

وقد تبوأت المعاني المقام الأول . كما هو الحال في كل شعر

---

(١) الحضارة الإسلامية جزء ١ ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٩ .

غايته الجري وراء المستطرفات ، وكان الشعراء يتلمسون العبارات ذات المعاني الرائقة والتنويع في تأليف الأبيات الشعرية ، وفيما تتضمنه من تشبيهات وتصورات . . ونجد هذا الجري وراء ما هو غير مألوف من المعاني الجديدة يتمشّى في الشعر العربي طوال القرن الرابع الهجري ، وهو قد أيقظ جميع حواس الشاعر ، ونبهها تنبيهاً كبيراً ، ليستخرج أعمق ما في باطن الأشياء من أسرار ، وليكشف عن أغرب خصائصها . وأول ما نلاحظ أن الشعر لم يكن له بدّ من أن يقوم مقام الفن التصويري ، فالكثير ممّا يعبر عن الشاعر ما هو إلّا تصوير ورسم لما تجيش به نفس الشاعر ويضطر إلى إبرازه في صورة من الألفاظ .

وقد اتصل العرب بشعوب أُخرى تختلف عنهم اختلافاً تاماً ، وقد كان لهذه الشعوب فنون غير الفنون الكلامية ، ولكن العرب لمّا غلبوا عليم علموهم الكلام لا التصوير ، أي أنهم وضعوا في أيديهم القلم بدلاً من ريشة الرسام المصوِّر ، ولما آل الأمر إلى هذه الشعوب وأصبحت هي القابضة على زمام الفن الأدبي ، زاد الشعر التصويري زيادة كبيرة . . . وكان شعراء العرب القدماء قد اختصروا دائماً في وصف الطبيعة المحيطة بهم بنوع خاص . وكانوا منذ القدم يذكرون شيئاً من وصفهم في شعر الشراب ، أمّا الشعراء المتأخرون فقد جاؤوا في هذا الباب بأدق التشبيهات . . كابن الرومي ، وابن المعتز ، والصنوبري ، ولهذا الأخير طرائف في هذا الباب ، فقد اعتبر النرجس ملكاً للأزهار ، وقال فيه[1]

أرأيت أحسن من عيون النرجسِ ... أم من تلاحظهنّ وسط المجلس؟
درر تشقّق عن يواقيت على ... قُضُب الزمرّدِ فوق بسط السّندسِ
أجفان كافور حففن بأعين ... من زعفران ناعماتِ الملمسِ

(١) فوات الوفيات للكتبي جزء ١ ص ٦١ طبعة القاهرة ١٢٩٩ هـ .

فكأنها أقمار ليل أحدقت   بشموس أفقٍ فوق غصن أملسِ

ولكن هذا لا ينفي ، أنّ عدداً من الشعراء الكبار تمسكوا بطريقة العرب القدماء . . . فالمتنبي الذي يرجع أصله إلى العراق ، والذي نشأ في الشام ، نجدة يتمسك بطرقة العرب القدماء ، خلافاً لهؤلاء الشعراء المحدثين . .

وكذلك كان الشاعران الشاميان ، أبو تمّام والبحتري ، قبل المتنبي . .

وكذلك كان أبو فراس الشاعر الشامي «المتوفى ٢٥٧ هـ ـ ٩٩٨ م» ينسج على منوال القدماء ، لم يحد عن ذلك قطّ .

هذه ومضات من الناحية الأدبية في القرن الرابع الهجري ، تشير إلى امتيازه بتيارين كبيرين ، هما : تيار القديم ، وتيار الجديد . . وإلى بروز مميزات فنيّة خاصّة في قلب كل من التيارين ، كظاهرة التصوير ، ووصف الطبيعة ، أو تقديم المعاني ، والولع بالجديد أو بالقديم[٢] .

المذهب الشعري الفني عند المنتجب :

وهو في هذا المضمار عصري جداً ، أخذ من مجتمعه المصطلحات الشائعة في ملاذّه واحتفالاته واستخدمها لمآربه الروحية .

وقد استعار من مجتمع بغداد مصطلح «الظبي الغرير» وأشرب التركيب معنى صوفياً وحوّله إلى رمز لذات الله المقصودة . وأضفى على رمزه ظلالاً تمسك بالسرّ الذي يحافظ عليه بحسن الوفاء لكي لا يظهر الضدّ على كنوزه ، ولكنّه ألقى عليه أضواء توحي به للعارفين، فجعل فؤاده مسكناً للظبي الغرير ، وهو يعني استدامة ذكر الله عند العارفين ، وجعل نفسه عبداً مملوكاً وأسيراً لهذا الظبي في حالتي النأي والدنوّ ،

---

(١) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ ص ٤٧ مصدر سابق .

وهما رمزان للباطن والظاهر . . وهو شديد الولع بظبيه الغرير ، يلومه على حبّه اللائمون فيبصرهم بمعنى الحبّ الوفي ، ويعلن قراره الأكيد بأن محبته الباطنة ، والظاهرة وقف على هذا الظبيّ الذي أخذه من مجتمعه ورفعه رمزاً لذات الله التي لا يشرك بمحبتها أحداً ، وأما نصيب الخلق منه ، فمدح لنوعية من الناس ، تطلب عُلى الله وتثني على آلائه[1]

وظبي غرير رخيم الدلال ... كغصن الأراك إذا ما انثنى
لفرط غرامي له في الهوى ... جعلت فؤادي له مسكنا
ومكنته فحوى مهجتي ... فأصبح مني بها أمكنا
وها أنا في قيد ذلّ الغرام ... أسيرٌ له إن نأى أو دنا
أقول لمن لام فيه : اتئدْ ... فلا تحسبنّ الهوى هيّنا
جعلت هواي له والغرام ... ومدحي لأهل العلى والثنى

وكان من العادات الإجتماعية ، عادة الإحتفال بالأعياد النصرانية ، والفارسية ، بالإضافة إلى الأعياد الغربية . وكان يرافق هذه الإحتفالات ظهور الوصائف في قصر الخلافة ببغداد ، وهن يحملن أكلة الزيتون، كما تقدم في الوجه النظري للحياة الإجتماعية . . والمنتجب ينقل هذه العادة اميناً فيفرد قصيدة خاصة لها ، ويتناول بها الأعياد العربية أولاً ، فالفارسية والنصرانية ثانياً ومنها قوله[2] :

ومهفهف الأعطاف أضحت بابل ... في سحرها تغري إلى أجنانه
وافى يحثّ سلافة لألاؤها ... في كأسها كالبرق في لمعانه
فاشرب على الأعياد راحاً أقبلت ... تُنبيك عن مبدأ الورى وكيانه

---

(١) فن المنتجب العاني وعرفانه ص ـ ٤٩ ـ .
(٢) المصدر السابق ص ـ ٥٠ ـ .

فرضاعها في كل عيد مقبل أمن لمن يبغي سبيل أمانه . . .
فجماعة الأعياد عندي تسعة وثلاثة للمرء في حسبانه
منها ثمانية أتت عربية نفلاً يقوم الحقّ في برهانه
والفارسية أربع مشبوتة لمحقق للنقل في ديوانه :
يأتي بذكر المهرجان وإنه عيد يقوم الوقت في ميزانه
من بعده الميلادُ وهو مشرِّفٌ فتغنّم اللذات في إحسانه
فيه لنا ظهر المسيح مخلّصاً ومبشراً يدعو إلى ديانه[1]
يتلوه آذار وسابع عشرة تتراكض الأفراح في ميدانه
وقرينة ميقات أنس جدّة في الرابع الميمون من نيسانه
فانعم بآذريونه وبآسه وبهاره والنور من حَوْذانه
واشكر لمن أولاكها من نعمة واعمل بما ترجوه من غفرانه

المذهب العقلي عن المنتجب :

وقد تقدّم أن عصر المنتجب ظهرت فيه نصوص تؤكد ظهور علامات المذهب الغنوسطي الأول من علوم سريّة ، وإنشاء لدرجات في المعرفة بعضها فوق بعض ، وقول بصدور الموجودات عن الله ، وبالتوازي والتقابل بين العالمين ، وظهور خصائص الحكمة البابلية القديمة ، ونشوء مذاهب تتردد بين الزهد والإباحة ، وشعر المنتجب حافل بهذه المعطيات ، وقد صبغها بصباغ إسلامي قرآني خالص فمن إشارته إلى العلوم السريّة[2] :

وسرٌّ يقلقل صمّ الجبا ل ويفجر من صخرها أعينا
عجائبه كثرة لا تعدُّ فطوبى لطرفٍ إليها رنا

---

(١) قصيدة عربية الألفاظ .

(٢) المصدر السابق ص ـ ٥١ ـ .

وفيه جواهر للمبصرين   بألباب أهل الوفا تجتنى
وفي طيّ أسرار أهل الحفا   ظِ تصان ومن عندهم تقتني
وفي قعره دررٌ لا وصو   لَ إليهنّ إلاّ بطول العنا
ومن خلف ذلك معنى إليه   أشار النهي وله أذعنا
ونمسك من بعد هذا المقال   حذاراً ونقطعه من هنا
لكي لا تلوح معاني الكلام   فيظهر ضدٌّ على سرّنا[1]

* * *

ومن قوله بإنشاء درجات في المعرفة بعضها فوق بعض ، وصدور الموجودات عن الله ، والتوازي والتقابل بين العالم العلوي والعالم السفلي من قصيدة جذوة التوحيد[2] :

وليس يبقى سوى ربي وخالص ما   يقدّم المرء من خير ويكتسبُ
ولي ليوم معادي حسن ظني بـ   الله العظيم الذي يُرجى ويُرتقبُ
وكلنا مجمع ، والله أعلم بالصـ   ـدق الذي لم يشبه الشكّ والكذبُ
بأن مولاي معنى ، إذ هو الأزل الـ   ـقديم . منكرهُ يقصى ويجتنبُ
والإسم محدَثٌ . والمعنى بقدرته   فمحدثٌ . وإليه منهما الهربُ
وهو المكوّن . والميم المكان . ومنْ   يشكّ فهو لنارٍ في لظىً لهبُ
والميم من دونه للمهتدي رتبٌ   علويّةٌ ليس تعلو فوقها رُتبُ
فتلك الأبوابُ والأيتامُ تتبعُهم   وخلفهم نقباء سادة نُجبُ
وإثرهم نجباء كلُّهم سلكوا   نهج الهدى وإلى نيل العلى وثبوا
وبعد ذلك مختصون ترفعهم   ومخلصون إلى مولاهم قربوا

---

(١) قصيدة التقية .

(٢) فن المنتجب العاني ـ مصدر سابق ص ـ ٥٢ ـ .

وكـلُّ ممتحنٍ أضْحـت طـويـتـه ... كـالشمس مشرقـة مـا شـابهـا ريـبُ
فـهـذه سبـعـة عـلويّـةٌ ظـهـرتْ ... دون الأوائـل منهـا السبعـة الشُّهـبُ
وبـعـدهـمْ سبـعـة سفليّـة نُسـبـوا ... إلى الـتراب، ومـا وارتهـم الـتُّـرَبُ
مـقـرّبـون كُـروبيـون قـصـدهُـمُ ... عـين اليقـين، ومعنـاهـا لـه الـطلبُ
وبـعـد ذلـك روحـانيّ تـتـبـعـهُ ... مقـدّسـون لمن يـشـنـاهـمُ الحَـرَبُ
والسّـائحـون ومعهـمْ كـلّ مستمـع ... والـلّاحـقـون بهم فـازوا بمـا كـسبـوا
فـهـذه سبـعـةٌ سـفـليّـةٌ طـلبـوا ... مـولاهـم وإلـيـه الحثُّ والـدأبُ

* * *

ونلاحظ عند الشاعر النسق الغنوسطيّ العقلي ، وهو قريب من العقلية الإسماعيلية ، وهو مزيج من التصوف والتشيع المتجاوب ، وهذا ما يراه الدكتور كامل الشيبي في كتابه : «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» ، وفيه يرى أنّ كل محاولات الإسماعيلية ، لإسباغ المظهر العلمي على العقيدة الجديدة بوصفها أحدث وأضبط ما توصل إليه العقل البشري، من الأنظمة الدينية داخل إطار الإسلام[1] .

وقد بدا لنا كيف أنَّ المنتجب في شعره التقط من علوم عصره مختلف نزعاتها ، مقيماً ومغترباً ، وانتخب منها جوهرها الصافي ، وابتكر ثماراً جديدة لها ، حتى بلغ أقباس جذوة التوحيد . وأما عن ظهور الحكمة البابلية القديمة فقد ذكرها بمعرض حديثه عن الساقي وعن فعله الساحر المؤثر أكثر من سحرة بابل .

وأمّا عن نشوء المذاهب المتردّدة بين الزهد والإباحة ، فقد عرض لذلك في صدد تناوله قضية بداية الخلق وكيفيته ، فإنه أخرج الناس من

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القر الثاني عشر الهجري ص - ٢٩ - ٣٠ - .

عالم الكون ، أي من تراب يفنى ، وبثهم في الأرض ، وأراهم آياته ، وعرض عليهم نفسه ليعترفوا بألوهيته ، كما اعترفوا من الذرء الأول ، قال تعالى : ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا﴾ [سورة الأعراف ؛ الآية ؛ ١٧٢] يوم ظهر لأرواحهم قبل تجسدها في هذه الأجساد الترابية . . وكما انقسم الناس من البدء ، فمنهم من استجاب ، ومنهم من حار وارتبك ، كذلك على الأرض منهم السعيد ، ومنهم الشقيّ . سلوكان مختلفان ومذهبان متناقضان ، وكما يقول أهل المنطق : النقيضان لا يجتمعان في مكان واحد ، ولا يرتفعان ، فهما متباينان ، وسيظل الناس كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فتعود الأجساد إلى ترابها ، وترتفع الأرواح مصعّدة تبغي السماوات يقول في عرائس[1] :

وها نحن في الأجساد يشقى أخو الشقا	ويسعَدُ فيها من له اللّه أسعدا
وما الناس إلَّا اثنان هذا أخو هدى	وهذا لغيّ في الضلال تردَّدا
وذا فاتكٌ في مذهب الغيّ سالكٌ	وذا ناسكٌ يُبدي تُقىً وتودّدا
فكن زارعاً ما أنت حاصده غداً	فما زرع الزرّاع إلَّا ليحصدا
ولا تبغ في الأرض الفساد ولا تكُنْ	لك الخير ممَّنْ لجّ في الظلم واعتدى
ولا تحسبنَّ المال خلّد أهله	فمن ذا الذي أضحى بمال مُخلّدا؟
وما المالُ إلَّا أن تسرّ ببذله	صديقاً صفياً أو تصدّ به العدى
ولا الدين إلَّا تركك الشرّ والأذى	ودفعُك بالمعروف عن خلّك الردى

* * *

وأما تصور الكمال والسمو الروحي على أنّه «طريق» فقد عرض له الشاعر في القصيدة البائية «جذوة التوحيد» وقد أخذنا منها صدور

---

(١) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ ص ـ ٥٥ ـ .

الموجودات عن الله ، والتوازن بين العالم العلوي والعالم السفلي ، وهو هناك صوّر الطريق التي سلكها هو في طلب العلم ، وابتكار المعرفة حتى بلغ ما يسعى إليه فاستأنس بأقباس نار التوحيد ، وفي قصيدة «عرائس» يصوّر الطريق التي ذهب فيها ممدوحه وأخوه في الله ابن كامل ، فيقول :

أصولٌ دقيقات المعاني غوامض	فطوبى لمن تلك المعاني تصيدا
وعن سرّها حلفُ المعالي ابن كاملٍ	وأوضحها للتابعين ومهّدا
وسار على النهج القويم ولم يكن	كمن لم يردْ من مذهب الحقّ موردا

وممدوح المنتجب هو من إخوة له تابعوه في الطريق التي مهدها لهم ، فطلقوا الدنيا الدنيئة واتجهوا نحو الكمال الروحي الذي شربوا منه شربة يظلّ مذاقها يجذبهم إلى منبعها الباقي : اللاّهوت سبحانه :

سقتهم يد اللاّهوت في الذرء شربةً	حلاوتها تبقى مع الدهر سرمدا

وبذلك يكون المنتجب قد مثّل أصحاب التفكير الحرّ في عصره ، وعرض لعلامات المذهب الغنوسطي ذي العناصر اليونانية المشربة بالنصرانية ، وقد ألبس كل ذلك ثوباً إسلامياً قرآنياً في مثل قوله ، من القصيدة السابقة نفسها ، ويعني ظهور الكمال المطلق لخلقه أول مرّة[1] :

تجلّى لأبصار البرايا بصورة	ممثلة بالذرء كان بها بدا
وقال لهم ، جهراً : ألست بربكم	فقالوا : بل أضحى لك الكلّ عبّدا

ونحن نرى أنّ المعنى مقتبس من قوله تعالىٰ في سورة الأعراف الأنف الذكر قبل قليل : ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم، من ظهورهم ذرّيتهم ، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم ، قالوا بلى، شهدنا أن

(١) المصدر السابق ص - ٥٦ - .

تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢] .

الصورة والتصوف عند المنتجب :

ذكرنا في فصل سابق من هذا الكتاب تحت عنوان : «العرفان والباطن عند المنتجب العاني» أنَّ المنتجب يستعمل كلمة الباطن كثيراً وكذلك يستعمل كلمة «العرفان» ولا يستعمل كلمة «التصوف» ولكن بما أن علم الباطن يساوي عند البعض «علم التصوف» وبناء عليه فإن المقصود بكلمة «الباطن» ومشتقاتها هو عين المقصود «بالتصوف ومشتقاته ،وقلنا هناك بأن المنتجب العاني اهتمّ بالباطن الإنساني وصفّاه شوقاً لوصال الباطن الإلٰهي ، والإتحاد به ، ويسميه سرّ دينه وأصل معتقده ، وإخلاص التوحيد هو الإقبال الكلي على الله بشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله وحده ، والإقبال الكلي على تكاليف الله للإحسان ، مع مساواة الباطن والظاهر ، وهو عين الإحسان الذي هو غاية المتصوفين الذين يعكفون على تنقية بواطنهم بالمراقبة والمجاهدة حتى يبلغوا مرتبة المشاهدة لله سبحانه ، والشهادة لله بالألوهية ، وما يتبعها من أركان التوحيد ، تكاليف واحدة للجميع ، فشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصّلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحجّ إلى بيت الله الحرام ، والإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر . . وقلنا هناك إنّ هذا دون مستوى الإحسان الذي يجاهد من أجله العارفون ، ولا يرتضون عنه بديلاً ، وقلنا إنّ في قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : «سلوني قبل أن تفقدوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض» إشارة إلى المقامات والأحوال . . فطرق السماوات : التوبة ، والزهد وغير ذلك من المقامات ، فإن السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماوياً وهي طرق السماوات ، ومنزل البركات ، وهذه الأحوال ،لا يتحقق بها إلاّ ذو قلب سماوي ، ولما كان السالك لا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف

أحكام ذلك المقام كان لزاماً علينا أن نبين ونشرح الرضا من المقامات ، واليقين من الأحوال .

وذكرنا بأن المتنجب يرسم في شعره من قصيدته «باطن الدين» تحت فصل : مجاهدات المتنجب في الطريق إلى الله» يرسم علم طريق الآخرة ، وهو الذي يعنى بكيفية تطهير القلب من الخبائث ، والكدورات بالكفّ عن الشهوات ، وإخماد القوى البشرية ، بقطع جميع العلائق البدنية ، والإقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم ، وهو يدعو لاختيار أخوة أصفياء ممّن هذّبوا نفوسهم في العلم والدين ، وفرّقوا بين الشك واليقين ، ونقلوا علومهم عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وحققوا ما نقلوه بتصفية بواطنهم ليتحد بباطن ما نقلوا من الهدى ودين الحق ، ثمّ إنه بعد التوبة إلى الله ، وحسن التوكل عليه ، وابتغاء وجهه سبحانه تستطيع السير في طريق المعرفة التي هي آخر مراتب الطريق حيث تصل إلى النعمة القصوى فيتجلى لك الحبيب وتشاهد جمال وجهه فتحظى بالسعادة الكبرى سعادة المشاهدة لوجه الحبيب «مولى علا عن رتبة الوصوف» .

وقد رأينا في القرن الرابع الهجري في الوجه النظري تأثر التصوف بالنصرانية حتّى الحلول . وكيف نشأ التصوف إيجابياً يتدخل في شؤون المجتمع ، ثمّ تحوّل سلبياً لا يبالي بشيء عُبّر عن لا مبالاته بأشكال مختلفة . وقد أوضح سهل التستري المتوفى ٢٨٣ هـ ـ ٨٩٦ م ـ طبيعة التصوف المطابقة للصورة التي عرضت للتشيع حين أشار على سائل سأله : مَنْ أصحب من الطوائف ؟ فقال : عليك بالصوفية فإنهم لا يستنكرون شيئاً ، ولكلّ فعل عندهم تأويل ، منهم يعذرونك على كل حال[1] .

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص ـ ٦٤ ـ مصدر سابق .

فالتصوف ، تحوَّل إلى لا مبالاة سمّوها التوكل ورافقها الصبر ، والرضا والرجاء . . وقام التصوف على ركني الولاية وتعظيم النبيّ محمد ﷺ ، بالإضافة إلى ركن الإستسلام . ومن شروط الولي أن يكون مجاب الدعوة ، وصاحب كرامات . . .

ولو تلمسنا كلّ ذلك في شعر المنتجب لما عدمناه . . فقد قال في التسليم أو التوكل ، كما قال في الصبر والرّضا والرجاء : فهو يحاول بلوغ الصفاء ، ولكنه يرى ذلك صعباً عسيراً ، مذ وقع الجمع والازدواج ، فمثل الروح والجسد كمثل ضوء السراج ودخانه ، فكيف نصفّي الضوء من الدخان ؟ الله وحده أدرى بسرّ العلاج ، والتسليم إليه أمان من التعب . . . هذا شأن الناس في شتى الدهور ، تتناوبهم أحوال الهموم والمسرّات ، ولذلك لا أمان بغير عبادة الله وشكره على كل ما أنعم والتوكل عليه في كل الظروف ، فالله وحده المرتجى ، والغاية . . . ننتهي إليهما بعد الحياة[1]

وربّك أدرى بسر العلاج فسلِّمْ إليه وخلِّ التعبْ
فوكل إلى الله كلَّ الأمور فإنك تلقاه في المنقلبْ

وأما ركن الولاية في التصوف عند المنتجب فهي نظرية عند المنتجب ألصق بالفكر الشيعي والتشيع والتصوف حتى التداخل واندغام أحدهما بالآخر أحياناً . والأولياء عند المنتجب هم بنو المصطفى ﷺ ، وبهم شرَّف الله من شاء تشريفه من الخلق ، والإعتراف بشرفهم وحقهم ، هو كأس الوفاء الهنيئة التي يقدمها المنتجب لمن يروم الصفاء ، ويعتبر الإمام أمير المؤمنين علياً أمير الأولياء أو المؤمنين على حد تعبيره . . . ويعتبر محبة الإمام علي عليه السلام أزكى

---

(1)) فن المنتجب العاني وعرفانه ص ـ ٥٧ ـ مصدر سابق .

الزاد في رحلة المعاد ـ كأس الوفا ـ عرائس ـ ولكنه لا يقصر ولاءه على بني المصطفى ، بل هو يحيي بشعره الخلصاء من إخوانه حيث كانوا ـ عربية الألفاظ ـ ، ويصحب إخوته في الله آل عمرو لأن مصاحبة الأشراف تشرف ، ويتقرب إلى الله بمدحهم ، وهم إخوانه في الولاية :

قوم بهم يبلغُ الراجي المنى وبهم ... يسمو إلى كلّ علويّ ونوراني
هم في اليقين أوداتي وهم عددي ... على الخطوب وهم في الدين إخواني

* * *

وقد عظم المنتجب في شعره النبيّ محمد ﷺ وقدّسه ، ولكنه تقديس إسلامي صحيح لا يرفع النبي إلى الألوهية ، بل يعتبره أول مخلوقات الله ، وأقربها إليه ، وحديثه عن النبيّ محمد ﷺ يندمج بالحديث عن الحقيقة المحمديّة ومعناه أنه ﷺ ، أول خلق الله وسرى نوره في آدم عليه السلام واستمر في الأنبياء إلى زمن النبيّ محمّد العربي ﷺ ، وهو المعني بآدم الذي سجدت له الملائكة قال تعالىٰ : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [سورة البقرة ؛ الآية : ٣٣] ويسمي المنتجب في قصائده النبيّ ﷺ الميم ويسميه الإسم وهو أحمد في السماء ومحمّد في الأرض ، وهذا الإسم هو المحدَث عن المحدث سبحانه ، وهو المكان الذي أحدَثه المكوّن تعالىٰ ، وهو المرسَل الذي أرسله المرسل جلّ علاه ، وهو المجاب الذي أشار إليه العارفون ، وهم المتصوفون الذين صاروا في الأحوال من مشاهدة ويقين وكشف ، وهو عقل يرشد بالهداية ، وهو البيت والعرش المكين ، للعارف الموقن ، يبوء إليهما ، ويستضيء بنورهما الذي وحّد الله قبل أن يوحده أحد . . والعارفون يتعلقون هذا التعلق بالنور المحمدي ليعرفوا الله معرفة يقينية لا تقليد فيها ، وهو يقول من قصيدته «عرائس» عن الخالق الأزل ، وتجليه في

الذرء الأول وقوله: ﴿ألست بربكم؟﴾[1] [سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢] .

وقد كان أبدا الميم من نور ذاته ... فخرت له الأملاك من قبل سُجَّدا

دعاه العليُّ الشأن فينا محمَّدا ... وكان دعاه في السماوات أحمدا

هو البيت والعرش المكين لعارف ... وأوّل نور كان لله وحَّدا

* * *

الصورة والبدع والزندقة عند المنتجب :

والمنتجب ينفي صورة البدع والتزندق التي استمدت من المذاهب النصرانية وهو ، وإخوته العارفين الذين يمدحهم بمحبة الله ومعرفته يؤمنون بمعنى الصورة الأنزعية التي تجلّت للخلق في الذرء الأول ، وقالت : ألست بربكم ، وهم ينزهون الله عن أقوال الملحدين أصحاب البدع ، المبَعضين ، أو المجسدين ، أو العرضيين . وعنده أن معاني الإله تعاظمت عن الحصر ، وجلّت عن التحديد ، وهو بالتالي لا يقول بمقالة المضلّلين من النصارى ، أصحاب التبعيض والتجسيد ، وكذلك فهو يستنكر بدعة الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر الذي كان يقول إن اللاّهوتية اجتمعت في آدم وإبليس ، وكذلك في إبراهيم وإبليسه نمرود ، وفي هارون وإبليسه فرعون . . وكان يقول إنه قبل اجتماع اللاّهوتية في علي وابليسه اجتمعت في عيسى وإبليسه ثم في تلاميذه كلهم ، ويقول مقالات غريبة منكرة . . يقول في «السرّ الخفي»[2] :

ولا أقول كما قالت مضللة ... من النصارى بتبعيض وتجسيد

ولا أقول بفرعون وصاحبه ... ولا النساء، ولا بالخصية السود

* * *

(١) فن المنتجب العاني وعرفانه ـ ص ـ ٦٠ ـ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

فهـو ينفي البدع والأهـواء المغايـرة لجوهـر الإسـلام ، كـالحلول النصراني ، والقول بفرعون وصاحبه . ولعله يقصد مقالـة الشلمغاني أن موسى ومحمد صلّىٰ الله عليهما خائنـان . . فهارون عنـد هذا الـزنديق ـ أرسل موسى ، وعلي أرسل محمّداً ، فخاناهما . . وأنّ اللاّهـوت اجتمع في هـارون وإبليسه فرعـون . . . وعلى أيـة حـال فهـو يـرفض التبعيض وحلول بعض الإله في الإنسان ، وهي مقالة الشلمغـانية، وهـو لا يقول بالتجسيد ، وهو القول بأن الله جسد حقيقـة جلّ وعـلا . . كما لا يقـول بحمد فرعون وصاحبـه . . وأما عن النسـاء والخصية السـود فقد تكـونان بدعتين دينيتين أخريين . . ولعله أراد إنكار ما شـاع في العصر العبـاسي من تنكب طريق الإسلام في العادات والأخلاق . . وقـد استلزمت العادة في بيوت السادة والكبراء عند الدول الشرقية القديمة وفي الدول الرومانية أن تهيأ هذه البيوت بالخصيان ، وقد حـرّم الدين الإسـلامي ذلك وشـدّد القرآن الكريم والسنة في خصاء الإنسان والبهائم ، ووكل لوالي الحسبـة أن يمنع ذلك ويؤدب عليه[1] وقد دخل ذلك مع نواحٍ أخرى من العادات الشرقية القديمة كالسحاق واللواط وضروب اللّهو الأخـرى على الإسلام حوالي ٢٠٠ هـ ـ ٨١٥ م . بسبب تقلص ظل الروح العربيـة ، بالـرغم مما جاء به النبي ﷺ في شأنها من الإنكار والمنع الصريـح ، وقد بلغ كلف الأمين العباسي ابن هـارون الـرشيد بـالخصيـان أنّـه طـلبـهم وابتـاعهم ، وغالى بهم ، وصيَّرهم لخلوته في ليله ونهـاره وقوام طعـامـه وشرابه وأمـره ونهيه . . ورفض النسـاء الحرائـر والإماء حتى رمي بهنّ[2] وحتى قال أبو نؤاس في ذلك ساخراً :

احـمـدوا الله جـمـيـعـاً يـا جـمـيـع الـمـسـلـمـيـنـا
ثـمّ قـولـوا، لا تـمـلّوا: ربـنـا أبـق الأمـيـنـا

---

(١) الحضارة الإسلامية ص ١٥١ جزء ٢ مصدر سابق .

(٢) أنظر تاريخ الطبري جزء ٣ ص ـ ٩٥٠ ـ .

صيّر الخصيان، حتى صيّر التعنين دينا
فاقتدى الناس جميعاً بأمير المؤمنينا

واشتهر من الخصيان فرسان ، وقادة ، وأمناء سر للخلفاء . . وكان الوصيّ على الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر خصياً يدير شؤون الدولة الفاطميه[1] .

وإذا فهمنا ما قاله المنتجب حول البدع في الدين ، والعادات ، وكيف عبّر عن أحوال عصره السلبية ، وأنكر ما فيها من بدع في الدين وما يمسّ الدين من أخلاق ، علمنا أنّه بذلك قد أثبت صورة الإسلام التقية ، وإثبات الصورة المغايرة للإسلام وأظهر تمسكه بالأولى ، ورفضه للثانية وبذلك يكون المنتجب مرآة صادقة للقرن الرابع الهجري ، وهو قد تجاوز التقليدي إلى مبتكر طريف من التأليف بين العناصر جميعاً لإبداع مذهبه العرفاني من مشارفه المختلفة ، التفكير الحرّ الغنوسطي ، الولاية العلوية ، الحقيقة المحمدية ، المحبة المنتجبية الصوفية حيث تلتقي الأديان في وحدة المعرفة ، وتزول الحجب في جذبة الحقّ إلى يقين أزليّ بكر . ثم يتجاوزه إلى ما يعلمه مفهوم القرآن الصوفي من شروط الإنتساب إلى عمل المحبة التي ساقت إلى المعرفة الموحدة ، وتلكم المعرفة في رأيه كما جاء في قصيدة «التوحيد»[2] :

قد مخضتها الأدوار في الزمن الـ ـماضي فجاءتك زبدة الزّبد

ويرى البعض بأن المنتجب لا يعبّر عن فئة بعينها كما يزعم البعض فلقد تلاقى مع فئة من العارفين صدوراً عن منبع واحد هو الإمامية الإثنا عشرية ، ولكن كلاّ من هؤلاء عبّر عن أحواله الخاصة ، وإن فهم العامّة للدين شيء مختلف كل الإختلاف عن فهم الخاصة لأن

---

(١) الحضارة الإسلامية جزء ٢ ص ١٥١ ـ ١٥٧ مصدر سابق .
(٢) فن المنتجب العاني وعرفانه ص ـ ٦٥ ـ مصدر سابق .

العامّة سطحيون لا يستطيعون تجاوز القشور ، بينما الخاصة قوم همّهم النفاذ إلى اللباب النقي ، وعن هذا الهمّ تولدت طرائق الساعين إلى الله ، واختلفت متجهاتهم من حيث الظاهر ، ولكنهم تلاقوا في ما يواجههم ، من حيث الباطن . . . وما دام حبّ الله شاغلهم فحيث اتجهوا لا يرون إلّا وجهه سبحانه على حدّ تعبير القرآن الكريم : ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله ، إن الله واسع عليم﴾ .

[سورة البقرة ؛ الآية : ١١٥]

نماذج من شعر المتجب العاني

في السياسة والتاريخ :

قال في حرب البصرة والجمل :

جاءوا بأُمّهم الحمراء على جملٍ ... قد عضّ غاربه من تحتها القتب

مصمّين على حرب الوصيّ ومن ... ورائهم للمنايا جحفلٌ لجب

فانظر إلى جملٍ من فوقه هُبلٌ ... من خلفه رجلٌ في سيره خبَبُ

وقام حزب بني الشيطان منتصباً ... لكيدهم لبني الإيمان واحتربوا

ضربٌ ببيضٍ يُزيل الهام موقعه ... وطعن سمْرٍ كما تستبذلُ القرب

فصاح فيهم أمير النحل من غضبٍ ... أنا عليّ فلِم تحملْهُمُ الرُّكبُ

فظلّ جمعهم المشحون في بَدَدٍ ... وسيفه لرقاب القوم يحتطبُ

مشتّتين كأنعام مشرَّدةٍ ... لا السهل يعصمهم منه ولا الحدَبُ

كُلّاً تراه بسيف الحقّ منجدلاً ... وشلوهُ بدم الأوداج مختضبُ

يا من يقايس من جهلٍ أبا حسن ... بمثل حبترَ أين البحر والقلبُ

لا يستوي النور والظلمات في نظر ... ولا يقاس بقدر الدرّ مُخشلَبُ

كلُّ النبات إذا شاهدته شجر ... وإنما لا يساوي المندلَ الخشب

يا بائع الدين بالدّنيا لشقوته ... والله لا فضةٌ تغني ولا ذهبُ

فاعلقْ بحبل عليّ تنجُ من كُرَبٍ ... ومن زفير لظىً يعلو لها لَهَبُ

الولاية :

وها أنا عن يقين في أبي حسن ... في ظلّ عزّ على الأيام ممدود
ولا أقول كما قالت مضلّلة ... من النصارى بتبعيض وتجسيد
ولا أقول بفرعون وصاحبه ... ولا النساء ولا بالخصية السّود
إنّ الذي بات يرجو غير دينكُم ... ديناً فذاك شقيٌّ غير مُسعود
أبرا إلى الله من ضدّ يعاندكم ... أو منكرٍ عن جناب الحقّ مطرود
تراه في صورة الأحيا فتحسبه ... حيّاً، وذلك ميْت غير ملحود

المدح بالنسب العرفاني :

إلى عليّ بن بدران الجواد خدي ... ربّ المكارم نجّازٍ المواعيد
حلف السحائب فلّال النوائب ... بذّال الرغائب، مأوى كلّ مطرود
فتىً جرى وسحاب الجوّ فانبجست ... كفّاه إذا ضنّ صوبُ المزْن بالجود
يبيتُ في طلب العلياء منفرداً ... قد كُحلتْ منه أجفان بتسهيد
كسبُ الثّناء له إلفٌ تعشّقه ... وليس يثنيه عنه فرط تفنيد
حمدت دهراً به قد كان عرّفني ... وقبله كان دهري غير محمود
لا فضله كان في عيني بمحتقر ... ولا الجميل الذي أولى بمجحود
وافى إليّ كتابٌ منه خلت به ... قلائداً في نحور الخرّد الغيد
أو كالرياض تبدّا زهرها بهجاً ... أو لؤلؤ في خلال السلك منضود
فرحتُ من لفظه المنظوم ذا طرب ... كأنني ثملٌ من بنت عنقود
فضائل كالنّجوم الزّهر مشرقة ... تجلّ عن حصر أوصاف وتعديد
هو الخديجيّ ذو المجد الأثيل ومن ... أضحى به الدين في عزّ وتأييد
عن هالت الحسن الميمون طائره ... ينبيك من غير تنقيص وتزييد
عمّ الخصيبيّ ذي العلمِ المتين ومن ... شاد التّقى والمعالي أيّ تشييد
بحران بالفضل كلٍ راح ذا شرف ... وذا معين على الآباد مورود

أنتم عمومتنا حقاً وذكركم ... به غدونا نغذّي كلّ مولود
وفي غير الكرام الغرّ مجتمع ... أهل الصّلاح وأهل السّادة الصُّيد
الباذلون لمن يغشى ديارهم ... أموالهم حين لا جود بموجود
بني نمير رضاكم منتهى أملي ... وأنتم دون خلق اللّه مقصودي
أيّامكم فهي أيّامي وقولكم ... قولي، ومعبودكم بالسرّ معبودي
سرّ خفيّ جليل لا يُحاط به ... ولا يقاس بتمثيل وتحديد
وباطن ظاهرٌ إن غاب عن بصري ... فإنّ معناه باق غير مفقود
عرفته عن يقين بات يجذبني ... إلى حقائقه من غير تقليد

الهبطة :

إن كنت لي صاحباً قفْ لي بهيّود ... وقلْ لعينك في أطلالها جودي
عسى الدموع إذا انهلّت غواربها ... تُطْفي لهيب سليب اللّب معمود
منازل أنكرتنا بعد معرفة ... قد أخلقتها النّوى من بعد تجديد
تحالفت زفراتي والدموع بها ... فهنّ ما بين تصويب وتصعيد
كم قد رتعنا فوق أفلاك العلى ... في ظلّ طوبى في رضى رضوان
حتى هبطنا بالذنوب إلى التي ... صارت لنا سجناً من الأسجان

الغزل :

وليلة بتُّ أجلوها بشمس ضحىً ... صهباء تخبر عن نُوح وعن هود
مع كل هيفاء مصقول ترائبها ... ماست بقدّ كغصن البان أملودِ
تخالها إن شدتْ والكأس دائرة ... قد أوتيت نغمة من آل داوود
قد كان ذاك ووقتي يانعٌ نضرٌ ... والعيش غضٌ وعصري ناعم العودِ
بان الشبابُ فبنّ الغانياتُ ومنْ ... يشب يجدْ طول همّ ثمّ تنكيد
لو كان يرجى لماضي العيش مرتجع ... لقلتُ : باالله يا أيّامنا عودي

الحمامة :

وربّ هاتفة هاجتْ جوى حَرقٍ على الغصون بتسجيع وتغريد
فقلتُ، إذ أعلنت بالنّوح نادبة رفقاً، فإلفُك باقٍ غير مفقود
لو كنت بالوجد مثلي ما اكتحلت ولا خضبتِ كفّاً ولا طُوقت بالجيد

وصف المطيّة :

وجسرةٍ لا يكاد الطرف يدركها جاءت تلاطم جلموداً بجلمودِ
تزري على عاصفات الريح رقلتُها وتستخفّ بسير الضمير القودِ
لا تشتكي الأين من سهلٍ ولا وعر ولا تسملُّ من الإيحاف بالبيد
ناديتها وميض البرق يؤنسها والليل يجزعُ منه كلّ صنديد

الغزل العرفاني :

وربّ أهيفَ، ساجي الطرف، معتدلٍ أغنّ، أحوى، دقيق الخصر، واهيه
أعار أم الطلا من غنج مقلته وعلم البان ضرباً من تثنيه
خلوت أجلو دُجى ليلي بطلعته حتّى الصباح، وأجني الراح من فيه
تجمعتْ فيه أوصاف مفرّقة في الناس فازداد عُجباً من تناهيه
قضيبُ بانٍ، على حقفٍ، يلوح على عليائه بدر تمّ تحت داجيه
فالنرجس الغضّ من عينه أنهبُه والوردُ باللحظ من خدّيه أجنيه
ذَللت من بعد عزّي في هواه إلى أن صار يُسخطني تيهاً وأرضيه
ولي فؤاد على التّعذيب مصطبرٌ فها هو الآن يُقصيني وأدنيه
لا يرعوي لعتابي في تجنّبه ولا يرقّ لحالي في تجنّيه
وكلما قلتُ: يُثنيه الحياء إلى حسن الوفاء تمادى في تماديه
مع علمه أنّ ذلي في تعزّزه وأنّ فرطَ تلافيَّ في تلافيه
قالوا : إلى كم تلاطفُه؟ فقلت لهم منه الدلالُ، ومني أن أداريه
ختمت سمعي وطرفي في هواه فلم أنظرْ سواه ولا أصغي لواشيه

الخمرة العذراء :

كانتْ، وآدمُ في الظلال، ذخيرةً في جنّة المأوى لدى رضوانه
راح تريح أخا التقى وتزيد ذا التوحيد إيماناً على إيمانه
لمْ أدرِ إذْ جاءت على يديه فزادها سكراً بمقلتيه
ألونُها من صُبحِ وجنتيه؟ أم الشعاعُ مُشرقٌ عليه؟
منها فراح ثوبه ورديّا!...

أدرها فعمر الدجى قد ذهبْ
مشعشعةً مثل لون الذهبْ
ودع من بجهل عليها عتتْ
وسلّ من الدنّ ذات اللهبْ
لتحيي السرور بها والطرَب

* * *

فما لذة العيش إلاّ المدام
تحثّ بطاس وكأس وجام
يطوف بها رائق الإبتسام
لطيف التثني رشيق القوام
لذيذ المقبّل عذب الشنبْ

بديع الجمال رخيم الدّلالْ
بلحظ يغازل لحظ الغزالْ
إذا ماس بالكأس عجباً ومالْ
يُريك قضيباً علاه هلالْ
ينقّط شمس الضحى بالحببْ
تملكني فغرامي الغريمْ

وولى اصطباري ووجدي مقيمْ
بطرّة شعر كليل بهيمْ
ولمعة ثغرٍ كدرّ نظيمْ
وخمرة ريقٍ حكاها الضَّربْ

* * *

فما الإنتظارُ ببنت الكرومْ
فكم ذا الرقاد انتبهْ يا نؤومْ
وفكّ عن الدنّ تلك الختومْ
وداو بشرب الحميّا الهمومْ
فإن المدام يزيل الوصبْ

* * *

فلا تحزننّ زمان السرورْ
فإنّ الدوائر وشْكاً تدورْ
وتحدثُ بعد أمور أمورْ
فما غفلة المرء إلاّ غرورْ
إذا كان داعي الردى بالطلب
فبادرْ بها العيش قبل الفوات
فكلّ الليالي أرى أخوات
فما هو آت فلا بُدّيات
فخذ من حياتك قبل الممات

* * *

فلذّة عيش الفتى تنتهبْ
وشعشعْ كؤوسك بالخندريس
وزفّ الحبيبة بنت الحبيس

فمثل سروري وأين الجليس
فما للنفيسة إلا النفيس
ولا للعلى غير أهل الرتب

قم فاسقنيها كنجيع الطلى — وردية هام بها القلب
وصبها أطف بها غلتي — فإنني مغرىً بها صب
مسكية الأنفاس عانية — لولا مسوا شيباً بها شبّوا
مطلعها الراووق إذ كأسها — شرق لنا والحاسي الغرب
قديمة كانت ولا أول — لولا التقى قلت: هي الرب
كأن ساقيها وقد أقبلت — وكفه من تحتها قطب
بدر دجىً يحمل شمس الضحى — وقد بدت من حولها الشهب
فيا صاحبي والصب ما انفك في الهوى — يناجي بشجو الحب من بات يصحب
أعني على وجدي القديم بوقفة — على ملعب لم يبق لي فيه ملعب
هو الربع للجرعاء من أيمن الحمى — وهذا النقا البادي وذاك المحصب
فعج يمنة إن كنت للخل مسعداً — وخل دموع العين في الدار تسكب
لعل مسيل الدمع يعقب راحة — فيطلق من أسر الغرام المعذب
قلت لصحبي حين هاجوا الجوى — بلومهم: ما هكذا الصحب
دعوا ملامي فلكم في الهوى — شعب ولي من دونكم شعب
فرحت عنهم مصرفاً همتي — إلى البكا حتى بكى الركب
إذا نحن قصرنا عن البث للجوى — فأدمعنا عما نعانيه تعرب
فلم نلق إلا مخبراً عن كآبة — يكابدها أو أدمعاً تتصبب

الرثاء :

ما النفع بالطلل البالي وقد درست — أقماره ونأت عنه دراريه
مهما نسيت فلن أنسى به زمناً — صفا فكدرت الأيام صافيه
يا مربعاً طالما غنيته طرباً — من السرور فعدت اليوم أبكيه

ما بال مغناك لا يرثي لذي شجن ... ولا يجيب أخا شجو يناديه

تهضّمتك يدُ البلوى وغيَّرت الـ ... أتراح ما كنت بالأفراح مبديه

وأصبح الشملُ بعد الجمع مفترقاً ... مذْ جار بالحكم والتشتيت قاضيه

ماض من العيش لو يفدى بذلت له ... روحي ورخصتُ فيما كنت أغليه

لو قيل للقلب ما تختار من أرب ... لكان وصلكُم أقصى أمانيه

لمّا تيقّنت أن الوصل منقطعٌ ... وأنني لم أطقْ ردّاً لماضيه

ما زلتُ أنثرُ عقد الدمع من أسف ... حتى رجعن يواقيتاً لآليه

ختمت سمعي وطرفي في هواه فلم ... أنظر سواه ولا أصغي لواشيه

مولى إذا قلت: إني عبد طاعته ... أطاعني الكون من أقصى نواحيه

مدح الإخوان :

جوادٌ أعار المزن جوداً وماجدٌ ... حوى ذروة العلياء كهلاً وأمردا

هو البدرُ نوراً والنجوم فضائلاً ... هو الطود حلماً، بل هو البحر محتدا

كريم أبى إلّا التفضل في العلى ... ولو لامه فيه العذولُ وفنّدا

وتابع آباء كراماً ولم يكنْ ... على رأيه فيما يراه مقلّدا

وأوغل في بحر التبحّر غائصاً ... يُحاولُ أبكارَ المعالي تصيُّدا

* * *

جانبتُ مشانيْه وصافيته ... ودّي فأضحى وهو لي جنبُ

وما هواه بيننا علّةٌ ... يوجبها أكلٌ ولا شربُ

لكنْ نفوس عرفتْ فاهتدتْ ... فما لها غير العلى كسبُ

لا البعد يثنيها الطول النوى ... ولا يزيد الصحبة القربُ

لأنّها واحدةٌ في الهوى ... فما لهذا دون ذا سربُ

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :

يا من يعاندُ من جهلٍ أبا حسن ... رماك غيّكَ بعد الرشد بالتيه

فتى جميع المعاني فيه قد جمعتْ ... وليس في الخلق معنىً من معانيه

لأيّها تنكرُ الأضدادُ.. ؟ عنصره أم علمه أم تقاه أم مغازيه؟
أم زوجه أم بنيه أم أخوّته لأحمد أم قضاه في فتاويه؟
إعطاءه الراية المنصور حاملُها أم بابَ خيبر لمّا راح داحيه؟
فضائلاً كالنجوم الزّهر مشرقةً تخشا الحسودَ، وتُخزي من يعاديه
كُنْ واثقاً بعليٍّ واتبغ سبباً ينجيك من حرّ نارٍ أنت صاليه
واللّه لا فاز إلّا اللائذون به وكلّ من بات يدعى من مواليه

الفخر :

وإني نميريّ اليقين ومعشري إلى مُضر الحمراء في المجد تضربُ
همُ القومُ إن قالوا أصابوا وإن دعُوا أجابو لداعيهم جميعاً وأجلبوا
بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكُنْ كمنصبهم في الجاهليّة منصبُ
همُ نصبوا الدّين الحنيفيّ بالظبى فأضحى لهم بيتٌ رفيع مطنّبُ

العتاب :

تعالوا نقيسُ الأمر بيني وبينكم لننظر في الحالين من هو أنجب؟
وشتان ما بين الثّريا إلى الثرى وهل يستوي، يوماً، بريّ ومذنبُ؟
دَعُوا ظالماً قد سنّ في الدين بدعةً ولم يحفظ الفرض الذي هو أوجب
ولا تنصُروا من سادَ ظُلماً ببغيه فنصرُكم المظلوم أذكى وأثوبُ
أفي الدين أنّ المرءَ ينقضُ عهدَه ويحلفُ بالله العظيم ويكذبُ؟
فيصبح من بعد اليمين وعقدها لمال أخيه ظالماً يتغصّبُ
وفي أي شرعٍ أنّ من شاء منكُم يغير على مال الخليل ويسلبُ
لئن خاب من ساء الصديق بصنعه فإن الذي يُدني المسيء لأخيب
فللّه فيما سنّه بجهالة فعقباه سوءٌ للرّضيع يُشيّبُ

الحكمة :

ولكن رأى أنّ الإله تعاظمت معانيه عن حصر وعن أن يحدّدا
تجلّى لأبصار البرايا بصورة ممثّلةٍ بالذرء كان بها بدا

نراه بها يوم الأظلَّة ظاهراً ... فمجّده بالحقّ من كان مجّدا

وقال لهم: جهراً، ألست بربّكم؟ ... فقالوا: بلى، أضحى لك الكلُّ عبدا

وقد كان أبدا الميم من نور ذاته ... فخرَّتْ له الأملاكُ من قبل سجّدا

هو البيتُ والعرشُ المكينُ لعارفٍ ... وأوَّلُ نور كان لله وحّدا

وأخرجنا من عالم الكون والفنا ... نردَّدُ في الأطوار عوداً ومُبتدا

وكرَّر آياتِ الظهور مذكّراً ... بما كان من إقرارنا ساعة النّدا

فذو العلم والإيمان زاد تيقناً ... وذو الجهل والإنكار زاد تمرّدا

وكلٌّ على قدر الأصول فمنهم ... خبيثٌ ومنهم طيّبٌ طاب مولدا

وها نحن في الأجساد يشقى أخو الشقا ... ويسعد فيها من له الله أسعدا

يباين هذا فعل هذا تناقضاً ... ويُصلح هذا ما له ذاك أفسَدا

إلى أن ترى منك اللطيف مفارقاً ... كثيفاً به قد كان أضحى مقيّدا

هناك يعودُ الجنسُ طالب جنسه ... فمن مُتهم يمضي مُنافيه مُنجدا

فأرضيّها يبقى مع الأرض ماكثاً ... وعلويّها يبغي السموات مُصعدا

وما الناسُ إلّا اثنان: هذا أخو هدى ... وهذا لغيّ في الضلال تردَّدا

فكنْ زارعاً ما أنت حاصدُه غداً ... فما زرع الزُّراعُ إلّا ليحصدا

ولا تبغ في الأرض فساداً ولا تكنْ ... لك الخيرُ ممن لُجَّ في الظلم واعتدى

ولا تحسبنّ المالَ خلّد أهله ... فمن ذا الذي أضحى بمالٍ مخلدا

وما المال إلّا تسرّ ببذله ... صديقاً صفياً أو تصدّ به العدى

ولا الدينُ إلّا تركك الشرَّ والأذى ... ودفعك بالمعروف عن خلِّك الردى

من أعلام العلويين في العصر الحديث
العلامة الشيخ سليمان الأحمد
١٢٨٧هـ

إجازة الإمام الراحل السيد شرف الدين قدس سره للعلامة المرحوم الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمّد وآله الهداة الميامين وبعد :

فقد أجزت الشيخ الجليل الكامل الفاضل التقي النقي الأريحي اللوذعي الشيخ سليمان أحمد شيخ علماء الشيعة اليوم في جبل العلويين أن يروي عني مؤلفاتي ومروياتي وجميع ما تصح عني روايته إجازة عامة على ما فصلته في هذا الثبت وقد اشتمل على ما فيه بلاغ للإتصال بالكتب الإسلامية وبمصنفيها فليروها عني بهذه الطرق وبغيرها مما لم أذكره في هذا الثبت والله ولي التوفيق .

٢٠ رجب ١٣٥٦ هـ .

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

ترجمته :

هو العلاّمة الكبير ، والمصلح العظيم ، شيخ أئمة اللغة في عصره الشيخ سليمان الأحمد ولد في قرية «الجبيلية» من أعمال قضاء جبلة في سوريا عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٦٩ م ، من عائلة مسلمة جعفرية علوية متوسطة ، وما إن بلغ سن الصّبا الثاني ١٥ ـ ١٦ سنة حتى رأيناه بسبب ضيق يد أبويه يهجر قريته إلى قرية «المرّان» من قرى «القرداحة» تسكنها عائلة كبيرة من بيوتات الشرف المعروفة ، وبينه وبينها صلة نسب ، وقام بها بمهمة الخطيب أي معلم الصبيان ، وقد لقي منهم كل تقدير وحبّ وبذل لهم كل جدّ وإخلاص ، وبعد سنتين تقريباً نزلت به مصيبة فادحة بوفاة أبيه ، وهو لمّا يبلغ الثامنة عشرة ، فضاقت به الدنيا وانطلق خارج محيطه ، ونشأ الفتى سليمان نابغاً فصيحاً شاعراً فلمع اسمه وذاع صيته ، وقد جرت له حادثة في مطالع شبابه دلّت على نبوغه ، جرت هذه الحادثة في بيت الوليّ الكبير الشيخ علي سليمان ، «المريقب» والد المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي قائد الثوار في الساحل السوري ضد المستعمر الغاشم الفرنسي إذ بينما كانوا يتذاكرون بقراءة بعض النصوص تعرّض فصحّح بعض العبارات المنسوخة وصوّب أُخرى فما كان من الشيخ إلاّ أن امتعض واستنكر على فتى مثله هذه الجرأة فأضمرها الفتى في نفسه ، وترك في الصباح عند مغادرته له أبياتاً من الشعر كعادته فلمّا صارت بين يدي الشيخ وعلم أن الفتى الذي استقلّه بالأمس هو «سليمان أحمد» تأسف أشدّ الأسف وأمر أخاه أن يركب ويلحق به ويعيده إليه ولو كلف ذلك أن يبلغ في تتبعه منطقة صافيتا التي كان متوجهاً إليها ، وفعلاً تم ذلك ولحق به ولم يستطع التخلص منه إلاّ بعد وعد مؤكد بزيارته في العودة ، وكان لهذه الحادثة[1] ، نتائج خيّرة إذ بعد عودته أكرم مثواه ، وفتح له خزائن

---

(١) الإمام الشيخ سليمان الأحمد ـ علي سليمان الأحمد ـ ص ١٩ ـ طبع على نفقة المؤلف .

كتبـه ، وأطلق يده فيهـا يقرأ ، وينسـخ ويصحّح ، وأصبـح من أكبر عـارف قدره والمجلين لنبـوغه ، وللحقيقـة نقول إنّ تقـديـره ، وعـرفـان فضله جاءا مبكـرين جداً بحيث إن ذلـك لم يكن يتناسب وسنـه ووضعـه المـادي . ولقد كان لتجواله إلى جانب ما استفاده من الإطلاع والمعرفة فائدة جليلة أخرى وهي ما اكتسبه من معرفة بالرجال ربطت بينه وبينهم بـأواصر كـان لها الأثر الكبير في حياته وحياتهم أنـه ليصعب تعدادهم أو حصـرهم في فئة ولا بدع «فالأرواح جنود مجندة ما تعـارف منها ائتلف ومـا تناكـر منها اختلف» كما جاء في الأثر النبوي الشريف .

وما أن بلغ الأربعين أو كاد حتى أصبح المرجع العلمي الأول لكل أبناء طائفته والسؤال الذي ينطلق من كل شفـة ولسان عنـد كل معضلة أو لدى اختلاف الآراء ماذا يقول الشيخ سليمان أحمد فإن عرف عنه قول أو رأي فقد فصل الأمر ، وكان هو المعتمد والمتبـع ، وهذا ممّـا ألقى عليه مسؤوليات جسام نهض بأعبائها خير نهوض وقـد وجد نفسـه في موقف الدفاع على جبهتين متضادتين : الأولى ما كان يلقاه من عنت الجـامدين والجهّال والثانية ما طرأ من نفور مـا نسميه الأجيـال الصاعـدة التي بدأت تفتح أعينها على أنـوار جديـدة وتغـذي أفكـارهـا وعقـائـدهـا بـالهجمـة الإلحـادية المـادية التي أطلّت مـع القرن واحتكـاك طلائـع المثقفين في الأقطـار العربيـة بالحضـارة الأوروبية واتبـاعهم لأساطينهـا وتقليدهم لهم تقليداً أعمى أحالهم إلى الصنف الأول أي الجامدين يُضاف إلى سيئات الجمـود عند هؤلاء زهـو وعنجهية المـدّعي المغرور . كيف لـه أن يفك أغلال الجمود عن بني قومه ويـدفعهم إلى الصعود والترقي وكيف له أن يلجم الجموح والخروج عن الصراط المستقيم .

وقد سلك مع أهل الجمود طريق الرفق وعمل بالحكمة المأثورة : «إرفق بأخيك فـإنك تـطيق ما لا يطيق» يقول رحمـه الله في استرضـائهم واستجداء الإصغاء إليه :

أناشدكم اللّه أن تتعطفوا سماعاً لنصحي بالقبول بلا عجب
طرقت بابكم والبرّ شيمتكم بطارق وافد للخير معتام
جداً إلى طلب العلم الذي درست آثاره ثمّ إلى رسم أعلام

* * *

هلمّوا إلى ما يُقصر الطرف دونه من الشّرق السامي على هامة الشُّهبِ
هلموا إلى العلم الرفيع مكانة ومورده الصافي ومنهله العذبِ
إلى الغاية القصوى التي أصبح الورى يسير إليها الركب في أثر الركب
إلى العزّ في الأولى إلى الفوز في غد إلى نعمة الدارين والأمن والخصب

وقد هداه رأيه الثاقب إلى أفضل الأسلحة التي كان عليه أن يتسلّح بها في كفاحه فأكبّ على العلوم العصرية ينهل منها بشوق غريب مغتنماً كل الفرص ، ومستعيناً بكل المراجع التي يصل إليها حتى ألمّ إلماماً جيداً بكل مبادىء العلوم العصرية مضافة إلى الحصيلة الضخمة التي حصلها من العلوم اللّغوية والأدبية والفقهية والفلسفية والصوفية .

ثمّ أخذ يبين لهم زيف استنتاجاتهم ، وأنّ ما يظنونه من تأخر الشرق بسبب الدين ما هو إلّا من تنكبهم عن الدين واتباعهم للخرافات والشكليات بدلاً من التعرف على الحقائق والتمسك باللباب وكشف لهم عمّا في الدين من معان روحية سامية ومن خلق كريم ، وأعانه على كل ذلك أنه جعل من نفسه قدوة مثلى في الأخلاق والسلوك عفة وقناعة وطهارة ذيل ووضع نفسه في ظلال سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ يستقي من خزائنهم العرفان ومن سلوكهم الإقتداء ففرض هيمنته على العقول والضمائر ، وأصبح الحجة الكبرى بيد البسطاء المؤمنين على أخصامهم ، وكثيراً ما قالوا لهم لو كان العلم ضد الدين فلماذا الشيخ سليمان أحمد متديناً وأصبح اسمه وحده يفرض الإحتشام عند المتجرئين على الدين والأخلاق .

موقف تاريخي فريد :

كان ذلك في أوائل العشرينات ، وبعد أن تمّ للفرنسيين الغلبة على الثورة التي قامت في جبل العلويين وأخضعت بقية المناطق السورية فبدا لهم كي يرسخوا أقدامهم أن يعمدوا إلى شيء من اللين ، وحسن السياسة مع العلويين كيما ينفذوا مخططاتهم المستقبلية بسهولة . وقد قادتهم استعلاماتهم إلى إجماع من جميع زعماء ووجوه العلويين على أن الشيخ سليمان أحمد هو الثقة عندهم علماً وعملاً . فوجهوا كتاباً إليه وهو في قريته «بالسلّاطة» يعلمه أن مدير العدلية السيد «روسيه» سيزوره وفعلاً حضر ظهيرة يوم من سنة ١٩٢٢ م ، وبرفقة معاونه السيد «تقلا» ومستشار القضاء . وصادف ذلك وفاة صغير له في السنة الأولى من عمره . فما كان منه إلّا أن أمر بكتمان أي ضجّة أو عويل حتى ينصرف ضيوفه وتلقّاهم وكأن شيئاً لم يحدث ، وبعد المداولة وبسط نواياهم التنظيمية ، وحرصهم على دفع البلاد في سبل الحضارة نقلوا إليه أنهم بناء على ما توفر لديهم من معلومات عن اجماع الشعب عليه أبلغوه بما يشبه الإلزام أن يتولى منصب قاضي القضاة للمذهب العلوي . فما كان له بدّ من القبول وكان ذلك من حسن حظّ شعبه بل ومن أحسن حظه لأنه أُتيح له بأن يقوم بأجلّ خدمة لشعبه ، وأن يكسب الأجر العظيم من الله على ما دافع به عن عقيدته ودينه من افتئات المستعمرين ، وأغراض المتقولين .

وبيان ذلك أنه بعد بضعة أشهر من توليه منصبه استدعاه الحاكم الفرنسي آنذاك الجنرال[1] «بيّوت» وبعد الترحيب والملاطفة وجه إليه الحديث مستعيناً بما زوّده به مستشاروه وخبراؤه من معلومات تقود خطأ أو غرضاً إلى عزل العلويين عن المجموعة الإسلامية وذلك إمعاناً في

---

(١) الإمام الشيخ سليمان الأحمد ص ـ ٣٨ ـ .

تمزيق الأمة ، وإيجاد ركيزة إجتماعية وعلمية تمكن من ذلك فانطلق علماء الإجتماع منهم والسلالات يجهدون لإثبات صلة وثيقة بين العلويين والصليبيين فأصبحت كل عين زرقاء أو شعرة شقراء يقعون عليها في العلويين تشكل اكتشافاً كبيراً ، وفرحة عظمى وبرهاناً قاطعاً . وبديهي أنه لا في التاريخ ولا في العلم أي سند أو مبرر لهذه الإستنتاجات ولكن المستعمر دائماً يعمل على قاعده «فرّق تسد» وإنّ الغرض يُعمي ويُصم» .

وعلى أية حال فقد ترامى إلى سمع الجنرال أن الشيخ سليمان أحمد يعمل لاعتماد الفقه الجعفري مصدراً لأحكام المحاكم المذهبية ، فهاله أن تفوت الفرصة على كل ما خططوه وهيأوه لاقتطاع العلويين من الكيان الإسلامي . فبدأ يلمز له ويغمز ، ويزين له ما في الأخذ بنظام العرف والعادة من اليسر ، والإستقلال .

وهذا شبيه بإصدارهم الظهير البربري بعد ثلاث سنوات في المغرب سنة ١٩٢٥م مخططاً عاماً لتمزيق أواصر المسلمين . فما إن تبين هدفه حتى انتفض مغضباً ناسياً رهبة السلطان وجبروته معتصماً بعزّة الله ورسوله والمؤمنين وقال له وبالحرف : سيادة الجنرال ، سواء عبدنا الحجر أو عبدنا المدر ، فليقيننا أن هذا هو ما جاء به محمد بن عبد الله فلشاك أن يشك في صحة فهمنا لما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لا مجال لأي شك في انتسابنا واتباعنا له .

لم يكن الموقف موقف نقاش وحوار ولكن موقف حسم فقط وهكذا كان . وخرج وفي نفس الجنرال حرج من هذا الجبه ، وكأن الله ألقى في نفسه تهيباً من الإصرار ، ولا بدع فالثورة التي أقضت مضجع المستعمرين لسنتين وتزيد لم تخمد نارها إلاّ منذ أشهر معدودة ، ورصيد الشيخ عند مختلف الطبقات من الشعب كما يعلمون كبير فليتركوا الأمر إلى فرصة أخرى .

أما الشيخ العلاّمة رحمه الله فقد خرج وكله استعجال لإتمام ما قرّر ، وما هي إلاّ شهور معدودة حتى أتمّ تنظيم المحاكم المذهبية وزودها بالمراجع الفقهية الجعفرية ثم فجأ الجميع بالإستقالة متخلصاً من آثار المنصب ، ومطلقاً لكل اتصال بالحاكمين منصرفاً للتعليم والإرشاد حتى رفعه الله إليه .

مع أئمة الشيعة ومجتهديهم

إنّ هذه الرسائل تؤرخ لحقبة من التاريخ بدأ فيها هذا الجبل «جبل العلويين» ينفض عنه غبار السنين ، ويزيح سدف الظلام ويبني الجسور بينه وبين إخوانه ، وجيرانه متحرراً من عزلته القاتلة ، ومطلاً برأسه على دنيا الحضارة والعرفان وكانت رحلته رحمه الله الأولى إلى بيروت[1] وصيدا قبل مطلع هذا القرن مع أخيه في الله والولاية العلاّمة المرحوم الشيخ إبراهيم عبد اللطيف باكورة من أجدى وأعمّ البواكير ، حيث تحقق الإتصال مع كبار علماء الإمامية الاثنى عشرية في جبل عامل والعراق الذين شغلت أسماؤهم الضخمة الساحة العلمية الأدبية فترة حياتهم ولا يزال عبق شذاها ، ونور عرفانها يؤرج المجالس ويشق الدياجر ، مما كان له الأثر الكبير في مسيرة الإصلاح والتصحيح التي قام بها مع الشيخ العلاّمة لفيف من إخوانه العلماء في جبال العلويين ولا سيما بعد تأسيس الجمعية الجعفرية الإسلامية الخيرية بمساعدة المرحوم الأمير الشريف عبد الله الفضل العلوي الحسيني وإقامة الجسور مع النجف الأشرف وكربلاء وقم من أجل التثقيف وإشادة المساجد والبعثات العلوية لطلب العلم في العراق ، وسيتبين لنا من مطالعتها كيف كانت الجهود تتركز على نشر العرفان في الأمّة وبث روح الإخاء والإلفة . ودفع التجنيات والأباطيل ، وكيف أن قسط العلاّمة المرحوم منها كان في السماك من هذا الجهد عرفاناً وتأييداً مادياً .

منها :

---

(١) الإمام الشيخ سليمان الأحمد ص ـ ٦٧ ـ .

خطاب الإمام الحجة الشيخ محمد الحسين
كاشف الغطاء النجفي
بسم الله الرحمن الرحيم

لمطالع صاحب الفضيلة والمزايا الجميلة الحبر الفاضل الشيخ سليمان أحمد دامت محامده .

عن بيروت ٢٤ رجب ١٣٣٢ هـ .

لكم سرائر في قلبي مخبّأةٌ | لا الكتب تنفعني فيها ولا الرسل

من عبد الله محمد الحسين النجفي إلى أخيه في الله وصنوه من دوحة ولاية الله والحظوة بمعرفة أسرار الله الفاضل الحرّ الشيخ سليمان أحمد دامت محامده .

أخي :

شوقي إليك على البعاد تقاصرت | عنه خطاي وقصّرت أقلامي
واعتلت النسمات فيما بيننا | فمن أحمّلها إليك سلامي

أكتب إليك كتابي هذا والشوق مبرّح وروض الصبر مصوّح ذاكراً سجاحة تلك الأعراق ودماثة تلك الأخلاق وغزير ذلك الفضل وقد عاقتني الظروف والمحن (عافاك الله) طول ما مضى عن التحرير إليكم واستطلاع طلع سلامتكم (أدامها الله) وقد وردت حاضرة بيروت من أول هذا الشهر للتوجه إلى الوطن فما استتب لنا ذلك إلى هذا اليوم فها نحن الساعة على أهبة السفر إلى حلب ومنها إلى العراق بعونه تعالى وأنت (رعاك الله) تعلم ما للمسافر من قلق الفكر وتفرق الحواس وازدحام الخواطر ولا سيما في مثل هذا السفر الطويل الشقة فلا جرم أنكم تمهدون لنا العذر عما في كتابنا هذا من السذاجة أو عدم الكفاية على أن المهارق مهما اتسع فيها مجال القول ولكنها دون أن تفي بشرح فذلكة الحقائق ـ إذاً .

فاسأل ضميرك عن هواي فإنه فيه جهينة

أخص بتسليماتي وتحياتي وأشواقي وأواخيّ ودي الأخ الفاضل الشيخ الأمجد الشيخ إبراهيم عبد اللطيف حرس الله سعادته وأسعد حراسته وإن شاء الله عند الوصول إلى الوطن أحرّر له من هنالك حسبما اتفقنا عليه .

أرسلت إلى أحمد حبيب في المرقب بتوسط عبد القادر أفندي تحوُّف صندوق من الدين والإسلام فيه خمسون نسخة أعني ١٠٠ جزء وقد جلدنا الجميع تجليداً متقناً نظراً لتعسر التجليد في نواحيكم يكون ثمن الجزأين في مجيدي وربع وكرم أخلاقكم وشغفكم بنشر المعارف يغنينا عن حثكم على ما وعدتم من تصريفها إن شاء الله . ولدى العود إلى الوطن نستعين بالله جلت معونته نشرع في تهذيب رسالة إسلام أبي طالب عليه وآله السلام ونبعث بها أجزاءً إلى مطبعة العرفان لتطبعها ونجهد بتوفيقه تعالى أن تكون وافية بالغرض المهم موافقة لاقتراحكم وما تحبون إن شاء الله . أملي وثيق بالله عز شأنه وبناصع إخائكم أن سوف أجد جواب كتابي هذا قد سبقني إلى النجف تخبروني فيه عن سلامتكم التي هي القصد الأول عافاكم الله من كلّ سوء بسرّه الخفي ثم تعرفوني وصول صندوق الكتب وتجعلون المراسلة إلينا بالعنوان الذي سبق لكم منّا كما أني لا أستريب منكم في دوام المراسلة فإنها الصلة والمواصلة وبذلك أرجو أن يجعلنا الله من الملإ الأعلى ويجمع بيننا في الرفيق الأسمى . وفي الختام تحياتي غادية ورائحة منك إلي ومني إليك فدم بالعز والشرف والسلامة والسلام .

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء

«النجفي»

الجواب :

إلى حضـرة الأُستاذ الفاضـل العـالم الشيـخ محمـد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي أيده الله .

يـا ابـن الـذين لـهم فـي العـلم منـزلـة	عـزت على النيّـرين الشمس والـقمـر
جمـال ذي الأرض كـانـوا في الحيـاة وهم	بعـد الممـات جمـال الكتـب السُّيـر
إن لـم تـفـقـهـم فقـد وافـقـتـهـم شيـمـاً	لـمّـا أتيـت هُـدى مـوسـى على قـدر

سلام عليك أيها الأُستاذ الفاضل ورحمة الله وبركاته يشهد الله سبحانه ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ [سورة الفتح ؛ الآية : ٢٨] أن تلك السويعات القليلة التي قضيناها بأنسكم قد أبقت لكم من الودّ بقلبي الصميم والحبّ الذي لا يريم ما لا تسعه العبارة «عبارتي» ولا توضحه بالإشارة ولست من أرباب الأقلام، وصاغة الكلام لأحبّر وأعبّر . . إذا لم تستطع أمراً فدعه . . فأكل ذلك إلى طهارة وجدانكم ، وسحر بيانكم وقوة إيمانكم ، والحبّ في الله على قدر الإيمان به . فإذا أنتم أكثر منا حباً ، وأعلى في الصداقة كعباً .

مولانا بيد الإحترام والتكريم تلقيت كتابكم الكريم المؤرخ ٢٤ رجب ١٣٣٢ من بيروت ، وأجبت عنه بتحرير ضعيف العبارة إستعجالاً وامتثالاً لأمركم وقع في أوله هذا البيتان :

يـا سـاكني النجف الشـريف عليكم	مـن ذي الـجـلال تـحيـة وسـلام
حبّي لـكم فـي الله يـزكـي غـرسـه	بـفـؤادي الإيـمـان والإسـلام

كتبتهما هنا لأنهما خرجا عن صدق نيّة وسلامة طوية ، وحرصاً على إثباتهما إن لم يصل ذلك الكتاب وأنت «أيدك الله» تعلم ما عندنا من ضعف الإستطاعة ، ومزجاة البضاعة فلا نعتذر عمّا بعبارته من الركاكة إذ الإعتذار يليق بمن يسيء طوراً ، ويحسن أطواراً ، أما من لا يجيد مرة في العمر فلا يحسن منه الإعتذار عن الإساءة ، وسنجهد إن شاء الله

بسدّ هذا الخلل ، ونقدم بين يديه حسن الإخلاص ، وصدق النيّة ، والمثابرة على إتقان العمل بما يسركم والله سبحانه وليّ التوفيق .

أحبّ التعارف مع المولى الشريف السيد صدر الدين الصدر ، والفيلسوف الكبير مؤلف نقد فلسفة دروين «لنستفيد من عوارفهما فهل لك أيّها الحبر الجليل أن تكون الواسطة ، وتعلم ما وراءه من النفع المادي والأدبي ديناً ودنيا . إننا لفي أشد الإحتياج إلى القيام بمثل هذه الوظيفة في مثل هذا العصر وقد تقدمت إلى صاحب العرفان بهذا وما أراكم تضنون به علينا إن شاء الله تعالى . وأرغب إلى الأستاذ الجليل أن يتحفنا من الفوائد بما تصل يده إليه ولا يكون به كلفة عليه وليكن ما يرسل إلينا بعد الآن إما بواسطة أحمد أفندي حبيب رأساً وإما بواسطة العرفان ومتى أتى جواب كتابي هذا وتطمنت بوصولكم إلى النجف الأشرف أقوم بما يجب إن شاء الله من حسن الفعال وصدق المقال بما وعدتكم (فأمدونا بالدعاء) ويسرني جداً أن أكون من ذكركم إياي وتلاوة رسائلكم على عهد جديد (فزدني من حديثك يا سعد) . أسأله تعالى أن يلحظكم وإيانا بعين الوقاية ويبلغكم من أمانيكم الشريفة غاية الكفاية وكفاية الغاية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البداية والنهاية وعلى جميع من قبلكم من أهل الولاية مولانا .

٢٥ شعبان ١٣٣٢ هـ .

الفقير لله تعالى

سليمان أحمد

ومنها خطاب الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره

بسم الله الحمد لله

الكامل الأمجد والفاضل الأوحد الأخ الأجلّ الشيخ سليمان أفندي أحمد أعزّه الله تعالى سلام عليك من أخ صدق ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد : فإني لا أدري كيف أبسط اللسان بثنائك وأصف مزيد فضلك ووفائك وكلما ذكرت رأيتني كمن يصف الشمس بالضياء أو يثني على البحر بغزارة الماء وما عسيت أن أقول فيمن تحبب إلينا بالإحسان كرماً وابتدأ أهل ملته بالإحسان نعماً فما ندري ما نذكر من معاليك أو نشكر من مساعيك أنذكر أخلاقك الفاضلة أم مزاياك الكاملة أم فضلك الجسيم أم إحسانك العظيم ونشكر إحياءك العرفان أم تنشيطك لأهل الإيمان أما وهمتك السامية وعزمتك الماضية لتهزني منك نجدة حيدرية وتستفزني منك حمية علوية فأنا هائم بسمتك عاشق لنعتك (والأذن تعشق قبل العين أحياناً) .

أتحفني الأخ العارف بمألكتكم له المحرَّرة ثامن الشهر فعرفت بها حقيقة الحكمة السائرة حتى تجسم لي جوهر كنهها الاوهي قولهم (كتابة المرء دليل عقله وشاهد نبله) فللّه أنت أكثر الله أمثالك رأيتك تتطلع الى

مشارق أنوار اليقين فآثرتكم به على عدم وجوده في الديار العاملية فيما أعلم وها هو مع هذه الشقة ومجمع البيان يمكنكم الفوز بـه بكل سهـولة نظراً لكثرة وجـوده ولولا ذلـك لقدّمناه أيضاً . أما طبع الـذريعة وسبيـل المؤمنين فليس بممكن فعـلاً لـوفـود المـوانـع منـه . وابن المسيب لا يدفع انحرافه عن أهل البيت بعد أن خـالفهم في كثير مما علم مذهبهم فيـه بحكم الضرورة القاطعة وتلك كتب الفقـه تشهد بـذلك وهـو الذي روى عن أبيـه موت أبي طـالب صلوات الله عليـه كـافـراً فيما أخـرجـه البخاري ومسلم بـل صـرح النـووي في ٣ أسـطر من صفحـة ٣٦٢ من الجزء الأول من شرحه المطبـوع في هامش إرشـاد الساري بـأنه لم يـرو ذلك عن المسيب إلا ابنه سعيد وهو الـذي صرف عن أميـر المؤمنين آية المبيت على الفراش ألا وهي قوله تعالى ﴿ومن النـاس من يشري نفسـه ابتغاء مرضاة الله﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧] فقال بنزولهـا في صهيب بن سنان الرومي وحسبـك ما اشتهـر عنه من الـرغبة عن الصـلاة على جنازة زين العـابدين وسيـد المتهجـدين قيـل لـه ألا تصلي على هـذا الـرجـل الصالح من أهل البيت الصالح قال صـلاة ركعتين أحبّ إليّ من الصلاة على الرجل الصالح من أهل البيت الصالح . وروي عن مالـك أنه كـان خارجياً أباضياً وهو الأشبه . وذهب جماعة من علمائنا إلى تشيعـه تمسكاً بـأخبار أثبتنـا في سبيل المؤمنين ضعفهـا والله أعلم بمطويـات الضمـائـر والسـلام عليكم وعلى سائـر إخواننـا من أهل الـولاية قبلكم ورحمـة الله وبركاته .

٢٣ ـ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ .

الأقل الأحقر عبد الحسين

ابن شرف الدين الموسوي .

ومنها :

خطاب سماحة المجتهد العلاّمة السيد عبد الحسين نور الدين الموسوي قدس سره

بسم الله تعالى

لسان الخطابة ويراع الكتابة وساحر البيان وقسّ الزمان منهج الصدق والصادع بالحق العالم الفاضل جناب الأخ الأبر الشيخ سليمان أفندي أحمد أيده الله ورعاه آمين سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فإني أحمد إليك الله سبحانه وأسأله لك التوفيق والرعاية لقد اطلعت على ما كتبته عن كتاب الكلمات وترويجكم له وتقديركم له حق قدره وما جاء به في كتاب جناب الأخ الشيخ عارف أفندي فلله تلك العاطفة الشريفة التي جبلت عليها لقد صافحت منها كفاً كريمة ونفساً عبقرية وركناً من أركان الدين وعلماً من أعلام المسلمين يناط به الأمل ويرأب به الصدع ويلم به الشعث فأحرى بك أن تكون أكبر مصلح وأقدم مرشد وأفضل داعية للحق وأقوى مساعد على نشر الفضل ويا ليت للفضل من أبنائه أمثالك ولو قليل فتزهو رياضه وتحمى حياضه وتوثق عروته وتسمو ذروته فأرجو منه سبحانه إعلاء ذكرك وإصلاح أمرك وأن يوفقنا لإتمام هذا الكتاب فإني واثق بالله بأنه سيكون آية في بابه ولكن

زهد الناس في المعارف الدينية وقلة ذات اليد يثبط عن السير والتوفيق بيد الله .

أخص بالتحية فخر العرب وإمام الأدب وعاقد تاجه وذبالة سراجه شبلكم الكريم بدوي الجبل محمد أفندي حرسه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرّر في ٧ صفر ١٣٤٨ هـ .

الأقل

عبد الحسين نور الدين .

ومنها :

خطاب الإمام الراحل السيّد محسن الأمين العاملي قدس سره

العالم الفاضل الكامل حضرة الشيخ سليمان أحمد المحترم .

سلام عليكم وبعد :

فقد وصل كتابكم الكريم تاريخ ٧ الحاضر وفهمت كلّما ذكرتم ، وسألتم عن قانون للقضاة الشيعيين يرجعون إليه عند اللزوم في إبراز الأحكام والأعلامات ، فلا يوجد سوى الكتب الفقهية لأنّ القضاة من الشيعة لم يكونوا إلاّ في هذا الزمان ، أما في بلاد العجم فالقضاة هم المجتهدون ، ويصدرون الأحكام ويكتبونها حسب ما يؤدي إليه نظرهم بمقتضى قواعد الشرع . نعم إنني شارع في طبع كتاب التبصرة مع شرح له مختصر وعبارته سهلة فربما يكون فيه المطلوب ، وقريباً يمثل للطبع «إن شاء الله» بمطبعة العرفان يصلكم بالبوسطة «إن شاء الله» الكتب المحررة أدناه مع جواب المسائل أما الثمن فيمكنكم تحويله لنا على أحد التجار بالشام بواسطة أحد تجار اللاذقية أو على إدارة البوسطة أو

على البنك السوري إن كان له شعبة بطرفكم، أما التحويل ضمن مكتوب مسوكر بالبوسطة فيخشى فيه من السرقة، والذي صار إرساله الآن هو أربع نسخ من الشرائع ، ونسخة من الروضة ، والباقي يصلكم قريباً «إن شاء الله» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٦ رجب ١٣٤١ هـ

حرّره الأقل

محسن الأمين الحسيني

ومنها أيضاً :

خطاب الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره :

بسم الله الحمد لله .

السلام عليك أخي في الله عزّ وجل ورحمة الله وبركاته وعلى من يلوذ إليك . أسأل الله من فضله توفيقكم لما هو أرضا وأبتهل إليه سبحانه أن يدرأ عنكم بوائق الآخرة والأولى ويعصمكم من كل غاشم وطارق إنه أرحم الراحمين .

رجعنا من مشاهد القدس ومهابط رحمة الله **﴿بيوت أذن الله أنْ تُرفع ويُذكر فيها إسمه﴾** [سورة النور ؛ الآية : ٣٦] والحمد لله على التوفيق للتشرف بأعتابها والفوز بالحظ الوافر تحت قبابها . وقد أشركتكم في عملي والله المسؤول في أن أبلغ من دوام سلامتكم وكرامتكم أملي . لم أتوفق الآن لتقديم الكافي ، وسأقدمه إن شاء الله تعالى . وهذا كتاب الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية ، متنها المتين للشهيد الأول ، وشرحها المبين للشهيد الثاني ، وهما من أفضل الكتب الفقهية كما تعلمون أرجو قبول هذه الهدية وإفادتي بوصولها .

والسلام على قرّة العين والنفس بين الجنبين أديب الجبلين

العلويين ، وعلى سائر الأشبال وبقية الآل ورحمة الله وبركاته . حاشية : كان بعض الإخوان طلبوا من المهجر كمية من المراجعات فقدمناها .

١١ رمضان ١٣٥٧ هـ .

عبد الحسين شرف
الدين الموسوي

ومنها :

خطاب المجاهد المغفور له الشيخ أحمد عارف الزين مؤسس العرفان رحمه الله :

مولانا الأستاذ المفضال دام فضله .

سلام واحترام وتحية مباركة وبعد :

فقد تناولنا الكتاب الكريم ، ومعه حوالة بعشر ليرات سورية فشكرنا همتكم الشمّاء ، وكنا قد منا لكم كتاباً قبل الآن مع كتاب «الشرائع واللمعة» عاهما وصلا ، ونالا استحسانكم ، وقد كتبت لسيادة العلاّمه السيد محسن الأمين في الشام أن يقدم لكم رأساً ما يراه منا سبأ من الكتب الفقهية ، لأنه جاءه قسم منها مجدداً وهو أقرب منا للعراق ، والعجم فيمكنكم مفاوضته دائماً بأمر الكتب الشيعية الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وسترون من حسن معاملته ، ومكارم أخلاقه ما يرضيكم إن شاء الله . الجزء الأول من سنة العرفان الحالية نفذ ، والثاني أصبح قليلاً فهل نرسل من الثالث فصاعد أم ننتظر لنحصل على نسخ من الأولين عرفونا رأيكم سلامنا واحترامنا لنجلكم الأديب الذي نعجب أشدّ الإعجاب في منظومه ، ومنثوره ، وكان لما كتبه عن الإتحاد وقع حسن في النفوس ، ولا غرو فالولد سرّ أبيه وهذا الشبل من ذاك الأسد . وكان طلب منا ثلاث نسخ من العرفان في المجلد السادس وقدمناها إلى آخر السنة لكن سكت المشتركون وسكتنا . لا يهو لكم ما ترونه أمامكم من العقبات الكأداء فلا بدّ دون الشهد من إبر النحل .

شرفونا بما يلزم من الخدم والسلام عليكم ، وعلى سائر الإخوان ورحمته وبركاته .

الداعي

أحمد عارف الزين

صيدا في ٢٦ جمادي الثانية

١٣٤١ هـ - ١٢ شباط ١٩٢٣ م

نماذج من شعره

في أهل البيت عليهم السلام :

مذا يقول المادحون بفضلكم .

يا عترة الهادي البشير بحبكم	وبكم نصول على العدى ونطول .
ماذا يقول المادحون بفضلكم	وبه أتى التأويل والتنزيل .
سبقت فبشرت الورى بوجودكم	بشرى بها متشرف جبريل .
ضلَّ امرؤٌ قصد الطريق وماله	في سعيه فيكم إليه سبيل .
فتلاوة الآي التي نزلت بكم	قربى إليه وذكركم تهليل .
والسعي في نشر المناقب منكم	حج لكل موحد مقبول .
حلت مودتكم بقلبي فهي لي	حال بإذن الله ليس تحول .
حلَيتُها فحياتي الأولى بها	شرفَتْ وفي الأُخرى هي المأمول .

سفينة النجاة

إن طغى زغرب الضلال فأنتم	لنجاتي بني البتول السفينه .
إن طه مدينة العلم حقاً	والوصي الإمام باب المدينه .
وهو الدين عنكم وإليكم	فاز من عنكم تقلد دينه .
زينة الجسم في الحياة ولاكم	وهو للنفس في غد خير زينه .
وبه قامت السماوات والأرض	وأهل اليمين حازوا السكينه .
يا لها من مكانة قد تسامت	شرفاً عند ذي الجلال مكينه .

هبني للولاء لآل طه

وقفت بباب عفوك مستغيثاً ... مؤود الظهر بالوزر الثقيل .
أقلني ما جنته يدي احتراماً ... وما أسلفت من قال وقيل .
أنا العبد الذليل حططت رحلي ... بباب السّيد الملك الجليل .
لجأت به إلى حرز حريز ... ومنه أويت في ظلّ ظليل .
فهبني للولاء لآل طه ... وظلك سيدي فاجعل مقيلي .
وما أنا للكثير بمستحق ... ولا مولاي يرضى بالقليل

قدمت للمهيمن الوهاب

دعني لما بي فكفاني ما بي ... قد عظم الأمر عن العتاب .
وطال يا حسرتي اغترابي ... وجد وجدي بي واكتئابي .
وليتني أدري هل انقلابي ... لرحمة تنال أم عذاب .
قدمت للمهيمن الوهاب ... بين يدي نجواي واقترابي .
مستشفعاً بصاحب الجناب ... محمد وآله الأنجاب .
حبّ النبي المصطفى الأواب ... وبابه الهادي إلى الصواب .
وسر ما أنزل في الكتاب ... وخير من يمشي على التراب .
بهم أنال العفو في انقلابي ... والفوز في البدء وفي المآب .

فحبكم آل طه

يا آل أحمد يا خير الورى نسباً ... وأفضل الناس من عجم ومن عرب .
من كان في هذه الدنيا له أربٌ ... فحبكم آل طه منتهى أربي .
إن التقرب للمولى بحبكم ... يوم المعاد لديه أفضل القرب .
فما توسلت عند النائبات بكم ... إلا تجلت همومي وانجلت كربي .

المواعظ

أين الإخاء وأين الحلم والرشدُ

أين الإخـاء وأين الـحلم والـرشـد ... ألا يـجيـب سؤالـي مـنكم أحـد .
دعـوتـكـم وفـؤادي مـلؤه شـجـنٌ ... لمـا دهـاكم ونفسي ملؤهـا كـمـد .
أكـلُمـا قـام بـالإصـلاح داعـيـةٌ ... بـيـن الأنـام مـنـاواة لـه قـعـدوا .
وإن أتتهـم عـلى دعـواه بـيِّـنـة ... ولم يـروا قـوة في ردِّهـا اضـطهـدوا .
بـني نـمـيـر ونـفسـي إن ذكـرتـكـم ... طـارت شعـاعـاً لبلواكم بمـا أجـد .
أمـا لـكـم بـكـتـاب الـله مـعـتـصـم ... أمـا لـكـم بـرسـول الـله معـتـقـد .
أمـا لـكم بـبني الـزهـراء فـاطمـة ... وتـابعيهم مـن الإخـوان معتمـد .
ديـن شـريـف وأفـعـال مـغـايـرة ... لمـا يقـال ودعـوى مـا لهـا أمـد .
كـأن كـل فـتى مـنكـم لـنفـرتـه ... بمـذهب غير هـذا القـول يعتقـد .
جـاوزتم جـدّكم فيمـا يـسير بكم ... إلى الهـوان تساوى الشيخ والـولـد .
أكلكم يـا بـنـي الإيـمـان ذاهـلة ... أحـلامكم وازدهـاهـا اللّهـو والفنـد .
الـله يـا قـوم فـي ديـن تـعـلقـه ... منكم يـد ولكـم في الـهـدم فيـه يـدُ .
هيهـات لا ينصـر الـدين الحنيف فتحاً ... عـلى تعـصبه والـجهـل يستنـد .
واهـاً لكم كـل أهـل العصـر قـاطبـة ... تيـقـظوا من كـراهم بعـدمـا رقـدوا .
ألا يـعـزّ عـلى نـفـسـي قـعـودكـم ... عن المعـالي وكـل الناس قـد نهدوا .
ومـا تـأخـرتـم إلا لأنـكـم ... ونيتم عن طـلاب المجد واجتهـدوا .
نـصحـتـكـم فـاستغشتني بـه فئـة ... مـا إن يبـالـون ضلوا القصـد أم رشـدوا .
والـله يـعـلم أن الـخـيـر مـا أنـفـوا ... والنكـر ما عـرفـوا والحق مـا جحـدوا .
مـن سـوء حـظي أم من سـوء حـظهم ... عـمـا أردت من الحسنى لـهم مـردوا .
تـقـولـوا بي مـا شـاؤوا فـمـعـذرة ... مني إليهم لعمـري بئسمـا قصـدوا .
قـالـوا نسيت إلينـا العـار مفتخـراً ... لشـدَّ مـا محصـوا الألفـاظ وانتقـدوا .
فـلا وربـك مـا بـروا بمـا نـطقـوا ... ولم يصيبوا به المـرمى الذي اعتمدوا .

ولا وربّك مـاعـنـدي لـهـم ضـغـن ... ولا وربّـك مـاعـنـدي لهـم حسـد .
والـلـه يـعـلـم لا فـخـر ولا أشـرُ ... ولا ريـاء ولا عـجـب بـهـا وجـدوا .
لـكنهـا حسـرة بـالـنفس كـامـنـة ... مـالي على حملهـا صبـر ولا جلد .
لم أدر مـاذا دعـاهم للخـلاف وقـد ... قلت الصـواب فصدوا عنـه وابتعـدوا .
هـذا ومـا حلت عن حبي الصـريـح لهم ... ولـن أحـول وحـالي مثلمـا عـهـدوا .
إن سـرّ يـومـاً فؤادي مـا يسـوءهـم ... فـلا عـدتْ سري الأحزان والكمـد .
إن يثبـت العـلم شيئـاً لا أكـابـره ... والـدين منهـلي الأحلى الـذي أرد .
لا ضيـر إن طـالت الأكـوان أو عـرضت ... فصـانـع الكـلّ منهـا واحـدٌ أحـدُ .
مـاذا أتيت من الفـعـل القبيـح ومـا ... هـذا اللجاج وهـذا الغيظ والحرد .
أكـلّ ذاك لـقـولـي كـلّ حـادثـة ... تعـزى إلى سبب حتمـاً وتستنـدُ .
وإنمـا السّحـر والتنجيم شعـوذة ... وثمّ أصنـاف خـدع مـالهـا عـدد .
والله يشـهـد أني مـا خـدعتـهـم ... ولا كـذبـت وقـولي مـا بـه فـنـد .
هـذا المقام الـذي أدى بنـا قـدمـا ... إلى الحلول بـدار الهـون فـاتئـدوا .
ومـا افتخـرت بـأني عـالـم ثقـة ... ولا أنني بفقـه الـدين مجتـهـد .
بـل غـايـة الأمر عـانيت اختلافكمْ ... فـاش فقلت إتقوا يـا قـوم واتحـدوا .
لا يـعـرفـون سيـاسـات ولا ورعـاً ... يصـدهم عن أذاهم إن هُـم حقـدوا .
ليسـوا من الـدين في شيء وإن فتنـوا ... جلّ الـديـاجي وإن صلوا وإن سجدوا .
هيهـات لـيس بـدين مـا تـرون بـه ... سفـك الدمـاء مباحـاً فاصـدروا واوردوا .
مـالـي وآل نميـر قـد شقيت بـهـم ... ومـا أبـالي بـه لـو أنهـم سعـدوا .
بـذلت مـالي وجـاهـي في سبيلهم ... ولـيتـهم بـعـد لا ذمـوا ولا حمـدوا .
نـشـدت آل نميـر واستغثت بـهـم ... فـانـظر بمـاذا أجـابـوا حينمـا نشدوا .
حبـي لـقـومـي حـب لا يـرون بـه ... نفعـاً فـإن رمت أنسـا منهم شـردوا .
إن يـزهـدوا الآن في وعـظي وفي حكمي ... فـربمـا رغـبـوا فيمـا بـه زهـدوا .
مـالـي ولـلـوعظ لا عـلاقـة ورع ... ولا فـقيـه ومـالـي في البيـان يـد .

أقمت نفسي مقاماً لست صاحبه … أين اليقين وأين الهدى والسدد .

إني امرؤ لست إلا من غزية إن … زلوا زللت ومجدي إن هم مجدوا .

سبحان مولاي ما أقوى تسرعنا … للخوض فيما له الألباب ترتعد .

أهذه حالة يرجى الصلاح بها … هنئتم فاطمئنوا واعمروا ولدوا .

حقاً على المرء أن يسعى لغايته … جداً ومن ربنا التوفيق والمدد .

يا شيعة المرتضى

يا شيعة المرتضى الهادي نداء فتىً … يستلفت الطرف منه دمعه الهامي .

يا خير حزب بخير الأوصياء له … ضياء نورين إيمان وإسلام .

طرقت بابكم والبرّ شيمتكم … بطارق وافد للخير معتام .

أنتم موالي أمير النحل حيدرة … لقد سعدتم وذاك المنصب السامي .

فالحمد لله نلتم بالولاء له … فضلاً على الناس من عرب وأعجام .

إذا دعاكم إلى الإصلاح داعية … نادى بكل جريء الجاش مقدام

جداً إلى طلب العلم الذي دُرست … آثاره ثم إلا رسم أعلام .

خذوا بما قدر وبتم عن إمامكم … قولاً تنزّه عن عيب وعن ذام .

فلو رأيت فتىً من شيعتي عطلاً … علوت هامته ضرباً بصمصام

وإنما أنتم مثل الورى بشر … لن تدركوا المجد عفواً دون إقدام

كونوا كما أوضح المولى صفاتكم … تستوجبوا كل إجلال وإعظام .

إخوان صدق صفت من كل شائبة … قلوبهم فسناها مشرقٌ نام .

واهاً لكم قد أفاق الناس كلّهم … وأنتم بين أيقاظ كنوَّام .

قد أقدموا المساعيهم ووقتكم … مضيّع بين إقدام وإحجام .

يسعون للعلم من حل إلى حرم ٍ … ونحن فوضى بإحلال وإحرام .

أتطلبون مساواة بهم بعدت … مسافة بين ذي جهلٍ وعلام .

فازوا براحة أجسام كما طلبوا … والفوز راحة أرواح وأجسام .

عارٌ على الشعب أن يبقى بغفلته … مستعبداً لخرافات وأوهام .

أكلمَا جاء دجّال بمخرقة | صدّقتموه ولا تصديق إلهام .
جنّ وسحر وتنجيم وشعوذة | وتابع لأيامى أو لأيتام
أضحت حقائق علم الدين عندكم | مضاعة بين تخييل وإيهام .
أوضحت من أمرها ما كان ملتبساً | فكان يا لهف إيضاحي كإبهامي .
دون الحقيقة حجب الوهم مُسدلة | متى يميط دجاها نور أفهام .
يا أيها الفتية الناجون أنشدكم | بما يناشد من قربى وأرحام .
ألا يذيب فؤاد الحر رؤيته | نور الهداية مغموراً بإظلام .
هنتم ولذّلكم للهون ذلّكمُ | يا لوعة الحرّ من ذال ومن لام .
أين الإخاء الذي جاء الكتاب به | وأحكم الأمر فيه أيّ إحكام .
لو اعتبرتم بما أدّى تفرّقكم | إليه في الدين من ذلّ وإرغام .
إذاً لكنتم إذا نادى النصيح بكم | لبيتموه لزاماً دون إلزام .
يا ويح نفسي أراكم دون غيركم | مكانة فيثير الفكر آلامي
وإن تذكرت ماضيكم تضاعف بي | وجدي وهمّي وتبريحي وأسقامي .
ذكرى تكاد تذيب القلب من أسفٍ | على ليال لكم مرّت وأيام
وتلك عن حسرة بالنفس دائمة | تصمي الفؤاد وجرح بالحشى دام .
أنجدت آناً وقد أتهمت آونة | نصحاً فلله إنجادي وإتهامي .
لا تعذلوا واعذروا فالحق كم خذلت | دعاته بين عذال ولوام .
أعربت عما بقلبي من مودّتكم | فلا يكوننّ إعرابي كإعجامي .
فهذه عظتي لله خالصة | وما أريد عليها نيل إكرام .
والله يشهد أني قد صدقتكم | حبي ويعلم ربي صدق إقسامي .
فإن أجبتم ندائي فهو حظكم | وإن أبيتم فورد جازه الظامي .

حنانيك حزب الله

حنانيك حزب الله بوركت من حزب | فقد آن يلقي السّمع من كان ذا قلب .

أهــاب بكم داعـي الـفـلاح مـذكــراً   أطلت الكرى يا شيعة المرتضى هُبي .

يعــزّ على الـدين الـحنيفي أن يــرى   بكم سُبــة تـدعــو إلى العار والسبّ .

أيــرضى وصي المصــطفى ونجيُّــه   وعتــرتــه الأطهـار ذاك من الشـعب .

بـحــرمــة قــربى بيـنـنــا وولايـة   ينـزهها الـدين القـويم عن الحبّ .

أنـا شـدكـم لـلّه أن تـتـعـطفـوا   سماعاً لنصحي بالقبول بلا عجب .

أخـوكم بحب المصـطفى ووصيـه   دعــاكـم فلولـبّــاه من كــان ذا لـبّ .

فـكم لـيلة أحييت لا أنس لـي بـهـا   سوى الشجو والتبريح والنحب والندب .

أفكـر في الـحـال التي أنـتم بـهـا   فـأزداد ما فكـرت كـربـاً على كـرب .

يلازمني لـلـذكـر سـهـد ولـوعـة   تـقلبني لـلهمّ جـنبـاً إلى جنب .

ومنــذ بــدا لي من سنـا العقـل بـارقٌ   فمـا بتّ يـومـاً آمنــاً بعـد في سربي .

أيــنـعـم بــالـي والـبـلاء بـأمتـي   إذاً لا صفـا عيشي ولا راق لي شـربي .

هلمُّـوا إلى مـا يقصـر الـطرف دونـه   من الشرف السامي على هامة الشهب .

هلمّــوا إلى العلم الـرفيـع مكـانـة   ومـورده الصـافي ومنهله العـذب .

إلـى مــا يعــز الـنفس بـعـد مـذلـة   وينقـذ من ضنـك مضيق إلى رحب .

إلى الغاية القصـوى التي أصبح الـورى   يسيـر إليهـا الـركب في أثـر الـركب .

إلى العــزّ في الأولى إلى الفــوز في غـدٍ   إلى نعمـة الـدارين والأمن والخصب .

سرى العلم مسرى البرق يا شيعة الهدى   فـطبّق من مشرق البـلاد إلى الغــرب .

وعـمّ الجـهــات الستّ صيِّب وَدْقِـهِ   بعــارضــه الهـامي ووابله السـكب

عجبت لكم يـدعــوكم المــرء للرَّدى   فتسعـون زحفـاً للعـوان من الحـرب .

ويـعـتــدّ كــل طـرفــه وسـنـانــه   وصـارمـه للكرّ والـطعن والضـرب .

أفي الحق أن أدعــوكم فـتخيّبـوا   رجـائي وعن جـدّي تميلون للّعب .

وأدعـوكم قصـد الغيـاث فـلم أجب   وذاك لعمــري مـوجب اللّوم والعتب .

منحتم ضيـاء العقـل بـالـذّات فليكن   بـه صفـة للعقــل عن شـأنكم تنبي .

أعــوذ بكم أن يرجـع الجدّ عنـدكم   سدىً ونصيبي من نصـائحكم نصبي .

أسـرّ بأن يسمـو على النجم قـدركم — وإن كنت ضمن اللّحد مضطجعاً تربي .
عسى قـائـلاً يـا قـدس الله روحـه — فقـد فاز في إخـلاصه بـرضى الـرّب .
فيـا ليت شعـري هـل أراكم بمقلتي — قبيـل وفـاتي حسبمـا يشتهي قـلبي .
ولـست أبـالي إن قضيت لبـانـتي — بمـا أبتغي يـومـاً قضيت بـه نحبي
فيـا ربُّ تـدري مـا تضم جـوانحي — إلى أمتي في الله من خـالص الـحبّ .
أعـنّي عـلى أمـر أردت لـهـم بـه — رقيّـاً على هـام السمـاك من الترب .
وخـذ بيدي فيمـا عـزمت مـوفقـاً — فـأنت لنيـل المبتغى والمنى حسبي .
أردت بـه الإصلاح مـا اسطعت جاهداً — وتـوفيق من أدعـو وإياي من ربّي .
فـإن سـدّد المـرمى وبلغت منيتي — فـمن فيض نعـمـاه وإلا فمن ذنبي .

الشعر السياسي ، رثاء المرحوم محمد أرسلان :

عـظمـت مـحـنـة وجـلّ بـلاء — بـمـصـاب قـد طـبّـق الأرجـاء
قـد فـقـدتـم مـحـمـداً وهـو كـالسـ — ـيف مضـاء وكـالشهـاب ضيـاء
إنّ خـطبـاً أصـابـكـم فـتّـت الأكـبـاد حـزنـاً ومـزّق الأحـشـاء
بـالـخـطب أفـادنـا الـبـرق عـنـه — فـاستهلت سحب الـدمـوع دمـاء
عيني إبكـي محـمـداً مـا تـذكـرت — الـمـحـيـا مـنـه وذلـك الـبـهـاء
مـن حليم مـلء الـصـدور وقـاراً — ومـهـيـب مـلء الـعـيـون رواء
عـقـد مـجـدٍ لآل رسـلان مـنـه — قـد فـقـدنـا اليتيمـة العصمـاء
عيني إبـكـي ذاك الـشـهـيـد فـتـى — الأحـرار صـونـاً لـعـهـده ووفـاء
والجنـان الجريء والهمّـة الشـمّـاء — والأريـحـيـة الـعـربـاء
يـا شـهـيـد الـحـريّـة الحـرّ والـد — سـتـور نلت المنى وحـزت العـلاء
إنّـمـا نـفسـك الـتي فـدت الأمـة — قـلّت لـهـا الـنـفـوس فـداء
إنّ ذاكَ الـدم الـكـريـم سـيـبـقى — أبـدَ الـدهـر لا يـريـم امّـحـاء
يـتـلقـاه بـالـتـجـلـة والإعـظـام — مـن بـعـدنـا صـبـاح مـسـاء
وتـرى روحـك الـشـريفـة في الأر — ض احتفـالاً وفي السمـاء احتفـاء

والذي حزنه من الشرف الباهر ... فاق الإطناب والإطراء

إنّ في القلب يا محمد من جرّ ... ى نواك التبريح والبرحاء

عزّ والله ما لقيت علينا ... وكفى محنةً وجلّ بلاء

حسرة لا تزال في النفس حتى ... يدرك العدلُ وتره استيفاء

ويبيد الجناة قتلاً وصلباً ... وعذاباً مبرّحاً وجلاء

أقدموا ويلهم على الأسد الورد ... اجتراماً وغيلة لا اجتراء

ثورة أظهرت بمظهر دين ... فانجلت جاهلية جهلاء

آل رسلان دعوة من محب ... مخلص في الضمير منه الولاء

ناطقاً عن لسان قوم بحقّ ... شاطروكم عناءكم والهناء

عن صدور تجيش غيظاً وحزناً ... ونفوس تنفّس الصعداء

أمة ساءها وعزّ عليها ... ما لقيتم ومن يرد القضاء

ما وهنتم عن اطلاب المعالي ... أحسن الدهر صنعه أم أساء

عظّم الله أجركم بمصاب ... قد خصصتم به وعمّ الفضاء

فاحتساباً لما قضاه الله تعالى ... وامتثالاً لأمره وارتضاء

ما تريدين أمّة الطليان

قيلت في احتلال الطليان طرابلس العرب .

جيش «روما» فقدت كل حنان ... «أو ليس الإنسان كالحيوان»

أفلا نذرف الدموع دماءً ... لمصاب الإسلام والإيمان

لا تروموا من العدوّ حناناً ... تلك شكوى الجريح للعقبان

فاظهروا مظهر المهيب تنالوا ... ما تمنّونه وفوق الأماني

وإذا لم يكن من الموت بدّ ... فعفاء على الحياة الجبان

ليس يا قوم في بريطانيا العظمـ ... ـى عزاء لنا ولا الألمان

هل علمتم كيف الترفض والنّصب ... بنا أديا إلى الأهوان

قسماً مارقوا وفاقوا إلى أن طرحوا من تعصب الأديان
قلدونا فأحسنوا ثمّ فاقوا حيث تقليدنا بلا إحسان
في غنىً عن دموعكم يا لقومي فانصروهم بالأصفر الرنان
كان حسن الجزاء منهم لنا أن بدأونا بالبغي والعدوان
قتلوا الأنفس البريئة ظلماً بقلوب فقدن كل حنان
سلطوا النار والحسام عليهم أين أين الحنان في الإنسان
آن إظهار عزّة العرب العرباء أهل الضراب أهل الطعان
نجدة تنقذ الوليّ من الذلّ وترمي العدوّ بالخذلان
ومن العار وصمة أن ينالوا ما تمنوه دون حرب عوان
أيها المستغيث لبيك لب يك فلا تشك قلة الأعوان
إن هذا النداء رُدّد في الهند صدى صوته إلى إيران
رحم الله من دعي فأجا ب الحقّ طوعاً بقلبه واللّسان
فهو اليوم في طرابلس الغرب وأما غداً ففي البلقان
ليس بيروت أو طرابلس الشام بمأمن منهم ولا بأمان
ورويداً تمتد منهم بنان لـ...... واليمان
كيف يا قلب لا تلين أجبني من حديد فطرت أم صوان
ومن الصخر ما يبجس بالماء فلم لا تفجر العينان
أنا أبكيهم بقلبي وعيني ويراعي وصارمي وسناني
وبلادي وطارفي وبلاغي وبياني ولهجتي ولساني
وإذا لم أثرْ سواكن الباب فطاشت نبلي وبان بياني

مآخذ العلّامة الشيخ سليمان أحمد على شرح الشيخ محي الدين الخياط لديوان «أبي تمّام» :

الشيخ محي الدين الخياط ـ رحمه الله ـ كان من جهابذة اللغة المتضلعين ، وقد أطلق عليه مريدوه «حجّة اللغة» كما أطلقها البعض

على اليازجي والشرتوني يقول المرحوم الشيخ سليمان الأحمد : وقفت على شرحه ديوان أبي تمام الطائي يقول في مقدمته : «وأجيز من ينتقد التفسير مبيّناً مظان الخطأ المخالفة لأصل وضع اللغة أو مقصد الشاعر «المتحوزفيه» بخمسين نسخة من الديوان نفسه بشرط أن تعلو تلك المظان على العشر ولا تتنزل عنها فكان في هذا التحدي إغراء لي على مطالعته والنظر فيه متتبّعاً وهاك ما عثرت عليه فيه من الأغلاط التي لا مجال فيها للتمحل والتأويل حسب شرطه :

كم أحرزت قضب الهندي مُصْلتةً تهتزّ من قُضُبٍ تهتزُّ في كثب

قال في شرحه : الكثب ـ القرب .

والصواب الكُثب هنا : جمع كثيب من الرمل والمراد بالقضب والكثب في البيت القدود والأرداف ، ولا مدخل للقرب هنا .

يا عقب طوق أيّ عُقبٍ عشيرة أنتم، وربَّتَ مُعقبٍ لم يعقب

الشرح : العقب الأولاد ، ويراد به الأتباع ، المعقب كمنبر : الخمار أو القرط .

والصواب : مُعقب بالضم : اسم فاعل من أعقبت . اي وربَّ مُعْقبٍ كأنه لا عقب له .

وأيّ مناسبة لذكر الخمار أو القرط .

وقدْ عَلمْ الأفشين وهو الذي به يصانُ رداء الملك عن كلّ جاذبِ

بأنّكَ لما اسْتَخذل النّصر واكتسى أهابيّ تسفي في وجوه التجارب

الشرح : إهابي : جلدي . . . وهو خطأ كبير من مثله .

والصواب : أهابيُّ بالفتح جمع أهباء جمع للهباء : الغُبار ودقاق التراب ساطعة أو منشورة على وجه الأرض . والشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس . ويدل عليه قوله : تسفي . من سفت

الريح التراب إذا ذرتهُ . كما في الشرح .

وقَدْ قرّب المرمي البعيد رجاؤه وسهّلت الأرض العِرار كتائبه

الشرح : العِرار المتبادر أنّه الوعر ، ولم أره في كتب اللغة الخ . . . .

والصواب : العزاز : وهي الأرض الصُّلبة .

خفّت دموعك في إثر الحبيب لَدُنْ خفّتْ بين الكتب القضبان والكثب

الشرح : الكثب : الماء القليل . القضبان : النوق التي لم تُرض .

الصواب : المراد بالقضبان والكثب . القدود والأعجاز على حدّ قوله : قضبٌ تهتزفي كثب .

وقوله : خفت : من خفّ القوم إرتحلوا مسرعين ومن بديع قوله :

أجل أيّها الربعُ الذي خفّ أهله : والمعنى جليٌّ .

لا شربَ أجْهَلُ من شرب إذا وجدوا هذا اللّجين ، فدارت فيهم العُلَبُ

الشرح : اللُّجَيْن : زَبَدُ أفواه الإبل .

الصواب : اللُّجَيْن : بضم ففتح ؛ الفضّة ، والعُلَبْ : جمع علبة : قدحٌ ضخمٌ من جلود الإبل . أو من خَشَبٍ - يُحْلَبُ فيه . يَسْتَجْهِلُ من يُؤْثِرُ على أقداح اللُّجَيْن هذه العُلَبْ التي تُكون غالباً مباءة الأقذار والأدناس يشبه قصائده بأقداح اللّجين وسواها من أقوال الشعراء بالعُلَبْ والمعنى ظاهر .

تأتيه فرّى طنا فتحكُمُ في لُجَيْنِهِ تارةً وفي ذهبِهِ

الشرح : فرّى منهزمة ، الطنى : الفجور ، أو داءٌ يصيبُ الطحال .

والصواب : فرّاطنا جمع فارط من يتقدم القوم إلى الورد لإصلاح

الحوض وهو لطالب الماء كالرائد لطالب الكلأ ومنه «أنا فرطكم على الحوض» وقول أبي تمام «غدا فارطي فيها صدوقاً ورائدي» فانظر هذا الغلط الفاضح .

أبا اللَّيث لولا أنت لانصرَمَ النَّدى   وأدركت الأحداث ما قد تمنَّتِ .

الشرح : الأحداث الصغار : المراد بالأحداث هنا نوائب الدهر لا غير . وسطوا على أحداثِهِ أحداثاً فانظر عدم التروّي .

إنَّ الهمومَ الطارقاتِكَ مَوْهِناً   منَعَتْ جفونَك أن تذوق حثَاثا

الشرح : موهن ضعيف : حثاثاً قليلاً . . . . .

الصواب : الموهن نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه ، ولا مدخل للضعف هنا . . . . وإن كان من معانيه .

أنِله باستماعِكه مخبلاً   يفوتُ علوّه الطِّرف الطَّموحا

الشرح : الطِّرف : الفرسُ الكريمْ .

الصوَّاب : الطَّرف بالفتح . والطماح . كناية عن تطلُّب المعالي .

كُنْتَ عن غرسه بعيداً فأدْنَتْـ   ـني إليه يداك عند الجِداد

الشرح : الجداذ : الماء في طرف الفلاة . . . . . أبعد المرمى .

الصواب : الجِدادْ : صِرام النخل وهو له كالقطاف للعنب . . . .

يقري مرجيهِ مشاشة ماله   وشي الأسِنَّة ثغرةً ووريدا .

الشرح : الوشي : النقش . . . . هذا غلط ، صوابه . وشبا الأسنَّة ثُغْرَةً ووريدا . الشبا : جمع شباة الحدّ .

فما قُلُبي فيها لأوّل ماتحٍ   ولا سُمُري فيها لأوّل عاضد .

الشرح : السُّمُر هنا الشرب ليلاً ، والعاضد : القريب ، من عضد الحوض وهو جانبه .

الصواب : السَّمُرْ ـ العضاة . واحدُه سمرة «لدى سمراتِ الحي ناقف حنظلٍ» يا ساهر البرق أيقظ راقِدَ السَّمُر والعاضد : اسم فاعل من عضد الشجرة قطعها ، ومثله الخاضد لمهذّب السدر .

واستيقنوا إذ جاشَ بَحْرُكَ وارتقى ذاك الزئير وعزَّ ذاك الزَّارُ .

الشرح : الزئير والزّار صوت الأسد . . . . . الزأرة الأجمة فالزار مخفّفاً اسم جمع لها .

فكان لهم جَهْرٌ بإثبات حقّه وكان لهم في بزهم حقّه جَهرُ

الشرح : بزُّهم حقّه صدقهم حقّه «كرّم الله وجهه» .

الصواب : في بزّهم حقّه : أي سلبهم إياه وصواب البيت هكذا .

فكان له جهرٌ بإثبات حقّه وكان لهم في بزّهم حقّه جهرُ .

الشرح : يريد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان له جهر بإثبات حقّ عليّ في قوله ؛ من كنت مولاه . . . . وكان لهم جهرٌ في بزّهم إياه هذا الحق وسلبه منه قهراً والمثل من عزّ بزّ مشهور .

يُصبحُ الداعريُّ ذو المتعة المُر جَمُ فيه كأنه مأبوضُ

الشرح : المأبوض المقيّد . . . . المأبوض المصاب بمأبضه وهو باطن الركبة كما فسّرَه الشّارحُ عند شرحه . مهاة النقا لولا الشوى والمآبض .

أخذتُ بحبل منه لمّا لويتُه على مِرَرِ الأيام ظلّت تقطّعُ

الشرح : مَرَر ـ جمع مرّة وهي خلطٌ من أخلاط البدن . . . .

والصواب : المرّة القوّة والشدّة . وطاقة الحبل «تقبّضت منه بالمستحصد المِرَرُ» .

أمّا الدموع فَقَدْ أذكرن ما سلفا فلا تكفّنَّ عن شأنيك أو يكفا .

الشرح : الشانيء ـ المبغض . يكفُ . يسكب الدمع . . . .

الصواب : شأنَيْكَ مثنى الشأن أحد مجاري الدموع من العين «أصبحت وشاني معربٌ عن شاني» وانظر عدم التروّي إلى ما يؤوّل .

لـولـم تُـفَـتَّ مُـسِـنَّ الـجـودِ مـذ زمن بـالجد والبـأس كان المجـد قد خـرِفا

الشرح : تفت تدقّ . البأس الشدّة . . . . .

والصواب : لو لم تُفَتَّ مسن الجود . أي تصيّره فتىً لكان قد خرف . ظاهر .

وعـزرت بالشُّبْـعِ الذي بـزئيـره أمْسَتْ وأصبحتِ الثغـور عزيفـا

الشرح : العزيف صوت الجن والرُّمال . . . .

الصواب : غريفا والغريف غابة الأسد .

وهي كـالـظبيـة النـوّار ولكنْ ربـمـا أمكنَتْ جُنَـاةَ السَحـوقِ

الشَّرح : الجناة ـ القاطفون . . . . .

الصواب : جناة بالفتح ـ كل ما يجنى أي أنها وإن كانت كالظبية النوّار «النفور» فربّما أمكنت جناة النخلة السحوق ووجه التمثيل ظاهر .

يـوم حَـلق الـمـلّمـات ذاك وهـذا فـي الـروم حـزّ الـحـلوق

الشرح : الملمات ـ النازلات . . . . غلط .

الصواب : اللّمات جمع لمَّة . ويوم تحلاق اللّمم المشهور . ولولا تفسيره الملمات بالنازلات لاحتُمل كون الغلط مطبعياً .

أتتـكَ أميـر الـمؤمـنيـن وقـد أتى عليهـا المـلأ أدمـاثُه وجـراولُـهُ

الشـرح : المـلأ القـوم . الأدمـاث : اللطفـاء . الجـراول . الغلظاء . . . . أبعد كثيراً .

الصواب : الملا : جمع ملاة : فلاة ذاتُ حَرٍّ وسَراب . والأدمات . الأراضي اللّيِّنة ذوات الرمل .

والجراول : الأراضي الغليظة ذات الحجارة يخاطب ممدوحه واصفاً ناقته بأنها أتته وقد أتى عليها الملا سهولُه وحُزونُه .

أي أذهب شحمها : أتى على الشيء ـ أنفذه . . . . وعليه الدهر أهلكَهُ وقد اتضح المعنى . ولسنا بصدد إطالة الشرح .

بمحمّد صار الزمان محمَّداً فينا وأعتبَ بعدَ سوءِ فعالِهِ ..

الشرح : أعتب تركَ العتاب .

الصواب : من أعتبه ـ أزال عتبه أي أرضاهُ .

بالراقصاتِ كأنها رُسلُ القطا والمقربات بهنَّ مثلُ الأفكِل .

الشرح : المقربات ـ الإبل المحزومة للركوب ـ الأفكل الطائر .

الصواب : الراقصات : وصف للإبل . والمقربات الخيل . والأفكل الرعدة .

كالأجدَل الغطريفِ لاحَ لعينهِ خُزَزٌ . وأنت عليه مثلُ الأجدِل .

الشرح : الخزر ـ الحساء من الدسم .

الصواب : خُزَزٌ بزايين وهو الذكر من الأرانب .

ما زال يُبْرِمُ مهنٌ حتى إنّه لَيُقالُ : ما خَلق الإله سجيلا .

الشرح : السجيل : الصُّلب الشديد . . . .

الصواب : سحيلا بالحاء المهملة ضدُّ المبرم «على كل حال من سحيلٍ ومُبرَم» .

رأيتُكَ للسُّفْر المطرَّد غاية يؤُمُّونها حتى كأنك منهلُ .

الشرح : السُّفْر «سكن الفاء ضرورةً» المطرَّد : الطويل .

الصواب : السَّفر : جماعة المسافرين . كالشَّرب للشاربين والمطَّرِد المطرود كثيراً كالنَّعام المطرَّد فلا ضرورة هنا بل زَعمُ وجودها غلط «ومضى السَّفر - فسَّر - هو» السَّفر بالمسافرين هناك .

لمَّا وردنا ساحة الحسن انقضى عنَّا تَعَجْرُف دَوْلَةِ الأمحالِ .

الشرح : الأمحال : الأباطيل - الإمحال . مصدر أمحل المكان ضد أخصب فذكر الأباطيل هنا من الأباطيل

كالغيث ليس له - أريد نواله أولم يُرِدْ - بُدٌّ من التهطالِ .

الشرح : البُدّ : الفراق .

الصواب : البدّ هنا المحيد والمعدل - أي هو كالغيث لا بُدّ له من التهطال «السكب» أُريدُ نوالُه أو لم يُرَدْ . فانظر .

لم يكسَ شخصٌ فياه حتى رمى وقتُ الزوالِ نعيمَهم بزوالِ .

الشرح : الفيء الغنيمة .

الصواب : فيء الإنسان ظلّه فهو غلَطٌ كبيرٌ على صِغَرِه .

أتعدونه في الحرب قبل اتّفاره وفي الحرب قد أعيا الورى مصمئِلّة .

الشرح : اتفارُه : اشتداد حرِّه .

الأقرب للصواب : أن يكون اتفاره .

مصدر اتفر الغلام ألقى ثناياه أي منذ صِغَره .

ما دام هرون الخليفة فالهدى في غبطةٍ موصولةٍ بدوامِ

الشرح : الغبطة - تمنّي مال الغير .

الصواب : الغبطة هنا الفرح والسرور ولم ترِد بمعنى ما فسَّرَه .

مستسلمٌ للّه سائسُ أمّةٍ بذوى تجهضُمِها له استِسْلامُ .

الشرح : الذُّوى ـ النعاج الصغار . تجهضمها : تعظّمها .

الصواب : بذوي تجهضمها أي بأصحاب التّعظم منها له استسلام «واضح» جمع ذو بمعنى الصاحب .

ملا الملا عُصباً فكاد بأن يُرى لا خلفَ فيه ولا له قُدّامُ .

الشَّرح : الملا : الناس . العصب الجماعات .

الصواب : الملا جمع ملاة تقدم ذكرها كالفلا جمع فلاة وما أكثر الأوهام في مثلها بهذا الشرح .

سفعَ الدؤوب وجوهَهم فكأنّهم وأبوهُمُ سامٌ أبوهم حامُ .

الشرح : السّفع : السود . الدؤوب الخلق . . .

الصواب : سفع الدؤوب : أي سوّدها الإجتهاد وغيّرها .

فاسلم فما سلم الأعداءُ منك ولا فاتوك في الدهر بالأوتار والدِّمَنِ .

الشرح : الدِّمَن : آثار الدار . . .

الصواب : الأوتار والدِّمَن : الأزحال والحقود .

ولطابَ مرتَبَعٌ بطيْبة واكتَسَتْ بُردَين بُرْدَ ثرىً وبُردَ ثراء .

الشرح : فسَّر الثرى بالأرض والثراء بالغنى .

والصواب : أنه من ثُريَتْ الأرض تَثرى ثرىً نديت ولانت بعد الجمود . والثّرى أيضاً الندى والغنى كالثراء بالمدّ .

جهميّة الأوصاف إلاّ أنّهم قد لقّبوها جوهر الأشياء

الشرح : جهمة الليل قريب من السَّحر . قال الجعدي :

وقهوة صهباء باكرتها بجهمة والديك لم يتقبِ

والمراد هنا مظلمة الأوصاف أو غليظتها . إنتهى ، ولم يرد إلاّ المعنى الأخير .

وإذا تشاجرت الخطوب فريتها رأياً يفلُّ مضارب الأعداء

الشرح : الفَري ـ القطع .

الصواب : قريتها من القرى الضيافة .

رجلٌ بدا فملا المشارق نوره متهللاً كالجونة البيضاء

الشرح : الجون يطلق على الضوء والظلمة . . . والأول هو المقصود هنا ، والجونة من أسماء الشمس .

سلي هل عَمرتِ القفرَ وهي سباسِبٌ

والصواب : عمرتُ بضم التاء للمتكلم .

لو اقتسمت أخلاقه العزّ لم تجد معيباً ، ولا خلفاً من الناس عائبا

الشرح : الخلف من الناس السقط الرديء .

الصواب : ولا خلقاً ولا معنى للخلف هنا .

لا رقّة الخصر اللطيف غذتهُم وتباعدوا عن فطنة الأعراب

الصواب : لا رقة الحضر . يصف جماعة من قوم الممدوح خرجوا عن طاعته فهو يستعطفه عليهم معتذراً له بأنهم غير محنكين وقد ظهر معناه .

فلم توقدي سخطاً على مِتنصّل ولم تنزلي عتباً بساحة مُعتبِ

الشرح : مُعتب : بريء من العتاب . . والحق أنه اسم فاعل من أعتبه أي أرضاه . يعني أنه لا يبالي بسخطها ولا يعتبها .

وخوطيّة شمسيّة قمريّة مهفهفة الأعلى رداح المحقَّب

الشرح : المحقب : المشدود بالحقاب وهو شيء تعلق به المرأة الحليّ وتشدّه في وسطها.

الصواب : المحقب : مكان شدّ الحقاب .

وأرادوك بالتبياتِ ومن هذا يرادي متالعاً أو عسيبا

الشرح : يرادي : يناضل .

الصواب : يرادي من المراداة المراماة بالمرادي وهي الصخور . جمع مرداة .

فإذا ما الأيام أصبحن خُرساً كظماً في الفَخار قام خطيبا

الشرح : الكظم : الإمساك والكتم .

الأحسن أن يقال كظّماً جمع كاظم الساكت .

هو الإضحيان الطّلق رفّت فروعه وطاب الثرى من تحته وزكا التُّربُ

الشرح : الإضحيان : اسم نبات . .

ولا بأس أن يُزاد . ويوم أضحيان مضيء لمناسبة الطلق .

كأنّ بلاد الروم عُمّت بصيحةٍ فضمّتْ حشاها أورغا وسطها السّقبُ

الشرح : السقب ـ ولد الناقة الذكر . . . . وكان ينبغي الإشارة إلى قضية فصيل ناقة صالح التي بسبب رغائه على أمه هلكت ثمود .

ولا اجتُليتْ بكرٌ من الحرب ناهدٌ ولا ثيِّبٌ إلّا ومنهم لها خَطبٌ .

ولعل الأصح خِطبٌ بالكسر . والخطب : الرجل الذي يخطب المرأة فهو خِطبها وهي خِطبَةُ «فهو كفؤٌ لها وهي كفؤ له» .

إذا افتخرت يوماً ربيعةُ أقبلتْ مجنّبتي مجد وأنت لها قَلْبُ

الشرح : مجنّبتي مجد أي على جانبيها المجد . . المجنبتان : ميمَنَةُ الجيش وميسرَتُهُ .

بجـودك تبيضّ الخـطوبُ إذا دَجَتْ وتـرجـع عن ألـوانهـا الحُججُ الشُّهب

الشـرح : الحجـج ـ السنـون . والشـهب : البيض ، . . . . . الخ . . . . ويُعبَّر بها عن سني الجَدب والمحل ، فعدم بيان هذا المعنى إخلالٌ .

فـاستنبـطت مـديحـاً كـالأري فـي لـصـابـهْ

الشرح : لصابه : التصاقه أو بيوته الضيِّقة .

الصواب : اللِّصاب جمع لصب . الشعب الصغير في الجبل والعسل في شهده مثل يُضرَبُ لشدّة الحلاوة .

وقُصيب شـواكـل الأمـر فيـه مشكـلاتٌ يُلكنّ لـبَّ اللبيبِ

الشرح : يلكنّ ـ يمضغْنَ .

الصواب : يُلِكْنَ ـ يجعلنه لكِناً .

كـلُّ شـعـبٍ كـنـتم بـه آل وهـب فـهـو شعبي وشـعـب كـلُّ أديب .

الشرح : الشَّعب : الحي العظيم .

الصواب : الشِّعب : بالكسر المسلك والطريق .

لـو رأيـنـا الـتـوكيـد خـطّة عـجـز مـا شـفعـنـا الأذانَ بـالـتـثـويـبِ .

الشرح : التثويب : ترديد الصوت . . . . . .

والصواب : ثوَّب المؤذن دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله حيّ على الصلاة مرتين . أو قال في أذان الفجر «الصلاة خير من النوم» مرتين ففي الشرح إخلال .

خـذهُ وإن لـم يـرتـجـع مـعـروفـه محضٌ إذا غلث الرجـال مـهـذَّبُ .

الشَّرح : الغلث ـ شدة القتال .

الصواب : غلث الرجال - خلطوا أي هو محضٌ مهذبٌ لا خلطة فيه إذا غلث الرجال .

دعيني على أخلاقي الصمل التي هي الوفر أو سِرْبٌ ترنُّ نوادِبُهُ

الشرح : الوفر الكاملة . . . .

والصواب : الوفر المال الكثير أي هي الغنى أو الموت .

إليك جزعنا مغرب الملك كلما وسطنا ملاً سلطٍ عليك سباسِبُهُ .

الشرح : ملا سلط - اسم موضع .

والصواب : كلما وسُطنا ملاً صلت عليك سباسبه أي قالت : اللهم صلِّ عليه . استعمل الشاعر هذا التعبير في غير مكان .

أرى الناس منهاجَ الندى بعدما عفَتْ مهايِعُه المُثْلى ومجّت لواحِبُه .

الشرح : مُجّت : رُميتْ .

والصواب : محّت بالمُهمَلة أي درست . والعبارة ظاهرةٌ .

سقيت صداهُ والصفيحُ من الطلى رواءٌ نواحيه عذابٌ مشارِبُه .

الشرح : الرّواء - حسن المنظر .

الصواب : والصفيح من الطلى رواء نواحيه . من الرّي ضد العطش .

كانت بناتُ نصيب حين ضنَّ بها على الموالي ولم تحفل بها العربُ .

الشرح : لم تحفل لم تهتم هذا كل ما قاله على هذا البيت وكان ينبغي أن يشير إلى بنات نصيب الشاعر التي مثل أشعاره بها وأنه لولا عطف هذا الممدوح لنالها من الكساد ما نال أولئك . وهو إخلال قبيح .

قد جلَبْتُه الجنوب فالدين و الدّنيا وصافي الحياة من جَلَبِهِ .

الشرح : الجنوب : ريح الجنوب .

والصواب : قد حلبته من حلبةٌ بـالحاء المهملة . يصفُ غيثاً في الأبيات السابقة .

لــه جــلال إذا تــســربَــلَهُ أكسَبَــهُ البــأر غيــر مكتسَبِــهِ

الشرح : البأر : الإدّخار .

ولعل الصواب : البأو . وخير بدل غير والبأو العُجب والزهو .

فــلا تــغـبــبْ مــحــلك كــل يــوم مــن الأنــواء ألــطاف الســحــاب .

الشرح : تغبَبْ تتردد . . . غلط .

الصواب : تغبَبْ من الإغباب وهو المجيء يوماً والتَّرك يوماً ومنه «زرغبّاً تزدد حبّاً» يدعو له بملازمة الأنواء محله على الدوام .

بمفعمــة الأنســاع مؤجــدة القــرى أمــونُ السرى تنجو إذا العيسُ كلَّتِ .

الشرح : مؤجدةٌ ـ تامّة .

الصواب : مؤجدةُ القرى ـ قوية الظهر .

وأحيــا سبيــل العــدل بعــد دثــوره وأنهــج سُبــل الجــود حيــن تعفّتِ .

الشرح : أنهج : قوم . ولو قال : أوضح منهاجها لكان أحسن .

ألــقى عــليــه نجــاره فــأتــى بــه يــقــظانَ لا وَريــمــاً ولا مــلثــاثــا

الشرح : الملثاث : المتردّد .

والصـواب : ولا ملـتـاثـاً من التـاث الأمــر اختلط والتبس واللُّوثـة حماقة واختـلاط في العقل وإذا كـان الغلط في «ملثاثـا» مطبعيـاً فتفسيره بالتردّد ليس كذلك .

مــا ســرَّ قــومَــك أن تبقى لــهـم أبــداً أو أنَّ غيــرك كــان استنــزل الكــذِبــا .

الشرح : الكذج ـ المأوى «مُعَرَّب» .

والصواب : استنزَل الكذج حمل أهلها على النزول . قسراً على حكمه وهي من حصون الخرَّميَّة أصحاب بابك ووقائعه التاريخية مشهورة (أو أن) وأنّ .

وأصبحت فحمةً جأواء ليس ترى في نظم فرسانها أمْتاً ولا عِوَجاً .

الشرح : جأواء . . كدراء اللون في حمرة .

والصواب : قحمة بدل فحمة من الإقتحام . والجأواء هي الكتيبة يعلوها لون السواد لكثرة الدروع .

قد حلَّ في صخرة صمَّاء معنقةٍ فانحت برأيك في أوعارها درجا .

الشرح : معنقة ـ منعطفة .

والصواب : مُعنقةً ـ مرتفعةً جداً والمعنق من الأرض ما صلب وارتفع وحواليه سهل .

فكأنَّ المُغِدَّ فيها مقيمٌ وكأنَّ الساري عليهنَّ عادِ .

الشرح : المُغِدّ : الذاهب .

الصواب : أصلها المغذ بالمعجمة أي المسرع فإذا كان زوال النقطة مطبعياً فحق الشرح أن يكون المغذّ الذاهب مسرعاً وإلا فلم أجد المغِدّ بمعنى الذاهب .

أنتَ ناضلت دونها بعطايا عائداتٍ على العُفاة بوادِ .

الشرح : بوادٍ : ظواهر .

والصواب : عائدات بوادي من العود والبدء من الظهور .

متى تحلل به تحلل جناباً رضيعاً للسَّواري والغوادي

الشرح : السواري : سراة الليل ـ والغوادي : السائرون في

الغداة .

والصواب : السّواري والغوادي : السحب المنتشرة مساءً وصباحاً والشرح عجيب .

وأين يحورُ عن قصدٍ لساني وقلبي رائحٌ برضاك غادِ .

الشرح : يحورُ : ينقُص أو يحار أو يرجع .....

والصواب : يجور ؛ والجور عن القصد معلوم .

وأرّت بين حيّ بني جلاحٍ شبا حربٍ وحيّ بني مصادِ .

الشرح : أرّت : أو قدَت كذا .

الصواب : الأصح أرّث بين القوم أغرى وأفسد وأرّث النار أوقدها .

ولو كشّفتني لَوجَدت خرقاً يُصافي الأكرمين ولا يُصادي .

الشرح : يُصادي : يعارض .

الصواب : يُصادي : يداهن .

يا أحمدُ بنَ أبي دؤاد حططتني بحياطتي ولددتّني بلدودي .

وصوابها : إما حُطتني وإمّا احتطني . وحططتني لا تعطي المعنى المقصود من البيت .

حذّاء تملأ كلّ أذنٍ حكمةً وبلاغة . وتدُرُّ كلّ وريدِ .

الشرح : حذّاء ـ قارصة أو طاعنة .

والصواب : قصيدة حذّاء سائرة .

وقر النفوس إذا كواكبُ قصعبٍ أردَين عِفريتَ الوغى المرِّيدا .

الشرح : الوقر : الحمل الثقيل .

وصواب الشطر : وُقُرُ النفوسِ إذا كواكب قصعب . جمع : وقور ذو الوقار مثل صَبور وصُبُرٍ وغيور وغُيُرٍ وقعضب اسم القبيلة .

ومكارماعتق النجار تليدةً   إن كان هضبُ عماية تين تليدا .

الشرح : عما يتين : جبلين .

والصواب : اسم جبل .

ما خطبةُ ما دهاه ما غاله   ما ناله في الحسان من خرَدِه .

الشرح : خرده : طولُ سكوته حياءً .

والصواب : مِن خُرُدِهِ جمع خَريدة البِكرُ لم تُمسَّ .

فهم يميسون البختُريَّة في   بُرودِه والأنامُ في بـرَدِه .

الشرح : بروده : ثيابه ولم يزد .

الصواب : هو إخلال كبير فالبرود : الأثواب المخططة والبُرد أيضاً جمع بُرد : كساءٌ أسودُ من الصوف فلعلهما كانا يومئذٍ نوعين متمايزين ولا مناسبة لِبرَده بالفتحتين كما هو مرسوم .

ما رنهِ لَدنهِ مثقفهِ   عِراضه في الأكفّ مطَّرِدَهِ .

الشرح : عراضه : صفحته .

الصواب : عرّاصه : يصف الرمح .

يا مضغناً خالداً لك الثكلُ إن   خلَّدحقداً عليك في خلَدِه .

الشرح : المضغِن : الحاقد .

الصواب : أضغنه : جعله يحقدُ عليه .

أصادفت كنزاً أم صبحت بغارة   ذوي غرة حاميهم غير شاهدِ .

الشرح : ذوي غِرة : غافلين .

والصواب : ذوي عزة : كثيري المال والعزَّة خيار المال .

فرعت عقاب الأرض والشعر مادحاً   له فارتقى بي في عقاب المحامِد .

الشرح : رعت : أفزعت . عقاب : جمع عقبة وهي المرقى الصعب من الجبال .

الصواب : فرعت من فرع العقبة ارتقاها لا من الرَّوع الفَزَع وكيف يفزع العقبة .

هذا على كتِديه كل حادثة   تخشى وذاك على اكتاده اللّبَدُ .

الشرح : اللِّبد : الصوف .

الصواب : اللِّبدة : شعر الأسد جمعها لِبَد .

فتىً يوم بَذِّ الخُرَّميَّةِ لم يكن   بهيابةٍ نكسٍ ولا بِمعرَّدِ .

الشرح : بَذُّ الخرَّميَّة : اسم الأرض .

والصواب : بَذُّ الخُرَّميَّة : القلعة التي كانت حصناً لهم .

لعمري لقد حرَّرت يوم لقيته   لو أنَّ القضاءَ وحدَه لم يبرِدِ .

الشرح : يبردَ من برد إذا مات أو ضعف أو وقع أسيراً .

الصواب : ولا شيءَ منها يناسبُ مقصدَ الأبيات ذاك لأنَّ المحارب نجا من الممدوح فهو يقول له لعمري لقد حررت «من الحر» للعَدو لولا أنَّ القضاءَ بَرَّد عنه فالأَجَلُ حصنٌ حصينٌ وكفى به حارساً فهو يعتذر عنه إذ أفلته الخصم بدفاع القضاء .

تخب بنا أدمُ المهارى وشؤمُها   على كلِّ نشزٍ متلئب وفدفَدِ .

الشرح : متلئب من اللوبة أي الحرَّة . وهي الأرض ذات الحجارة السود .

الصواب : متلئبٍ : طويل ، مستقيم ، ممتدّ . لا منَ اللّابة

واللوب .

لهامِن لوعةِ البينِ التدامٌ يعيد بنفسجاً وردَ الخُدود .

الشرح : الإلتدام : ضرب الصدر في النوح .

الصواب : والمتبادر هنا أنَّ اللأم هو الضرب على الخد وإن كان ذاك من معانيه .

إذا خرجتْ من الغمرات قلنا خرجتِ حبائساً إن لم تعودي .

الشرح : الحبائس ـ المحبوسة عند البيوت .

الصواب : ماذا فهمنا . . بل الحبائس جمع حبيسة مؤنّث الحبيس وهو من الخيل والإبل الموقوفة في سبيل الله فهو نذرها لله إن لم تعدْ «يُهدّدُها بالذبح» .

أما وأبي الرَّجاءِ لقد ركبنا مطايا الدّهر من بيض وسودِ .
قلائص شوقهنّ يزيدُ شوقاً ويمنعْن الرقادَ من الرقودِ .

الشرح : القلائص : النوق الرقاد والرقود النوم .

الصواب : يريد بالقلائص الأيام والليالي والرقود جمع راقد .

فهب وهلاً لخيلك والمنايا تُشذّبُ مهجة البطلِ النجيد .

الشرح : الوهل : الفزع .

والصواب : هب وهلاً : زجر للخيل لا من الهبة والوهل .

حتى لقد ظنّ الغُواةُ وباطلٌ أني تجسّم فيَّ روح السيّد .

الشرح : الغواة الضالون . وباطلٌ أي ظنهم انتهى .

الصواب : وأخلَّ بعدم شرحه لفظة السيّد هنا وهو السيّد الحميري المنقطع في شعره إلى أهل البيت وهو أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ومغزاه بيّنٌ .

ومُـزحزحـاتي عن هـواكَ عـوائقٌ أصحـرن بي للعَنقفير المـوبـدِ .

الشرح : العنقفير : الداهية ـ والموبد : الأبدية .

الصواب : ولا يوجد المعنى في مادة «أبد» من المعاجم فالصواب المؤيد بالياء وهو الأمر العظيم والداهية أيضـاً يُؤتى بها للتـأكيد كـالضيلم الخنفقيق .

ومـا زال مـنـشـوراً عـليَّ نـوالُـهُ وعنـدي حتى قـد بقيتُ بـلا عنـدِ .

الشرح : العند : القلب .

الصواب : والمعقـول تـركتني أصحبُ الـدُّنـيـا بلا أمل «وفي القامـوس» ويُقال عندي كذا فيُقال ولك عند استُعمل غير ظرف . ذكرت المعـاجم هذا المعنى ، وظني بـل يقيني أنَّ أبا تمَّـام لم يـرِدهُ إنمـا أراد «عند» التي هي الظرفية على حد قول القائل : قال المتنبي :

ويمنعني ممـا سِـوى ابن محمَّـدٍ أيـادِلـهُ عنـدي تضيق بـه عـنـد .

وهذا كقول الراجز : ليت وهل تنفع شيئاً ليتُ «فالمسألة سهلة» .

ونـاديتني التـثـويب لا أنني امـرؤٌ سـلاكَ ولا استثنى سـواكَ بـرافـدِ .

الشرح : التثويب : تكرار الرجوع .

الصواب : تكرارُ النداء .

تَـلاقى بـك الحيَّـان كعبٌ ونـاهـدٌ فـأنت لهـم كعبٌ وأنت لـهم نـهـدُ .

الشرح : النهد : الثدي . . لم يزد .

الصواب كَعبٌ ونهدٌ علمـان لأبويِ قبيلتين : وتصور كيف يكون الممدوح لهم كعباً وثدياً .

فـعـوجـا صـدور الأرحبي وأسهـلا بـذاك الكثيب السهـل والعلم الفـردِ .

الشرح : الأرحبي - يُراد به الفرس الكريم .

والصواب : الأرحبي من الإبل لا من الخيل .

إذ لا صدوق ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا نوار نُوارُ .

الشرح : الكنود : كافر النعمة - نُوار : امرأة .

والصواب : أنَّ صَدوق وكَنود ونُوار أسماء نساء .

ضمنَت له أعجامها وتكفّلَت أوتارُها أن تُنقض الأوتارُ .

الشرح : الأوتار «الثانية» جمع تيره وهي الثأرُ .

والصواب : جمع وتر وهو الثار .

والناس بَعدك ما تغيَّر حبوتي لفراقهم إن انجدوا أو غاروا .

الشرح : الحَبوة : العطاء - واسم من احتبى بالثوب إذا اشتمل به .

الصواب : وهي هنا أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوبه أو بيديه فإذا قالوا فلانٌ تحل له الحُبى أرادوا أنه عظيم يُهتمّ به وبالعكس إذا أرادوا تهوين الأمر قالوا فلانٌ لا تُحل له الحُبى . . . أليس هذا مقصود الشاعر . وهل يُستفاد هذا المعنى من الشرح .

بدُرَّةٍ حفَّها من حولها دُرَرٌ أرضى غراقي فيها دمعي الدَّرَرُ .

الشرح : الدُرَّة - اللؤلؤة الكبيرة والدُّرر جمع : يشبّه الحسان ودمعه بالدّرَر .

الصواب : الدَّرِر بفتح فكسر نعت من درَّ الدمع وغيره : سال بكثرة فهو دَررٌ «صفة مشبَّهة» .

ولذاكَ شعري فيك قد سَمِعُوا به سحرٌ وأشعاري لهم إشعارُ.

الشرح : إشعارٌ : إعلام .

والصواب : بالفتح للإسمين «وأشعاري لهم أشعارُ» لا غير .

والهاشميّون استقلَّت عيرُهم من كربَلاءَ بأوثق الأوتار.

الشرح : أوثق : أقوى وأثبت .

الصواب : أوسُق جمع وسق .

يروح ويغدو بالبيان لمعشرٍ يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر.

الشرح : الغمر : الكريم الواسع الخُلُق «ومن لم يُجرّب الأمور» .

الصواب : وإنما هو الحقد والغلُّ هنا لا غير .

لِلمَجد مستَشرفٌ وللأدب المجـ ـفوّ تربٌ وللندى حلْسُ.

الشرح : المستشرف : المنظور . الحلس : الكبير من الناس . . . .

الصواب : كلا بل الحلس بمعنى الملازم يُقال : فلانٌ حلسُ خيل وحلسُ بيته ويصفون الفارس بأنّه من أحلاس الخيل . أو الصواب : جلس بالجيم وهو الجليس بمعنى المُجالس . والمستشرف مَن يرفعه نظره عن شرف بخلاف ما فسَّره .

مخلَّق وجهه على السَّبق تخـ ـليف عروس الأبناء للعِرسِ .

الشرح : الأبناء قوم سكنوا اليمن .

الصواب : فالكلمة لا تحتاج تفسيراً .

خلائق فيه غضة جدد ليس بمنهوكةٍ ولا لبسِ .

الشرح : لبس : مختلطة .

الصواب : بل لُبَس ملبوسة جمع لبيس وهو الذي لُبس كثيراً فصار بالياً كما علق الشارح على قول الشاعر :

وجديدة المعنى إذا معنى التي تشقى بها الأسماع كان لبيسا
نافس أهل العلا فاحتاز عقلهمُ منهم فأصبح مُعطى الحقّ منفوسا

الشرح : نافس : فاخر . العلق والمنفوس : الشيء الثمين .

والصواب : منفوساً : مغلوباً بالمنافسة .

ولَرُبَّ كِفلٍ في الحروب تركته لصعابها حِلساً من الأحلاسِ

الشرح : الكفِل وهي فرجة صغيرة . . .

الصواب : والكفل هنا مَن يثب على ظهور الخيل فانظر .

وحائن أخرق داويتُه ردّاعةً داهيةً دَرْدَبيس .

الشرح : الحائن والأخرق : الأحمق الردّاعة مِن ردع فلان إذا وجع جسده كله . الدردبيس : العجوز .

والصواب : الحائن : الهالك ردّاعة : طعنةٌ تردع جسمه تلطخه بالرداع وهو الدم . والدردبيس : صفة للداهية ولا معنى هنا للعجوز .

أقرم بكرٍ تُباهي أيها الحفضُ ونجمها أيّهذا الهالكُ الحرضُ .

الشرح : القرم : السيد الحفض الجمل الضعيف الحرض الرديء .

والصواب : القرم : فحل الإبل والحَرضَ المشرف على الهلاك ﴿حتى تكون حَرضاً﴾ .

[سورة يوسف ، الآية : ٨٥]

تُنحي على صخـرة صمَّـاء تحسبهــا عضـواً خلوت بــه تبــري وتنتحضُ .

الشرح : تنحي : تأتي ـ تنتحض : يقل لحمها .

الصواب : تبري من برى السهم : نحته وانتحض : أزالَ النحض وهو اللحم .

سهمُ الخليفـة في الهيجـا إذا استعَـرت بالبيض والتَّفْتِ الأحقـابُ والغُـرُضُ .

الشرح : الأحقاب : السنون ـ الغُرض : معظم الناس . . .

الصواب : وإنما هي الأحقابِ والغُرض الأحقاب هنا جمـع حقب الحزام يلي حقو البعير أو حبل يُشدُّ به الـرحل في بـطن البعير والغـرض جمع غرضة للرحل كالحزام للسـرج كنى بهما عن اشتـداد الأمر والتفُّت يجوز أن تكون «التقت» .

أرادَت بــأن يحــوي الغنى وهــو وادعٌ وهـل يفرس اللّيث الـطلى وهو رابضُ .

الشرح : الطلى : الأعناق .

والصواب : الطلى جمع طلا : ولد الظبي .

حول أبي العلاء

محاورة بين تلميذ متعصب على أبي العـلاء هربـاً من عار التقليـد وليـدسّ نفسه بين البـاحثين المفكرين . وبين أستـاذ متعصب له ليـظهـر بمظهر الغيرة للعلم وتحاشياً للحسد .

التلميذ : ما رأيك أيها الأُستاذ في أبي العلاء ؟

الأُستـاذ : أمثـل أبي العـلاء يُسـأل عن مكـانتـه ورأيي فيـه ؟ هـو فيلسوف الشرق الذي سلك بمقتضى فلسفته وطبق العلم على العمل ولا أدلُّ على منزلته من قوله :

لعمـرك مــا غــادرت مــطلع هضبــةٍ من الفكــر إلاّ وارتقيت هضــابهــا .

ألا تراه قد انتقد الفلاسفة وعلماء الكلام والقراء والفقهاء حتى الأديان والمشترعين .

التلميذ : وما في ذلك من الفلسفة والمكانة العظيمة .

الأستاذ : وماذا تكون الفلسفة إذاً ؟ أليس هي البحث عن الحقيقة في نفسها والإنقياد إليها ولو خالفها العالم جميعاً ، أما سمعت قول أرسطو حين نوقش في مخالفته أستاذه أفلاطون :

«إنا نحب أفلاطون ونحب الحقّ ولكن حيثما اختلفا فالحقّ أحقّ أن يُتّبع» .

وهذا شأن فيلسوفنا فإنه نبذ التقليد واتبع الحقائق غير مبال بخلاف مَن خالف مهما جلّ ولو كان في عقلك متسع لهذه المباحث الدقيقة لشرحتُ لك الكثير مِن اعتراضاته على ما يظنه الناس حقائق راهنة وما هو عند التحقيق إلّا أوهام في أوهام .

التلميذ : إذا كانت هذه هي الفلسفة فإني أُريد أن أكون فيلسوفاً .

الأستاذ : فيلسوفاً ؟ !

التلميذ ؛ أجل ، وفيلسوفاً كبيراً .

الأستاذ : وماذا أعددت لهذه المهمة من الأدوات . . الوسواس وحب الشهرة ؟

التلميذ : كلا وإنما هو حب الحقيقة .

الأستاذ : احبّ أن أعلم أولاً كيف تكون فيلسوفاً .

التلميذ : أنتقد أبا العلاء وغيره من الفلاسفة .

الأستاذ : صَهٍ ، ومن سوّغ لك هذا الهذر .

التلميذ : مهلاً أيها الأستاذ لا تنظر إلى مَن قال وانظر إلى ما قيل وإنما سوغ لي هذا أبو العلاء نفسه فإنه انتقد واعترض على من لوقيس

بـه لما كـانت نسبته إليه فـوق نسبتي إليـه هـو ، وقـد شهـد على نفسـه بالنقص إذ قال : «أشهد أني رجل ناقص» فلا تدع له الكمال .

الأُستاذ :

اذكـر مـا آخـذك عليـه لأفنـدهـا وأُعلمـك أنـك من جهلك في غـرور .

التلميـذ : ما معنى قـوله «ومن قـال اللهم اجعل بـازيا كـان قـولـه للسفه موازياً» .

الأُستـاذ : معناه ليس لمخلوق أن يتجـاوز فطرتـه فليس في وسـع الإنسان الخروج من بشـريته ولا المـلاك عن روحانيتـه ولو كلفت البـرق الخاطف أن يقطع القيراط الثاني من الذراع قبل الأول لما استطاع .

التلميذ : تبارك الله ! وقد سمعت أن الهَم لا يفارق العقـل وقرأت هـذا المعنى في فلسفتـه حتى إنَّ النجـوم لـو كـان معهـا عقـل أشعـرَت بالهلك وكان ذلك منغصاً لحياتها .

إن كـان لـلـمـرّيـخ عـقـل فـمـا يـسـتـر عـنـه أنـه بـائـد .
أتـدري الـشـمس أن لـهـا بـهـاءً فـتـأسـف أن فـارقـهـا الأيـاء .

الأُستاذ : هذا حق لأنَّ العقل يبعث على التفكير في عظمة الكون ومتى فعـل المرء ذلـك أوقفـه البحث في أسـرار الحيـاة ومـا إليهـا على مشاكل لا يُستطاع حلها بعلم ولا فلسفـة ولا دين فيرجـع خاسئـاً وحسب ذلك مدعاة للهمّ .

التلميذ : هنا نقطة الخلاف يا أُستاذ إذاً فكيف يقول :

لا أحـمـل الهـمَّ لـي يـوم يـغـيِّـبـنـي ولـو حللت مـع الجـوزاء والحمـلِ .

أخرج عن الفطرة ؟ .

الأُستاذ : وإنما هي حال عرضت . رجل قتل الأشياء خبراً فلم يرَ نفعاً من الإهتمام أليس قد قال «أتضحّى بالهم أو أتمسّى» .

ولم يكف هـذا الـدهـر ما حملَ الفتى من العبء حتى ردَّه يحمـل الـهمـا

وحسبه صراحةً عما عنَّ له ولم يجمجم به كالمدلسين . وكفى بهذه الجرأة دليلا على وثوقه من نفسه .

التلميذ : قد عرضت لي هذه الأحوال وتناوبني الشك واليقين في كثير من مسائل الحياة ، وأصابني الهمّ المفرط بمقتضى الطبع وسرُّى عني الهم ما وردَ في الكتاب ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم﴾ [سورة الحديد ؛ الآية : ٢٣] وفي السنة «لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع» أفلستُ بذلك فيلسوفاً؟ بل من ذا الذي لا يكون كذلك ؟ نعم لو أتانا بفائدة تخفف بعض الأعباء لحمدناها لـه . أمّا والأمر على الفطرة فلا أدري ما هذه الأقوال ففي وسع كل أحد أن يكون متفلسفاً وفيلسوفاً معاً ما دام كل ذلك محمولاً على توارد الأحوال ، ولكل مقام مقال ، وما الفائدة من الوعظ والفلسفة والمرء لا يقدر أن يتحول عن كيانه أليس كل ذلك أعاليل بأضاليل ؟ يا ضيعة الوقت وارحمتاه للعلم والفلسفة .

الأُستاذ : إنك لا تهدي من أحببت ، ألم يقل :

سلكتُ طُرق المعالي ثم قلتُ لهم سيروا ورائي فلما شارفوا خنسوا .

التلميذ : ولكننا سمعناه ينادي بملء فيه . الله يشهد أني جاهلٌ ورعٌ ... فخفنا أن يقودنا ذلك الأعمى الجاهل إلى حفرة وقد قال :

وإن شئتما أن تخلصا من أذاتها فحطّا بها الأثقال واتّبعاني .

وإلى أين ؟ أليس : إلى هوَّة لا الماء فيها ولا الخمر ... ودُعاني ثم يتبجح قائلاً :

غدوت مريض العقل فالقني لتسمع أنباء الأُمور الصحائح . .
ماذا تريدون لا مالٌ تيسر لي فيُستماح ولا علم فيُقتبسُ . .
أقررت بالجهل وادّعى فهمي قوم فأمري وأمرهم عجَبُ

فـإذا سكتنا عمـدَ إلى تقريعنـا : بني زمني هـل تعلمـون سـرائـراً علمتُ ؟ وما هي تلك السرائر ؟ . . .

غلب المين منذ كان على الناس وماتت بغيظها الحكماءُ . . .

كـم وَعظ الـواعـظون مـنّـا وقـامَ فـي الأرضِ أنـبـيـاءُ
فـانـصـرفـوا والعـنـاءُ بـاقٍ ولـم يـزلَ داؤك الـعـيـاءُ

هبِ العلم والفلسفة قد اجتمعا لي من لدن طاليس الحكيم إلى سيادته أفلا أموت ميتة راعي الضان في جهله .

الأُستاذ : (وقد ضاق صدراً) لقد دلَّ هذا الهذيان على خلل في دماغك أو تلبك في معدتك أو لعلك تريد الشهرة من باب (خالف تُعرف) ولقد نُهينا (معشر العلماء) أن نماري السفهاء والمتعنتين وإذا خاطبنا الجاهلون (وينهض الأُستاذ مغاضباً) .

التلميذ : لعل ما يحصِّله المتدين على بلهه وولهه هو كلّ ما أفنى الفلاسفة أعمارهم في نشدانه فيا لهذه الحذلقة والتشادق ؟ إن دون الغيب لسراً محجوباً مضروباً دونه بالأسداد لا يبلغ إليه البصير بله الأعمى **﴿فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾** .

[سورة تبارك ؛ الآية : ٥]

١٣٤٨ هـ

رسالة الغفران

حيرة العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والفلاسفة والمتفلسفين والمتصوفين (وخربقُ النشىء الجديد إلا الذين تذوقوا لذة العلم الحقيقيّ منهم وقليل ما هم) فأبو العلاء عالم بين العلماء وشاعر . . . وفقيه . . . . وفيلسوف بين الفلاسفة ولغويّ متضلِّع ونحويّ متقعّر وليست الفلسفة التي عُرِفَ واشتَهرَ بها في مشارق الأرض ومغاربها بأظهر في آثاره من اللغة التي يذهلك تحقيقه وتدقيقه في حوشيّها وغريبها وتصريفها وإعرابها ولا فن الأدب الذي يخلب لبك في محاوراته ومساجلاته ولا من الحذلقة التي تملّ وتُسئم من أم جزءٍ وحُوَّاري بكشىء أو بوزءٍ أو بنسىء إلى أم شرى فتتلَمَّظ حواري باري بعد أن تكون على وشك طرح الكتاب بحيث لا تعود إليه لتخرج إلى الخلاء فتعطس وتتنخّم لتتنشق النسيم المطهر للرئتين من جراثيم السأم والملالة .

إذاً فهو آية في كل فن من فنونه وطورٍ من أطواره ومسلكٍ من مسالكه فلا غروَ أنِ اعتاص فهمه على الباحثين عن عقلياته واختلفت مآربهم ومشاربهم بين من جعله مادياً صرفاً أو إلهياً بحتاً أولا أدريّاً مشككاً وكل يحتج لرأيه بما بدا له من بعض أقواله ولم يزل هُوَ هُوَ وهم هُم .

ففي هذه الرسالة (رسالة الغفران) من التنزيه والتقديس والتمجيد لله العزيز الحميد ما لا يصدر إلاّ عن متألّه متدلّه ومن النزعات والسخر بالأديان ما لا يتأتّى إلا عن ملحد شبّ وشاب على نظريات دروين ونيتشه ومن الغمز واللمز في الشريعة الإسلامية ما لا يبدو إلا من تلميذ تخرج في مدارس الجزويت على الأب لويس شيخو أولا منس أده ومن الإستخفاف في الملة المسيحية وعقائدها ما لا يأتي به إلا مسلم جاهل متعصب . وبينا هو يثلج صدر الشيعي بما يذكره من المقام المحمود لأهل الولاية إذ به يقرّ عينَ الناصبي بمساوىء الشيعة وكل ما أوردناه يهون الإستشهاد عليه وإثباته من هذه الرسالة رجل هذه صفاته هل يصح عليه حكم عامّ لا شذوذ به فما علينا أن نقول به كلمة كغيرنا .

قد ظهر لي من تتبُّع أقواله أنه يعمد أحياناً إلى بعض الآراء التي يعتقدُها فيبالغ في نفيه إذا كان منافياً لآراء الجمهور كقوله :

قال قومٌ ولا أدين بما قالوه   أنَّ ابنَ آدمٍ كابن عرسٍ

زعم الفلاسفة الذين تنطّعوا   أنَّ المنية كسرها لا يُجبَرُ.

قالوا وآدم مثل أوبر والورى   كنباته جهل امرؤ أوبر

وهو وايم الحق رأيه الذي دلّه عقله عليه وهو لا يرتضي إماماً سواه :

كذب الظن لا إمام سوى العقل   مشيراً في صبحه والمساء

إذاً فما على الشيعي إن استنتج تشيعه مما يوهمه من أقواله كما استنتج الملحد إلحاده والمتدين تدينه ولا قدرة لأحد فيما أراه على إثبات ولا نفي وأقسم أن الدكتور طه حسين حين حكم بإخراجه من الإسلام والمسلمين لم يكن فكره إلا مرآة تجلّت بها نفسه هو بأوضح مظاهرها فصدر حكمه عن بصيرة وتحقيق وبقي أبو العلاء بحيث هو من الدين والغموض والمكانة والمقام . ولو أردنا الإطالة بمثل هذه السُّفاسف لبحثنا وحلّلنا ولم نخرج عن سنن مَن كتبوا فيه ولم نكن

أكثرهم سَفْسَطةً فلنترك البحث فيما قالوه نفياً وإثباتاً وندع لكل رأيه . . .
على أنَّ من يطالع رسالة الغفران هذه باختصار كامل يتبيَّن له صدق ما قلناه ويحكم به إن كان من المنصفين .

إلى الفيلسوف لبيب الرياشي
بمناسبة كتابه عن محمد (ص)
إنَّ مِن البيان لسِحراً

وعلى تَفَنُّنِ واصفيه بحُسنه يَفنى الزمانُ وفيه ما لم يُوصفِ .

تبارك الله . ما هذا البيان الساحر والأسلوب المبتكر والتحليل العميق بالمعنى الأنيق واللُّفظ الرشيق تلك السيرة القدسية ملكت على الكاتب المنصف مشاعرَه وشعورَه وأشرق نورُها على مرآة قلبه الصقيلة فحكت ما قابلها امتلأ به الجنان وأشرقَتْ على الجوارح والأركان فعبَّر عنها اللسان بذلك البيان الخلاب .

فكأنَّ منبَتُ روضِ الحَزْنِ باكره غيثٌ بغير سباخ الأرض هطَّالُ

فظهر هذا العبير الفواح والأرج الأريج :

وزكيُّ رائحة الرياض كلامها تبغي الثناءَ على الحيا فتفوحُ .

ليس في كتاب الفيلسوف الرياشي ما نستغربُهُ ويحملنا على الدهشة والإبتهاج مثل ذلك الإنصاف النادر والإعتدال في الحكم والجرأة والصراحة بذلك الأسلوب الجذاب الذي يفتنُ العقول ويخلُب الألباب .

نحن معشر المسلمين نعتقد أن محمداً ﷺ أعظمُ متشرع وأكمل إنسان قام في العالم وأنَّ شريعته مستوعبة جميع ما يُحتاج إليه في كل مكانٍ وزمانٍ من العبادات والمعاملات وحسن الآداب مع الحق والخلق . قد ألفنا ذلك لكثرة ما فصَّله لنا الرُّواة من سيرته الشريفة المقدسة المشتملة على جميع حركاته وسكناته فلم يَعُد يَحدثُ بنا من

الروعة والعبرة والعظة بتحليل نفسيته القدسيَّة لو كتبها أحَد علماء الأزهَر أو النجف الأشرف مهما أتقن وتفنن ما يحدُث لنا منها لو كتبها عالم غربيٌ أو فيلسوف أوروبي أو مفكر عربي غير مسلم .. سجية في النفوس تلك الغريزة وهذا الإعجاب ولن يعدم الحق نصيراً ومن كان خُلقه القرآن المجيد يَسخط لسُخطه ويرضى لرضاه فهو أكمل أخلاقي لتربية بني البشر .

أفاض رواةُ السيرة وأكثروا من ذكر مُعجزاته المعنوية والحسِّية ونرى أنَّ ما حدا بأولئك الفلاسفة المنصفين ومنهم اللبيب المفكر الفيلسوف (لبيب) إلى تقديس مآثره وتحليل نفسيته مِن ذلك الغيض الإلهي الذي ظهر فبهر وأشرق على نفوسهم الصافية مستولياً عليها حتى تغلبت بنوره على ظلمة التقاليد والعادات الموروثة وأتت بذلك الإبداع الذي يبهر الأبصار والأسماع نرى أنَّ ذلك مِن أعظم معجزاته وأبهر آياته . . . فليشكر لهم الإسلام والحقيقة ذلك الإنصاف والإعتدال ومن شكر فقد أدّى حق الصنيع ولن يضيع الله أجر من أحسن عمَلاً .

وأنت أيها المفكر الحرّ قد وجدت مكانَ القول ذا سَعَةٍ فقلت وتخيلت عالم الغيب مشاهَداً فخلت ، ومثلك من تخيَّل ، فخال ووجد مكان القول ذا سَعَةٍ فقال ، فقد قمت بما يجبُ عليك للضمير الحر ، والوجدان الطاهر ، وللعروبة والعربية ، والمسيحية المنصفة ، والإسلامية المعتدلة ، وخير الأُمور الأنسب الوسط ، فهنيئاً لك أيها اللبيب تلك المكانة المكينة من قلوب المسلمين عامة ومن إخوانك العرب خاصة .

الغزالي

عالم من علماء الإسلام وفيلسوف من فلاسفتهم الكبار عرف الأوربيون له مكانته وأثنوا عليه أجمل الثناء وذكروا أنه توصل إلى ما توصل إليه من الحقائق بالبحث ونبْذ التقليد وأنه استبطن جميع الآراء

والنحل وتعمق بها حتى الزندقة والتعطيل (يريدون الغلو والرفض) إلى أن استقر فكره على آراء اطمأنَّ إليها بعد التسليم بقلب سليم والإستمداد من مفيض الجود على كل موجود وانظر ما حكى عنه شارحوه ومحللوه . هذا الحبر العظيم الذي باهى به النبي ﷺ موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قائلاً لهما :

هل في أمتيكما حبر كهذا ـ قد طرح التقليد كما يقول ولكنه ارتطم في وحلته من حيث لا يشعر ذهاباً إلى ما وعاه العقل الباطن من مذهب الأشعري وغلب على كلّ ما مرّ بمخيلته من مثل (كتاب الله وعترتي أهل بيتي والكثير من نوعه) فأتانا يبررُ يزيد ويبرئه من دم الحسين وأنه لا يجوز عليه اللعن بل بالغ بإيجاب الترحم عليه والدعاء له وأنه داخل في جملة من نستغفر له ونترحم عليه ختم الصلاة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

أليس ذلك لأن الماء تكدر من ينبوعه وانصرف عن مجراه النقي فتسربت إليه الأكدار ومرنت النفوس على اعتياد ذلك وتقليده فصار ملكة راسخةً لا يحس صاحبها بحسن ولا قبيح إلا ما أورثته إياه . يقول بعضهم في حق ابن سيناء أعظم فلاسفة الإسلام ومن سبق الغزالي بنبذ التقليد وطلب المدد من مفيضه والإلتجاء إليه في الصلاة عند كل اصطدام بمشكل أو عويص ـ سئل عنه النبي ﷺ (في الرؤيا طبعاً) فقال : هو رجل أراد أن يصل إلى الحضرة بغير واسطتي فدفعته بيدي هكذا فأهوى إلى النار . هذا ما يقوله غلاة النصب ولعل بعض غلاة الرفض يقول عن الغزالي أنه أراد الدخول إلى بيت الحكمة من غير الباب فضُرب دونه الحجاب وانقطعت به الأسباب ولعلَّ من هذا النوع ما وقع للرازي حين تفلسف برد «حديث الغدير» «مَن كنت مولاه فعلي مولاه» فزعم أنّ مورده لخلاف حدث بين علي وبين زيد بن حارثة مع أن زيداً قتل يوم مؤتة والحديث وقع في حجة الوداع وبينهما مدة طويلة لا أعرفها بالضبط ولكن أظنّها لا تقل عن سنه فهل أوقعه في غلط النقل مع

تبريزه في العقل إلا التقليد المورث والمران عليه حتى لم يعد يحس به مع مصادمته للبداهةِ والعقل والنقل معاً .

فالحق أن الشرق جامد مقلد إلى أقصى ما يبلغ معنى التقليد سواء في ذلك موحده وملحده وعالمه وجاهله وهذه الكلمة جارحة ولكنها حقيقة ثابتة والحقيقة يجب أن تقال مهما كانت والحق ثقيل وهو أفضل ما قيل. ومن كتم داءه أعانه على نفسه .

من خبايا الزوايا ـ من سرّته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن :

رُسِم على لوح القلب (أو الضمير) بالفطرة الإلهية ما يحسن ويقبح (جبلة) صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً وعُبّر عنه بلسان الشرع بأنه جوهرة نقية فكلما قارف المرء ذنباً (أو أتى عملاً يخالف الفطرة) نكت في قلبه نكتةُ سوداء تخزُهُ وتُؤلمه وتدعوه إلى النَّدم والتوبة والإقلاع عن مقارفة مثلها فإن وُفّق وأقلع فالحسناتُ يُذهِبنَ السيئات وإذا أراد الله بامرىءٍ أمراً هيأ له أسبابه فتزول تلك النكتة وإلا فلا تزال النكتة تزداد حتى يُصبح القلب حمةً سوداء فلا يعود حينئذٍ يُسر لفعل حسنة ولا يُساء لفعل سيّئة وفي ذلك دلالة على موت الشعور بالواجب وعبَّر عنه الموحدون «بجوهر السبيل» الذي يفارق المؤمن حين مقارفة الذنب وغلبة الحس الشهواني على العقل فإذا قضى ما أراد رجع إليه جوهر السبيل مؤنباً مبكتاً حسيما قبح له الفعل قبل الدخول فيه فإن أقلع وندم وإلا فلا يزال يعاوده المرة بعد المرة حتى إذا استولى عليه ظلام الذنوب فارقه فلا يعود ما يبكته على ذنب ولا ما يوبخه على معصية فلا تسره طاعة ولا تسوءه معصية ذلك لأنه فارقه.نور الإيمان وفقد الحس والشعور ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كَمَن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ .

[سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢]

وفي النهج لمولانا الإمام «سيئةٌ تسؤك خير عند الله من حسنة تعجبك» قال الشراح : إن السيئة التي تسوء ربما دفع التفكير فيها إلى حسنات والحسنة المعجبة ربما جرّ الإعجاب بها إلى سيّئات . ومن هنا أخذ أبو العلاء المعرّي تلك الفكرة الشريفة في لزومياته فقال :

لعلَّ ذنوباً كنَّ للدين سلّماً .

ولا يحس المرء بالظلمة المحدقة به لولا فيض النور وشعوره بالضعف دليل على قوة كامنة ومن عرف داءهُ رُجي له الدواء ونفعه العلاج إن شاء الله .

نماذج
من شرح «لزوميات المعرّي» للعلامة الشيخ سليمان الأحمد
أبو العلاء المعري

لغزٌ من الألغاز الغامضة ومعنًى من الأحاجي المبهمة التي لا تُفسَّر فهو فيلسوف مدقق وعالم محقق وفقيه متنطع ولغوي متحذلق ثم عروضي ونحوي وروائي قصصي طويل الباع واسع الإطلاع على جميع المذاهب كتابيُّها ووثنيها والنحل المشهورة منها في عصره إجمالاً وتفصيلاً . يضم إلى ذلك خرافات العرب من عيافة وقيافة وزجر وعرافة مضافة إلى ميثولوجيا اليونان وأساطير الهنود والزرادشتية والروم . فليس شرحه من الهنات الهيّنات بل يحتاج إلى عدة اختصاصيين في كل فن من فنونه أضف إلى ذلك البحث عن تحليل نفسيته وبيئته والحالة الإجتماعية في عصره التي كيفته هذه الكيفيّة وكل من لم يعلم صلته بأخوان الصفاء والبيت الذي ولد فيه والمذهب الذي ارتضعه مع الحليب ونشأ عليه في الصغر فهو مقصر للغاية في تحليله . لو رجع الأمر إلى شرح معاني أبياته حسبما تقتضي اللّغة والمعاني الظاهرة لكان فيه بعض السعة ولكن هذا لا يكفي في بيان مرامي فيلسوف مثله جاء نادرة زمانه والفذّ في أقرانه . أنظر قوله :

جبلّة بالفساد واشجة إن لامها المرء لام جابلها .

ظاهرُ المبنى والمعنى . ولكن القولُ في الجبر والإستطاعة هو العقدة التي لا تحَل فقد انشطر الكتابيّون فيه إلى قسمين وأُلفت فيها أُلوفُ الكتب واشتدّ النزاعُ فيها إلى أقصى ما يمكن بلوغه . وبعد التدقيق الدقيق بقيت المسألة حيث هي لم تزدها كثرة الشروح إلاَّ غموضاً ومن بلّغ السُّهى ونظر إلى نفسه وجدها في الحضيض . فهي من المسائل التي لا تحلّ بالعقْل والقياس (إن لامها المرء لام جابلها) لأنه ليس بإرادة المرء واختياره كونه على ما هو لا زيادة ولا نقصان . ولد في أرقى المدنيات أو في أدنى منازل التوحش والهمجيّات . وإن لم يلمها المرء سقطت الحدودُ وارتفعت التّبعات وتعطّل الكون من مدبّر قدير وكانت البعثة عبثاً والكتب السماوية لغواً أو يصبح المكوّنُ العظيم في ملكه كالعضو الأشِلّ لا يقدّم ولا يؤخر والعياذ بالله يقولها المستنيم إلى ظاهر (جفّ القلم بما هو كائن) وينهانا عن قبول هذا الرأي التورّع والخوف الذي نهاه عن قبوله حين رجع إلى تدينه بعد أن أثبت الجبر ونفى الإستطاعة بقوله :

مدبَّرون فلا عتب إذا خطئوا على المسيء ولا حمدَ إذا برعوا
وقد وجدتُ لهذا القول في زمني شواهداً ونهاني دونها الورعُ .

وهذا الورع إنما هو من رجوعه إلى تديُّنه بأن خالق الكون فاعل مختار يمحو ما يشاء ويثبت حسبما صحّ وروده عن أهل الذكر وإلاّ فشواهد هذا القول في كل زمنٍ كثيرة كما هي في زمنه والأخذ والردّ فيهما يحتملان أقصى ما يستطيع المرء والعلم أن يحملهما .

فإذا شَرَحَ المفسر كتابه وتتبّع آراءه بالإثبات أو النفي احتاج إلى موسوعة لا يقل عن دائرة المعارف الكبرى وفي ذلك ما فيه من التكليف فوق الطاقة وإذا سردها كما هي بلا تعرض لما فيها كان تركها على أسلوب واضعها أوضح وأصرح وأفصح .

لاحقة : يخيل إليَّ أن أبا العلاء حينما قال هذه الكلمة (إن لامها المرء لام جابلها) كانت في مخيلته كلمة ذلك الأسود لمن أزرى عليه (أتعيبُ الصّبغة أم الصابغ) .

١ - أولوا الفضل في أوطانهم غرباءُ تشذُّ وتنأى عنهُم القرباءُ

شُذوذُ الكلمة خروجها عن القياس ، وشذوذُ المرء مخالفة الجمهور في رأيه أخذاً من شذوذ الكلمة والفعل شذّ يشذّ والنأي البعد أي أن أهل الفضلِ غرباء في أوطانهم يبعدُ عنهم أقرباؤهم وأخوانهم إنما كان ذلك لتباين الطّباع (والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ) وبمعناه قوله :

- والحرّ في أوطانه متغربٌ فكأنه في مصره بوبار .

ولإبن الرومي :

غربته الخلائق الزُّهر في النا س وما أوحشته في التغريب .

ومنه أخذ المتنبّي (إن النفس غريبٌ حيثما كان) وكلّ ما جاء في هذا المعنى فإنما هو من كلام سيّد البُلغاء «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» .

٢ - فما سبأوا الراح الكميت للذةٍ ولا كان فيهم للخراد سباءُ .

يقال : سبأ الخمرة إذا اشتراها ليشربها . وسبى المرأة سبياً وسباءً إذا أخذها سبيّةً ومذهب أبي العلاء شهيرٌ في كراهية الخمر وقد تفنّن في ذمّها وفي تحريمها وتحريم سفك الدماء حتى دم البرغوث فما ظنك بما يتأتّى عن سبي النساء فهو يصف أهل الفضل بأنهم لا يستحلُّون شرب المدام ولا سفك الدم الحرام أي لا يفعلون ما يحظره العقل كما علّل تحريم الخمر في غير موضع وغير مرّة والخراد جمع خريدة العذراء من النساء تشبيهاً لها بالخرّيدة وهي اللؤلؤة التي لم تثْقَبْ . والكميت سواد وحمرة في اللون وإذا اشتريت الخمرة لتحملها إلى بلد آخر قلت سبيتها بالياء وهذا خاص بالخمر .

٣ ـ وحسبُ الفتى من ذلة العيش أنه   يروح بأدنى القوت وهو حباءُ .

حباء : أي عطاء . يعني مع تفاهته يعدُّ حباء واليدُ السفلى ذليلة فلا يستأهل هذه المكانة .

أف لها أجُلُّ ما يفيدُ بها   من فازَ فيها الطعام والباءُ .

ما زال العلماء الذين يخشون الله يحذرون من الإغترار بالدّنيا ويصورون لذائذها المتمناة بأقبح وأبشع الصوَرْ . وأفضَلْ ما عَلمتهُ في بيان هذه المعاني هذه الأبيات :

أيّ طب لداء دار حماها   وِرْدُهُ يورد الحمام الطُّبيب .
ولَذا ذاتها فتسكين آلام   ولولا الآلام لم تُلف طيبا

لولا ألم الجوع لكان ألذّ المطعومات والمشروبات من المهوّعات وكانت لذّة الباءة من أقبح المستقذرات ويشير المعري إلى أنَّ أخذ العطاء الجليل دناءة فكيف بالأخسّ الأحقر .

٤ ـ إذا ما خبَتْ نار الشّبيبة ساءَني   ولو نُصبَ لي بينَ النجوم خِباءُ .

خبت : خَمدت وانطفأت والخباء البيت من صوف أو وبر ونُصَ رُفِع . يقول إذا خمدت نار الشبيبة ساءَني خمودها ولو رُفعتْ لي قبّة بين النجوم وذلك لأن خمودها مؤذِنٌ بقرب الأجل وما الفائدة معه من الرفعة . كأنه يشيرُ من طرف خفي إلى بيتي المتنبي :

ليت الحوادث باعتْني الذي أخذت   مِني بحلمي الذي أعطت وتجريبي
فما الحَداثة من حِلم بمانعة   قد يُوجَدُ الحِلمُ في الشُّبَّان والشيب

٥ ـ وفي هذه الأرض الركُود منابتٌ   فمنها علندي ساطعٌ وكباء

العَلندي شجر كثير الدخان . والكِباء عودٌ يتبخّر به . حكمةٌ ترددها أفواهُ كثيرين . ولكنَّ الكلام إذا كان من قلب ذهب إلى قلب والناس كالنبت فمنه حنْظَلٌ . . .

٦ ـ وزادَكَ بُعداً من بنيك وزادهُمْ   عليك حقوداً أنَّهم نجباءُ .

لأن التَّرة تعظمُ والحقد يربو بقدر العلَّة التي أوجَدتها وكأنَّه خاف

أن يمني بالعقوق على ما به من الحاجة إلى البرّ فاعتزل الغزَلْ .

وما حلَّ سرّي قطُّ في أذنِ سامعٍ وشيَّفاهُ أو قرطاهُ يستمعانِ.

ومنه :

هذا ما جناهُ أبي عليَّ وما جنيتُ على أحدِ.

٧ - وما أدّبَ الأقوامُ في كلِّ بلدةٍ إلى المينِ إلاَّ معشرٌ أدباءُ.

أدَبَ : دعا إلى مأدُبة . والمَيْن الكَذب . وقد بيّن العلّة في ذلك بقوله : وإنَّ شرارها شعراؤها ﴿كبُرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ .

[سورة الصف ؛ الآية : ٣]

٨ - يبيئون قتلاهُم بأكثر منْهُم وإنْ قتلوا حرّاً فليس يباءُ

يذكرني بعنجهيّة الجاهليّة وقول بعض زعمائها لأبناء عمه من كلَّمَكم فاشتموه ومن شتمكم فاضربوه ومن ضربكم فاقتلوه ومن قتلكم كلفته إمّا أن يحييكم ويدفع الدّية أو يدفع الديّة وأقتُله .

٩ - كيف لا يُشرِكُ المضيقين في النعمة قومٌ عليهمُ النعماءُ

إجتماعيٌ . بل داعيةٌ إلى الإشتراكيّة التي تستمدُّ من الوحي .

إنّ شقّاً يلوح في باطن البرُّة قسم بيني وبين الضعيف

وقد سمعتُ هذا المعنى من بعض عامة الفقراء .

١٠ - علموهنّ الغزْلَ والنسج و الرُّدْنَ وخلوا كتابة وقراءة

شرقي جامد .

١١ - إذا كان علمُ الناس ليسَ بنافعٍ ولا دافعٍ فالخُسرُ للعُلماء.

ومثلهُ :

فقد زعموا الأفلاك يدركُها البلى فإن كان حقاً فالنَّجاسةُ كالطُّهرِ.

لأن ذلك ينفي وجودَ الصانِع ويكون هذا القول حينئذ حقاً لا مرية فيه .

١٢ ـ وهل يأبَق الإنسانُ من ملك ربِّه فيَخرُجَ من أرضٍ له وسماءٍ .

كلّا .

فلو طارَ جبريلُ بقيَّة عمره من الدَّهر ما اسطاعَ الخروجَ من الدَّهر .

مقتَبَسٌ من الآية ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعْتُم أن تنفذوا من أقطارِ السمٰوات والأرضِ فانفُذوا لا تنْفذونَ إلاّ بسلطان﴾ .

[سورة الرحمن ؛ الآية : ٣٣]

١٣ ـ يرتجي الناسُ أن يقوم إمامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساء .

يورده من يتهكم على الشيعة من أهل السنة . وقد رأيتُ كلاماً طويلاً في الرد على ما يتهمون به الشيعة وحدهم بهذا القول وأنه مُعتقد سائر الفرق الكتابية وإنما يلهج به الضعيف أكثر من القويّ فقد كثُر اللهجُ عندَ اليهود في أيام سَبْيِهِمْ وغُربتهم بالمخلّص ملك السلام دانيال وفي أيام الضغط على المسيحيين في أوائلِ نشأتهم ومثلهم الشيعة(لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الذينَ قبلكُم . الحديث) فالتَّهكُّم عليهم بأن هذا قولهم ونحلتهم ليس من الإنصاف في شيء وله بهذا المعنى كثير :

١٤ ـ يقالُ إن زماناً يستقيدُ لهُمْ حتى يُبَدَّلَ مِن بؤسَى بنَعْماء

ولستُ أحسبُ هذا كائناً أبداً فابغِ الورُود لنفسٍ ذات إظماء

يستقيدُ لهم أي يقتصُّ لَهُمْ و(لستُ أحسب) كلمة يقولها المرء لضيقِ الصدر فلا تدلّ على الإعتقاد . وقد يعترض المظلوم أحياناً بأنّ العدلَ غيرَ موجودٍ .

١٥ ـ ما أطيبَ الموت لشُرَّابهِ إن صَحّ لِلأمواتِ وَشْكُ الِتقاء .

وردَت آثار كثيرة بملاقاة الأموات ويتسليم الأحياء عليهم وتسليمهم على الأحياء فهو يقول ذلك على سبيل التَّمنّي والشكّ الذي هو أول أبوابُ اليقين لا إنكاراً للبعث كما زَعَمَ بعضُهم ودلائل الإقرار في البعث مستفيضة في كلّ ما أُثِرَ عنهُ وخاصة في اللزوميات ومن تتبعها رأى الشواهد الكثيرة عليها .

١٦ ـ إن ظهَرَتْ نارٌ كما خبَّروا في كلِّ أرضٍ فعلينا العفاءُ .

يقالُ أن سوف يعمُّ أهل بغي وحسد .

طوفانُ نار كائنٌ يخرجُ من قلب الأسد .

رأيٌ قديمٌ يؤيّده الجديد وقالوا إنَّ الأرض خُلِقَتْ في برج الأسد ولمّا ذكر الفلكيُّون اصطدام الأرض بإحدى ذوات الأذناب وتحولّها بخاراً لشدّة الصدمة أخذ بعضُ الناس يؤيِّد ذلك مستشهداً بقوله تعالى :

﴿إذا رُجّت الأرض رجّاً وبُسّت الجبال بسّاً فكانت هباءً منبثاً﴾ [سورة الواقعة ؛ الآية : ٦] فاعجب لغرائبِ الأفكار واختلافِ الأنظار .

١٧ ـ فهل هبَّ من جدثٍ ميتٌ فيخبرُ عن مسمعٍ أو قرى

ولو هبَّ صدَّقهُ معشرٌ وقال أُناسٌ طغى وافترى

عرضت لي هنا صورة ما في الإنجيل الشريف من مخاطبة الغنيّ لإبراهيم وطلبه إليه أن يرسل لعازَر إلى أهله يعظهم لئلا يصيبهم ما أصابَهُ . وجوابِ إبراهيم عليه السلام له عندهم موسى والأنبياء ولا إن قام ميتٌ من الأموات يصدّقون . فكأنه كان يتلو تلك الآيات معتبراً بها وذلك دَليل على سعة الإطّلاع . وهنا محل الإعتبار بقول ذلك العالم لبعضِ الناس في تشييع جنازة : أترى هذا الميت لو رجع إلى الدّنيا عمل خيراً واعتبر فقال أظنّ فقال له ما معناه : إذا لم يكنْ هُوَ فَلْنَكُنْ نحنُ . يعني كذلك ما كُنّا .

١٨ ـ وأمس ثوى راعيكَ وهو مودَّعٌ ولو كان حيّاً قام في يده قعبُ .

يشيرُ إلى قلّة الإعتبار مع كثرة العبرة . كلنا يقول مثل هذه المقالة ولكن من يعرف وضعها في موضعها منا نادرٌ .

١٩ ـ حَمَلْتُ على الأولى الحَمامِ فلَمْ أقُلْ يُغَنِّي ولكن قلتُ يبكي ويَنْدُبُ .

قالوا إذا كان طبعك للزهراء فكلُّ شيء عندك جميل وإذا كان لِزُحَلْ فبالعكس وكلٌّ يؤول الألفاظ إلى معنى ما يلائم طبعه لكن شاعر الحقائق ينتقي حكمة سليمان وإن الدخول إلى بيت الأحزان أولى من الدخول إلى بيت الأفراح وإذا حمل الطرب سجع الحمام على الغناء حملهُ الحزن على البكاء والندب : وهو الأوْلى بمعانيه .

٢٠ ـ إذا رامَ كيْداً في الصَّلاة مُقيمُها فتاركُها عمداً إلى اللّهِ أقربُ .

أيُّ شرح يلزم لمثل هذه الأبيات إلا الشرح المسهَب في بيان ما ورد في الرِّئاء وأنه يحبط الأعمال وإن العمل منه مثل أُحُدْ لا يزن عند الله بعوضة ويذكر هنا قول الخيام تعريب الزهاوي :

قال شيخ لِمُومس أنتِ سكرى كل يوم قرينةٌ لِخدين
فأجابتْ إني كذاك فهل أنت كما أنت ظاهرٌ للعيون

ويعتلج في فكرك التفضيل بين مقيم الصلاة رئاءً وكيْداً وبين تاركها عمداً فتنقادُ إلى رأيه بأن هذا أفضل لأنه لا يغش ولا يخدع به أحداً وذاك ربّما أضلَّ أمَّة عدا ما يسلبه من كل شحيح صحيح . وما بعده من الأبيات فيه حقائق علميَّة اكتُشِفَتْ أخيراً فتبجَّحَ مكتشفوها مع أنها قد وردت عن الموالي قبل أبي العلاء بنحو ثلاثة قرون وفيه دليل كبير على اتصاله بالنصيرية والإسماعيلية فقد نُقِل كثيرٌ من هذه المعاني في كتبهم القديمة .

٢١ ـ وقد كذَّبوا حتّى على الشّمس أنَّها تُهانُ إذا حانَ الشروقُ وتُضربُ .

إذا قرأت هذا وما شاكله . . . من أقواله علمتَ أي ثروة من

الأساطير في كنز قلبه وتخيَّلت أمية بن أبي الصَّلت يتلو أبياته في هذا المعنى . والمفسّرون . . . يتوسَّعونَ بالنقل عن كعب الأحبار ليُبيِّنوا سعة علمهم بمثل هذه الأخبار الواهية التي لا حقيقة لها في الإسلام ولكن أعداء الإسلام من الأوروبيين يتخذونها أعظم دليل على الخرافاتِ في الإسلام ويبنون من الحبَّة قبَّة .

٢٢ ـ وما نَفَسٌ الأ يباعِدُ مولداً ويُدني المنايا للنفوسِ فتقرُب .

أتعلم أن هذا منقول من كلام أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ (نَفَسُ المرءِ خُطاه إلى أجَلِهْ) .

٢٣ ـ أعيَّبوني حيّاً ثُم قامَ لهم مُثنٍ وقد غيَّبوني إنَّ ذا عَجَبُ .

هذه طبيعة الكون وطبعُ الكائن .

ترى الفتى يُنكرُ فضل الفتى في عَصْرِهِ حتى إذا ما ذهب
لجَّ به الحِرصُ على نُكتةٍ يكتُبها عنهُ بماءِ الذَّهب

ولعل العلَّة في ذلك المنافسة والحرص على التفوُّق الذي يعلله «الدروينيون» بتنازُع البقاء .

٢٤ ـ لا تسألِ الضيفَ إن أطعمتَه ظُهُراً باللَّيل هل لك في بعضِ القِرى أربُ
فإنَّ ذلك من قول يُلقِّنُهُ لا أشتهي الزادَ وهو الساغِبُ الحَرِبُ
قدِّم لَهُ ما تأتَّى لا تؤامِرهُ فيه ولو أنَّه الطُّرْثُوث والصَّرَبُ

عربيٌّ كريم الشمائل وحرُّ الخصائل يلقي عليك درساً في أدَبِ الضيافة والمضيف والتمدُّن الشريف في الإنسانيَّة الحقَّة والمروءة الكاملة .

٢٥ ـ وقد أساءَ رجالٌ أحسنوا فقلوا وأجملُوا فإذا الأعداءُ أحبابُ .

يسيء المحسن إذا منَّ بإحسانِه فيقلى ويُجملُ الردّ فيُجبُ .
﴿ادفع بالتي هي أحسَنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم﴾ .

[سورة فصلت ؛ الآية : ٣٤] فللخير مكافىء إن لم يكن هنا فهناك .

٢٦ ـ مالي أرى الملك المحبوب يمنعه   أن يفعل الخير منّاعٌ وحُجّابُ .

مأخذ البيت هو الآية الكريمة ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ .

[سورة آل عمران ؛ الآية : ١١٨]

٢٧ ـ ما قرّطاسك في كفّ المدير لها   إلا وقرطاسك المرغوبُ مرغوبُ .

صورةٌ خياليةٌ سينمائية تمثّل السكيرين وشرههم وعُقبى خمارهم وأبو العلاء عدو الخمرة قد تفنّن كثيراً في ذمها لأنها عدوة العقل الأكبر هبة منحها الله للإنسان حتى إنّ الشرع الشريف لو لم يحرمها لأوجبت قلاها أصيلات النهى والتجارب . ولنعم ما قيل :

وَلَـعُ الخمر بالعُقول رمى   الخمر بتنجيسها وبالتحريم

٢٨ ـ في البدو خُرّابُ أزوادٍ مُسوّمةٍ   وفي الجوامع والأسواق خُرّابُ

بيان عن فعل الرياء والمكر في كل عصر ومن هو في عرفك الفقهي شر من أخيه ؟ أذلك الذي يبذل نفسه ويعرضها للقتل والسجن وغيرهما من مسقطات الشرف والمكانة الإجتماعية ليسدَّ جوعته أو جوعة صغاره أو ليقضي بعض ديون الشريف بزعمه . أم ذاك الذي يمتص دماء الأرملة والمسكين بواسطة التقوى والمداهنة وإظهار التنسُّك الكاذب مزدوجاً على الله وعلى الناس ما أظُنّك تماري في صحة قوله . إذ يحضرك الشاهد حالاً :

إذا رام كيداً في الصلاة مقيـ   ـمها فتاركها عمداً إلى الله أقرب

٢٩ ـ نفوسٌ للقيامة تشرئبُّ   . . . .

كثرة أمل وقلة عمل دالّة على الله كما يفعل الجهلة ـ من كل ملّة والضاحك المعترف بذنبه خير من الباكي المدلّ على ربه . يقول لك المسيحي (آمن . فتخلص أنت وأهلُ بيتك) والمسيح يقول ما كلّ من قال يا ربّ يا ربّ بل الذي يعمل إرادة أبي ـ ويتلو المسلم . ﴿ولَسوف

يُعطيكَ ربُّكَ فترضى﴾ . [سورة الضحى ؛ الآية : ٥] ولا يَرضى ﷺ وواحدٌ من أمته يدخلُ النار والمحدّثُ يروي عنه (يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً) ومثلُها عند غيرهم : لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من حبّه ولكنّ الحبَّ يعرف بحسن الإتبَاع . ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبعونِ يحبِبْكُمُ الله﴾ [سورة آل عمران ؛ الآية : ٣١] وكم ورد «أعينونا بعفّة وورع» يورد هذه الدعاة فيغتنمها أهل البطالة بدون العمل بشروطها أي يأملون الوَعد ولا يبالون بالوعيد .

(إذا رجونا نوال وعدٍ فكيف لا يرهبُ الوعيدُ)
(والفقيه كل الفقيه من لم يؤمِّن الناس مكر اللّه ولم يُوئِسْهُم من روح اللّه) .
لقد فزت إن كنت تعطى الجنان بمكة إن زُرْتها أومِنى .
٣٠ - أقرُّوا بالإلٰه وأثبتوهُ وقالوا لا نبيّ ولا كتابُ .

أسهب في رسالة الغفران بذم هذه النحلة وأكثر من الصلاة على محمد ﷺ المبعوث بالسيف وحبذ الحكمة في معاملتهم به . مع أن القتل خلاف نحلته . فهل هذا الإعتراف بالحق الفطري وإن العضو الفاسد الذي لا يقبل المداواة يجب بتره من الجسم .

٣١ - تُراعُ إذا تحسُّ إلى ثَراها إيابا أوهْو منصبُها القُرابُ .

الثَّرى منصب الجسم لا منصب الروح ، فروعتها من الثرى تصورها الهبوط الذي هو ضد طبعها . وبناؤه على أن العقاب على الروح لا على الجسم وقد بحث الفلاسفة عن الروح كل بحث منذ آلاف السنين إلى يومنا هذا فلم يتجاوزوا ﴿قلِ الروح من أمر ربي﴾ [سورة الإسراء ؛ الآية: ٨٥] فهل كان في مخيّلته قول المتنبي .

إلفُ هذا الهواء أوقعُ في الأنفس أن الحمام مُرُّ المذاقِ
وهل يمت إليه بيت المعري بسبب .

٣٢ ـ كأنَّ السيف لم يعطل زمانا إذا كُسي الحمائِلَ والقِرابا .

من يحوله الحال فيغيره عن إخوانه ولم يعتبر بما كان عليه من الصفة أكثر الناس . أما الذين تبقى صداقتهم على اليُسر والعسر فقليلٌ ما هم .

٣٣ ـ ولو سكنَتْ جبالَ الأرض روحٌ لما خلدت نضادٍ ولا إرابُ .

منه أخذ القائل :

والموت تجلبه الحياة فلو حوى روحاً لمات الهيْكلُ المرْسُومُ .

فيها التنازع النحوي . فالحياة عنوان الموت أو سببه الأكبر .

فياليتنا عشنا حياةً بلا رَدى يَدَ الدهر أو مُتْنا مماتاً بلا نَشْرِ .

٣٤ ـ غداً يتوكَفُ الأخبارَ غرٌّ وصاحَ ببينهم داعٍ أريبُ

يستجهلُ السائل ضاحكاً منه . أي أن الذي يتوقع أخبارهم غرٌّ جاهلٌ أما الذي صاح ببنيهم فأريبٌ عاقل . ويا بعد ما بينهما . فأيّ المخبرين أحق بالتصديق .

٣٥ ـ إذا هبَّتْ جنوبٌ أو شمالٌ فأنت لكلِّ مُقتادٍ جنيبُ .

صفة المقلد الذي مع كل ريح ـ يميل ومع كل هجّام يشيل ويكادُ الناس كلهم يكونون بهذه المثابة .

٣٦ ـ تنادوا ظاعنينَ غداة قالوا أصاب الأرضَ من مطرٍ مصيبُ .

إشارة بالتُّؤَدَة والرفق والنظر في العواقب والإجمال في الطّلب فكلٌ مُيسَّرٌ لما خُلق له ومهما جدَّ واجتهد فلن يدرك إلا ما قدر له كما في الأثر ومصداق البيت الثالث من الوضوح والإحكام بمكان فكم كان الغنى سبباً للهلاكِ . كما كان الفقر مجلبةً للنجاة ومظنَّةً لوجود الراحة .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكونُ مع المُستعجِلِ الزَّللُ

وربمــا فــات قــومــاً جُــلُّ حــاجتهم مــع التــواني وكــان الحـزْمُ لــو عَجلوا

٣٧ ـ وكيف يـصـولُ في الأيـام لـيْثٌ وقـد وهـتِ المخـالبُ والنيـوبُ .

يذكرني هـذا البيت حكايـة البهلول الذي كـان يجاور في المقـابر فقيل له في ذلـك فقال أجاورُ قومـاً لا يغدُرون لأنهم لا يقدرون (أوردها البديع الهمذاني في رسائله) .

٣٨ ـ عَـلِم الإمـام ولا أقـولُ بـظَنَّـةٍ أنَّ الـدُّعـاة بسعيِهـا تتكـسَّبُ .

أحرجه فأخرجه ما فعله الدعاة الذين يأكلون الدنيا باسم الدين من المختـار ابن أبي عبيد الثقفي إلى داعي الـدعـاة الـذي كـان في عصـره ووجوه حيلهم وتلاعُبهم في عقول الناس وكيف كـانوا يخـدعون السُّذَّج بما يظهرونه من التّقوى والغيرة على الـدين وأظن مثل هـذه الأفعال منهم هـي التي أخرجته عن أناته حتى قال :

أفيقــوا أفيقــوا يــا غُـداةُ فـإنّـمـا ديــانــاتكُمُ مكْــرٌ من القُــدمــاءِ .

لا يريد بها إنكار الدين الصحيح والله أعلمُ بالسرائر .

٣٩ ـ وسيُقفِـرُ المصرُ الحـريـجُ بـأهلِه ويـغصّ بــالإنس الفـضــاءُ السَّبْسَبُ

إذا قرأت قوله فكأنك تذاكر بعض أهل التقيـة والتقوى من الشيعـة القدماء وهو يحدثك بما في الصراط والأظلة والأشباح من الإدالة ورجوع البّر بحراً والبحـر بَرّاً إلى مـا هنالـك من الحقائق التي يثبتهـا العلم الآن وتُعَدّ في ذلك الأوان من الغرائب التي لا يكادُ يصـدقها العقـل مما يـدلّ على مـا قلنـا من تـربيتـه الشيعيـة واتصـالـه بمن ينتمي إلى أئمـة أهـل البيت عليهم السلام .

٤٠ ـ ألم تَــرَ أنَّ الهــاشـمِيّين بُـلّغــوا عـظامَ المسـاعي بعدمـا سلكوا الشعبَ.

أي بعد الشدة وحصْر قريش لهم في شعب أبي طالب بلغوا الأمل وقرن ذكرهم بذكر الله (القصـة شهيرة) كمـا أن كعباً بن أمامة المشهـور

تخيَّر رفيقه النمري فكان سبباً لهلاكه فالخيرة فيما اختارَهُ الله (ولو اطلعتم عليِ الغيب لاخترتم الواقع) .

٤١ ـ خط استواءٍ بدا من نقطةٍ عجَبٌ ‏ ‏ أفنت خطوطاً وأقلاماً وكتّابا .

خط الإستواء وهمي يفرضه المهندسون يعني إن تعلُّق الناس بالوهميات أفنى الخطوط والأقلام والكتّاب ولا مُحَصَّلٌ في اليد .

٤٢ ـ أثرى أخوك فلم يسكب نوافله ‏ ‏ ....

يعني يجود المرء بما لا كلفة فيه ولا فائدة منه ويبْخَل بما فيه النفع وما ندب إلى السماحِ فيه .

وقد قالوا :

لا ألفَيَنَّك بعد الموت تندُبني ‏ ‏ وفي حياتي ما زوّدتني زادي

مرَّ بخاطري هنا خطاب أمير المؤمنين لمعاوية في شأن عثمان (إنك خذلته حين كان الخُذلان له ونصرته حين كان النصر لك) . أو ما بمعناه .

٤٣ ـ وما رُوِيتَ بعذب حلَّ في قُلُبٍ ‏ ‏ حتى تكَلَّفتَ إعناتاً وتعذيبِ .

هذا مثل (حُفَّتِ الجنة بالمكاره) يعني إن طريق الخير ضيق وطريق الشر فسيحٌ متسع .

٤٤ ـ لا تثبت الأقلام زلّة راقد ‏ ‏ ....

فقيه يحدثك (رفع القلم عن ثلاث المجنون والنائم والسكران) وهو يريد بذلك أن الناس أجمع كذلك .

٤٥ ـ وابن جحشٍ لمّا تنصَّر لم ‏ ‏ تركن إلى ما يقول أم حبيْبهْ .

أم حبيبه بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وبها كان يفتخر معاوية بكونه خال المؤمنين

ويتبجّح مؤيدوه بهذا الفخر حتى أحرج الصاحب بن عباد فقال من أبيات : (قلتُ خالي لكن من الخير خالٍ) كانت تحت عبد الله بن جحش فلما تنصّر في الحبشة فارقته . فهو في هذا قاصّ يحدثك بأسماء النوادي وكيف تُبدِّلُ الأحوال .

٤٦ ـ نامَ في قبره ووسِّد يُمناه　　فخِلناه قامَ فينا خطيبا .

هذا البيت أحسن تفسير لقوله :

أرى حسنَ الشمائل منك حثت　　عليه الأيمن المتوسداتُ .

وهي من الأبيات التي تفسر بالذوق العربي والسليقة لا بالمعاجم .

٤٧ ـ والنجاشيُّ صار ملك أناسٍ　　بعدما كادَ أن يُعدَّ جليبا .

كان عمه أراد أن يبيعه ليستبد بالمُلك فأبى القَدرُ أن يكون إلا ما أراد .

٤٨ ـ والنزع فوق فراشٍ　　أشقُّ من ألفِ ضربة .

يؤثر هذا في تفضيل الجهاد وكون المنية على الفراش أشد من ألف ضربةٍ بالسيف وألف طعنة بالرمح وأن الجنة تحت ظلال السيوف فكأنه مجاهد في الرعيل الأول .

٤٩ ـ بدت فِتَنٌ مثل سودِ الغمامِ　　....................

وصفٌ للحالة الإجتماعية في عصرهِ وسوءِ السياسة مُلمِّحاً إلى غدر أهل زمانه باختلاف القرشيين وما جرَّ على جندب بن جنادة الغِفاري وهو أصدق الناس لهجة وكأنه يقول كل بني آدم في كل الأدوار عبيدُ الدنيا والهوى إلا من عَصَم الله فيا ويح الدنيا الغرور .

٥٠ ـ إذا جُولِسَ الأقوامُ بالحق أصبحوا　　عُداةً فكل الأصفياءِ على خبٍّ .

الحق ثقيل وهو أفضل ما قيل والتقيةُ واجبةٌ وقلْ من خرج عن دائرتها وما زالت المداراة مما تفرضهُ الشريعةُ والطبيعةُ شاء المرء أم أبى ومن ذا الذي إن وصفته بالحق الصّراح يَرضى .

٥١ ـ نُشاهِدُ بيضاً من رجال كأنهم غرابيبُ طير ساقطات على حَبِّ .

ما أقبح هذه الصورة وما أجلى ما مثّل الطّمع والدناءة يتلوّثُ بها أهلُ الشرف .

٥٢ ـ فمِن لي بأرض رَحبةٍ لا يُحلُّها سِواي تضاهي دارة المتقارب .

عَروضيٌّ مدقق .

٥٣ ـ جلا فرقَديه قبلَ نوحٍ وآدم إلى اليوم لمّا يُدعيا في القراهبِ .

الفرقد ولد البقرة الوحشية فإذا أسَنَّ قيل له قَرْهب فانظُر :

٥٤ ـ لقد تُرُفِّع فوق المشتري زُحَلٌ فأصبح الشرُّ فينا ظاهرَ الغلَب .

لما في رأيهم أنه لا يقع في عالم الكون والفساد أقل حركة إلا بتأثير الأفلاك وزُحل عندهم هو النحس الأكبر أو رمزٌ له وضده المشتري إذ هو السعد الأكبر وفلك زحل في الرأي القديم هو الفلك الأعلى ويليه المُشتري وقد ظهر معنى البيت وما يُراد منه .

٥٥ ـ ما الركنُ في قول ناسٍ لستُ أذكرهم إلاّ بقية أوثان وأنصاب .

معارضة للقول بأنه من جواهر الجنة ولا أبرئهُ أن يكون من هذا الرأي .

٥٦ ـ والشَّرُّ ينشرُ دون الخير ميتته كما أصابَ عُميراً ما جَنى ضابي .

عُمير بن ضابىء هُو الذي قتله الحجّاج بما فعل والدُه ضابىء مع عثمان وقوله :

همَمْتُ ولم أفعل وكِدتُ وليَتني تركتُ على عثمانِ تبكي حلائلُهْ .

فالآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون ومراده أنَّ عمل الخير قلَّ من يُكافىء عليه . أما عَمل الشَّر فإنه لا يُنسى ويكافأ عليه ولو بَعُدَ حين وفيه تقريعٌ للناس بلؤم العنصر .

٥٧ - استغفر الله واتْرك ما حكى لهم أبو الهذيل وما قال ابنُ كلاب .

الأول متكلم المعتزلة والثاني متكلم الأشاعرة وقد علمت رأيه في علم الكلام والبيت يُؤتى به شاهداً على قوله :

واعلم أن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقِلاني أهزَلُ

٥٨ - كلمتُ باللحن أهل اللّحن أفهمهم لأنَّ عيبي عند القوم أعرابي

كأنَّك تسمع المتنبي يقول :

وكلمة في طريقٍ خُفْتُ أعربها فيُهتدى لي فلم أقدِر على اللَّحنِ .

وإن كان المغزى بينهما مختلفاً . وما زال الحكماء يوجبون مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

٥٩ - كأنني كل عام محدِثٌ حدثاً يرى به مَن تولَّى المِصرَ إغرابي .

في هذا دليل على ما كان يعانيه من ولاة السوء . وإن زعم الشيخ محمد عبده خلاف ذلك .

٦٠ - أن تجعل اللجة الخضراء واقيةً فالملكُ يُحفظ بالخضر اليعابيب .

الضمير في أن تجعل للروم واللجة الخضراء كناية عن البحر ومعنى البيت أن المعاقل والحصون لا تغني إلاَّ بالرجال . قالها أيام كان المسلمون يغزون الروم فإين عصرنا من ذلك العصر .

٦١ - ظلَّت مُلاحيةً في الشيء تفعله جَهلاً ملاحيةٌ من بعد غربيب .

ملاحية من لاحاه لامه وعابه والثانية من البياض والخمرة الملاحيَّة أي بعد ذهاب القوة وحلول العجز . (تحاول التنصل) والتوبة بعد أن

يقالَ - ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ - [سورة يونس ؛ الآية : ٩١] فأي فائدة لها .

٦٢ - أحُوبي صاحبي فأعيرُ فضلاً عليٌ أم انتقصت لأجل حوبي .

أورد هذه المسألة في الإحتجاج على إثبات التناسُخ بعض علماء الباطنية وهي مسألة علمية ليس حلها بالأمر السهل على مثبتي عدل الحكيم في بريَّته .

٦٣ - يائلة في غفلة وأوَيْسها القرني مثل أُويسها أي ذيبها .

أويس القرني الزاهد المشهور الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر وفسَّر أويسها الثاني وهذا من باب التحذير من الإغترار بأهل التظاهر بما ليس في الواقع لا يعني ظاهر اللفظ .

٦٤ - بَنَتِ النصارى للمسيح كنائساً كادت تعيب الفضل من مُتشابهها .
وإذا ذكرتَ محمَّداً وكتابه جاءت يهود بجحدها وكتابها .

حكاية حال واقعية يتشبث بها المقلِّدون حتى الآن ويظهر الغمز من طرف خفي .

٦٥ - فلتفعل النفس الجميل لأنه خيرٌ وأحسنُ لا لأجلِ ثوابها .

ألا تتيقن من أنه مأخوذ من قول سيد البلغاء إذ يصف عِبادة الأحرار والتجار والعبيد وأن الفضيلة واجبةٌ لذاتها لا لشيء آخر وأنّ هذه ستكون المِلَّة التي تنتهجها الإنسانية كافَّة متى تم ارتقاؤها .

٦٦ - في بيته الحكم الذي هو صادقٌ فأتوا بيوتَ القوم من أبوابها .

هذا مما وَرَدَ من أمثال العرب على لسان الحيوان ومن لم يأتِ البيت من بابه عُدَّ سارقاً عند أرباب الحديث . وهو واسع الإطلاع على كلمة الهند والعرب .

٦٧ - ياتَربَ الحالة كلُّ إلى التربِ فجنبْ حسَدَ المتربِ .

الترب الفقير ، والمترب الغني . أدبٌ عالٍ لو تمسّك به الفقراء لفَضَلوا الأغنياء راحةً وهناءَ عيشة وحسنَ عاقبة .

٦٨ ـ وكل ما أذهب العقول   وإن خالفَها فهو من أقاربها .

فقيه يعلّل بأنَّ ما أسكَرَ كثيره فقليله حرام . والعبرة بالفعل لا بالتسمية وهذه القطعة كلها في ذَمّ الخمرة والنهي عن شربها وبيان مضارّها .

٦٩ ـ سر بنا فانظر إلى رفقة   لا تضع الأكوارَ عن نُجبها .

يحضُّ فيه على مصاحبة أهل الخَير فالرفيق قبل الطريق . ومن صحب الأشراف راح مشرَّفاً البيت . وقديماً قيل : (عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه) .

٧٠ ـ اتبع طريقاً للهُدى لاحباً   وخلِّ آثاراً بملحوبِ .

حكمة بدوية تتفق مع «يد الله مع الجماعة» والشاذ عن الجماعة للشيطان كما أن الشاذة من الغنم إلى الذئب فاليمين والشمال مضلّة والطريق الجادّة .

..... فدَعني من بنيّات الطريق   ....

وملحوب يعرفه من يعرف عبيد بن الأبرص   ....

من أعلام الفكر العلوي الحديث العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر ١٣٠٨ هـ - ١٣٩٧ هـ

هو العلاّمة الشيخ أحمد محمد حيدر أعلى الله مقامه - وهو الإمام العالم النابغة، صاحب القلم الجريء البارع في شتى العلوم السلفية والعصرية، وحيد عصره، الذي لا ندّله في علم التصوف.

ولد العالم الحقّاني والحكيم الرباني أحمد محمد حيدر في قرية «حلة عارا» من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية عام ١٣٠٨ هـ - الموافق ١٩٨٨ م[1].

نشأ وترعرع في بيت تقى وعلم فورث عن والده رحمه الله - الورع والتقى وعلوّ الهمة، وشيئاً من ثروة حاول في البداية تنميتها ثم المحافظة عليها فلم يوفّق فكان ذلك عنده «أعظم التوفيق» إذ بدأت كفة ميله إلى العلم ترجح. فدرس التركية في صباه حتى أجادها، كما أجاد العربية، نحوها وصرفها من خلال الكتب التي كانت شائعة في عصره «كالأجرومية وغيرها» وقد ولع علاّمتنا الجليل في فجر حياته بالأدب أيّ ولع، فقرأ روائعه ودرس سير أعلامه.

---

(١) أنظر مقدمة كتاب ما بعد القمر - الشيخ أحمد محمد حيدر - دار الشمال طرابلس لبنان ص ٩ - ط ١ ١٤٠٨ هـ.

وبفضل ذكائه الثاقب وحافظته القوية فقد تمكن من حفظ الكثير من عيون الشعر ، وبديع الخطب ، وبخاصة نهج البلاغة ، كما وعى أخبار الأعلام من رواد الأدب العربي والعالمي ، إذ لم يعزل نفسه عن الأدب العالمي فقرأه مترجماً . لكن ولعه بالأدب لم يقلل من رغبته في الفهم والعرفان ، ولم يخفف من شوقه إلى البحث والتحري ، ففي كلّ كتاب يقرؤه ومع كل عالم يلتقيه كان يتطلع إلى معنى وراء الكلمات يشبع لهفته ، ويروي ظمأه إلى المعرفة لكأن لعلّامتنا موعداً مع الغيب ينتظره . وهكذا راح الفتى ينجذب رويداً رويداً إلى ميدان العلوم الإلهية رغبة في معرفة بواطنها ، ووصولاً إلى فهم خفايا الأسرار . ولم يطل بعلّامتنا الزمن حتى غدا في طليعة العارفين الإلهيين ، وشهد له بالتقدم معاصروه من العلماء الأفاضل ، وقد آنس من نفسه ـ رحمه الله ـ هذه المعرفة الواسعة . . . فتصدى لواحد من أجل الكتب الصوفية المخطوطة فشرّحه وحلّله وقربه بذلك إلى أفهام الناس ، وسهل عليهم تناوله . وأفاد الشيخ ممّا في الكتاب من عرفان فاتجه إلى نفسه يفتش في خباياها ليدركها ويبحث في جسده ليعلم ما هو ؟ وكيف وجد ؟ وأخذ يتساءل عن العلاقة القائمة بين نفسه وجسده ، كيف التقيا ؟ وما مصيرهما إذا افترقا ؟ وهل يصيران إلى الفناء ؟ أم إلى الخلود ؟ ثمّ أجال بصره فيما حوله فتساءل عن الموجودات كيف وجدت ؟ ومن أوجدها وهل تعرف موجدها ؟ وكيف تعرّفت إليه ؟ ثمّ ما علاقة هذه الموجودات به ؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحها علّامتنا الشيخ على نفسه في رحلته للكشف عن أسرار الحياة والروح والخلق والخالق. وكان يجد في طرحها ، والسعي لإيجاد الإجابة عنها لذّة تفوق عنده كل لذّة ، وسعادة لاتدانيها في نظره سعادة . وقد اهتدى علّامتنا الشيخ إلى مكان وجود الإجابة عن أسئلته فيمّم شطرها مستسهلاً في سبيل ذلك كل أنواع الصعاب ، فتوجه إليها والجأ إلى حماها من بابها المشرع في رسالات الأنبياء ، تلك الرسالات السماوية التي جاؤوا بها وأذاعوها على الناس جهاراً أو التي كتموها مكتفين بالإشارة إليها ، كما وجد شيئاً من الإجابة عن أسئلته عند الأئمة

المعصومين عليهم السلام الذين لهم وحدهم تأويل القرآن ـ إذ هم ثقله الثاني ـ وقد آتاهم الله ملكة الكشف وألهمهم معرفته فأعلنوا بعضها دون تحفظ ، واكتفوا بالتلميح إلى بعضها الآخر صوناً للحكمة أن تعطى لغير مستحقيها ، ووجد بعض الإجابة عن أسئلته عند العلماء الإلّهيين والفلاسفة الروحانيين فأخذ عنهم أيضاً . ولم يعر سمعاً لأقوال الجاهلين فقد كانت الحكمة ضالته وشعاره الدائم :

إنَّ المذاهب كلها نور الهدى كأشعة الشمس إفترقن إلى مدى
ولقاؤها في مصدر الأنوار

وهكذا فإن علّامتنا الشيخ في بحثه الدائب عن المعرفة قرأ القرآن الكريم ، وتفاسيره المتعددة ، واطّلع ، وقرأ مطبوعتي الإنجيل والتوراة ، وكذلك على الفكر اليوناني وعقائد المصريين القدماء وأساطير الهنود ، والعلوم العصرية ، ثمَّ حطّ الرحال في حديقة الأمير حسن بن مكزون السنجاري ، ومزج بين ما وجد لديه ، وما هو عند الصوفي الجليل حسن بن حمزة الشيرازي ، والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي حيث تمكن في نهاية الأمر من الوصول «إلى نظرية في وحدة الوجود ، من خلال صياغة شملت كلّ النظريات السابقة ، محققاً ضرباً من التزاوج بين نظرية الفيض أو الصدور ، ونظرية نور الأنوار ، والتجلي الإلهي . معتمداً بنفس الوقت على معطيات العلم الحديث وهنا تبرز عظمته كمفكر عربي إسلامي من الدرجة الأولى في العصر الحديث»[1] .

قرأ علّامتنا الشيخ في رحلة عرفانية التنبيه، وفصوص الحكم ، ومفتاح الغيب ، والوجود ، ورسائل إخوان الصفا ، والجامعة ، ومفتاح الغيب لصدر الدين القونوي ، ومشكاة الأنوار للغزالي ، وبيان السعادة لسلطان محمد الجنابذي ، وعلوم الفلك والفيزياء . قرأ كل ما وصلت إليه

---

(١) وحدة الوجود في الفكر العربي تأليف : محمدّ الراشد ـ منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق ١٩٨٥ م ص ـ ٢٢٨ ـ .

يداه قراءة المتمعن المتبصر ، فحصّل من المعرفة أطايبها . ولّما امتلأت نفسه بكنوز المعارف طلع على الناس مؤلفاً في العلوم اللاهـوتية فـأغنى الفكر الإنساني بأعمق المعارف وأجلّها ، ورفد الحضارة البشريـة بأسمى المفـاهيم اللّاهـوتية وأرفعهـا ، فكان ذلـك صـورة لعقله النيّـر ، وفكـره الثائر ، ونظره الثاقب . ففي الوقت الذي كـان فيه العـالم يقف متسائـلاً في حيرة ودهشة حـول صعود السفينة إلى القمر كـان يردد بمنتهى الثقـة واليقين قـائلاً : «من زعم أن العلم يتنـافى مع الـدين فقد بلغ من العلم مبلغ الرعاع ، ونال حصة الأعمى من الشعاع» .

لقد كان علّامتنا الشيخ رجلاً مؤمناً ، إيمانه مشيّد على قاعدة الفهم الحقيقي الراسخ لأبعاد العلوم العصرية وربطها بما يشير إليها من حقـائق أصول الدين الإسلامي ، وكان يثق ثقة مطلقه بأن ما يكذبـه بعض رجال الدين اليوم جهلاً به ، سيغـدو بديهـة لدى شبـاب الغد الـذين لهم كتب وإيّـاهم خاطب وعنى ولأجلهم ضحّى ، وذلـك إيمانـاً منه بسنّـة التـطور التي هي سنّة الحياة . وانتصاراً للحق والحقيقة رفض البدع والإنغلاق ، والتقوقع ، وأصم سمعه عن السفاسف ، متحلياً بأخلاق العلماء ، مترفعاً عن صغائر الأمـور التي أثارهـا الجهلة من مدعي التـدين المتسمين ظلماً رجـال الدين ، وكـان يعلم أنّهم عن مكاسبهم لا عن الـدين يدافعـون ، وكثيراً ما عاب على رجال الـدين «من مختلف الملل» المفاضـلات التي يعقدونها بين مذاهبهم معلناً أن الدين لله وأن هذه المفاضلات تـدلّ على ضحـالة الفهم وقلّة المعـرفـة وكـان يقـول : على أنني اجتهدت أن أرى بـدعـة كـوّنت إلّا عن تحـريف أصـل فلم أجـد ، وجميـع من تكلم عن الأديـان الكريمـة سواء أراد المتكلم منهم التعرف على الدين فقط ، أم أراد إدانته أو مدحـه ، كلهم نعرف «من تتبعهم» أن جـوهر الأديـان واحد مهمـا إختلف مظهـرها وتبـاينت مشاربهـا . على أن مما لا شـك فيـه أن الأصل الذي لا يسمح متزمتو رجال الـدين أن يمسّ ولو بـذّلوا في سبيله كـلّ أصل ، إنّمـا هو عـوائدهم الـلا أصوليـة والتي وقف علّامتنـا الشيخ

حياته لتهديمها ، موطناً نفسه لكلّ ما يلقى أمثاله من أمثالهم ، فكان بين ممحص لمفهوم أو موضّح لمعضلة . مدافعاً عن رأي أو نابذاً لمعتقد فاسد بلغة الأديب المتمكن ولهجة العالم المطمئن ، وسكينة العظيم المترفع عن السفاسف في القول والعمل، وقد ظلت هذه سيرته طيلة حياته حتى وافاه الأجل ، ولبّى داعي ربّه في السابع من شهر آذار عام ١٩٧٥م تغمده الله بواسع رحمته[1] .

مؤلفاته :

خلّف المقدّس العلّامة الشيخ أحمد محمد حيدر عدداً من المصنفات بعضها كتب طوال ، وبعضها رسائل صغار . منها ما يتناول صلب عقيدة التوحيد وفق ما جاء به الإسلام على لسان الشارع المقدّس العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيت العصمة عليهم السلام ، وكذلك ما ورد في القرآن الكريم ، وبالنقل عن المحدثين الثقات، ومنها ما يبسط فيه المؤلف المشكلات الفلسفية الدقيقة كما يراها العقل ، والفلسفة ، وقد حاول أن يمزج بين العلوم الإلهية ، والعلوم المادية الشرعية ، ومنها ديوان شعر صوفي رفيع المستوى ، ممّا يدل على علوّ همته رفع الله مقامه ، ورسوخ قدمه في المعارف الإلهية مع تعمقه في استنباط الحقائق الدينية ومعرفة دقائقها، ومهارة فائقة في التأليف ، وصبر على أعباء جمع المعلومات وتقصي الحقائق ، وتدقيقها . مع قدرة عجيبة على جمع هذه المتفرقات لتغدو كلًّا منسجماً موحداً في غايته وأهدافه .

آثاره المخطوطة رفع الله مقامه :

١ ـ كتاب الهبطة : وفيه يعالج المؤلف قضية الإنسان من غيب الوجود إلى وجود الشهادة .

٢ ـ كتاب النفحات واللّفحات : ويشرح المؤلف رحمه الله مسألة

---

(١) ما بعد القمر ص ـ ١٢ ـ مصدر سابق .

الخلاف بينه وبين معاصريه من رجال الدين وأهل العلم .

٣ ـ تناثر الأوهام : وفيه يحاول العلاّمة المؤلف عطر الله رمسه تبديد الأوهام المتعلقة بقدسية الكواكب ، وخاصة القمر عند بعض الشعوب الإسلامية .

٤ ـ الدامغ : ويشرح فيه علاّمتنا المرحوم موضوع النور والظلمة ، وما أثير حولهما من جدال بين علماء الدين في الماضي والحاضر .

٥ ـ شرح التنبيه : وهو دراسة وتحليل للكتاب النفيس المعروف «بالتنبيه» لمؤلفه المتصوف العالم الشهير حسن بن حمزة الشيرازي ، وهو من أبرز متصوفي القرن السابع الهجري ، وقد ذكر لي مريدوه رحمه الله أن له أثراً آخر هو .

٦ ـ فلسفة العلويين .

الآثار المطبوعة للمرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر :

أ ـ ما بعد القمر .

ويمكن أن يعدّ فاصلاً واضحاً بين حقبتين كبيرتين من الزمن ، تضرب أولاهما بجذورها إلى عصر الإنحطاط بما فيه من جهل وتخلف ، وبعد عن فهم الروحية المستنيرة للدين ، وتطمح الثانية إلى ولوج عصر جديد ، مستنير بنور العلم ، مهتد بهدي الدين ، ينظر إلى حقائق الأشياء والحياة نظرة تحيط بها جميعاً شمولاً وعمقاً . .

وقد جاء الكتاب في فترة صعود المراكب الفضائية إلى القمر ، وكانت تلك الواقعة العلمية في حينها ، قد أحدثت صدمة ، بل زلزالاً عنيفاً ، في العقائد الدينية في الأوساط الشعبية عند مجمل الطوائف ، والمذاهب في المناطق الإسلامية والعربية على حدّ سواء ، وكانت صدمة قاسية موجعة . ذلك لأنّ الغالبية العظمى من الناس كانت تعتقد يومئذ أن القمر والشمس ، والكواكب إن هي إلاّ أنوار إلهية ، وروحانية

بسيطة ، شفافة ، لا يمكن الوصول إليها لكونها غير مادية . وقد تلكأ علماء المسلمين قبل أن يتقدموا وجلين إلى تبرير هذه الحادثة بكونها «تجري في ملك الله ، وبإرادة الله»[1] .

أمّا المقدّس المرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر فلم يتوقف عند حادثة المراكب الفضائية ، واكتشاف القمر ، إلاّ ليجعلها مدخلاً لبحثه الكبير الشامل ما بعد القمر وما فوق القمر ، إن كان ، وسنرى في الكتاب انعدام الجهات ، والأوقات بالنسبة للمطلق ، وكان البحث عاصفة هدّمت وبنت كثيراً من الأوهام والحقائق .

وكان الهدف الأساسي لهذا الكتاب ـ هو إثبات العلاقة المطلقة بين العقل والدين ، ومن ثمّ التقائهما على طريق واحدة ، وانتهائهما إلى غاية واحدة ، وهي زيادة القرب من الله بزيادة التعرّف على مخلوقاته ، وعلى القوانين ، والعلاقات التي تحكمها . . وكون قدرة الله السارية في المكونات جميعاً هي التي تمدّ بهديها العالم سواء أكان عالماً مادياً أم عالماً روحانياً . وقد لاقى هذا الكتاب في زمن صدوره العداء والبغضاء ، وأثار عاصفة من الإستنكار ، والحيرة والبلبلة ، ولكن المرحوم المقدّس المؤلف كان يتصرف بعقلية العالم ، لا بعقلية التاجر ، وكانت غايته إيضاح الحقيقة ، لا حماية المصلحة الشخصية ، وكان يعلم رحمه الله أن العمل الكبير يستدعي معارضة كبيرة، وأن بعض خصائص العلم أن يثور الجهل . وإنّ الإنجاز الكبير لهذا السفر الجليل هو أن كثيراً من المتدينين الصادقين في تدينهم ، كان يروعهم أن يكون العلم أسبق من الدين في اكتشاف حقائق الحياة ، وأن يتقدم العلم بأشواطه السريعة ، بينما يقبع الدين ورجاله في زاوية الجهل والتخلف ، وقد أثبت الكتاب بطلان هذا الخوف ، وأنّ ما توصل إليه العلم من حقائق قد أشار إليها الدين وبشر بها ، وأن هدف الإنسانية هو أن

---

(١) ما بعد القمر ـ ص ـ ١٨ ـ مصدر سابق .

تتكامل ، وأن التكامل سيتم من التقاء فرعيها معاً ، العلم والدين في مسار واحد وطريق مهيع موحد ، وأنّ ما اكتشفه العلم سيكون دعماً وإسناداً لحقائق الدين التي دعا الناس إلى معرفتها ، وأنّ العلم والدين معاً يجسدان استنارة العقل الإنساني بأنوار الله ، وسماع الأصوات الخفية لنطق الكون ، وفهم لغة الأشياء التي تسبّح بها خالقها . ﴿وإن من شيء إلّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ .

[سورة الإسراء ، الآية : ٤٤]

ويضم كتاب ما بعد القمر إحدى عشرة مقالة ، إضافة إلى خاتمة تحمل الموضوعات التالية :

المقالة الأولى : العلم والدين، ويبحث المؤلف أعلى الله مقامه ويبين الترابط القائم بين العلم والدين ، مثبتاً بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة ، أن العلم يدعو إلى الإيمان ، وأن الإيمان يدعو إلى الأخذ بأسباب العلم ، مهما كلف الأمر من جهود وتضحيات .

المقالة الثانية : الشمس والقمر ، وفيها يعرض العلّامة المؤلف رحمه الله لموضوع عبادة الكواكب من خلال سرد تاريخي مشوّق يصل في نهاية المطاف إلى دحض عبادة الكواكب وبطلانها شرعاً وعقلاً والقائلين بها .

المقالة الثالثة : النور والمادة ، وقد بيّن المؤلف الشيخ أنّ النور هو المادة ، وقد تحلّلت فشفّت ، وأن المادة هي النور وقد تكثّف وأظلم ، باسلوب علمي شيق .

المقالة الرابعة : الحركة والسكون ، وقد شرح المؤلف العلّامة رحمه الله معنى الحركة والسكون ، وبيّن أن الله سبحانه هو المحرّك ، وأن الحركة هي الجوهر الأول الكائن عنه ، وأنّ المتحركات بهذه الحركة بقية المكوّنات .

المقالة الخامسة : الدثور والتجدد ، وتعالج هذه المقالة أثر

الحركة في المكوّنات . فبها تكون الأشياء ذوات شؤون مختلفة .

المقالة السادسة : القرآن ، ويوضح المؤلف في هذا المجال رحمه الله الفرق بين كتابي الله التدويني أي القرآن ، والتكويني أي المكوّنات كلها .

المقالة السابعة : النظرية النسبية والقرآن ، وفيها يبين المرحوم المؤلف أن النظرية النسبية من بعض محتويات القرآن الكريم ، وأن أنشتاين على عظمة ما فعل لم يفعل أكثر من دمج ، وتحقيق ما سبق أن تحدث عنه القرآن وعلماء آخرون في زمن سابق .

المقالة الثامنة : النظرية النسبية والفلسفة الأولى ، وفيها يناقش المؤلف رحمه الله البذور الأولى للنظرية النسبية في أفكار وفلسفات العلماء الذين سبقوا أنشتاين .

المقالة التاسعة : الأيام ، وتناقش هذه المقالة معنى الأيام ، وتبيّن أن تفاوت هذه الأيام بتفاوت من تطلع عليهم شمس تلك الأيام ، لأن هذه الأيام وعاء لأفعالهم ، وهذا سبب اختلاف مدد الأيام من ثانية إلى خمسين ألف سنة .

المقالة العاشرة : الأديان ورجال الدين ، وفيها يشنّ المؤلف رحمه الله حملة على أولئك الذين يدعون الوصاية على الناس ، فيشدونهم إلى الجهل ليستمروا في استعبادهم ، زاعمين أن هذه هي مشيئة الله وإرادته .

المقالة الحادية عشرة: المعجزة ، ويقسم المؤلف رحمه الله المعجزة إلى قسمين : مادي ، ومعنوي ، وأن لا شيء يمنع من وقوعها فما دامت الرياضة العادية وما تبعها من مران تجعل بوسع الإنسان أن يتجاوز بقواه الجسمانية القوى المعهودة ، فما المانع أن تنال القوى الروحية إذا غذّيت بصدق النية ، وصادق الإيمان ، والإقبال الحقيقي على الله ، وما الذي يمنعها من القيام بالخوارق .

ب ـ كتاب التكوين والتجلي :

ويعتبر بعض الأفاضل كتاب التكوين والتجلي بين كتب العلاّمة المؤلف ككتاب «فصوص الحكم» بين مؤلفات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، فقد جمع فيه خلاصة فكره ، وما فرّقه في سائر مصنفاته ، فلمن أخذ عنهم من الحكماء والعلماء والعارفين فضل السبق والإشارة ، وله أعلى الله مقامه فضل الإغناء ، والتفصيل والشرح والتعليل ، مقتبساً من أنوار محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم معلمو العلماء وسادة الحكماء في كل زمان ومكان وقد قسّم كتابه رحمه الله إلى أربعة عشر باباً جعل أوّلها للحديث عن التكوين فأكد أن جلّ العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع يفتتحون كلامهم بالحديث القدسي : «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» فكان بدء التكوين فيض الحقيقة المحمدية من الذات كفيض العلم من العالم بلا نقص ، ولا تجزؤ ، ولا يجوز السؤال عن ذلك بأين ولا بمتى . ولا بلمَ ، وإن كان لا بُدَّ من بداية . وعن الفيض الأول بالتسلسل كان التكوين بلا نهاية ، وبه تقوم المكونات لأنّه السرّ الساري فيها جميعاً .

وإلى ذلك يشير في الباب الثاني «الحركة والسكون» فيقول : «والموجود الأول هو المحرِّك الذي لا يتحرك ، وتحريكه للغير على نحو ما تكون حركة المحب للمحبوب ، والأمر في ذلك أن المحرِّك المتحرك الأول غاية المنبعثين عنه ، وهو الكمال الثاني» والحقيقة المحمدية هي موقع أسماء الله تعالى وصفاته ، وهي مشيئته وقدرته ، وفعله الذي فعل به المكونات[1] .

---

(١) التكوين والتجلي ـ الشيخ أحمد محمد حيدر ـ ص ـ ١٥ ـ دار الشمال ـ طرابلس ـ لبنان ١٩٨٧ م .

كما يؤكد في الباب الثالث «الأسماء والصفات» يقول رحمه الله : «فالذات لا إسم لها ولا صفة ولا بُدَّ من اسم وصفة ، اسم لندعوها به ﴿ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ [سورة الأعراف ؛ الآية : ١٨٠] وصفة لنتعرَّف عليه بها لأن كل شيء يعرف بصفته ، ولكن صفته واسمه شخص قائم بذاته وهو الحقيقة المحمدية» .

وفي الباب الرابع «الصورة» يشرح الحديث «خلق الله آدم على صورته ، أو على مثال صورته» فيقول: «وإذا نظرت رأيت أن ليس بهذه الصور صورة محسوسة تراها العينُ ، والصورة الإنسانية البدنية تراها العين ، إذاً يقصد حقيقة الصورة ، وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة التي خلقه الله بها على مثال صورة الله» وقد كان قال : «فالصورة المحسوسة تقوم بالصورة المجردة لا بذاتها ، والصورة المجرَّدة حقيقة الشيء وماهيته التي يقوم بها وجوده وليست هي شكله البادي للعين الملموس باليد»ثمّ يسوق من أمثال هذا وأشباهه ما يؤكد أن الله لا يُعرف حتى يتجلى بصورة كصور المتجلّى لهم ، ثمّ يستدل على ربوبيته بأفعاله التي يعجز عنها المربوبون فإذا وصل الحديث إلى التنزيه أتاك بالعجب العجاب كقوله[1] : «فالتنزيه هو سلب كل صفات الذات عنهاوالتنزيه عن التنزيه هو إرجاع صفاتها السلبية إليها» ولكي لا يدعك في حيرة وقلق يرسم لك سمت النجاة بقوله : «فلذلك كان الطريق الجدد هو الوقوف دون التنزيه المحدّد والتجسيم المكبّل» . ويبدأ حديثه عن عالم الغيب في الباب الخامس باستغراب شديد لزعم الزاعمين : أن عالم الغيب هو ما يرى من كواكب ونجوم منثورة في هذا الفضاء ، ثمّ يلامس في آخر هذا الباب ، الباب السابق ، ويمهدُ للاحق بقوله : «فإن الشيء غير المنظور إذا عُبّر عنه بصورة كانت أقرب للعيان والفهم من إخباره عنه نفسه»

---

(١) التكوين والتجلي ـ ١٦ ـ .

وهذا معنى قولهم : الحسيات معابر للعقليات وعالم الشهادة صورة لعالم الغيب ، وما غاب عنّا لا نعرفه إلاّ بما حضر لدينا ، وهذا معنى التشخيص الذي جعله مدار حديثه في الباب السادس الذي يقول في آخره «الخلاصة لم يبق شيء من الأشياء إلاّ شخص بمحمود أو مذموم أو مهمل» .

وفي الباب السابع يستعرض معاني الرحم وأنواعها : الروحانية الإلهية ، والروحانية الشيطانية ، والطبيعة الإنسانية ، وكلها ولود . ثمّ يبين معاني التذكير والتأنيث محللاً قول النبي ﷺ : «الكذب حيض الرجال» تحليلاً لا يكاد يخطر لك على بال .

وقد خصّص الباب الثامن للحديث عن المستقذرات دفعاً لزعم من يقول إنّها تقوم وتدار بغير الله ، فيشرك من حيث يريد أن ينزه إذ يجعل قيوماً مدبراً مع الله ، والله بكل شيء محيط وبكل شيء عليم ، وليس بينه وبين معلومه علم غيره . باين الأشياء بينونة صفة لا بينونة عزلة ، ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج ، ولا تدنّس الروح بإدارة البدن . ويعود للحديث عن الصدق مذموماً . وأشنع الكذب ما لبس لباس الصدق في القول والعمل والأخلاق .

وهذا مدار حديثه في الباب التاسع ، وقد تكون كلمته الخالدة أصدق عنوان لهذا الباب : «والذي أراه أن الإقتران بالعظمة سفاحاً بدون شروطها الشرعية أعظم وزراً من تلك التي يقام عليها الحدّ ، وجمع أموال الأمة بالطرق الملتوية أقبح جريمة من تلك التي يعاقب عليها القانون» وفي الباب العاشر يتحدث عن كتابي الله سبحانه ، ويعني كتابه التكويني ، وهو كل ما تراه العين ويثبته العقل ، والتدويني وهو القرآن الكريم الذي «وصل إلينا للمشاكلة بلباس الحروف والأصوات والعبارة» فيأتيك رحمه الله ـ من خلال ذلك ـ عن التكوين بالغريب العجيب .

وعن الأيام في الباب الحادي عشر يحدثك عن اليوم الجسماني واليوم الروحاني ثمّ يقول : «وكما يفهم أن اليوم من الطول بحيث يكاد أن

يكون بلا نهاية كذلك يضمه قصر حتى يكون أقلّ من الثانية مثل ما يقوله تعالى : ﴿كلّ يوم هو في شأن﴾ [سورة الرحمن ؛ الآية : ٢٩] ويستعرض في الباب الثاني عشر قصّة الشمس والقمر عند الأقوام القديمة مروراً بالصابئة ، ويؤكد اتفاق جميع المفسرين على نفي سيدنا إبراهيم الخليل لعبادتهما ، ويرى في قول النبيّ ﷺ : «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي . . .» الخ . . . إشارة صريحة إلى تحدي قريش في معبوديها : الشمس والقمر المرموز لهما بأصنام منحوتة .

ويجعل الباب الثالث عشر للحديث عن وحدة الوجود ، القضية الفلسفية الإلهية الكبرى التي قوبلت باستنكار الجهلة خلال تاريخها الطويل . وهل هي ـ لو علموا ـ إلاّ إثبات الوحدانية لواجب الوجود سبحانه ، وهو وجود كلّ موجود ، وهو وحدة الوجود المحض الحي القيوم القائم بذاته البريء من شوائب العدم والإمكان ، وكلّ ما يرى ويعلم مظاهر وجود وتجليات صفاته التي لا تعدده بتعددها ، فعبارة وحدة الوجود مرادفة لعبارة وحدانية الله ، فكيف تنكر وتُعارض ؟ .

أما الباب الرابع عشر فيفرده للحديث عن الباطن والظاهر فيورد من كلامه وكلام الصوفيين ما ملخصه :

المفترضات الشرعية صور للأسرار الباطنة وظلال لها . . . والمعقول لا يعرف إلاّ بواسطة المحسوس ، ونهاية الحقيقة الجمع بين الشريعة والطريقة ، ولا باطن ولا ظاهر إلاّ بالنسبة ، وبحسب الإستعداد ، فالبواطن والظواهر ـ تبعاً لذلك ـ متعددة فما هو ظاهر لك باطن عن غيرك ، وما هو باطن عنك اليوم ظاهر لك غداً . ولأن الأسرار الإلهية من المدارك كالأطعمة من المعد كان يعطي الحكماء والفلاسفة والدعاة الإلهيون الخاصة ما يمنعون منه العامة رعاية لهم لا بغضاً بهم ، فكان الباطن والظاهر[1] .

---

(١) التكوين والتجلي ـ ص ـ ١٨ ـ .

ج ـ كتاب الحيرات :

والحيرات التي نحن بصددها وسبرغورها الآن ليست من النوع الذي يغري العقل بالكسل ، ويدعو إلى تثبيط العزائم ، بل هي من النوع الذي يهيب بالباحث إلى إيقاظ الهمّة ، وشحذ العقل ، وتنبيه الحواس ، وبذا يتأتى له أن يرجع من هذه الحيرات متوهج العقل واسع المعرفة ، راسخ الإيمان ، وكلّ ما في الحيرات لغز . . وليس لهذا اللغز إلاّ مفتاح واحد هو العقل . وأول ما يعرض له المرحوم العلاّمة المصنف ويصدر به معرض حيراته ، هو أنّه يوجز لنا ما أجمع عليه رأي الفلاسفة الإلهيين ، والعلماء المؤمنين حول أصول المكونات ، وبدء التكوين ، إنه السيّد محمّد ﷺ الذي كان نوراً بين يدي الله عزّ وجل قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة وهذا ما صرّح به السيد المسيح عليه السلام لقوله : «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» وبعدما تبين الحق لمن كشف الله الغشاوة عن بصره ، وأنزل سكينته على قلبه وتيقن لديه أن لا فرق بين نبيّ ونبي، أو رسول ورسول . يكون قد اهتدى إلى مبدأ الكون ، وأصل الوجود[1] .

وقد أورد «جولدتسيهر» عن الصوفيين قولهم : «إنّ الخلاف بين الأنبياء لم يكن إلاّ في المظهر الخارجي أمّا في الحقيقة فإنهم رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر جسمانية متباينة . كي يعلن للناس إرادة الله ، وينبئهم بمشيئته ، ولمّا كان السيّد محمد ﷺ الكائن الأول الصادر عن واجب الوجود قبل التكوين فقد اقتضى أن يكون ذا جهتين، جهة متصلة بالله ، وجهة متصلة بالكون والإنسان لأن واجب الوجود تام . مكتف بذاته ، غير مادي ولا معلول ، لا شريك له ، ولا ضد ولا ند ، لا يوصف كشيء وليس كمثله شيء .

وطالما أنّ السيد محمّد ﷺ هو الكائن الأول المنبثق عن العقل

---

(١) مقدّمة كتاب الحيرات ـ مصدر سابق ـ ص ـ ٢٨ ـ .

الكلي ، فيجب أن يكون قادراً على معرفة موجده ، وإدراك ذاته ، ومن معرفته لموجده يستدل على أنه واحد بالعدد صادر عن الأحد . لكنه خلافاً لمبدعه فهو متكثر من حيث إدراكه لذاته ، لأنه يعقل ذاته من حيث كونه ممكناً بذاته من جهة وأنّه واجب بمبدعه من جهة ثانية . حتى ننتهي إلى القول إنّه ﷺ أول الخلق وخاتم الأنبياء وفي بحث العلم والجهل يخلص العلاّمة الشيخ إلى القول : إن العلم هو كل ما قاد إلى الله سبحانه ، وما قاد إلى سوى الله فهو الجهل ، وإن كان مشابهاً للعلم .وإيمانه هذا بالعلم هو ما نفّر عنه كثرة الجهل ، وشذاذ الرجال ، نفور الجياد عن السائس ما بين رافس وعا بس ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : «بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف ويوحد ، وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، والعلم إمام للعقل ، والعقل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء. وهكذا أعابوا عليه صرف ما يخزنون ، والجور بما يضنون فما قيمة علم لا يؤخذ منه ولا ينتفع به ؟

وأيّ فضل لمن يحمل علماً لا ينفق منه ليزداد بالإنفاق ؟ وقد قال الإمام الباقر عليه السلام : «لو علم الناس كيف خلق الله الخلق لم يلم أحد أحداً» ، وقال ابن مطهر الحليّ رحمه الله :

لو كنت تعلمُ كلّ ما علم الورى ... طرّاً لكنت صديق كلّ العالم

لكن جهلت فصرت تحسب كلّ من ... يهوى بغير هواك ليس بعالم

وبالعلم يمكننا التفريق بين البشر والأنبياء ، ومعرفة كيف أسرى الله برسوله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والسفر بينهما يتطلب أشهراً وزاداً كثيراً ، وبمنظار العلم نرى أن المصلوب على الخشبة ليس كلمة الله التي ألقاها إلى مريم ، وإنما شبهه عليه السلام . وإن الظاهر والباطن يلتقيان دائماً ، وهما توأمان ، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام : «لا إيمان بظاهر إلاّ بباطن ، ولا بباطن إلاّ بظاهر . .»

والـذين أوتوا علم الـظاهـر والبـاطن قبـل مئـات السنين هم أهـل بيت النبوَّة لقول النبي : «إنَّهم عترتي خلقـوا من طينتي ورزقـوا فهمي وعلمي» وقد قال الإمـام زين العابـدين قبل اكتشـاف الذرة وتسمية البروتون ، والنترون ، والميـزون في أحد أدعيتـه : «يا من تعلم وزن النور والهواء» وجـاء عن الإمام الصـادق . «قرأت عن جـدي علي أن في الأرض معدناً فرَّاراً وجسماً برَّاقاً . إذا مـزجا دمـرا كل شيء» وأخذ الشاعر المعنى فقال :

خـذ الـفـرّار والـطلقـا وشـيـئـاً يـشـبـه الـبـرقـا
إذا مـازجـتـه سـحـقـا مـلكـت الـغـرب والـشـرقـا

وهم الأعـراف، ويتكلمـون في البـطون ويحيـون المـوتى بـإذن ربّهم ، وهم أول التكـوين ـ أول ما خلق الله نـور نبيك يـا جـابـر ـ ومعـاجـزهم هي ردّ الشمس ـ المعـراج ـ إنـطاق الجـماد ـ وهم أسماء الله ـ وصفـاتـه ـ أسرار الرحم ـ بيعة الغدير ـ أنهم باطن التكليف ـ الولاية ـ الرؤية . وكذلـك يمكننا النظر إلى بقيـة المواضيـع التي أبدى المرحوم الشيخ حيرته بسببها[1] . . وبـالرجـوع إلى كتاب الله ، والإستعانة بأقوال رسول الله ، ومـا جاء عن أهـل البيت وآراء الأئمة من فقهاء المسلمين ، وجمهور الفلاسفة ، وما وصـل إليـه العلماء ، مقـرونـاً بقـول الإمام الصـادق : «إن لنا منـزلة عنـد بارينا إذا أعطاناها كنّا كهو ، وإن سلبنا إياها كنا نحن كما نحن وكـان هو كمـا هو» ، ومـرفقاً بقـول رسـول الله : «إذا أحبَّ الله عبـداً كـان سمعـه وبصـره ويـده» و «عبـدي أطعني أجعلك مثلي تقـول للشيء كن فيكون وأنا أقول للشيء كن فيكون» فإننا لا نملك إلاّ التسليم ، بـأن الله إذا أراد أمراً كان مقضياً ، وإذا أضفى شيئاً من قدرته ، وأجرى بعضاً من علمه على أيّ من خلقه الذي لا يشغله إلاّ التفكير بـه والتعبد لـه ، فعل العبـد فعل ربّـه ، فيتصرف بـالمكان والـزمان ومـادونهمـا لأن كـلّ شيء

---

(١) مقدمة كتاب الحيرات ـ ص ـ ٣١ .

مسخر له ، وموجود لأجله ، ولئن كان ما عرضناه من معاجز وقدر يفوق مداركنا وطاقات عقولنا فما ذاك إلاّ لأننا ما أوتينا من العلم إلاّ قليلاً . .
وبهذا النذر اليسير من العلم لا يستطيع العقل البشري إدراك السرّ الكبير بسبب ما يعتور العقل من نقص وعجز ومن جراء مخالطته للمادة وما علق به من شوائب ، وما يراوده من عواطف ، وبالرغم من هذا فإن العقل لا يرفض المعجزة ، ولا ينكر حدوثها ، لا بل يقرها ويعترف بتفوقها عليه لأنها لا تتناقض معه وإن وقف عاجزاً سادراً حيالها . فكم من الخوارق الكونية والرياضات البدنية والروحية تجري على مسمع منا ومرأى ؟ لا يجد العقل تحليلاً علمياً أو مسوّغاً لها ، وما كنا نستنكره بالأمس ، أصبح اليوم أمراً مسلّماً به اليوم ، وإنَّ التحدث به مثير للضحك ، وما لم يزل اليوم موضع بحث وتأمل وجدال ، سيصبح غداً أمراً بديهياً . لأن العلم لا يقف ، ولا يوقف ، وسيظل العقل يعدو وراءه ، وقد غالى فريقان من الناس في أمير المؤمنين وسيد الأوصياء عليه السلام ، في كل منهما الفقهاء والبسطاء ، منهم من غالى في حبّه حتى أعماه الحبّ وأضله ، والله تعالى شأنه ليس قابلاً للتحديد ، متصف بالحكمة ، متفرد بالقدرة ، مختص بالأحدية يميزه عن سائر موجوداته استقلال ذاته ، التي هي علة وجوده ، ولمّا كان هو الأحد الصمد السرمد الكامل بجماله وجلاله فإنه لا يتجلى كاملاً إلاّ لنفسه ولا يظهر لنا إلاّ ظهوراً يتناسب ومقدار طاقتنا لمواجهة هذا التجلي ، وما تتحمل عقولنا من سطوع نوره ، وإذا كان الغلاة قد ذهب بهم الغلوّ إلى ما لا يقبله عقل ، ولا يطيقه سمع ، ولا يتحمله جنان ، فإننا نعوذ بالله من حقد أولئك وجهل هؤلاء ، ونبرأ إليه من كل قول لا يليق بمقام وحدانيته ، وعظمة ألوهيته وسمو مجده ، وسعة رحمته وكثرة آلائه ، وتفرد أحديته .

د ـ النغم القدسي :

أ ـ الشعر والعرب .

الشعر تاريخ العرب ، وحضارتهم ، ومجال إبداعهم الكبير ، وتفوقهم ، ولا أحسب أن الشعر بالغ من التأثير في أمة من الأمم ، على مدى تاريخ الإنسانية الطويل ما بلغه من أمة العرب .

لم يبق فن من الفنون ، ولا علم من العلوم ، التي عالجها العرب أبان مجدهم الحضاري ، إلا تناوله الشعر العربي ، واستوعبه ، ولئن شارك العرب أمم العالم في المواضع الشعرية ، المعروفة ، فإنهم تفردوا بأن سلكوا سبلاً من الشعر لم يخلق لها أبد ، كعلم الرياضيات ، وقواعد اللغة ، من نحو وصرف ، والبيانات الشرعية ، والإجتهادات المذهبية ، وضروب الكيمياء ، والفلك ، والطب وسوى ذلك ، حتى إنّ الذهن العربي ، لم ينصرف إلى نشاط ، ولم يتحرك في اتجاه ، ولم يبدع في مجال ، إلا تبع ذلك تسجيله شعراً ، حتى أصبح الشعر رفيق العرب ، في حلهم وترحالهم ، وزينة موائدهم ، ومادة رسائلهم ، وموضوع مجالسهم ، وحلي عرائسهم ، ومعيار ثقافتهم ، وعماد سيادتهم ، به تعين الولاة وتعزل ، وتخطب العرائس ، وتزف ، وبه تقام المآدب ، والمآتم وعليه تدور الأحاديث والنوادر ، ومنه تطلب الشواهد ، وإليه تحجّ القوافل .

أريد من قولي هذا ، أن أخلص إلى شيء ثابت عندي ، هو أن الشعر شيء أساسي في تكوين العربي حاجته إليه ، حاجته للماء والهواء وذلك أن الرمل ، والشمس ، والشعر ، والمسافات الممتدة بلا نهاية ، والكواكب الساطعة ، بلا حجاب ، هي التربة التي نبت عليها العربي ، ومنها تغذى .

ب ـ الشعر والتصوف .

التصوف ، هو الإستتار عن الخلق ، بلوائح الوجد ، وانكشافه بشمائل القصد ، ورؤية الكون بعين النقص ، بل غض الطرف عن كل ناقص ، يشاهد من هو منزه عن كل نقص، ولم يؤخذ التصوف عن القيل

والقال ، ولكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات ، والمستحسنات .

وكثير من عظماء الصوفية من تكلم عنه بجمل وضيئة ، رائعة اللفظ ، والمعنى ، والمراد منه بعباراته الجذابة ، هو إعداد السالك ، للسفر إلى الحق ، بالحق ، عن الخلق ، ولا بد للسالك من مرشد يستدرجه على حسبه ، فمبدأ التصوف ، اعتناق الشعر بجملته ، ولكن الأكثر منهم ، متى حصل على شيء من مبادىء السلوك ، كالحال ، والوارد، والإقبال ، وانكشف له بها الطريق إلى المعنويات ، لا بد من أن يهمل شيئاً من الشرعيات ، وكأنه يعتبرها قشوراً على لباب ، ولكن إذا صار إلى فهم التصوف قولاً وفعلاً ، رجع راضياً مستبشراً ، لإقامة الشرع بحذافيره ، ولهذا دائماً يجول على ألسنتهم ، مثل «منتهى الكمال ، مبدأ الشرائع» و«علامة النهاية» «الرجوع إلى البداية» وحينئذ يكون عندهم علم التصوف ، أو التصوف ذاته ، أرفع درجة من الشرع[1] الشريف ، مع أن الأنبياء عندهم هم الأنبياء المرسلون من قبل الحق سبحانه لهداية العالم ، ولكن الرسالات النبوية ، كانت لعوام البشر ، لأن الصعود إلى المعنويات بالإتكاء على الشرعيات ، طريقة التصوف .

وبلغ ببعض النقدة ، والدارسين ، أن يعرّوا العرب من التصوف ، ويلحقوه بغيرهم من المسلمين على اعتبار أنه لون من ألوان تمرد الفكر الآري على الدين السامي الوافد الإسلام ، وهذا زعم مردود ، لأن كثيراً من الأعلام المتصوفين كانوا عرباً ، وعلى اعتبار أن التصوف هو سلوك في الفهم الديني ، يتعدى أحياناً كثيرة كما قلنا إلى أعماق الشرع ، وأنه سلوك في الحياة الخاصة ، ألزمها المتصوفة من تقشف في المأكل ، والمشرب ، والملبس ، وعزوف عن الدنيا ، وانقطاع إلى العبادة ،

---

(١) مقدّمة ديوان النغم القدسي لعز الدين الخيّر ـ ص ـ ٤ ـ ١٩٧٢ ـ دمشق .

والخلوة والتفرد ، فقد مارس الشعر العربي ظاهرة التصوف ، إلى أبعد مدى ويكاد الشعراء المتصوفون يبزّون غيرهم من المتصوفين شهرة وسيرورة ذكر ، آماداً بعيدة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ، لا الحصر ، ابن الفارض ، وابن العربي ، والمكزون السنجاري ، وغيرهم .

ونكاد نلمح استجابة طبيعية من الشعر لدواعي التصوف ، لأن هذا بما فيه من استغراق ، وانقطاع ، وعزلة ، مما يطلق الخيال ، ويفتح باب التأمل ، وينمي الفكر والذهن ، يكاد يكون بيئة طبيعية ، لنمو الشعر وازدهاره ، وسبباً في غناه وخصبه .

والشعراء الصوفيون ـ الأماثل ـ يروعك منهم دقة الفكر ، ووضوحه ، وعمق المعنى وسموّه ، كما يدعوك للتأمل توفيقهم بين صعوبة الموضوع ، وسهولة البيان ، حتى إنّ شعر التصوف عند العرب أصبح مدرسة خاصة به ، يتغنى بمقاطعه المغنون ، ويتحدث السمّار وهو البعيد عن الشعر العادي ، والسحر المألوف وما ذاك إلا لقربه من النفس .

أول مظاهر شعر التصوف هو فناء الواجد بموضوع وجده يقول المكزون :

لا غير من لا غيره لي إله   إذ ما لموجود وجود سواه .

ويقول :

وفنيت حتى لو تصورني الفنا   لم يدر أين أنا وفيه مقامي .

ويقول :

أصبحت في الكون بلا حيز   وكل ما في الكون في حيّزي
وخارج العالم في داخلي   وقدرة القادر في معجزي

ويقول ابن الفارض :

قـل تـركـت الصّـب فيكم شبحـاً ... مـالـه مـمـا يـراه الـشـوق فيّ
كـهـلال الـشـك لـولا أنهـ ... ـان عينـي عيـنـه ، لـم تـتـأيّ
خـافـيـا عـن عـائـد لاح كـمـا ... لاح في بـرديـه بعـد النشـر ، طـي

وثـاني هذه المظاهر هي وحدة الوجُود[1] بين الموجودات والقوة السارية في الكل المتصلة من حضرة الذات الإلهية إلى سائر المكونات يقول المكزون :

مـن هـو أنـا حـتـى أسـمـى أنـا ... لـيس أنـا الـحـقّ سـوى أنـت
فـنـحـن من كـونـك كـوّنـتـنـا ... وأنـت بـالـفـرد تـفـردت

إلى غير ذلك مما يصعب تقصيه وحصره ومع هـذا فعندهم أن من تتضـع لله نفسه ترتفـع عنـد الله درجتـه وأن من أبصـر وحـدة الوجود الصافية يطلّ منها على فلسفة الخلق والتكوين ،والإنشاء بعين لا تخطىء ويصبح مثالاً على تجلي قدرة الله به ، فيخرج كل منهم على نحو يتخيل فيه لقارئهم ، أنهم يدّعون الألوهية ، ومفاعيل القدرة ، وهم عن ذلك بعيدون كل البعد .

ولقد أصاب صاحب هذا الديوان ، من الشيوخ رشاش من هـذا ولـو أنهم تدبّـروا مـا نسب لعلي بن أبي طالب كـرم الله وجهـه ، بـأنـه سبحانه «تجلى للجميع من الجميع ، وبالجميع احتجب عن الجميع» وقوله سبحـانه : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم﴾ [سورة الفتح ؛ الآية : ١٠] وقـولـه سبحـانـه : ﴿وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى﴾ [سورة الأنفال ؛ الآية : ١٧] ومثل الكلمة الفريدة ، التي استوى بترديدها العـالم والجاهـل ، «لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم» ومثل تحديد الوجـود ، «هو ما هو لـذاته ، فـلا هو هو ، ولا هو ما هو» إذن لتدبَّروا بعقول واعية ، ونظروا بأعين باصرة .

---

(١) مقدمة ديوان النغم القدسي ـ ص ـ ٦ ـ مصدر سابق .

جـ ـ هذا الديوان د ـ التصوف :

لـدينا الآن ظاهرة فـريدة ، ونـادرة ، هي هذا الـديـوان الشعـري لفضيلة العلاّمة الشيخ أحمد محمد حيدر ، ونوع الغرابة ، والندرة فيه ، تتأتى عن أن شعر التصـوف يأخـذ أكثر مسـاحات الـرؤى الشعريـة فيه ، وليس بدعاً أن أحد شعراء التصوف كتب ديواناً من الشعر ، وإنمـا ليس هيناً على تصورنا في القرن العشرين ، وجود مثل هذا الحدث في الوقت الذي ابتعد فيه الذوق العام عن غايات كهذه وقلّ من يعنى بنظم الشعـر على هـذاالمنوال. والآن لـنـرَ كيف ينظر العصـر الحـاضـر إلى تجـربـة كهذه ، يسيطر فيها الروح الإلهي على زمام الشاعر ، ويقود خـطاه ، وما هو التفسير الذي يليق بشاعر معاصر ، استجاب لمفعول الفطرة الإلهـية فيه ، فقدم شعراً فيه شمـول النظرة الإنسـانية لـلأشياء وعمقهـا ، وفيه أنفاس هذا الشوق ، الذي كان منذ وجد منبراً من منـابر الـروح ، والذي تجلى فيـه على ألـوف الصـور ، والمعـاني نـزوع الـذات الإنسـانيـة ، واستجابتها لعالم القيم ، وتحرك هذه الذات حركة شـوق تلقائي ، نحـو المطلق الذي لا يُحدّ ، والذي يثير إعجابنا إلى حدّ بعيـد ، فهم الشاعـر الدقيق لمعضلات التصوف المتعدّدة ، وانـدماجـه بها فهـو مع التصـوف شرح قولهم : «العلم هو حضور المدرك عند المدرك» حتى ليحقق معها صيرورة متوحدة متماسكة ، وحتى ليصبح شعره بادرة بـاهرة ، في عصـر انصرف فيه بنوه عن هموم الروح يقول من مقطوعة رائعة :

يعـرف العقـل ذاك أمـا اجـال العقـل ... فـي الـكـائـنـات طـرفـاً بـصـيـرا

وغـنـي عـن ذاك مـن لـدواعـي الـلّه ... ألـقـى الـتـحـلـيـل والـتـعـبـيـرا

فـاغـتـدى بـاسمـه البشيـر بشيـراً ... واغـتـدى بـاسمـه النذيـر نـذيـرا

إنـني مـذ عـرفـت ذلـك كنت الكنـز يحـوي من الـدراري الكثيـرا

أهـب الصُّـم مـسـمـعـاً والـمـضـلـيـن رشاداً وأرزق الـعـمـي نـورا

ومـن الـبـؤس أسـتـجـدّ نـعـيـمـاً ... ومـن النّـار اسـتـجيش الـبـحـورا

وبهم عند مالهم صرت عبداً   رحت في صحبتي العظام أميرا .

ولكي نفهم ما يقول الشاعر بوضوح ، علينا أن نعلم أنه يرى أنّ الله سبحانه ، فضل عن أنه واجب الوجود لذاته ، فهو الحقيقة التلقائية ، التي تبزغ عن صفاتها وخصائصها كل فاعلية ونشاط ، لكل موجود متكون ، وفيه خصائص تبدو لحواسنا وعقولنا ، والله مع كل ذلك منزّه بذاته عن كل شيء ، بيد أنه لا يقوم وجود ، ولا كينونة إلّا بوجوده ، لأنه الموجود الأول ، والإله الحق السّرمد ، الجامع في وجوده المطلق ، الأزلية والأبدية .

ومع ذلك فليس لي أن أشرح مثل هذا الشعر فإنه لا يتوصل إليه أبداً بشرح بل هو إحساس وإدراك ، يستعصيان على الشرح والتفسير ، وتبقي لفعالية الروح الخفية ملامسة هذه المعاني بنوع لا يوصف يقول :

مازلت أمتاح رحيق الهدى   بين منار الوحي والمصحف

إذا نبت عني عذارى المنى   هدهدتها بالله حتى تفي

أو أدبرت نفسي عن رشدها   صورت فيها هائل الموقف

حتى اجتليت الله في حيث لا   حيث ، ولا حتّى ولا ثمّ في

مثل هذه الأبيات لا تشرح ، وإنما تذكّر القارىء ، بأن ما تراه عينه ، أو يدركه حسّه أو عقله ، مجرد آثار للوجود المطلق الذي لا يتجزأ ولا يحد ، ولذلك تكون جميع الألفاظ والمعاني ، التي نستعملها في كوننا الجسم المحدود كلها مستحيلة بالنسبة لوجود الله كما يستحيل تحديد الإطلاق ، (لنا من الألفاظ معناها ، ومن الحروف معراها) .

ولما كنا ألمعنا إليه من مظهر فناء الواجد بموضوع وجده عند الصوفيين يقول :

جمال وجودي في وجودي عشقته   وهام به قلبي الجحاجحة الغلب

تصباهم قلباً تقياً وقالباً   نقياً وشابوا مخلصين كما شبّوا

خلائقهم تقوى شمائلهم هدى   خلالهم حسنى فعالهم ندب
عليهم صلاة الله سحباً لخصبهم   تضار ويروى ثم يخضوضر الجدب

هـ - المظهر الثاني لشعر المتصوفة :

إن شعر المتصوفة كما قلنا هو وحدة الوجود ، التي يراها الصوفي في كل شيء وتنجلي ها هنا في الديوان واضحة جلية[1] :

الجمال القدسي في كلّ شيء   رائع الشكل رائع القسمات
هو لطف على البدور   وبالشمس يرد العيون منكسرات
ويعرض السماء منظوم   أفلاك وساع وأنجم دائرات
وعلى البحر إنْ طغا جبروت   هائل البطش ، مرعب الشكل ، عات
أوسجا ، ساحر الملامح براق   شهي السكون ، والحركات
وعلى الزهر الرياض رفيف   مسكر اللون عاطر النفحات
وفنون على الأفانين ،   تهتز ارتياحاً لعابر النسمات
وعلى مظهر الطفولة دلّ   فاتن الضحك ، فاتن العبرات
تتجلى على تلعثمه الوضاء   كل المفاتن ، الشيقات

ويفيض هذا الإدراك المتمثل في امحاء الشخصية ، الفردية ، في إرادة الله وكونها أداة طيّعة في يد القدرة ، تتسع نظرة الإنسان ، إلى المحيط الخارجي ، ويشعر بالتسامي ، إذ يصبح ظلاً محسوساً للمطلق الكلي الإرادة ، والقدرة ، يمارس من موقعه ذاك المطل على المخلوقات ، سعادة المعرفة ، بأسرار الخلق ، والتكوين ، والإنشاء والتحول ، والتغير ، وهذه المعرفة تتيح له الإلتقاء بالأدنى ، والأعلى ، مطمئناً في ذلك كله ، إلى كونه في رحاب الرحمة التي وسعت السموات والأرض يقول :

---

(١) مقدمة ديوان النغم القدسي ص - ٩ - .

كشفت لي عني فأبصرت نفسي ... جامعاً للجموع، والأشتات

فأنا الكون والكيان، من الأرض ... لدينا الأنوار، والنيرات

للبسيط القدسي حتى الذي ... جرّد ذاتاً عن ماهيات الذوات

ويقول :

ومذ أشرقت شمسي تكبدت الضحى ... وجلت بأن يتتابها الشرق والغرب

فكنت لعمر الله مجلى مظاهر ... تنافس في إكبارها العجم والعرب

وقد كشفت عني ستور دجنتي ... فأبصرت لا ستر هناك ولا حجب

فلا لب إلا وهو لبي، وإن يكن ... فسري له سرّ، ولبي له لبّ

ولا اذن إلا من سماعي صماخها ... ولا قلب إلا من فؤادي له قلب

ولا ناظرٌ إلا وقلبي شعاعه ... ولا من رحى الاوكوني لها قطب

ويقول أيضاً من قصيدة :

وأرى بالذي أراه جلالاً ... مستفيض السناء في ناظريا

قدرة الله قد تجلت، ولولا ... قدرة الله، لا ترى ثم شيّا

فبكل الأصوات أسمع لحن الغيب ... يجري كالهمس في أذنيا . . .

وعلى كل كائن أقرأ التكوين ... سطرا، منوّراً، ذهبيا

يضاف إلى ذلك إحساس الشاعر العميق، بأن الحقيقة الإنسانية الفردية، أو الذات الخاصة صورة مصغرة، للعوالم العليا، والدنيا فهي على صغرها، وقلة شأنها، جامعة للمجموعات فيها المطلق والمقيد، والمبدع، والمبدَع، والروحي، والمادي، أو هي كون كامل مستقل له كل صفات الكون الكبير العام، وإذن فيحق لمن وضحت هذه الرؤية لديه، أن يقول :

بلهت إذا ما قلت بالغيب إنما ... لك الغيب لا ما دونه إلا نجم الشهب

أرى ما يسمى عالم الغيب كل ما ... أراه، وهل حبّ هناك ولا حبّ

وهل شعة إلا لذات مشعة	وهل مطر إلا ومصدره السّحب
حجبت ولكن عنك فيك بما جنت يدا	ك ، فما يجني وماذا جنى الحجبُ؟
ومنك إليك الخير ، والشرّ ، خلفة	ومنك وإليك الصدع تخشاه والرأب
فهلا وصلت السير لله بالسرى	تخبّ به فيك المطهمة القبّ

تأمل ترى التلازم بين الأثر ، والمؤثر ، والسّبب والمسبب ، والعلة بمعلولها ، ممّا يدلنا على أن طبائع الموجودات ، النزوع للرّجوع إلى أصلها ومبدئها لارتباط الظاهرة بعلتها ، وانجذاب العالم ، المتكون ، المتشيء ، إلى عالم الإطلاق ، والتجريد .

وحمل عليه بعضهم متقدين بلا هوادة هذا النوع من التفكير ، ومن الشعر ، عمياً أو متعامين عن مثل ما أتى : «بسيط الحقيقة كل الأشياء ، وليست بشيء من الأشياء» (الفلاسفة) .

ومثل : «هو في كل شيء عين كل شيء ، سوى تقييد الشيء وتعيينه» (الشيرازي) .

ومثل : «هو الكل لا غيره كله وكل به مغرم مستهام» (المكزون) .

ومثل : «لمغيب قلبي في هواكم مشهد كل البرية ،مطلق ، ومقيد» (المكزون) .

ولو تدبر هؤلاء (الموثقون) (لعلموا أن التكلم عن الوحدة ، والفناء ، والإتحاد ، والوجود ، والقرب ، والبعد ، يكاد يكون عند عظام الصوفية بألفاظ خصيصة بهذا الفن الذي هو فنون مجموعة بقيومية الله سبحانه من الأشياء ، فقولهم : بسيط الحقيقة كل الأشياء الخ أي أن الحقيقة المتنزهة عن التركيب لشدّة بساطتها هي القوة التي تقوم الأشياء بقيوميتها ، وليست هي بذاتها من هذه الأشياء ، فوجود كل شيء ، وجود إضافي لهذه الحقيقة ، فهو من قبل ذاته في فناء دائم ، ومن قبل موجده في بقاء مستمر ، ولذا قيل : «كل شيء ممكن في ذاته واجب

بغيره» فلا تتحرك ذرّة بالكون من سائر الأشياء العديدة المنوعة ، من الإنسان والنبات والحيوان ، إلا بالسّر السالك بها من قبل وجوده سبحانه ولذا قال الإمام : إنه سبحانه «باين الأشياء بينونة صفة ، لا بينونة عزلة» فالله سبحانه هو الحقيقة التي تقوم بها الحقائق ، وجميل قول بعضهم : إن الله لا يجانسها ولا يضاددها ، كأنه يقول : لا يجانسها فيختلط بها. ولا يضاددها فيتأثر منها .

والآن أحب أن أعرج على القسم الثاني من الديوان ، الذي هو شعر العواطف والهموم الذاتية، مما يجعله أكثر قرباً إلى شعرنا ، وإلى فهمنا .

و ـ الشعور .

ولا أُريد من هذا العنوان ، أن يكون ما كتبناه من شعر التصوف معرى من الشعور بل إني أعتقد أن شعر المتصوفين ، الصادقين ، يمثل أقصى درجات الشعور والحسّ ، ولكن أُريد من هذا العنوان ، الشعر الذي مبتغاه الشعر لذاته لا لغرض آخر .

ولا بدّ لنا من المرور بتجربة مثيرة إلى أبعد حدود الإثارة ، فالآن وقد شاهدنا هذا الإنسان الكبير ، الشاعر في تساميه وطموحه الذي جعل من صهره ذرات الوجود في ذاته ، أو حرقة في الشعر والذي امتدت، رؤاه فشملت العوالم القصية ، والدانية ، في نظرة متسعة متكاملة متوحدة ، تلاقى على نشاطها الحسّي والعقلي جميع ما في الكون من رموز ، وما به من خفايا ، كيف يصبح هذا الإنسان الذي قال إنه يهب النور والحرية ، والإرادة للناس ، إذا حلّت الهموم وكيف يبكي ، إذا مات ولده ، وكيف يجزع إذا أحدق الخطر بولد آخر ، وكيف يحلم ويفكر ، إذا داهمته متاعب الإنسانية المعذّبة ، وإذا تحسس الآمال خفية تراود فكراً ، أو شوقاً عارماً عبر في صدق ، أو حرقة والهة سالت في دمعة عين ، أو قلب عصرته الخيبة ، أو نفس فرقها الألم .

إننا لنجد عجباً ، نجد هذا الصّرح الشامخ البازخ كيف تزعزعه العواصف والأعاصير ، وهذا الجفن الذي أطال التحديق إلى عالم الصور المطلقة كيف يشرق الدمع ، ذلك أنه أولاً وآخراً شاعر ، تبقى طاقاته الشعورية ، أوسع مجالاته :

قف بالربوع ، وسائل الأطلال عن ماضي الربوع
واستمطر الدّمع الملح ، فحقها فيض الدموع
أمراح لذاتي ، ومهد صبابتي ، رؤى ربيعي
هل من رجوع للحياة كعهدها ، هل من رجوع
يا طالما اتكأ الغروب بها على فتن الطلوع
وتألقت فيها المباهج رأبة القلب الصّديع
ما بال غاويها اطامن للتنسّك ، والخشوع
النور في جنباتها خابي التألق والسطوع

هذا البيان الرائع ، والسّحر الذي ينغرس في شغاف القلب ، هو همّ الجراح المستوفزة وهي من مقدمة قصيدة ، نظمها عندما كان ولده (حسين) بالجبهة ، وولده (محمد) في طريقه إليها .

أُنظر إلى جزع الوالد ، الذي يرى ولده بين حراب المنية ، حينذاك تفقد المحاكمة والمنطق ، معناهما ، وتبهت الحكمة وتضيع ولا يبقى ثمة مجال لغير العاطفة المحترقة ، والدمع المنسكب :

ذهب السرور جميعه فسطا الشقاء على الجميع
أنّى فأين حسين أين أخوه مذهلة الجموع
لتمر بي ذكراهما مر المخاوف ، بالجزوع
أتصبراً ، لا لست بعد نواهما بالمستطيع
أحسين أين الشعر تطربني بعاصيه المطيع
أنشد فلي قلب المصيخ له ولي أذن السميع

ثم يتسامى هذا الألم الشخصي ليصبح ألماً كبيراً يشمل الإنسانية المعذّبة بأسرها المتمثلة في إحدى أبرز صورها مأساة فلسطين .

أدميت قلبي يا فلسـ ... ـطين المشرد والنزيع
الحرب تلهب في ذراك ... وحرّها بين الضلوع
وقع القنابل في حماك ... وبالحشا ألم الوقوع

ولكن هل يغفل الذي ربط حبله في الله عن الله كبقية الناس إذ دهمته الكارثة ؟ كلا ، أنظر إليه ، في أحد أعنف مواقفه الباكية حين انتحر ولد ابن عم له ، بعد استفهامات وتمنيات ، لا تخضع للمنطق أبداً :

وبعد هذا كله ليتها ... ألقت عصاها واستقرت هنا .
وليتها إذ وترت قوسها ... تحاشت الأكباد ملآى سنا .

يقول للراحل بلهجة وادعة مطمئنة :

يرحمك الله ، وهل ذلة ... تضيق عنها مرحمات الغفور .

ثم يتابع بتسليم لا حدّ لصفائه :

حملتني تالله لولا الرضا ... بما يريد الله ما لا أطيق .

ثم يبكي على ابن له آخر توفي صغيراً اسمه (جوهر) مسترجعاً صورته في ذهنه :

كأنما ثغرك يا جوهري ... جرح تنزى في حواشيه دم
تعال أضممك فبي حرقة ... شفاؤها منك عناق وضمّ

تخلص من هذا كلّه ، أن الشاعر مهما شطت به المتاعب فإنما هو، يد على القلب الدامي ويد على عين الله لا تطرف .

ز ـ الثلاثة الأعلام :

تتمة لهذا البحث لا بد من الإشارة إلى شاعرين كبيرين لعبا دوراً

بارزاً في شعر التصوف ، والتوحيد ، هما (الحسن بن المكزون السنجاري) «القرن السابع» (ومحمد المنتجب الدين العاني) «القرن الرابع» لعلَّ شاعرنا قد ، تأثر بالغ الأثر ، بهذين الشاعرين مع فارق الزمن ، والعصر ، حتى أصبح الثلاثة يمثلون قطاعاً هاماً ، من أدب التصوف وشعره[1] .

ولما كان كلٌ من الشاعرين ، ذا أسلوب متميز عن الثاني ، فقد جاء شعر شاعرنا حلاً وسطاً بينهما .

إمتاز المكزون بسمو الفكر ، وعمق الثقافة ، إلى جانب أسلوب لفظي ، معقد ، دفعته إليه صعوبة القضايا التي عالجها ، في المنطق والفلسفة والتوحيد ، وابتعاده عن الشعر الشخصي ، والهموم الخاصة التي تطلب لغة سهلة، وألفاظاً منتقاة .

ومن هنا تشابه معه شاعرنا ، عندما تعرّض لنفس المسالك التي عاناها (المكزون) :

العقل في جوهره واحد ... وعنه يبدو النفع، والضرُّ
مثل شعاع الشمس في بدوها ... برد ، ومنه في الثرى الحرّ

ويقول من قصيدة رائعة :

وكنت في جمع النقيضين ... عيناً في النظر
وتقول بالجبر، وبالتفو ... يض، تلحى من جبر
وتزعم التنزيه لله ... وتدعوه... الحجر
وتنحل الأفعال للفعل ... الذي عنه صدر
وتدعي وحدته في ... كثرة لا تنحصر

---

(١) مقدمة ديوان النغم القدسي ص - ١٦ - .

ويقول :

محجوبة، لا يـراهـا في الأنـام بهـا ... خلق، وقـد شوهـدت بين الخـلائق بي
مـوصـوفـة لم أصف الأوصيفـتهـا ... وهي العليـة عن نـظمي وعن خـطبي

إلى غير ذلك مما يظهر اهتمام الشاعر، بوضوح الفكرة، وحسن أدائها أكثر من اهتمامه بتنقية اللفظ وتجويده، ومن ذلك قول شاعرنا في هذا الديوان :

يبتـغي الـعقـل أن يـرى مـاور ... اء العين من سـرّ عـالـم محجـوب
ومحـال والعقل في أسـره الجـائـر ... بيـن الـتـنـكيـل والـتـعـذيـب
حـطم الـقيـد يـأتـك الـعقـل بـا ... لعلم عن الغيب بـالـغـريب الغـريب
أوتـجـرّدوعش بنـعمـى خيـال ... واسـع الأفـق والـمجـال نـجـيـب

أما العاني، فقد امتاز بسهولة اللفظ، وبساطة الأسلوب، جاعلاً ذلك هدفاً له في الشعر، ففضله على كل ما عداه وبذلك يقول واصفاً قصائده :

سلكن من الألـفـاظ مـا كـان رائـقـاً ... جميـلاً، وجـانبن الـكـلام الـمعقـدا

ويقول :

لـعـاذلـي قـلب، ولـي قـلـ ... ـب مـقـسـم في أثـرهـم نـهـب
مـا تـفعـل البيض وسـمـر الـقـنـا ... يـوم الـوغـى مـا يـفـعـل الحـب
لـلّه أقـمـار تـبـدت عـلى ... غـصـون بـان تـحـتـهـا كـثـب

ويقول :

بـريـق أضـاء فـي الفضـاء مـو ... هـنـا فـذكـرنـي زمن الـمنـحنى
ووادٍ الأراك وكـثـبـانـه، ... وغـزلان نـجـد يـغـازلـنـنـا
وظـبي غـريـر رخـيـم الـدلال، ... كـغـصـن الأراك إذا مـا انـثـنـى
لـفـرط غـرامي بـه فـي الـهـوى ... جـعـلت فـؤادي لـه مـسـكـنـا

ويقول :

لو كان يرجى لماضي العيش مرتجع　　　لقلت بالله يا أيامنا عودي

ويقول :

لمّا تيقنت أن الوصل منقطع　　　وأنني لم أطق ردّاً الماضيه

مازلت أنثر عقد الدمع من　　　أسف حتى رجعن يواقيتاً لآليه

هذا البيان يعود إلى كون الشاعر عاطفي النزعة كثير التحسر على أيام الصبا والشباب والعمر الذاهب ، فجاء شعره بعضاً من هسهسة الحلي في أعناق الغواني وشاعرنا في هذا الديوان أشبه به عندما يعالج مواضيعه الخاصة ذات الصلة الماسة به .

يقول :

أحبث أخطأت الغنى لانني　　　مقرح الجفن حليف الأسى

كم كنت قبلاً لا تبالي إذا　　　أحسن هذا الدهر وإن أسا

وعندك الحادث من صرفه　　　سيّان إن أقلع أو إن رسا

فانس بنظم الشعر إن لم تجد　　　بالمال مثل الأغنيا مأنسا

واكنز دراريه وأبصر تجد　　　ما بيننا رب الغنى مفلسا

نماذج من شعره
الطابع القدسي

دلهتني عني ، نهى وضميرا　　　حادثات أضنينني تفكيرا

حادثات نكس الهبوب ، إذا　　　جشن على خاطر أناخ ، كسيرا

ورماني التفكير في لجة　　　تملك مني التقديم ، والتأخيرا

زرعت بي أمواجها سعة الكـ　　　ـون ، وجاوزن بالفضاء الأثيرا

ثم حزن الأثير في لألات النـ　　　ـور ، ينفي من نفسي الديجورا

وإذا عالم يفيض جلالاً ، ... وجمالاً ، مقدّساً مبرورا

تتجلى به الألوهة لطفاً ، ... وسناء ورقة، وشعورا

عالم ، كلّه حياة، وعلم ... يبهر النور فيهم المستنيرا .

شمت فيه القرآن والصحف ، ... والإنجيل فيه وفيه شمت الزبورا .

كلها بين المعاني ، ولا تحتـ ... ـاج فيها التّحليل ، والتفسيرا .

واضحات الأحكام ، مشرقة ... الآراء، معنى مقدساً ، وسطورا .

ثم إنّي هبطت للأرض مطـ ... ـعون الأماني مخبّلاً مذعورا .

خائفاً أنني لما كنت في ... أوضاره أولاً أعود أخيرا .

فإذا بي طبعت بالطابع القدسي ... أصفى مني ، وأسمى أمورا .

لا أرى للشرور ظلّاً ، ولا ... للبؤس معنى ولا أرى تكديرا

إنما الشرّ منك فيك تجلى ، ... هائل البطش ، فاحذر الشريرا

ومن النفس قد تحدر للنفـ ... ـس الرزايا ، ببؤسها تحديرا

إن هذا الوجود فيض من ... القدس ،وما كان فيضه محظورا

العشيات كم يسلن نضاراً ... يملأ الكائنات مرأى نضيرا

والشروق الفتان، يترك بالعـ ... ـين ضياء، وبالنفوس سرورا

والسفوح الوسام، والقمم الشـ ... ـم ، يغازلن في السماء العبورا

والسهول الفساح، والأكم ... الغر ، نظيماً مجموعها، ونثيرا .

فالجمال المرئي تشتفه العين ... رؤى، تملأ القلوب حبورا .

والذي يجتليه عقلك، أوير ... تدعنه طرف الأماني حسيرا .

كله مجة من النور، ألقا ... ها وجوداً كما تراه كبيرا .

كالمعاني برزن باللفظ أنغا ... ماً ودراً ، منظماً منثورا .

يعرف العقل ذاك أما أجال ... العقل في الكائنات طرفاً بصيرا .

وغني عن ذاك من لدواعي ... الله ألقى التحليل والتفسيرا .

واستباه الرسول من محكم ... القرآن يلقي حديثه المأثورا .

وتـوخـى أسـمـاءه، ثـم مـاشـا   هـن فعـلاً ،ومـقـولاً ،وضـمـيـرا .
فـاغـتـدى بـاسمـه البشيـر بشيراً ،   واغـتـدى بـاسمـه الـنـذيـر نـذيـرا .
فـاصـطـفـاه نـور الإلـه مـحـلاً   لـتـرائيـه فـاسـتـفـاض مـنـيـسرا
أنـا وحـدي عـرفـت ذاك فـكـنـت   الكـنـز يحوي من الـدراري الكثيـرا .
أهـب الصّـمّ مـسـمـعـاً ،والمضـلـين   رشاداً ، وأرزق الـعـمـي نـورا .
ومـن الـبـؤس أسـتـجـد نـعـيـماً   ومـن الـنـار أستجيش البحـورا .
إنني عـنـد مـالهـم صـرت عبـداً   رحت في صحبتي العـظام أميـرا .
وعـبـوديـتـي لـهـم جـعـلـتـنـي   مـطلق الأمـر، أمنـح التحـريـرا
وائتمـاري بـأمـرهـم رحت فيـه   سـيـداً ، آمـر الـهـوى مـأمـورا .
ولأنـي وردت نُـعـمـى ولا هـم   صـرت أصفى شـريعـة ونميـرا .
لـووردت الضفـاف منهـا لـراعتـ   ـك بـمـا شئـت مـورداً وصـدورا
هـل تـرشفت من منـاهلهـا العـذبـة   خـمـراً؟ وهـل نشـقـت عـطورا؟
وبـأسـرارهـا الـوضيئـات هـل شـا   هـدت روضاً؟ وهـل رأيت زهـلورا؟
فـإذن بـعـد لـم تـعـد تـسألـك الـروض   نـديـاً ولا تـلـذ الـخـمـورا

الهبطة

تـنـازعني حيناً وجـوبي ومـمـكـنـي   فـفـاز وجـوبي بـي ، وتـم لـه الـغـلب .
ومـذ أشرقـت شمـسي تكبـدت الضحى   وجلت بـأن يـنـتـابهـا الشرق والغـرب .
فـكـنت لـعـمـر الـلّه مـجلى مـظاهـر   تنـافس في إكبـارهـا العجم والعـرب .
وقـد كـشـفـت عـني سـتـور دجـنـتي   فـأبصـرت لا سـتـر هـنـاك ولا حجـب .
فـلا لـب إلا وهـو لـبـي وإن يـكـن   فـسـرّي لـه سـر، ولـبّي لـه لـبّ .
ولا أذن إلا مـن سـمـاعـي صـمـاخـهـا   ولا قـلـب إلا مـن فـؤادي لـه قـلـب .
ولا نـاظـر إلا وعـقـلي شـعـاعـه   ولا من رحى إلا وكـوني لهـا قـطـب .
فـيـوضـات أسمـاء الإلـه تـبـرجـت   عليّ تحـامـاهـا الجـلالـة والعجب .

هبطت إلى ذي الدار أمتار ريعها … بما سنّه المختار والآل والصحب .

هبطت وليس الذنب مصدر هبطتي … وفي جنب عفو اللّه يحتقر الذنب .

ولا باعتراض قيل عنه كناية … وأخبر عنها اللّه والرسل والكتب .

هبطت ليعطى الكون في كماله … وأكمل فيه هكذا حكم الربّ .

وأبصر آيات الإله سوافراً … يضاحكني في ظلها الأول الرطب .

تعاقب أبداني على الروح ريثما … تطهر والتكرير يحتاجه العذب .

علمت بأني في بلائي فائزٌ … بنعمى جلال القدس فاستسهل الصعب .

فإن تك بي تلك المصائب صبة … فإني بها من ذلكم مغرم صبّ .

وإن نغصتني الأحداث فريعها … بكفي أسلاب وإنتاجها نهب

وإن حبست روحي بجسمي فإنها … مع القيد بالإطلاق منزلها رحب .

أتجني وتغدو في الهوى متجنياً … رويدك لا لوم عداك، ولا عتب .

وتغلبك الدنيا على العقل والحجى … وتحزن للبلوى إذا حزن الدربُ .

تثاقلت دون الركب تهزأ بالمنى … إلى أن مضى فيما ابتغى واشتهى الركب .

وتأوي إلى المرت الجدوب ودونها … البلابل والأغصان والماء والعشب .

حجبت ولكن عنك فيك بما جنت … يداك فما يجني وماذا جنى الحجب؟

ومنك إليك الخير والشّر خلفة … ومنك إليك الصدع تخشاه والرأب .

فهلا وصلت السير للّه بالسرى … تخبّ به فيك المطهمة القب .

وفزت بما فازوا به بعد بعده … وجزت مدىً أمياله الدهر والحقب .

وهلا وصلت الليل بالصبح قانتاً … وللظمْ لو طال الرشا يمتح الغرب .

ومن مثل ما فيه ابتليت وبؤسه … وما جرّه فليك وليندب الندب .

ميولك ندت عنك طائشة المنى … نوافر مثل السرب إن فوجىء السرب .

بلهت إذا ما قالت بالغيب إنما … لك الغيب لا ما دونه الأنجم الشهب .

أرى ما يسمى عالم الغيب كل ما … أراه وهل حبّ هناك ولا حبّ

وهل شعة إلا لذات مشعة؟ … وهل مطر إلاّ ومصدره السحب؟

رأيتك تهفو للجمال تبرجت … كرائمه فاهتجت يذهلك الحب.

وبئس الفتى يهوى الجمال مجسماً … يشيخ فيذوي، ثم يمتصه الترب

فهلا بمعنى الحسن همت ولم تكن … لأعراضه الدنيا وأشكاله تصبو

جمال وجودي في وجودي عشقته … وهام به قلبي الجحاجحة الغلب.

تصباهم قلباً تقياً وقالباً … نقياً فشابوا مخلصين كما شبوا

خلائقهم تقوى شمائلهم هدى … خلالهم حسنى، فعالهم ندب.

عليهم صلاة الله سحباً لخصبهم … نضار ويروى ثم يخضوضر الجدب.

وأهلني ربي لأحظى بما حظوا … فيهدأ بلبالي، ويلتئم الشعب.

المجلس الوقور

لم أزل من تطلعي دائم الشوق … إلى مجلس مناه شرود.

بظلال الفردوس حيث الأماني … يتزاهى منها الشتيت البرود.

(والأمير الخطير) ينعم ما شاء … له الخلد، والهوى، والوعود.

وشموس التوحيد (أبناء جران) … وأقماره الأباة، الصيد.

(ونجوم الشهباء)، لله والعلم … طريف من عهدهم، وتليد.

(وابن شيراز) مشعل النور … والحبر (فتى عانة) الإمام الوحيد.

(وبدور الزوراء) أشرق فيهم … روض عمرانها، ورف البيد.

وأديرت عليهم الراح بالأنهار … والثغر، واللمى، والعود

وبدا المجلس الوقور يجول … الزهو فيه، ويمرح التغريد

واستوى في الأريكة البلبل … (العاني)، وفي كل روضة غريد.

وهفا الخلد للسماع، فهذا … مستعيد، وهذه تستزيد.

كل وقت يطوف بي في ثراه … من أماني جنة وخلود.

مجلس من رياض مكة ينميه … اليها، ولاية، وعهود.

وشعاع من الغري على يثرب … يعشو إليه هادٍ رشيد.

بسمات الرضى على جانبيه … يجتليهن طالع مسعود.

يتفيا بظله الوارف النضر		من الناس . . . . سيد ومسود .

ضجعة القبر

آذنت شمس حياتي بمغيب		فهوت من قبل أبان الغروب .
وغدا للسقم جسمي مرتعاً		يتلهى منه في مرعى خصيب
وحنت مني قواماً عادلاً		هكذا يجنى على الغصن الرطيب .
وامحى ليل شبابي والهوى		قبل أن يمحى بأنوار مشيبي .
مرحباً بالسقم يدنيني من الموت		وبالموت مجيري من كروبي .
ضجعة القبر لمأسور العنا		هي فك النفس من غل الخطوب .
فغريب الدار مسلوب المنى		حل في أكنافه غير غريب .
والذي ضاق به صدر الفضا		نازل منه بذي صدر رحيب .
ما الذي يبكي ذوي الميت إذا		أطلق الروح من القيد العصيب .
هي طير فرّ من أقفاصه		للخلد ينعم بالمرأى العجيب .
قبل ذرّ الشمس في تلك الربى		وعلى تلك الربى عند المغيب .
يرسل اللحن شجياً مطرباً		يسكر الأرواح تلحين الطروب .
والأزاهير أصاخت سمعها		لطروب اللحن عن أمر القلوب .

إذا بسط اليدين

أفيقوا من ثباتكم أفيقوا		فقد فضح الدجى هذا الشروق
ولم تعد العمائم خالقات		وليس لها الرعود، ولا البروق
ألم تر شيخنا هذا دهته الصر		وف فعينه ثكلى عقوق
وذاك تلفعت فيه المعالي		وطال اشم تألفه الأنوق
وإن كليهما ملك كريم		لتقواه بعينيه بريق . . . .
صديق الكل ليس له عدو		وليس له على الدنيا صديق .
يقول الناس إنّ الشيخ بحر		وسيعات جوانبه ، عميق .

نعم بحر ولكن ذو أجاج ... له طعم مرارته.... زعوق
يسبح في مظاهره (يغوث) ... ويعبد في مخادعه (يعوق).
إذا بسط اليدين وراح يدعو ... وحال بطرفه الدمع الرقيق
وكسر جفنه وطغا عليه الخشـ ... ـوع يزينه المرأى الأنيق.
كنانة صائد فيها سهام ... منوعة لها ريش وفوق
وتجحظ عينه شغفاً إذا ما ... يمر حياله، غصن وريق.
ويالك منظراً حسناً أنيقاً ... يصوره الرياء فلا يطيق.
فيا زهداً مولده طموح ... ويا حملاً له غدد وريق.
عدآء محكم وهوى شتيت ... وأخلاق تدنسها الفروق
ومع هذا فهم إخوان صدق ... شقيق راح يعبده شقيق
تنازعنا العلى فلنا طريق ... مضرجة المنى.... ولكم طريق.

الشريف الرضي .....

ما طوته الأيام.

امسح الغفو عن عيون الهمام ... وتمتع منه ببرد السلام.
وتنعم من كفه بالذي لم ... يتنعم به فم المستهام.
شهد الله ما غفت مقلتاه ... عن مراد، ولا وفت عن مرام.
ومعاذ الآباء والنسب السـ ... ـائر بين الإكبار والإحترام
نسب مشرق التسلسل يختال ... بأخلاق أحمد.... والإمام
وعليه الزهراء قلّدها الله ... حلي الإكبار والإعظام
من رآه بدسته وعليه ... من معاني الجلال ألف وسام
قوة معنوية تتذرى ... للعلى كل ذروة وسنام.
شاعر ينظم الشمائل والمجد ... قريضاً يرف بالأنغام.
كلم فخمة المواقع ريا ... بالخيال المجنح المترامي

جلن في مسرح الجمال حساناً   لدنات مرنحات القوام

تستميح التقبيل بالأعين الولهى   وترجو التعجيل بالإبتسام

ولها من جمالها المدهش الرا   ئع للذود عنه ألف محام

ما طوته الأعوام لا بل تجلى   يتهادى على رؤى الأعوام

رب ميت حي، ويا رب حي   دونه كل حفرة وركام....

من رآه ينازع الفقر يستنزع   منه سماحة الطعام

من رأى نفسه تذوب إباء   أن ترى فوقه جليل مقام

عربي اللسان، والسيف، والأخـ   ـلاق، والمجد لا، والزحام

عربي وهل رأى المجد إلاّ   عربي القضاء والأحكام

عربي يغدو على الوحي   بين الله والخلق رحمة للأنام

نبيء الأنبياء بنا، وتسامى   بمصابيح هدينا كل سام

ونبي من عقله المشرق الوضاء   أمسى منور الإلهام

ديني الحب صانه الله من أغـ   ـلال دين ومن حقود اختصام

ديني الدين عارفاً إنما الأديان   وحي المهيمين العلام

ديني الدين مده الله ظلاً   وارفاً من محبة وسلام

وسمائي السماء تمطر فيض   القدس بالمرحمات فيض غمام

أرضي الأرض تنبت العطف   والحبّ غذاء الأرواح والأجسام

كعبة كلها، وما في ذراها   غير حلّ مقدس وحرام...

لم يزل جونا على الرغم منا   أدكن الجوّ بالغمام الجهام.

الشباب الجريء صولة ليث   ومنى أمّة وحر اصطدام

هو في جاحم السعير سعير   وبروق على متون الغمام

وآباء في معرض الذلّ حوال   بعزم المواثب المضرغام

الشباب الشباب لا الهرم الجاثم   بين الأوصاب والأسقام

أين منا الشباب؟ بالشباب   ضاع بين الأحجام والأقدام

أُحد وبدر دائمان

عهد كلألاء الصباح جميل ... يحلو به التعليل والتحليل .

سخرت به الأقدار من متحكم ... طاغ يجرد سيفه ويصول .

متسلح بقوى جهنم بعضها ... يسطو بها في روعه . . . . عزريل .

يسقي التراب دماءنا فيعافه ... ويظل يحزنه الدم المطلول .

وأضر منه على العروبة خائنٌ ... من ولدها متفرنج مخذول .

تسقيه درتها ويهشم ضرعها ... ناب يحدده الدخيل صقيل .

قل للدخيل وقد تشامخ أنفه ... وطغا به الإيعاد والتهويل .

هوّن عليك فلست أول بائس ... هزئت به الأوهام والتضليل .

الثابت الحق الصراح توثقت ... أركانه لا الجيش والأسطول .

والفائز العدل المنار شعابه ... لا الباطلان الوهم والتعليل .

أرأيتنا يوم القنابل تتلظى ... من فوقنا والطائرات تجول .

والشاهقات من القصور يدك من ... وقع القنابل عرضها والطول .

بردى تسيل دماؤنا بمياهه ... من أين يروي للعطاش غليل .

(وحماة) في ناعور هاطل الدما ... هل مرّ (بالعاصي) الدم المطلول .

يبكي لحمر دمائنا مهراقة ... بربوعنا القرآن والإنجيل .

ليعود بالأمس العميق صباحنا ... يتغازلان به المنى والسول .

وتثور ما بين القلوب رعاية ... الأوطان لا رشوى ولا برطيل .

وتنيب أجزاء البلاد لكلها ... يروي مجاهل جمعهن (النيل)

هذه كتيبة أحمد (الخضراء) لم ... يبرح يقود زمامها جبريل

(والقادسية) لم تزل جنباتها ... يطغى بهن زماجر وصهيل

(أحد وبدر) دائمان كلاهما ... جيل يميتهما ويحيي . . . . جيل .

مرحى (صلاح الدين) أي عزيمة ... ما صال فيها زندك المفتول

في مصر من آثار جندك روعة ... يعنو لها الإكبار والتبجيل .

وفتى بني حمدان ضراب (الطلىٰ) ... ليث الكتائب، سيفها المصقول.
يمضي ليفترع الحصون تبرجت ... غيداً وما للوصال لهن سبيل
ما (للدمستق) والرعيل يؤمه ... قد مار عيل باسل ورعيل
ولى واعطاه ابنه وحسامه ... وبوجهه أثر أغرّ جميل
مهلاً (جمال) الترك لا والله ... إن كنت الجمال فما هناك جميل.
أوقعت بالعرب الأباة تحدياً ... للعدل فابتدر القضاء يديل.
جمعت فلول جموعنا لم تجتمع ... إلا ومجتمع العدو فلول.
شيب كما عهد الزمان وفتية ... مجنونة رغباتها وكهول.
فإذا مضى منا قبيل للوغى ... وقضى عليه يغار منه قبيل.
هذا (الحسين) ابن النبوة صارم ... الحدين فتاك أغر صؤول
ألق النبوّة سال من أعطافه ... وعليه من وضح الهدى إكليل
وبولده من ولد أحمد شيمة ... يزهو بها التنزيل والتأويل

لفافة التبغ

لم يبق لي الآك من مؤنس ... يا تبغ في وحشتي الساخره
أعبّ من نارك ما خلته ... خفف من آلامي الثائره
لفافة التبغ ونيرانها ... تمضي بها هازئة ما ذره
دخانها الصاعد الهية الأنـ ... ـسام في أجوائها الساحره
وما تبقى بعد من جسمها ... للأرجل العابثة الجائره.
تأوهي المحرق ترديده ... زفير نيران الحشا الغائره.
ونظرتي جائرة لاتني ... غارقة في نظرتي الحائره.
فإنني من (بعدهم) لم أزل ... ملتهب الأحشاء والذاكره.
مثلك يالفافتي تعمل النيران ... في أحشائي الضامره...
تمتصني، شيئاً فشيئاً، كما ... تمتص ماء الزهرة الهاجره.
هل قبل أن يهنا بهم مجلسي ... تمر في النسمة الآخره.

تمّ الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ المعجم المفهرس للقرآن الكريم ـ فؤاد عبد الباقي .
٣ ـ تفسير الجلالين ـ للسيوطي .
٤ ـ تفسير شبّر ـ عبد الله شبّر .
٥ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي .
٦ ـ التفسير المعين للواعظين والمتعظين ـ هويدي .
٧ ـ الكشاف في تفسير القرآن ـ الزمخشري .
٨ ـ تفسير ابن كثير ـ ابن كثير .
٩ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ الطوسي .
١٠ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المعتزلي .
١١ ـ شرح نهج البلاغة ـ محمد عبده .
١٢ ـ نهج السعادة ـ باقر المحمودي .
١٣ ـ البيان في تفسير القرآن ـ أبو القاسم الخوئي .
١٤ ـ الغدير ـ الأميني .
١٥ ـ الكافي ـ الكليني .
١٦ ـ من لا يحضره الفقيه ـ الصدوق .
١٧ ـ التهذيب ـ الطوسي .
١٨ ـ الإستبصار ـ الطوسي .
١٩ ـ صحيفة الأبرار ـ ميرزا محمد تقي .
٢٠ ـ بحار الأنوار ـ للمجلسي .
٢١ ـ النبأ اليقين عن العلويين ـ محمود الصالح .
٢٢ ـ المكزون بين الإمارة والشعر والتصوف ـ حامد حسن .
٢٣ ـ الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم .
٢٤ ـ النفس البشرية ونظرية التناسخ ـ أحمد زكي تفاحة .
٢٥ ـ مقالات الإسلاميين ـ الأشعري .
٢٦ ـ ضحى الإسلام ـ أحمد أمين .
٢٧ ـ تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل .
٢٨ ـ الخيرات ـ الشيخ أحمد محمد حيدر .
٢٩ ـ ديوان الإمام الشافعي وحكمه ـ محمود بيجوط .
٣٠ ـ ينابيع المودّة ـ القندوزي الحنفي .
٣١ ـ العلويون من هم وأين هم ـ منير الشريف .
٣٢ ـ العلويون والتشيع ـ علي عزيز الإبراهيم .
٣٣ ـ ما بعد القمر ـ أحمد محمد حيدر .
٣٤ ـ مشارق أنوار اليقين ـ رجب البرسي .
٣٥ ـ الهداية الكبرى ـ الخصيبي .
٣٦ ـ معرفة الله والمكزون السنجاري ـ أسعد أحمد علي .

٣٧ ـ فن المنتجب العاني ـ أسعد أحمد علي .
٣٨ ـ إحياء علوم الدين ـ الغزالي .
٣٩ ـ رحلة إلى الحق ـ فاطمة الحسنية .
٤٠ ـ سلوني قبل أن تفقدوني ـ محمد رضا الحكيمي .
٤١ ـ لماذا أخترت مذهب الشيعة ـ محمد مرعي الأنطاكي .
٤٢ ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني .
٤٣ ـ إسلام بلا مذاهب ـ مصطفى الشكعة .
٤٤ ـ الباكورة السليمانية في أسرار الأذني ـ الديانة النصيرية .
٤٥ ـ الكلام الجليّ في ولاية أمير المؤمنين علي ـ علي الحليّ .
٤٦ ـ صلة التصوف الإسلامي بالتصوف المسيحي .
٤٧ ـ التصوف جدلية وإنتماء ـ أحمد علي حسن .
٤٨ ـ فلاسفة من الشرق والغرب ـ مصطفى غالب .
٤٩ ـ الصلة بين التصوف والتشيع ـ كمال مصطفى الشيبي .
٥٠ ـ مجلة المعرفة السورية ـ عبد الله حنّا .
٥١ ـ التصوف عند الفرس ـ إبراهيم الدسوقي شتا .
٥٢ ـ شفاء السائل لتهذيب المسائل ـ ابن خلدون .
٥٣ ـ سطور مضيئة عن الإمام الصادق ـ محمد علي اسبر .
٥٤ ـ حياتنا وتقاليدنا ـ محمّد علي أسبر .
٥٥ ـ مذاهب الإسلاميين ـ عبد الرّحمن بدوي .
٥٦ ـ تاريخ الطبري ـ ابن جرير الطبري .
٥٧ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .
٥٨ ـ الفرق بين الفِرق ـ البغدادي .
٥٩ ـ مروج الذهب ـ المسعودي .
٦٠ ـ فرق الشيعة ـ النوبختي .
٦١ ـ الفقه على المذاهب الخمسة ـ مغنيّة .
٦٢ ـ الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة .
٦٣ ـ الإمامة في الإسلام ـ عارف تامر .
٦٤ ـ من هو العلوي ـ عارف الصوص .
٦٥ ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ الجزيري .
٦٦ ـ العلويون بين الأُسطورة والحقيقة ـ هاشم عثمان .
٦٧ ـ أهل البيت في دراسة حديثة ـ محمد علي أسبر .
٦٨ ـ تاريخ صدر الإسلام ـ عمر فرّوخ .
٦٩ ـ خلافة بني أُميّة ـ نبيه عاقل .
٧٠ ـ العلويون النصيريون ـ أبو موسى الحريري .
٧١ ـ الإغتيال السياسي في الإسلام ـ هادي العلوي .
٧٢ ـ تاريخ الفرق الإسلامية ـ محمد خليل الزين .
٧٣ ـ المسلمون العلويون في لبنان ـ حامد حسن ، أحمد حسن .
٧٤ ـ الشيعة والحاكمون ـ محمد جواد مغنيّة .

٧٥ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ـ كارل بروكلمان .
٧٦ ـ علي والحاكمون ـ محمّد الصادقي .
٧٧ ـ سلمان منّا أهل البيت ـ محمّد علي أسبر .
٧٨ ـ مقدمة اليوبيل الذهبي ـ للشيخ سليمان الأحمد ، محمد مجذوب .
٧٩ ـ تحت راية لا إلـه إلاّ الله ـ عبد الله الفضل .
٨٠ ـ الفكر الفلسفي في الإسلام ـ علي سامي النشّار .
٨١ ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ ابن شعبة الحراني .
٨٢ ـ الأمالي ـ الشريف المرتضى .
٨٣ ـ مختصر بصائر الدرجات ـ حسن الحلي .
٨٤ ـ الفصول المهمّة ـ عبد الحسين شرف الدين .
٨٥ ـ أصل الشيعة وأصولها ـ كاشف الغطاء .
٨٦ ـ أسرار التأويل في معرفة التنزيل ـ البيضاوي .
٨٧ ـ التشيع ـ عبد الله الغريفي .
٨٨ ـ التكوين والتجلي ـ أحمد محمد حيدر .
٨٩ ـ النغم القدسي ـ أحمد محمد حيدر .
٩٠ ـ الصواعق المحرقة ـ ابن حجر الهيثمي .
٩١ ـ العلويون فدائيو الشيعة المجهولون ـ علي عزيز الإبراهيم .
٩٢ ـ المراجعات ـ عبد الحسين شرف الدين .
٩٣ ـ مقاتل الطالبين ـ الأصفهاني .
٩٤ ـ تاريخ الفكر العربي ـ عمر فروخ .
٩٥ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ آقا بزرك الطهراني .
٩٦ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
٩٧ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي .
٩٨ ـ حلب والتشيع ـ إبراهيم نصر الله .
٩٩ ـ المستطرف ـ الأبشيهي .
١٠٠ ـ وحدة الوجود في الفكر العربي ـ محمد الراشد .
١٠١ ـ الإمام علي بن أبي طالب ـ عبد الفتاح عبد المقصود .
١٠٢ ـ علي إمام المتقين ـ الشرقاوي .
١٠٣ ـ صحيح مسلم ـ الإمام مسلم .
١٠٤ ـ صحيح البخاري ـ الإمام البخاري .
١٠٥ ـ فضائل الإمام علي بن أبي طالب ـ أحمد بن حنبل .
١٠٦ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ الفيروزآبادي .
١٠٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ محمّد أبو زهرة .
١٠٨ ـ الغلوّ والغالية في الإسلام ـ عبد الله سلوم السامرائي .
١٠٩ ـ الإسلام في معارفه وفنونه ـ حبيب آل إبراهيم .

١١٠ ـ فلسفة التشريع في الإسلام ـ صبحي المحمصاني .
١١١ ـ الإسلام عقيدة وشريعة ـ محمود شلتوت .
١١٢ ـ أضواء على مسلك التوحيد «الدرزية» ـ سامي مكارم .
١١٣ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ـ محمد عبده .
١١٤ ـ تاريخ الإسلام السياسي ـ حسن إبراهيم حسن .
١١٥ ـ تاريخ الدولة الفاطمية ـ حسن إبراهيم حسن .
١١٦ ـ تحرير الوسيلة ـ روح الله الخميني .
١١٧ ـ تاريخ بغداد ـ أحمد بن علي البغدادي .
١١٨ ـ التصوف الإسلامي الخالص ـ محمود أبو الفيض المنوفي .
١١٩ ـ التصوف الإسلامي وتاريخه ـ رينولد نيكلسون .
١٢٠ ـ التصوف الثورة الروحية في الإسلام ـ أبو العلا العفيفي .
١٢١ ـ تلبيس إبليس ـ ابن الجوزي .
١٢٢ ـ ثورة الشيخ صالح العلي ـ عبد اللطيف اليونس .
١٢٣ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ـ عباس محمود العقاد .
١٢٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية .
١٢٥ ـ ديوان عمر الفارض ـ شرح البوريني .
١٢٦ ـ رسالة التوحيد ـ محمد عبده .
١٢٧ ـ طائفة الإسماعيلية ـ محمد كامل حسين .
١٢٨ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه .
١٢٩ ـ المذاهب الإسلامية ـ محمد أبو زهرة .
١٣٠ ـ مقاتل الطالبيين ـ أبو الفرج الأصفهاني .
١٣١ ـ المقدمة ـ ابن خلدون .
١٣٢ ـ نشأة التصوف الإسلامي ـ إبراهيم بسيوني .
١٣٣ ـ ابن الفارض سلطان العاشقين ـ محمد مصطفى حلمي .
١٣٤ ـ ابن الفارض والحب الإلهي ـ محمد مصطفى حلمي .
١٣٥ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي .
١٣٦ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ .
١٣٧ ـ أسرار البلاغة ـ الجرجاني .
١٣٨ ـ التصوف في الإسلام ـ عمر فروخ .
١٣٩ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ـ الكلاباذي .
١٤٠ ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل .
١٤١ ـ ديوان أبو فراس الحمداني ـ محمد التونجي .
١٤٢ ـ ديوان محي الدين بن عربي .
١٤٣ ـ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ـ مصطفى الشكعة .
١٤٤ ـ شطحات الصوفية ـ عبد الرحمن بدوي .

١٤٥ ـ الصوفية ـ نيكلسون .
١٤٦ ـ علي وحقوق الإنسان ـ جورج جرداق .
١٤٧ ـ الكامل ـ المبرد .
١٤٨ ـ مواهب الحق في الكرامات اليشرطية الشاذلية ـ فاطمة اليشرطية الحسنية .
١٤٩ ـ مشكاة الأنوار ـ الغزالي .
١٥٠ ـ معراج التشوق إلى حقائق التصوف ـ محمد بن عجيبة الحسني .
١٥١ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان .
١٥٢ ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي .
١٥٣ ـ الأعلام ـ الزركلي .
١٥٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ حسن الأمين .
١٥٥ ـ الحركات الباطنية في الإسلام ـ مصطفى غالب .
١٥٦ ـ مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام ـ عبد الواحد الأنصاري .
١٥٧ ـ الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية ـ محمد حسن الأعظمي .
١٥٨ ـ الخلافة ونشأة الأحزاب في الإسلام ـ محمد عمارة .
١٥٩ ـ شرح الزيارة الجامعة ـ الأحسائي .
١٦٠ ـ الخلافة ونشأة الأحزاب في الإسلام ـ محمّد عمارة .
١٦١ ـ الرجعة ـ الأحسائي .
١٦٢ ـ العصمة ـ الأحسائي .
١٦٣ ـ يوم الخلاص ـ كامل سليمان .
١٦٤ ـ إحقاق الحق ـ موسى الإحقاقي .
١٦٥ ـ عصر الظهور ـ علي الكوراني .
١٦٦ ـ أصالة الإسلام عند العلويين ـ صبحي عبد الوهاب .
١٦٧ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي .
١٦٨ ـ الفتوحات المكيّة ـ محي الدين ابن عربي .
١٦٩ ـ فصوص الحكم ـ محي الدين بن عربي .
١٧٠ ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة الدينوري .
١٧١ ـ مشارق أنوار القلوب ـ ابن الدباغ الأنصاري .
١٧٢ ـ تصنيف نهج البلاغة ـ لبيب بيضون .
١٧٣ ـ روائع القرآن ـ سعيد رمضان البوطي .
١٧٤ ـ بيان السعادة ـ الجنابذي .
١٧٥ ـ تحقيق نهج البلاغة ـ صبحي الصالح .
١٧٦ ـ التوحيد ـ الصدوق القمي .
١٧٧ ـ الإحتجاج ـ الطبرسي .
١٧٨ ـ تفسير الصافي ـ الفيض الكاشاني .
١٧٩ ـ من السهروردي إلى الشيرازي ـ موسى الموسوي .
١٨٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ـ محمدي ودشتي .

١٨١ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ابن إياس .

١٨٢ ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة ـ ابن رشد .

١٨٣ ـ إخوان الصفاء وخلان الوفاء .

١٨٤ ـ جمهورية أفلاطون ـ أفلاطون .

١٨٥ ـ مختارات من اللزوميات ـ عمر أبو النصر .

١٨٦ ـ مصباح الهداية ـ روح الله الخميني .

١٨٧ ـ مسند الإمام الرضا ـ الإمام الرضا .

١٨٨ ـ أعلام التصوف الإسلامي ـ طه عبد الباقي .

١٨٩ ـ الصراع في الوجود ـ سلامة بولس .

١٩٠ ـ الرسالة القشيرية ـ للقشيري .

١٩١ ـ شرح القصائد العلويات السبع ـ صالح علي الصالح .

١٩٢ ـ أعيان الشيعة ـ محسن الأمين .

١٩٣ ـ تفسير مجمع البيان ـ الطبرسي .

١٩٤ ـ نيل الأوطار ـ الشوكاني .

١٩٥ ـ قصة النزاع بين الدين والفلسفة ـ توفيق الطويل .

١٩٦ ـ الموسوعة الفلسفية ـ سمير كرم .

١٩٧ ـ أنشتاين والنظرية النسبية ـ عبد الرّحمٰن مرحبا .

١٩٨ ـ العلوم الطبيعية في القرآن ـ يوسف مروة .

١٩٩ ـ قصة الديانات ـ سليمان مظهر .

٢٠٠ ـ لزوم ما لا يلزم ـ أبو العلاء المعري .

٢٠١ ـ المادة والروح ـ ندرة اليازجي .

٢٠٢ ـ الأحاديث القدسية ـ دار النصر .

٢٠٣ ـ أدب الدنيا والدين ـ أبو الحسن الماوردي .

فهرست الكتاب

الإهداء ٣
مقدمة الكتاب ٥
عشائر العلويين ١٢
عشيرة الخياطين ١٣
عشيرة الحدادين ١٤
عشيرة المتاورة ١٦
عشيرة الكلبية ١٧
الحيدريون ـ الغساسنة ١٨
العشائر الخياطية ١٩
العشائر السنجارية الغسانية القحطانية ٢١
عشيرة بني علي ٢٢
عشيرة المهالبة ٢٥
عشيرة المحارزة ـ الدراوسة ٢٧
القراطلة ٣٠
هجرة العلويين إلى جبالهم ٣٢
الهجرة الأولى ٣٢
الهجرة الثانية ٣٤
الهجرة الثالثة ٣٥
الهجرة الرابعة ٤٠
الهجرة الخامسة ٤٩
الهجرة السادسة ٥٠
أصل العلويين ونشأتهم ٥٢
ما هي عقيدة العلويين ٦١
العلويون شيعة أهل البيت ٦٧
عقيدتنا في الدين ـ الإسلام ـ
الإيمان ـ التوحيد ـ العدل ٧٤
النبوة ـ الإمامة ٧٥
المعاد ـ القرآن ـ السنة ـ الإجماع ـ
العقل ٧٧
فروع الدين : الصّلاة ـ الأذان ـ
الإقامة ـ الصوم ـ الزكاة ٧٩
الخمس ـ الحج ـ الجهاد ـ الولاء ـ
والبراء ـ الخاتمة ٨٠
الأسماء والعناوين لعلماء العلويين .. ٨٢
العلويون والطريقة الجنبلانية
الخصيبية ٨٤
العلويون والعقيدة في الإمام
المعصوم ٩٠
العلويون والتناسخ ـ الكارما الهندية ٩٦
الهندوسية ـ الجينية ـ البوذية ٩٨

العلويون والجبر والإختيار والتفويض ١٠٥
العلويون وعلم الباطن ١١١
العلويون والغلوّ ١٢٠
العلويون والهبطة ١٤١
العلويون والتصوّف ١٥٢
صلة التصوف بالتشيع ١٥٦
أشهر المتصوفة الذين خلدت طرقهم في الشام ١٦١
التصوف الفارسي وصلته بالفلسفة العرفانية ١٦٣
المطابقة بين سيرة إبراهيم بن الأدهم وسيرة بوذا ١٦٥
الفلسفة الأفلاطونية والتصوف في إيران ١٦٦
ابن سينا ـ السهروردي ١٦٧
التصوف عند العلويين ـ تصوف المكزون السنجاري ١٧٢
مراقبة الله ١٧٦
التصوف النظري الفلسفي عند المكزون ١٧٧
العرفان والباطن عند المنتجب العاني ١٨٥
مجاهدات المنتجب في الطريق إلى الله ١٩٠
الشاعر المتصوف المكزون السنجاري ١٩٨
نسبه ـ أعقابه ـ آثاره ٢٠٠
رسالته ٢٠٢
معرفة الله ٢٠٤
الأدعية ـ هجرة المكزون من سنجار إلى سورية ٢٠٦
ولادته ـ وفاته ـ قبره ٢٠٨
النثر عند المكزون ٢١١
التقرير الأول ٢١٤
التقرير الثاني ٢١٦
الباب الأول ٢٢٠
الباب الثاني ٢٢٤
في معرفة باطن الجهاد ٢٢٩
من آثار المكزون ٢٣١
معاصرون للمكزون ٢٣٢
مراجع حديثة مخطوطة ٢٤٢
الشعر عند المكزون ـ قافية الهمزة .. ٢٤٣
قافية الباء ٢٤٤
قافية التاء ٢٤٦
المكزون ووحدة الوجود والحلاج ... ٢٤٩
المكزون والحلاج ٢٥٤
المكزون وابن الفارض ٢٥٧
من أعلام الفكر العلوي القديم
منتجب الدين العاني ٢٦٥
مولده ـ أصله ـ موطنه ١٦٦
عصر المنتجب وبيئته ٢٧٢
المذهب الشعري الفني عند المنتجب ٢٨٣
المذهب العقلي عند المنتجب ٢٨٥
الصورة والتصوف عند المنتجب ... ٢٩٠
البدع والزندقة عند المنتجب ٢٩٤
نماذج من شعر المنتجب العاني ـ في حرب البصرة ـ الولاية ـ المدح بالنسب العرفاني ٢٩٧
الهبطة ٢٩٩
الغزل ـ الحمامة ـ المطيّة ـ الغزل العرفاني ٣٠٠

الخمرة العذراء ٣٠١
الرثاء ـ مدح الإخوان ٣٠٣
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ
الفخر ـ العتاب ٣٠٥
الحكمة ٣٠٥
من أعلام العلويين في العصر الحديث
الشيخ سليمان الأحمد ـ ترجمته ٣٠٧
موقف تاريخي فريد ٣١١
مع أئمة الشيعة ومجتهديهم ٣١٣
خطاب الشيخ محمد الحسين كاشف
الغطاء ٣١٤
خطاب السيد عبد الحسين شرف
الدين ٣١٨
خطاب السيد عبد الحسين نور الدين ٣٢٠
خطاب السيد محسن الأمين العاملي ٣٢١
خطاب الشيخ أحمد عارف الزين .. ٣٢٣
نماذج من شعره ـ أهل البيت ـ سفينة
النجاة ـ هبني للولاء لآل طه ـ قدمت
للمهيمن ٣٢٤
فحبكم آل طه ـ المواعظ ـ أين الإخاء
وأين الحلم والرشد ٣٢٦
يا شيعة المرتضى ٣٢٨
حنانيك حزب الله ٣٢٩
الشعر السياسي ـ رثاء المرحوم محمد
أرسلان ٣٣١
ما تريدين أمة الطليان ٣٣٢
مآخذ العلامة الشيخ سليمان أحمد
على شرح الشيخ محي الدين الخياط
لديوان «أبي تمام» ٣٣٣
حول أبي العلاء ٣٥٦
رسالة الغفران ٣٦١
إلى الفيلسوف لبيب الرياشي بمناسبة
كتابه عن محمد (ص) ٣٦٣
الغزالي ٣٦٤
من خبايا الزوايا ـ من سرته حسنته
وساءته سيئته فذلكم المؤمن ٣٦٦
نماذج من شرح لزوميات المعري
للعلامة الشيخ سليمان الأحمد ٣٦٧
من أعلام الفكر العلوي الحديث
العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر ٣٨٦
مؤلفاته ٣٩٠
آثاره المخطوطة ٣٩٠
آثاره المطبوعة ـ ما بعد القمر ٣٩١
التكوين والتجلي ٣٩٥
الحيرات ٣٩٩
النغم القدسي ٤٠٢
نماذج من شعره ـ الطابع القدسي ... ٤١٧
الهبطة ٤١٩
المجلس الوقور ـ ضجعة القبر ٤٢١
إذا بسط اليدين ـ الشريف
الرضي . . . ما طوته الأيام ٤٢٢
أحد وبدر دائمان ٤٢٥
لفافة التبغ ٤٢٦
المصادر ٤٢٧
الفهرس ٤٣٣

تمّ الكتاب والحمد لله
أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

من آثار المؤلف

من آثار المؤلف المطبوعة :

١ ـ العلويون فدائيو الشيعة المجهولون ، طبع في دار القبس ـ كويت .

٢ ـ في رحاب نهج البلاغة ، طبع مرتين في دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣ ـ العلويون والتشيّع ، الدار الإسلامية ـ بيروت .

٤ ـ المنشآت الدينية بالساحل السوري ، طبع في صوت الخليج ـ الكويت .

٥ ـ الإسلام بين السنة والشيعة ، بيروت ١٩٧٠ م .

٦ ـ أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ، تأليف الأستاذ محمد علي أسبر تحقيق الشيخ علي عزيز الإبراهيم ، صوت الخليج ـ الكويت .

٧ ـ أصفى المناهل في جواب السائل ، تأليف الشيخ محمود مرهج تحقيق الشيخ علي عزيز الإبراهيم ، دار التراث الإسلامي ـ بيروت .

من آثار المؤلف المخطوطة :

١ ـ القصص الحق من حكم وتاريخ الأنبياء سادة الخلق .

٢ ـ مع الإمام علي (ع) في غريب نهج البلاغة .

٣ ـ في رحاب قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

٤ ـ آيات الأحكام في أركان الدين الإسلامي .

٥ ـ رسالة في صلاة الجمعة والعيدين .

٦ ـ في رحاب سورة ياسين من القرآن الكريم .

٧ ـ الروض النضير في ما جاء من معجزات أمير المؤمنين من العطر والعبير .

٨ ـ من لا يحضره الواعظون والمتعظون .